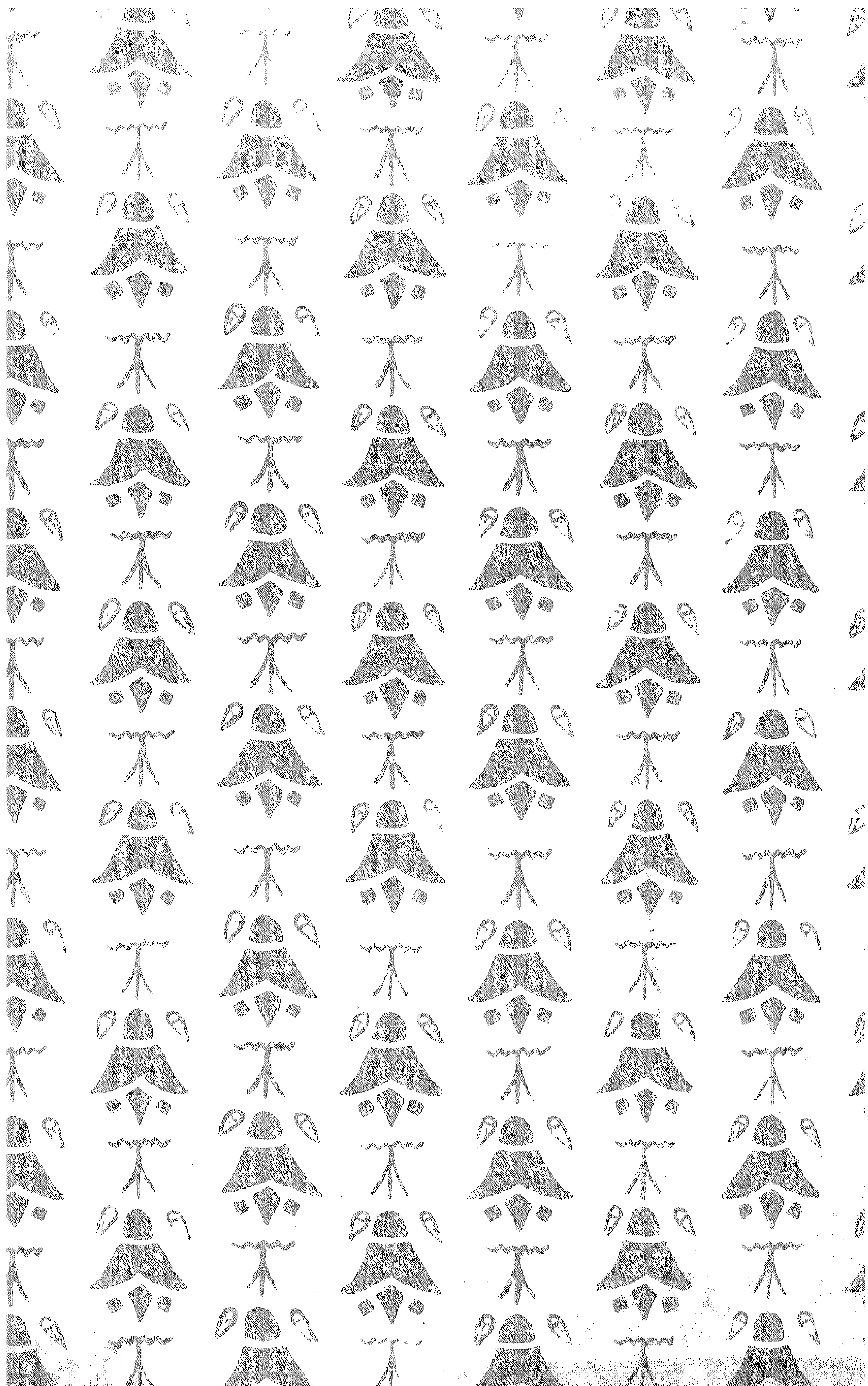
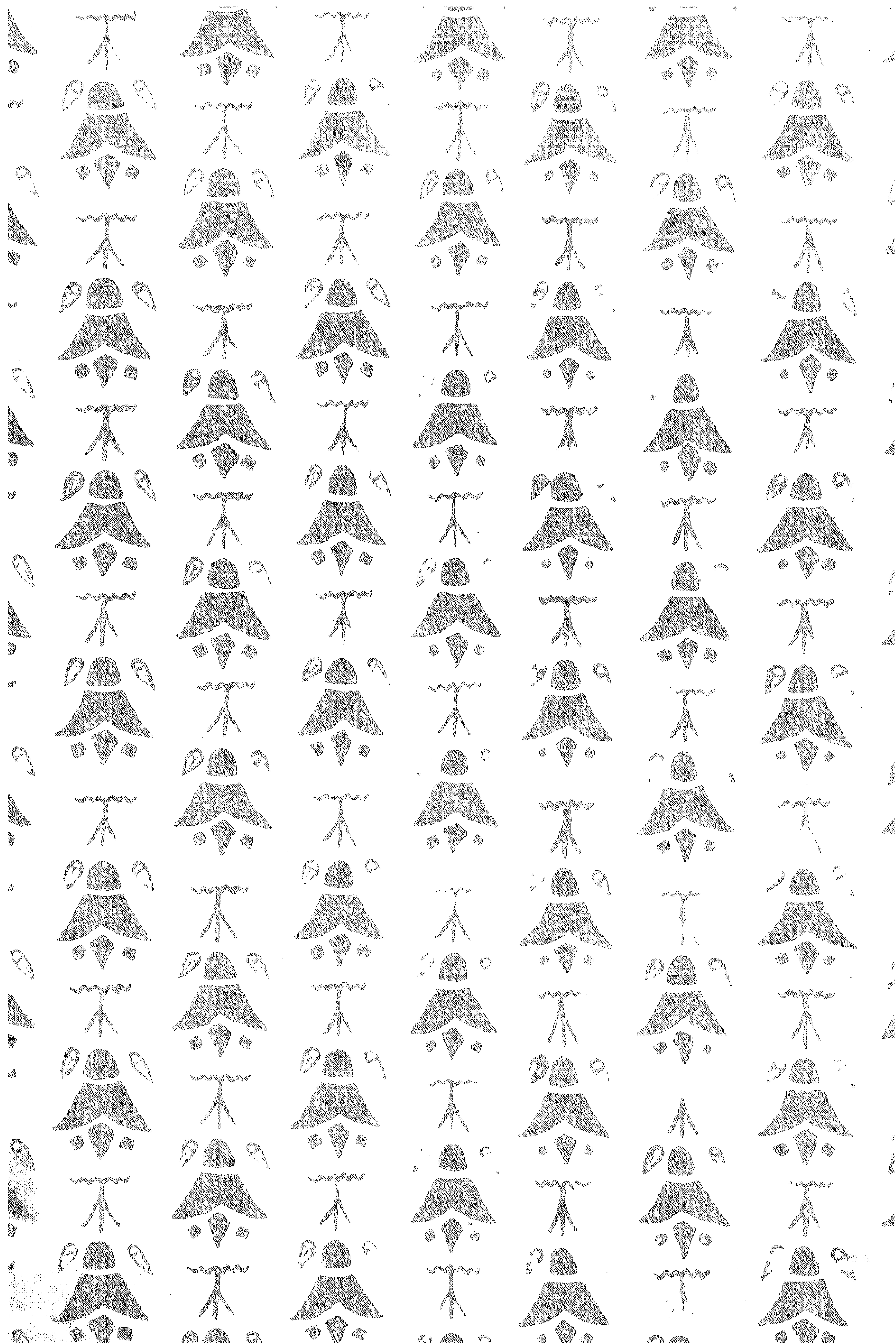






تراثنا

مختار الأغاني في الأخبار والتهاني

اختيار

ابن منظور محمد بن مكرم

٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ

الجزء الثامن

تحقيق

الدكتور حسين نصار

الدار المصرية للتأليف والترجمة

خرج هـــذا الـكتاب بالتعـاون

مع

معهد المخطوطات العربية بجـامعة الدول العربية

القاهرة

١٣٨٦هـ — ١٩٦٦م

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

ج٠ع٠م٠

حرف النون

ناقد الدّلال*

كُنْيَته أبو يزيد(1) ، وهو مَدِينى(2) ، مولى فَهْم .

هو أحد من خَصاهم(3) ابنُ حَزْم(4) مع المَخانِيث . ولما فعل به ذلك قال : الآن تَمّ الخَنَث(5) . ولم يكن فى المخنّثين أحسنُ وجها ولا أنظف ثوبا ولا أظرف منه .

وقيل : كان مولى لعائشة بنت سعيد بن العاص .

---

* أخباره فى الأغانى ب ٤ : ٥٩ ـ ٧٣ ، س ٤ : ٥٩ ـ ٧٣ ، د ٤ : ٢٦٩ ـ ٣٠٠ ، ى ٤ : ٢٧١ ـ ٣٠١ ، تجريد الأغانى (ت) لابن واصل الحوى، القسم الأول ، الجزء الثانى ٥٦٧ ـ ٥٧١ ، نهاية الأرب للنويرى ٤ : ٢٩١ ـ ٢٩٤ .

اختلفت المراجع فى اسمه، فجعله الأكثرون ناقدا ، وجعله جماعة نافذاء ونافدا. ولم أجد عند القدماء ما يرجح إحدى الصور . وضبط الفيروزابادى والزبيدى الدلال ، وجعلاها على وزن سحاب .

(1) أبو يزيد : كذا فى الأصل ، ب ، س ، وجميع أصول د . وفى د ، ى ، ت تبعا لنهاية الأرب وتاج العروس : أبو زيد.

(2) مدينى : كذا فى الأصل. وفى بقية المراجع : مدنى . والاثنتان صحيحتان نسبة إلى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام . فالصورة الثانية خاضعة للقاعدة الأصلية فى النسب ، والصورة الأولى أجازوها شذوذا للتمييز بين مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام وأية مدينة أخرى .

(3) من خصاهم : كذا فى ص . وفى بقية المراجع : من خصاه . والاثنتان صحيحتان .

(4) يريد أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى، الذى ولى المدينة من ٩٦ إلى ١٠١ هـ . ويخالف هذا رواية الجاحظ الذى جعل خاصيه عثمان بن حيان المرى والى المدينة فى عهد هشام بن عبد الملك (الحيوان ١ : ١٢١ بتحقيق عبد السلام هارون) .

(5) ذكر الجاحظ عن مشايخ من أهل المدينة أنه وبقية من خصوا قالوا عند خصائهم: الآن صرنا نساء بالحق .

ولم يكن أهل المدينة يعُدُّون فى الظرفاء وأصحاب النوادر إلا ثلاثة : طُوَيْسا ، والدلال ، وهِيت[1] وكان هيت أقدمهم ، والدلال أصغرهم . ولم يكن بعد طويس أظرفُ من الدلال ولا أكثر مُلَحا . وكان كثير النوادر ، نَزْر الحديث. فإذا تكلم أضحك الثَّكْلى . وكان ضاحك السن .

وصَنْعَته نَزْرة جيدة .

قال أيوب بن عَباية : شهدت أهل المدينة إذا ذكروا الدلال وأحاديثه فَخَروا به وطَوَّلوا رقابهم[2] ، فعلمت أن ذلك لفضيلة كانت فيه .

وكان مُبْتَلًى بالنساء والكَوْنِ معهن ، يُطلَب فلا يُقْدَر عليه .

ولُقِّب الدَّلَالَ لِشَكْله[3] ، وحُسْن ظَرْفه ودَلِّه ، وحلاوة نُطْقه ، وحسن وجهه وإشارته .

وكان مشغوفا بالنساء ويُكثِر وَصْفَهن للرجال[4] . وكان من أراد خِطْبَة امرأة سأله عنها وعن غيرها . فلا يزال يصف له النساء واحدة واحدة حتى ينتهى إلى وصف مايُعجبه . ثم يتوسط بينه وبينها حتى يتزوجها . وكان يُشاغل من يجالسه عن الغناء بهذه الأحاديث كراهةً منه للغناء .

قال مُصْعَب الزُّبَيْرىّ : السبب الذى خُصِى الدلال من أجله أنه : كان القادم

---

(١) اختلف العلماء فى حقيقة هـذا الاسم منذ زمن بعيد . فرواه الشافعى والذهبى : هيت ، وصوباه. وذهب صاحب التاج إلى أنه هنب، وإنما صحفه المحدثون. واختلفت المراجع فيه، واخترت رواية الأصل لتزكية الشافعى والذهبى . (انظر المعاجم اللغوية ، المادتين) .

(٢) غ : طولوا رقابهم وفخروا به .

(٣) الشكل : الدلال أو الهيئة . وفى د ، ى : لقب بالدلال . وفى غ : لشكله وحسن دله وظرفه وحلاوة منطقه . . .

(٤) كذا فى س ، وفى غ : بمخالطة النساء ووصفهن للرجال . وفى ت : بمخالطة النساء ويكثر . . .

يَقْدَم المدينة فيسأل عن امرأة يتزوجها ، فيُدَلُّ على الدلال . فإذا جاءه قال له : « صِفْ من تعرف من النساء للتزويج » . فلا يزال يصف واحدة واحدة حتى ينتهى إلى ما يُوافق هواه . فيقول : « كيف لى بهذه ؟ » فيقول : « مَهْرها كذا وكذا » . فإذا رضى بذلك ، أتاها الدلال ، فيقول لها : « أصبْتُ لك رجلا مِنْ حالِه وقصته وهَيْئته ويَساره ، ولا عَهْدَ له بالنساء ، وإنما قَدِم بلدنا آنفا » . ولا يزال بها حتى تُطيعَه : فيأتى الرجل فيُعْلِمه أنه قد أحكم ما أراده . فإذا تزوّجته المرأة أتاها ليلة دخولها ، فقال لها : « إن هذا الرجل الليلةَ موعدُه ، وأنتِ مُغْتَلِمة شَبِقَة[1] ، فساعةَ يجامِعُك قد دفَقْت عليه مثلَ سَيْلِ العَرِم فيَقْذَرُكِ ولا يُعاوِدُك ، وتكونين من أشأم النساء على نفسك وعلى غيرك ! » فتقول : « فكيف أصنع ؟ » فيقول لها : « أنت أعلم بدواء فَرْجك ودائه وما يُسَكِّن غُلْمتك » فتقول له : « ما أعرف شيئا أشْفَى له من النَّيْك »[2] . فيقول لها : « إنْ لم تخافى الفضيحة فابْعَثى إلى بعض الزنوج حتى يقضى وَطَرَكِ ويَكُفَّ عادِيَةَ حِرِك » . فتقول له : « ويلك ! ولا كذا بمرّةٍ »[3] . فلا يزال يحاورها حتى يقول : « فكما حُكِيم علىّ : أقوم أنا فأخففُك ، وأنا إلى التخفيف أحْوَج » . والتخفيف : الجماع . فتفرح المرأة وتقول : « هذا — إمّالا — أمرٌ مستور[4] » . فيجامعها ويقضى وطره منها . ثم يقول لها : « قد استرحتِ وأمنتِ » . ثم يجىء إلى الزوج فيقول له : « قد وعدتُها[5] أن تدخل بها الليلة ، وأنت رجل غريب[6] عَزَب ، ونساء المدينة خاصة يُحْبِبْن المطاولة فى الجماع ،

(١) مغتلمة وشبقة بمعنى واحد ، أى عظيمة الشهوة .
(٢) غ . فتقول : أنت أعرف ؟ فيقول : ما أجد له شيئا أشفى من النيك ؟ .
(٣) غ : ويلك ، ولا كل هذا .
(٤) كذا فى ص ، يريد : هذا أمر مستور إلا يكن غيره ممكنا . وفى غ : هذا أمر مستور .
(٥) غ : واعدتها .
(٦) كلمة غريب غير موجودة فى غ ما عدا إحدى المخطوطات التى اعتمدت عليها د .

وكأنى بك كما تُجامِعُها تُفْرِغ وتقوم ، فتُبْغِضُك وتَمقُتُك ، ولا تُعاوِدك بعدها ولو أعطيتَها الدنيا ولا تنظر فى وجهك بعدها » . فلا يزال فى مثل هذا القول حتى يعلم أنه قد هاجت شهوته ، فيقول : « كيف أعمل » قال : « تطلب زنجية فتجامعها مرّتين أو ثلاثا حتى تسكن غُلمتك ، فإذا دخلتَ الليلةَ بأهلك لم تجد أمرك إلا جميلا » . فيقول له الرجل : « أعوذ بالله ! زنا وزنجية ! لا أفعل ذلك ! » فإذا أكثر محاورته قال له : « كما حُكِم علىّ : قُمْ فافعل بى أنا حتى تسكن غُلْمتُك وشَبَقك » . فيفرح وينيكه مرة أو مرتين . فيقول له : « قد استوى أمرك الآن وطابت نفسك ، وتدخل على زوجتك فتَنيكها نَيْكا يملؤها سرورا ولذة » . فيَنيك المرأةَ قبل زوجها وينيكه الرجلُ قبل امرأته . وكان ذلك دَأْبَه حتى بلغ ذلك سليمان ابن عبد الملك(١) ، وكان غيورا شديد الغيرة . فكتب بأن يُخْصَى هو وسائر المخنّثين بالمدينة ومكة . وقال : إن هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويفسدونهن . فورد الكتاب على ابن حَزْم فخصاهم .

وقيل(٢) : كان السبب الذى من أجله خُصِى المخنّثون أن سليمان بن عبد الملك كان فى سطح له يَسْمُر عليه . فتفرّق عنه جلساؤه ، فدعا بوَضوء . فجاءته جارية له به ، فبينا هى تصُبُّ على يده إذ أشار إليها مرتين أو ثلاثا ، فلم تصُبَّ عليه : فأنكر ذلك ورفع رأسه ، فإذا هى مُصْغِية بسمعها إلى صوت رجل يغنى . فأنصت له حتى سمع ما تَغنّاه فلما أصبح أَذِن للناس . ثم أجرى ذكر الغناء ولَيَّن فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه ويريده . فأفاضوا فيه بالتّسْهيل وذِكْر من كان يسمعه . فقال سليمان : « فهل بقى أحد يُسْمَع منه ؟ » فقال رجل من القوم: « عندى — يا أمير المؤمنين — رجلان

---

(١) ولى الخلافة من ٩٦ إلى ٩٩ هـ . وذكرت قبلا أن الجاحظ صرح أن الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ — ١٢٥) هو الذى أمر واليه على المدينة عثمان بن حيان المرى بأن يقوم بالأمر .

(٢) الخبر مروى فى المحاسن والأضداد للجاحظ (مكتبة العرفان) ص ٢٢٧ أيضا .

من أهل أَيْلَةَ[١] مجيدان » . قال : « وأين منزلك ؟ » فأومأ إلى الناحية التى كان الغناء منها. قال : « فابعثْ جِئْنى بهما » . ففعل . فوجد الرسول أحدهما فأدخله على سليمان . فقال : « ما اسمك ؟ » فقال : « سُمَيْر » . فسأله عن الغناء فاعترف به . فقال له : « متى عهدك به ؟ » قال : « الليلةَ الماضيةَ » قال : « فما غنيت ؟ » فأخبره بالشعر الذى سمعه منـــه . فأقبل سليمان على القوم فقال ، « هَدَر الجمل[٢] فضَبِعت الناقة[٣] ، ونَبَّ التَّيْس[٤] فشَـكِرت الشاة[٥] ، وهدر الطائر[٦] فزافت الحمامة[٧] ، وغنى الرجل فطَرِبت المرأة » . ثم أمر به نُخصِى . وسأل عن أصل الغناء ، فقيل : « فى المدينة ، فى المخنَّثين ، وهم أئمتـــه والحُذّاق به » . فـكتب إلى أبى بكر بن [محمد بن] عمرو بن حزم ، عامِلِه على المدينة : أن أَخْصِ مَنْ قِبلك من المخنثين المغنين» . قال بعض الـكتاب : « قرأت كتاب سليمان فى الديوان ، فرأيت على الخاء نقطة كتمرة العجوة »[٨]. وقال من لا يعلم : « قد صحّف القارىء وإنما هى: أَحْصِ» .

---

(١) ميناء على رأس خليج العقبة من البحر الأحمر . وفى المحاسن والأضداد : الأبلة .

(٢) هدر البعير : ردد صوته فى حنجرته ، وكذا يقال : هدر الحمام وهدل . وفى المحاسن والأضداد : هدر الفحل .

(٣) ضبعت الناقة : اشتدت شهوتها الفحل .

(٤) نب التيس : صاح عند الهياج ، وهياج الشهوة خاصة . والتيس : ذكر المعز .

(٥) شكرت الشاة : امتلأ ضرعها لبنا . وذهب محققو الأغانى إلى أن هذه العبارة كناية عن حنينها . والشكر ، بفتح الشين وتسكين الـكاف : الفرج أيضا ، ولعله اشتق منه فعلا دالا على الشهوة ، وإن لم أجده فيما بين يدى من معاجم . وفى ت : استحرمت ، أى أرادت الفحل .

(٦) ت : وهدل الطائر . وفى المحاسن والأضداد : وهدل الحمام .

(٧) زافت الحمامة : مشت مدلة متبخترة .

(٨) فى الحيوان للجاحظ ١ : ١٢٢ : ولقد كانت الخاء معجمة بنقطة كأنها سهيل أو تمرة صيحانية . والصيحانى : ضرب من التمر أسود صلب المضغ .

فتتبعهم ابن حزم فخصى منهم تسعة ، منهم الدلال ، وطريفة[1] ، وحَبيب نَوْمة الضحى . وجعلت لحية الدلال تتناثر بعد سنة أو سنتين .

وكان الشعر الذى غناه سُمير :

مَحجوبةٌ سَمِعتْ صوتى فأرَّقها ... من آخرِ الليلِ لما طَلَّها السحَرُ[2]

تُدْنِى على جِيدِها ثِنْيَىْ مُعَصْفَرةٍ ... والحَلْىُ منها على لَبّاتها خَصِر[3]

فى ليلةِ النِّصْفِ مايَدرى مُضاجِعُها: ... أوَجْهُها عنده أبْهَى أم القمر[4]

لو خُلِّيَتْ لَمَشَتْ نحوى على قدَمٍ ... تكاد من رِقةٍ المَشْى تنفَطر[5]

وقيل : إن سليمان لما رأى ذلك لم يشكّ أن الجارية تَهْوَى سميرا . فأحضره وحبسه . ودعا بسيف ونِطْع[6] وقال للجارية : « اصدُقينى وإلا ضربت عنقك » . فقالت : « سَلْنى عما بدا لك » قال : « أخبرينى عما بينك وبين هذا الرجل » . قالت : « والله ما أعرفه ولا رأيته قط ، وأنا جارية مَنْشَى الحجاز ، ومن هنالك حُملت إليك . ووالله ما أعرف بهذه البلاد أحدا سواك » . فرَقّ لها ، وأحضر الرجل ،

---

(١) طريفة : كذا فى س ، ومخطوطتين من الأغانى . وفى ب ، س ، د ، ى : طريف .

(٢) طلها : أصابها بالطل ، وهو الندى . وفى غ : حتى شفها السهر . وفى المحاسن والأضداد : لما بلها .

(٣) المحاسن والأضداد : والحلى باد على . . . والثنى : واحد الأثناء ، وهى الطيات من الثوب . والمعصفرة : المصبوغة بالعصفر الأصفر . واللبات : جمع لبة ، وهى موضع القلادة من الصدر . وخصر : بارد .

(٤) أورد غ رواية أخرى فى الشطر الثانى ، وهى :

* أوجُهها ما يرى أم وجُهها القمر ؟ *

وفى المحاسن والأضداد : فى ليلة البدر . وزاد بعده البيت :

لم يمنع الصوتَ أبوابٌ ولا حرسٌ ... فدَمْعُها لُطروق اللحن ينحدر

(٥) فى المحاسن والأضداد : لو تستطيع مشت .

(٦) النطع : بساط من الجلد يفرش تحت من يراد تعذيبه أو قطع رقبته .

وسأله عن مثل ذلك وتلطف فى المسألة . فلم يجد بينه وبينها شيئاً البتة . ، فلم تَطِب نفسه بتخليته سَوِيّا[١] فخَصاه . وكتب فى المخنثين بمثل ذلك[٢] .

وقيل : إن الوليد بن عبد الملك[٣] قيل له : « إن نساء قريش يدخل عليهن المخنثون ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يدخلْ عليكن هؤلاء » فكتب إلى ابن حزم أن أخْصِهم ، نخصاهم . فمرّ ابن أبى عَتيق فقال : « أخصيتمُ الدلال ! أَمَ والله لقد كان يُحسن »[٤] :

لِمَنْ رَبْعٌ بذاتِ الجيْـــ ـشِ أمْسَى دارسا خَلَقا

قال حمزة النّوْفَلِيّ : صلّى الدلال يوما فى المسجد إلى جانبى ، فضَرَط ضرطة هائلة سمعها من فى المسجد . فرفع الناس رءوسهم وهو ساجد يقول رافعا صوته : « سَبّح لك أعلاى وأسفلى » . فلم يبق فى المسجد أحد إلا وفتن وقطع صلاته بالضحك .

قال عبد الله بن جعفر لصديق له يوما : « لو غنّتك جاريتى فلانة :

لمن ربع بذات الجيـــ ـش أمسى دارسا خلقـــا

لمــا أدركتَ ذَكاتَكَ »[٥] فقال : جُعلت فداك ، قد وَجَبَت جُنوبها ؛ فكُلُوا منها

---

(١) السوى : المكتمل الخلق المستويه .

(٢) فى الهامش دون علامة إلحاق الخبر التالى : « وقيل : إن سليمان كتب بإحصاء من فى المدينة من المخنثين ليعرفهم ، فيوفد عليه من يختاره للوفادة ، فظن أنه يريد الخصاء ، فخصاهم » .

(٣) ولى الخلافة من ٨٦ إلى ٩٦ . ولم يكن ابن حزم عاملا له على المدينة ، وإنما ولاه إياها خلفه سليمان فالخبر غير صحيح النسبة إلى الوليد .

(٤) نسب ياقوت الشعر لجعفر بن الزبير بن العوام . وذات الجيش : واد على بريد من المدينة فى الطريق إلى بدر . والدارس : الممحو . والخلق : البالى .

(٥) الذكاة : كل مذبوح من الحيوان . والتذكية : أن تدرك الحيوان وفيه بقية تشخب معها الأوداج وتضطرب فتجهز عليه . ويريد أنها تلهيه بغنائها عن ذبح ذكاته فتموت فلا ينتفع بها . وفى س وأصول الأغانى : دكانك ، وهو تحريف .

وأطْعِموا البائس الفقير[1] » . فقال عبد الله : « يا غلام ، مُرْ فلانة أن تخرج » . فخرجت معها عودها . فقال عبد الله : « إن هذا الشيخ يكره سماع العود » . فقالت : «ويحه! لو كره الطعام والشراب كان أقرب له إلى الصواب » . قال الشيخ : « وكيف ذلك وبهما الحياة ؟ » فقالت : « إنهما ربما قتلا، وهذا لا يقتل» . ثم غنت. فجعل الشيخ يصفق ويرقص ويقول :

* هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّى زِيَمْ[2] *

ويحرك رأسه ويدور حتى سقط مَغْشيا عليه ، وعبد الله بن جعفر يضحك منه .

قال المدائني : اختصم شِيعِيّ ومُرْجِئ[3] فجعلا حَكَمًا بينهما أول من يطلع . فطلع الدلال . فقالا له : «يا أبا زيد[4] ، أيهما خير : الشيعى أو المرجئ ؟ » فقال : « لا أدرى ، إلا أن أعلاى شيعى وأسفلى مرجئ » .

كان الدلال ملازما لأم سعيد الأَسْلَمية ولبنت يحيي بن الحكم بن أبى العاص ، وكانتا من أَمْجَن النساء ، تخرجان وتركبان فرسين وتستبقان عليهما حتى تبدو خلاخيلها . فقال معاوية لمروان : « اكفِنِى ابنة أخيك » . قال : « أفعلُ » . فاستزارها وحفر لها بئرا فى طريقها وغُطِّيت بحصير ، فلما مشت عليه سقطت فى البئر ، فكانت قبرها . وطُلب الدلال فهرب إلى مكة . فقال له نساء مكة : « قتلتَ نساء

(١) جمع بين آيتين من سورة الحج ، هما قوله تعالى : « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير» (الآية ٢٨) ، وقوله : «فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر» (الآية ٣٦) ووجبت جنوبها : قيل معناها سقطت جنوب الإبل إلى الأرض . وقيل: خرجت أنفسها فسقطت هى، فكلوا منها .

(٢) الرجز لجابر بن حنى التغلبي . وزيم : فرسه (تاج العروس) .

(٣) المرجئة : جماعة كانوا يفصلون بين العمل والإيمان ، ويقولون : لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، ويرجئون الحكم على أفعال العباد إلى الخالق .

(٤) د ، ى : أبا زيد .

المدينة وجئت لتقتلنا ! » فقال : « واللهِ ، ما قتلهن إلا الحكاك » . فقلن : « اغرُب[١] ، أخزاك الله ولا أدْنَى لك دارا ! » : قال : « فمَنْ لكنّ بعدى يدُلّ على دائكنّ ويعلم موضع شفائكنّ ؟ والله ما زنيتُ قط ولا زُنِىَ بى ، وإنى لأشتهى ما يشتهى نساؤكم ورجالكم » .

قدم مخنث من مكة يقال له مُخَّة فجاء إلى الدلال فقال : « يا أبا يزيد[٢] ، دُلَّنى على بعض مخنثى المدينة أكايده وأمازحه وأحادثه » . قال : « قد وجدته لك » . ــ وكان خُثَيم بن عِراك بن مالك ، صاحب شرطة زياد بن عبد الله الحارثى[٣] ، جاره ، وقد خرج فى ذلك الوقت ليصلى فى المسجد ــ فأومأ إلى خُثيم وقال : « الحَقْهُ فى المسجد ، فإنه يقوم فيه ليصلى ليرائى الناس ، فإنك ستظفر بما تريد منه » . فدخل المسجد وجلس إلى جانب ابن عراك ، فقال : « عجّلى صلاتك لا صلّى الله عليك ! » فقال له خثيم : « سبحان الله ! » فقال له المخنث : « سبّحت فى جامعةٍ[٤] قرّاصة ! انصرفى حتى أتحدث معك » . فانصرف خثيم من صلاته وقال للشرط : « خذوه واضربوه » . فضربوه مائة وحبسوه .

صلى الدلال يوما خلف الإمام بمكة فقرأ فى صلاته : « وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ »[٥] . فقال الدلال : « لا أدرى والله » . فضحك أكثر الناس وقطعوا الصلاة . فلما قضى الوالى صلاته دعاه وقال له : « ويلك ! لا تدع هذا المجون والسفه ! » فقال له : « كان عندى أنك تعبد الله عز وجل . فلما سمعتك تستفهم

---

(١) غ ، ت : اعزب . وهما بمعنى واحد .

(٢) د ، ى : يا أبا زيد .

(٣) ولى المدينة مرتين فى العهد العباسى ، من ١٣٣ إلى ١٣٦ ، ومن ١٣٧ إلى ١٤١ هـ . وكل أخبار الدلال فى العهد الأموى ، مما يلقى ظلالا من الشك على الخبر أو الرجال الذين اشتركوا فيه .

(٤) الجامعة : القيود لأنها تجمع اليدين إلى العنق .

(٥) سورة يس ، الآية ٢٢ .

ظننتُ أنك قد شككت فى رَبِّك فثبَّتّكَ » . فقال له : « ويلك ! أنا أشك فى ربى وأنت تثبِّتُنى ! اذهب ـ لعنك الله ـ ولا تعاوِدْنا فأُبلِغَ واللهِ عقوبتك[١] ! » .

خرج الدلال يوما مع فتية من قريش فى نُزْهة ومعهم غلام جميل الوجه ، فأعجبه . وعلم القوم بذلك وقالوا : « قد ظَفِرنا به سائرَ يومنا » ـ وكان لا يصبر فى مجلس حتى يفرغ ، استثقالا لمحادثة الرجال ومحبةً لمحادثة النساء ـ . فغمزوا الغلام عليه . وفَطِن لذلك فغضب وقام لينصرف . فأقسم الغلامُ عليه ، والقومُ جميعا ، فجلس . وكان معهم شراب فشربوا وسقَوْه . وحَمَلوا عليه لئلا يبرح ثم سألوه أن يغنى فغنّى[٢] :

زُبَيْرِيةٌ بالعَرْج منها منازلٌ ... وبالخَيْفِ من أدنَى منازِلِها رَسْمُ[٣]
أُسائلُ عنها كلَّ رَكْبٍ لقيتُه ... وما لى بها من بعد مَكَّتِنا عِلْمُ[٤]

---

(١) أبلغ فى عقوبتك : أى أوقع بك من العقوبة ما يبلغ الأذى والمكروه .

(٢) روى البكرى فى معجم ما استعجم ، رسم ودان ١٣٧٤ ، أن يعقوب بن حميد نسب الشعرَ إلى نصيب ، وأن إسحاق الموصلى نسبه إلى عبد الله بن أبى شجرة يشبب برملة بنت الزبير بن العوام . وربما كانت نسبته إلى نصيب أرجح لأنه كان كثير الذكر لودّان فى شعره ، وإن لم يقطع ذلك بأن الشعر له . وترتيب الأبيات مختلف فى المراجع التى أوردتها .

(٣) البكرى :

زبيرية بالجزع منها منازل ... وبالعرج من أدنى منازلها رسم

وياقوت :

تشوقنى بالعرج منها منازل ... وبالخبت من أعلى منازلها رسم

وفى س رواية أخرى : من أعلى منازلها . والعرج : قرية كبيرة على طريق مكة من المدينة . والخيف : ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء .

(٤) البكرى :

أسائل عنها كل ركب لقيتهم ... ومالى بها من بعد أن فارقت علم

وياقوت : من بعد مكتنا .

أيا صاحبَ الخيْماتِ من بطنِ أَرْثَدٍ ... إلى النخلِ من وَدّانَ، مافعلتْ نُعْمٌ؟[١]

فإنْ يَكُ حربٌ بين قومى وقومِها ... فإنى لها فى كلِّ نائرةٍ سَلْمٌ[٢]

فاستُطِير القومُ فرحا وسرورا وعلا نَعيرُهم[٣] . فبَدَر لهم الشرط . فأحسوا بالطلب فهربوا . وبقى الغلام والدلال لا يُطيقون بَراحا من السكر . فأُتى بهما الأمير فى المدينة . فقال للدلال : « يا فاسق ! » فقال : « من فمك لأبواب السماء » . فقال : « جَئُوا[٤] فكَّه » . فقال الدلال : « وعنقَه أيضا » . فقال : « يا عدو الله ، ما وَسِعك بيتك حتى خرجتَ بهذا الغلام إلى الصحراء تفسُق به ! » قال : « لو علمت أنك تَغارُ عليه وتشتهى الفسق به سرا ما خرجت عن بيتى » . قال : « جَرِّدوه واضربوه حَدّا » قال : « وأىُّ شىء ينفعك من ذلك وأنا أُضرَب كلَّ يوم حدودا؟! » قال : « ومن يتولى ذلك منك ؟ » قال : « أيور المسلمين » . قال : « ابطَحُوه على وجهه واجلسوا فوق ظهره » . قال : « أحسنت ! لعلك اشتهيت أن ترى كيف أناك » . قال : « أقيموه ــ لعنه الله ! ــ واشْهَروه بالمدينة مع الغلام » . فخُرِج[٥] بهما يُدار بهما فى السِّكَك . فقيل له : « ما هـذا ، يا دلال ؟ » قال : « الأمير

---

(١) اختلفت المراجع فى رواية الشطر الأول من هذا البيت كثيرا . فجعله البكرى (رسم ودان) وابن منظور والزبيدى (مادة رثد) : ألا تسأل الخيمات . وجعله البكرى أيضا (رسم أرثد) : ألم تسأل الأطلال . وجعله ياقوت : بعد أرثد ، والزبيدى (مادة ود) : بعد مربد . وأرثد : واد بين مكة والمدينة فى وادى الأبواء على أربعة أميال من المدينة . وودان : قرية جامعة من نواحى الفرع ، قريبة من الجحفة ، بينها وبين الأبواء نحو ثمانية أميال .

(٢) فى غ : فإن تك . وياقوت : فى كل ثائرة . والبكرى :

فإن تك حرب بين قومى وبينها ... فقد ترتجى من كل نائرة سلم

والنائرة : الشر والحقد والعداوة والهياج بين القوم .

(٣) النعير : الصياح من الخيشوم .

(٤) جئوا : اضربوا .

(٥) س : فأخرج بهما .

اشتهى أن يجمع بين الرأسين فجمع بينى وبين هذا ونادى علينا ، ولو قيل له : إنه قوّاد ، غضب » . فبلغ قوله الوالى فقال: « خَلُّوا سبيلهما ، لعنة الله عليهما ! ».

كان الدلال ظريفا جميلا حسن البيان ، من أَحْضَر الناس جوابا وأَحَجِّهم . وكان سليمان بن عبد الملك قد رقّ له لما خُصى غلطا . فوجّه بمولى له وقال : « جئنى به سرا » وكان يبلغه نوادرُه وطِيبُه وحذّر رسوله أن يعلم بذلك أحد . فلما قدم أنزله المولى منزله وأعلم سليمان بمكانه . فدعا به ليلا فقال : « وَيْلَكَ ! ما خبرك ؟ » قال : « خُتِنت من القُبُل مرة أخرى ، فهل تريد أن تَخْتِننى من الدُّبُر ؟ » فضحك وقال : « أخزاك الله ! » ثم قال : « غَنِّ » فقال : « لا أحسن إلا بالدُّفّ ». فأُتِى بدف فتغنى فى شعر العَرْجى(١) :

أَفِى رسْمِ دارٍ دمعُكَ المتحدِّرُ ... سَفاها، وماٱستِنْطاقُ ماليس يُخبِر؟(٢)

تغيَّر ذاكَ الرَّبْعُ من بعـــد جِدَّةٍ ... وكلُّ جديـــدٍ مرةً يتغـــيّر(٣)

فقال له سليمان : « حُقّ لك يا دلال أن يقال لك : أحسنت وأَجْملت ، فما أدرى أىُّ أمريك أعجب : براعة جوابك وجودة فهمك أم حسن غنائك بل [هما] جميعا عَجَب » . وأمر له بصِلَة سَنِيَّة . وأقام معه شهرا يشرب على غنائه ثم سَرَّحه إلى الحجاز مكرما .

لما حج هشام بن عبد الملك(٤) ، قَدِم المدينة . فنزل رجل من أشراف أهل الشام وقوادهم إلى جانب دار الدلال . فكان يسمع غناءه ويُصغى إليه ، ويصعَد فوق السطح ليقرُبَ منه . ثم بعث إلى الدلال : « إمّا أنْ تزورَنا وإما أن نزورك» . فبعث

---

(١) ديوانه (تحقيق خضر الطائى ورشيد العبيدى) ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) الديوان : وما استخبار .

(٣) غ ، والديوان : متغير .

(٤) ولى الخلافة من ١٠٥ إلى ١٢٥ هـ .

إليه الدلال: « بل تزورُنا أنت » فبعث الشامى بما يصلُح وجاء . وكان للشامى غلمان رُوقة[1] فمضى بغلامين منهم كأنهما دُرّتان . فغناه الدلال فى شعر المغيرة بن عمرو ابن عثمان :

قد كنتُ آمُـــلُ فيكمُ أَمَلا والمرء ليس بمُدْركٍ أَمَلَهْ

حتى بـــدا لى منكمُ خُلُفٌ فزجرتُ قلبي عن هوًى جَهِلَه[2]

ليس الفتى بمُخلَّدٍ أبـــدا حقـا وليس بفائتٍ أجَلَـه

فاستحسن الشامى غناءه فقال : « زِدْنى » . فقال : « أوَما يكفيك ؟ » قال : « لا » . قال : « فإن لى حاجة ! » قال : « وما هى ؟ » قال : « تبيعنى أحد هذين الغلامين أو كليهما ». فقال: « اختر أيهما شئت ». فاختار أحدهما . فقال له الشامى: « هو لك » . فقبِله الدلال منه . ثم غناه :

دعَتْنى دَواعٍ من أُرَيّا فهيَّجَتْ هَوًى كان قِدْما من فؤادٍ طروبِ

سبَتْنى أُرَيّا يومَ نَعْفِ مُحَسِّرٍ بوجهٍ جميـــلٍ للقلوب سَلوبِ[3]

لعل زمانا قد مضى أن يعود لى فتغفرَ أَرْوَى عنــد ذاك ذنوبى

فقال له الشامى : « أحسنت » ثم قال له الشامى : « إن لى إليك حاجة » . قال : « ما هى » قال : « أريد وصيفة وُلدت فى حِجْر صالح ، ونشأت فى خير ،

(١) روقة : حسان رائقون .

(٢) كذا روى الشطر الثانى فى غ . وفى ص ، وبعض أصول د :

* فزجرت قلبي فارعوى جهله *

وفيه ضرائر شعرية ولغوية .

(٣) النعف : ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادى (الخيف) ، أو المكان المرتفع فى اعتراض ، أو ما انحدر عن السفح وغلظ وكان فيه صعود وهبوط ، أو الناحية من الجبل أو من رأسه . ومحسر: واد بين يدى موقف المزدلفة مما يلى منى ووضع غ هذا البيت بعد تاليه.

جميلة الوجه ، مَجْدولة[١] ، جَمْدة[٢] ، فى بياضٍ ، مُشْرَبة حمرة ، حسنة الهامَة سَبْطة[٣] ، أسيلة الخد ، عَذْبة اللسان ، لها شكل يملأ العين والنفس » . فقال ا الدلال : « قد أصبتُها لك . فمالى عندك ؟ » قال: « غلامى هذا » قال : « إذا رأيتَه وقَلَّبْتَها[٤] فالغلامُ لى ؟ » قال : « نعم » . فأتى امرأة بقربه فقال لها : « جُعلت فداءك ! إنه نزل بقربى رجل من قواد هشام له ظَرْف وسخاء . وجاءنى زائ فأكرمتُه . ورأيت معه غلامين كالشمس الباهرة والكواكب الزاهرة ، ما وقعت عينى على مثلهما . فوهب لى أحدهما والآخر عنده ، وإنْ لم يصر إلىّ فنفسى ذاهبة » قالت : « فتريد ماذا ؟ » قال : « طلب منى وصيفة جميلة ، على صفة لا أعلمها إلا فى بنتك ، فهل لك أن تُريه إياها ؟ » قالت : « وكيف لك بأن يدفع لك الغلام إذ رآها ؟ » قال : « قد شرطت عليه ذلك عند النظر لا عند البيع » . قالت « فشأنك ، لا يعلم بذلك أحد » . فمضى الدلال وجاء الشامى معه . فلما صار إلى المنزل أدخلته المرأة ، فإذا هو بحَجَله[٥] وفيها امرأة على سرير مُشْرِف ، بَرْزَةٌ[٦] جميلة فوُضع له كرسى وجلس . فقالت له : « أمِن العرب أنت ؟ » قال : « نعم » . قالت : « من أيهم ؟ » قال : « من خزاعة » . قالت : « مرحباً بك وأهلا ؟ أى شىء طلبت ؟ » . فوصف لها الصفة . قالت : « قد أصبتَها » . وأسرّت إلى جارية لها . فمكثت هنيهة ثم خرجت وصيفة ما رُئِى مثلها . فقال لها : « أَقْبِلى » . فأقبلت . ثم قال : « أَدْبِرى » . فأدبرت . فملأت العين والنفس . فما بقى فيها شى

---

(١) المجدولة : اللطيفة التكوين المحكمة الفتل الحسنة الطى .

(٢) الجمدة : الشديدة الأسر والخلق غير المسترخية ولا المضطربة .

(٣) السبطة : الحسنة القد والاستواء .

(٤) د ، ى : وقبلتها .

(٥) الحجلة : كالقبه تزين بالثياب والستور والأسرة للعروس .

(٦) البرزة : التى تبرز للقوم يجلسون إليها فى عفة وعقل أو البارزة المحاسن .

إلا وضع يده عليه . فقالت له : « أتحب أن نُؤَزِّرها لك ؟ » قال : « نعم » فائْتَزَرت فضمّها الإزار وظهرت محاسنُها الخفيّة . فضرب بيده إلى عَجيزتها وصدرها ، ثم قالت : « أتحب أن أُجَرِّدها ؟ » قال : « نعم » . فألقت الإزار فإذا أحسنُ خَلْق الله كأنها سَبيكة . فقالت : « يا أخا العرب ، كيف رأيت ؟ » قال : « مُنْيةَ المتمنّي » . [ثم] قال : « فبكم تقولين ؟ » قالت : « ليس يومُ النظر يومَ البيع ولكن تعود غداً حتى نبايعك ، فلا تنصرف إلا عن رضا » . فانصرف فقال له الدلال : « أرضيت ؟ » قال : « نعم ، ما كنت أحسب أن مثل هذه فى الدنيا » . ثم دفع له الغلام الثانى . فلما كان من الغد ، قال له الشامى : « أمض بنا » . فمضيا . ورحبت بهما المرأة ثم قالت للشامى : « أعطِنا ما تبذل » قال : « ما لها عندى ثمن إلا وهى أكثر[1] منه ، فقولى يا أَمَة الله » . قالت : « بل قُلْ أنت ، فإنّا لم نُوطِئك أعقابنا[2] ونحن نريد خلافك » . قال : « ثلاثة آلاف درهم » . قالت : « والله ، قُبلة منها خير من ثلاثة آلاف درهم » . قال : « أربعة آلاف » . قالت : « غفر الله لك ، أيها الرجل ! » قال : « والله ، ما معى غيرها — ولو كان لزدتُك — إلا رَقيق ودوابّ أحمله إليك » . قالت : « ما أراك إلا صادقا . أتدرى من هذه ؟ » قال : « لا ، والله » . قالت : « ابنتى فلانة بنت فلان ، وأنا فلانة بنت فلان . وقد كنت أردت أن أعرض عليك وصيفة عندى ، فأحببت إذا رأيت غدا غِلَظ أهل الشام وجَفاءهم ذكرت ابنتى ، قُمْ راشدا » . فقال للدلال : « خدعتنى ! » قال : « وما ترضى أن ترى ما رأيت من مثلها وتَهَب مائة غلام مثل غلامك ؟ » قال : « أما هذا فنعم » . وخرجا من عندها .

(١) غ : أكبر .

(٢) كذا فى غ . وفى ص : أعناقنا .

جاء الدلال يوماً إلى منزل نائلة بنت عمار الكلبي وكانت عند معاوية فطلّقها . فقرع الباب فلم يُفتح له . فتغنى في شعر مجنون بني عامر ونقر بدُفّه[١] :

خليليّ لا والله لا أملك البكا ... إذا عَلَمٌ من أرض ليلى بدا ليا[٢]

خليلي إنْ بانوا بليلى فهيّئا ... ليَ النعشَ والأكفانَ، واستغفرا ليا[٣]

قضاها لغيري وابتلاني بحبها ... فهلّا بشيء غيرَ ليلى ابتلانيا[٤]

فخرج حَشَمُها فزجروه وقالوا : « تنحَّ عن الباب » : فسمعت الجلبة فقالت : « ما هذه الضجة بالباب ؟ » فقالوا : « الدلال » . فقالت : « ائذنوا له » . فلما دخل شق ثوبه وطرح التراب على رأسه وصاح بويله وحَرَبه[٥] . فقالت له : « لك الويل، مالك ؟» . قال: « ضربني حشمك » . قالت: « لمَ ؟ » قال: « غنيت صوتاً أريد أن أسمعك إياه » . قالت : « أفّ لهم ! نحن نبلغ لك في ذلك ما تحب ونُحسن تأديبهم، ياجارية ، هاتي ثياباً مقطوعة » . فلما طُرحت عليه الثياب ، جلس . فقالت : « ما حاجتك ؟ » فقال: « لا أسألك حاجة حتى أغنيك » . قالت : « فذاك إليك ». فاندفع يغني في شعر جميل[٦] :

ارحميني فقد بليتُ فحسْبي ... بعضُ ذا الداء يا بثينةُ حسْبي

لامني فيك يا بثينة صحْبي ... لا تلوموا قد اقرح الحزن قلبي[٧]

زعم الناسُ أن دائيَ طِبِّي ... أنت والله يا بثينة طبي

---

(١) ديوان مجنون ليلى (مكتبة مصر) ٢٩٣ ، ٢٩٦–٢٩٨ .

(٢) في الديوان : من آل ليلى .

(٣) رواية الشطر الأول في الديوان مرة : فقرِّبا ، ومرة : خليليّ إن ضنوا بليلى فقربا .

(٤) البيت غير موجود في غ ، ت .

(٥) الحرب : السلب والخراب .

(٦) ديوان جميل (مكتبة مصر) ٣٢ .

(٧) غ والديوان : اقرح الحب .

ثم جلس فقال : « هل من طعام ؟ » قالت : « عليّ بالمائدة » : فأتى بها . فأكل ثم قال : « هل من شراب ؟ » قالت : « أما نبيذ فلا ولكن غيره » . فأتى بأنواع الأشربة . فشرب ثم قال : « هل من فاكهة ؟ » فأتى بها ، ثم قال : « حاجتى خمسة آلاف درهم ، وخمسُ حُلَلٍ من حلل معاوية[١] ، وخمس حلل من حلل حبيب بن مَسْلَمة ، وخمس حلل من حلل النُّعمان بن بَشير » . قالت : « وما أردت بهذا ؟ » قال : « هو ذاك ، واللهِ ، وما أرضَى ببعض دون بعض ، فإما الحاجة وإما الرد » . فدعت له بما سأل . فقبضه وقام . فلما توسط الدار نقر دفه وغنى فى فى شعر جميل[٢] .

ليت شِعْرى أجَفْوةٌ أم دَلالٌ أم عدوٌّ أتى بثينةَ بعدى
فمُرِيني أُطِعْكِ فى كلّ أمرٍ أنتِ واللهِ أوجَهُ الناسِ عندى

قال : وكانت نائلة عند معاوية فقال لفاختة بنت قَرَظة : « اذهبى فانظرى إليها » . فذهبت ونظرت ، فقالت له : « ما رأيت مثلها ولكن رأيت تحت سُرَّتها خالا لَيُوضَعنّ معه رأسُ زوجها فى حِجْرها » . فطلقها معاوية . وتزوجها بعده رجلان : أحدهما حبيب بن مسلمة ، والآخر النعمان بن بشير ، فقُتل أحدهما ووُضع رأسه فى حجرها[٣] .

لما أراد عبد الله بن جعفر إهداء[٤] ابنته إلى الحجاج ، كان ابن أبى عَتيق عنده . فجاء الدلال فقال له ابن جعفر : « قد جئت يا دلال فى وقتِ حاجتِنا إليك » . قال : « ذلك قصدتُ » . فقال ابن أبى عتيق : «غَنِّنا» . وقال ابن جعفر : « ليس وقت ذاك ،

---

(١) ولى الخلافة من ٤١ إلى ٦٠ هـ .
(٢) ديوان جميل (مكتبة مصر) ٧٥ .
(٣) هو النعمان بن بشير (انظر ترجمته فى هذا الجزء) .
(٤) إهداء : زفاف .

نحن فى شغل عن هــذا » . فقال ابن أبى عتيق : « وحَقِّ البَنِيَّة[١] ليُغَنِّيَنّ » . فقال ابن جعفر : « هات » . فتغنى ونقر بالدف ، والهوادج والرّواحل قد هُيِّئت ، وصُيِّرت بنت ابن جعفر مع جواريها والمشيِّعون لها قيام :

يا صاحِ لو كنتَ عالمًا خَبِرا   بما يُلاقى المُحِبُّ لم تَلُمُهْ[٢]
لا ذنبَ فى مُقَرْطَقٍ حَسَنٍ   يُعجِبه دَلُّه ومُبْتَسَمُه[٣]
شِيمته البخلُ والبِعادُ لنا   يا حَبَّذا هُوْ وحَبَّذا شِيَمُه
مُضمَّخٌ بالعبير عارِضُه   طُوبَى لمَنْ شَمَّه ومن لَثَمُه[٤]

فطرب ابنُ جعفر وابن أبى عتيق ، وقال ابن جعفر : « زدنى » . فغناه فى شعر ابن قيس الرُّقَيات[٥] :

بَكَر العواذلُ فى الصَّبو   حِ يَلُمْنَنى وأَلُومُهُنَّهْ[٦]
ويَقُلْن : شيْبٌ قد عَلا   كَ وقد كَبِرت ، فقلت : إنَّهْ[٧]
لا بُدَّ من شيبٍ فدَعْـ   نَ ولا تُطِلْنَ مَلامَكُنَّهْ

(١) غ : ورب الكعبة . والبنية هى الكعبة .
(٢) لم تلمه : حق الميم أن تسكن ولكنه نقل إليها ضمة الهاء بعدها للوقف .
(٣) غ :

لا ذنب لى فى مقرط حسن   أعجبه دله ومبتسمه

والمقرطق : الذى ألبس القرطق ، وهو قباء . والمبتسم : الفم .
(٤) لثمه : حق ميمه أن تفتح ، ولكنه نقل إليها ضمة الهاء بعدها على لغة لخم ، الذين يجيزون فى الوقف نقل حركة الحرف الأخير إلى المتحرك قبله .
(٥) ديوانه ، طبع فينا ١٩٠٢ ، ص ١٤١ .
(٦) غ : فى الصباح . وفى الديوان .

بكَرَتْ علىَّ عواذلى   يَلْحَيْنِنى وأَلومُهُنَّه

(٧) ذهب النحاة فى « إنه » مذهبين : رأى بعضهم أن معناها نعم وألحقت بها هاء السكت ، ورأى آخرون أنها المؤكدة واسمها ، وحذف خبرها ، وتقديره : حق أو كذلك ، يريد : إن الشيب علانى فعلا .

ومضت ابنة ابن جعفر . فاتّبعها يغنيها بشعر عمر بن أبي ربيعة[١] :

إنّ الخليطَ أَجَــدَّ فاحتمَلا وأراد غيظَك بالذى فعَلا[٢]
فوقفتُ أنظرُ بعضَ شأنِهِمُ والنفسُ ممــا تأمُل الأملا[٣]
فهنــالكَ كاد الشوق يقتُلُنى لو أنّ شوقاً قبلَه قتــلا[٤]

فدمعت عينا عبد الله بن جعفر وقال للدلال : « حَسْبك فقد أوجعت قلبي » . ثم قال لهم : « امضُوا فى حفظ الله ، على خير طائر[٥] ، وأَيْمن نَقيبة[٦] » .

كان الدلال لا يشرب النبيذ . فخرج مع قوم إلى مُتَنَزَّه لهم ومعهم نبيـذ . فشربوا منه ولم يشرب . وسقوه عسلا مَجْدُوحا[٧] . وكان كلما تغافل صَيَّروا فى شرابه نبيذا فلا ينـكره ، حتى كثر ذلك فسكر وطرب . وقال : « اسقونى من شرابكم » . فسقَوْه . وغناهم فى شعر الأحوص :

طاف الخيالُ وطاف الهم فاعتَـكَرا عند الفراش فبَاتَ الهَمُّ مُحتَضِرا[٨]
أُراقبُ النجمَ كالحيرانِ مرتقِبا وقَلَّص النومُ عن عينىّ فانْشَمَرَا[٩]

---

(١) ديوانه (ليبسك ١٣١٨ هـ) ١٤٢ .

(٢) الخليط : المخالط . أجد : أحدث نية على الرحيل أو صار ذاجد واجتهاد فى الرحيل . واحتمل : ارتحل .

(٣) الشطر الأول فى الديوان :

* قد كنت آمل طول مكثهم *

(٤) فى الديوان : كاد الحب . . . لو كان حب قبله قتلا .

(٥) الطائر : الحظ .

(٦) النقيبة : النفس والمشورة .

(٧) مجدوح : مخلوط .

(٨) غ : فبات الهم . ت وبعض أصول د : وطـال الليل فاعتـكرا . واعتكر : اختلط واشتد سواده ، وهى أليق بالليل . ومحتضر : حاضر .

(٩) قلص ، انزوى وانقبض . وانشمر : ابتعد مسرعا .

فاستحسنه القوم وطربوا . ثم غناهم :

طَرِبْتَ وهاجَك مَنْ تَذَّكِرْ ومن لستَ مِنْ حُبِّه تَصْطَبِرْ[1]

فإنْ يأتِ منها الذى أرتجى فذاك لَعَمْرِى الذى أنتظر[2]

وإلا صبرتُ فلا مُفْحِشا عليها بسُوء ولا مُبْتَهِر[3]

وسكر حتى قطع ثيابه . ونام عريانا فغطاه القوم بثيابهم ، وحملوه إلى منزله ليلا ، وانصرفوا . فأصبح وقد قاء ولوّث ثيابه بقيئه . فأنكر نفسه وحلف ألا يغنى أبدا ، ولا يعاشر من يشرب النبيذ . ووَفَى بذلك حتى مات . وكان بجالس المَشْيَخة والأشراف ، فيُفيض معهم فى أخبار الناس وأيامهم حتى قضى نَحْبَه .

---

(١) غ : من حبه تعتذر . وتدكر : تذكر .

(٢) غ : فإن نلت منها . ت : فإن بان منها .

(٣) مبتهر : كذا فى د ، ى ، أى مدع الكذب عليها . وفى س ، ب ، س : منتهر .

نبيه*

هو رجل من بنى تميم . وأصله من الـكوفة .

وكان فى أول أمره شاعرا لا يغنِّى . فهوَى قينة ببغداد فتعلم الغناء من أجلها ، وجعله سببا للدخول عليها . وتزيَّد فيه حتى عُدَّ من المحسنين .

وكان له أخَوان ، يقال لهما : مُنبِّهٌ ونَبْهان .

قال على بن المفضل : اصطبحنا يوما أنا ونبيه عند عبيد الله[1] بن أبى غسان ، فغنانا نبيه لحنه[2] :

يا أيُّها الرجل الذى قدزان مَنْطِقَهُ البَيَانْ

لا تَعْتِبَنَّ على الزمـا نِ فليس يُعتبك الزمان

فـا سمعت أحسن منه وشربنا عليه بقية يومنا . ثم سألنا الانصراف ، فسألنا عبيد الله[1] أن نبيت عنده ونصطبح من غد . وقال لنبيه : « أيْشٍ تشتهى أن نصلح لك» . فقال :« تشترى غزالا فتطعمنى كبده كبابا ، وتجعل سائرما آكله من لحمه » . فقال : «أفعل» . فلما اصطبحنا[3] جئناه بغزال فأصلحه كما أحب . فلما استوفى أكله استلقى لينام ، فحركناه فإذا هو ميت ، فجزعنا من ذلك . وبعث عبيد الله[1] إلى أمه فجاءت ، فأخبرها بخبره ، فلما رأته استرجعت ثم قالت : « لا بأس عليكم ، وهو رابع أربعة أولاد ولدتهم كانت هذه منيَّتهم ومنيَّة أبيهم[4] من قبلهم » . فسكنَّا لذلك. وغُسل فى دار عبيد الله[1] ، ودُفن .

---

* أخباره فى ب ٦ : ١١ ، س ٦ : ١٠ ، د ٦ : ١٦١ ، ى ٦ : ١٥١ .

(١) كذا فى غ . وفى ص : عبد الله .

(٢) الشعر لعبد الله بن هارون العروضى .

(٣) غ : أصبحنا .

(٤) غ : هذه ميتتهم وميتة أبيهم .

النُّعمان *

أَعْشى بنى تَغْلِب

هو النعمان بن نَجْوان[1] بن معاوية ، أحد بنى معاوية بن جُشَم بن بكر بن حُبَيب بن عمرو بن غَنْم[2] بن تَغْلِب بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَديلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نزار.

شاعر من شعراء الدولة الأموية ، من ساكنى الشام إذا حَضَر ، وإذا بَدا نزل بديار قومه بنواحى الموصل وديار ربيعة .

وكان نصرانيا ، وعلى ذلك مات .

وكان يُنادم الحُرّ بن يوسف بن يحيى بن الحَكَم[3] فشربا يوما فى بستان بالموصل. فسكر الأعشى فنام فى البستان . ودعا الحر جواريه فدخلن عليه قبته . واستيقظ الأعشى فأقبل ليدخل القبة، فمانعه الخدم. ودافعهم حتى كاد يهجم على الحرمع جواريه، فلطمه خصىٌّ منهم . فخرج إلى قومه فقال لهم : « لطمنى الحُرّ » . فوثب معه رجل من بنى تغلب ، يقال له ابن أَدْعَج، وهو شهاب بن همّام بن ثعلبة بن أبى سعد . فاقتحما الحائط[4] ، وهجما على الحر حتى لطمه الأعشى ثم رجعا . فقال الأعشى فى ذلك :

---

* أخباره فى ب ١٠ : ٩٨ ، س ١٠ : ٩٣ ، د ١١ : ٢٨١ ، ى ١١ : ٢٦٣ .

(١) اختلف الرواة فى اسم الأعشى التغلبى . فذكر الآمدى : المؤتلف والمختلف ٢٠ أن « اسمه نعمان بن نجوان ، ويقال ربيعة بن نجـوان بن أسود » . وذكر أبو الفرج : « قال أبو عمرو الشيبانى: اسمه ربيعة . وقال ابن حبيب : اسمه النعمان بن يحيى بن معاوية » . وقال الزبيدى تاج العروس ، مادة عشو : « هو النعمان ، ويقال له ابن جاوان » .

(٢) غنم : ساقطة من غ ، وموجودة فى س ، ت ، وتاج العروس .

(٣) ولاه هشام بن عبد الملك مصر فى ١٠٥ هـ فثار القبط فأصلح أمرهم . ثم عزل عنها وولى الموصل ١٠٨ هـ وبقى بها إلى أن مات فى ١١٤ هـ .

(٤) الحائط : البستان .

كأنى وابنَ أَدْعَجَ إذ دَخلْنا ... على قُرَشِيِّكَ الوَرَعِ الجبانِ[(١)]
هِزَبْرا غابةٍ وَقَصا حمارا ... فظلَّا حوله يتَبَهْنَسانِ[(٢)]
أنا الجُشَمىُّ من جُشَم بنِ بكرٍ ... عشيةَ رُعْتَ طَرْفَك بالبَنانِ[(٣)]
فما يَسْطيع ذو مُلْك عقابى ... إذا اجْترمَتْ يَدِى وجنى لسانى
عشيةَ غاب عنك بنو هشام ... وعثمانُ استُهُما وبنو أبانِ
تروح إلى منازلِها قريشٌ ... وأنت مخيِّمٌ بالزَّرَّقانِ[(٤)]

الزرقان : قرية للحر كانت بسنجار .

كان شَمْعَلة بن عامر بن عمرو بن بكر ، أخو بنى فائد ، نصرانيا ، وكان ظريفا . فدخل على بعض خلفاء بنى أمية ، فقال له : « أَسْلِم يا شمعلة » . قال : « لا والله ، لا أسلم كارها أبدا ، ولا أسلم إلا طَوْعا إذا شئت » . فغضب وأمر فقُطع قطعة من لحم فخذه ، وشويت فى النار ، وأطعمه إياها . فقال أعشى بنى تغلب فى ذلك :

أمِنْ حُذَّةٍ بالفَخْذِ منك تَباشَرتْ ... عِداكَ ؟ ولا عارٌ عليك ولا وِتْرُ[(٥)]
وإنّ أمير المؤمنين وجُرْحَه ... لَكا الدَّهْر لا عارٌ بما فَعَل الدهر

ومات شمعلة من الجرح الذى لحقه فى فخذه بعد مدة طويلة . فقال الأعشى فى ذلك :

(١) الورع : الضعيف الجبان . والأبيات فى ديوان الأعشين (طبع بيانة ١٩٢٧) ٢٩١ .

(٢) الهزبر : الأسد الغليظ الضخم ، ووقص : كسر ودق . ويتبهنسان: يتبختران . وفى غ والديوان : يتناهشان .

(٣) يريد عشية لطمتك بالكف .

(٤) كذا فى غ ومعجم البلدان لياقوت والديوان . وفى ص : بالزندقان . وسنجار : مدينة من نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام . وفى ب ، س ، والديوان : إلى منازلنا .

(٥) انظر ديوان الأعشين ٢٨٩ . وكذا الرواية فى د ، ى ، والحذة : القطعة من اللحم . وفى ص : حدوة . وفى ب ، س : جذوة . وفى الديوان : حزة . وفى غ والديوان : فلا عار .

أَلَا يا بنى مروانَ هل نُوفِيَنَّكم قروضَكُم من قبلِ أن يأتىَ الحشرُ(١)
أُنُنْسَى إذا ما لم تَنُبْكم كَرِيهةٌ ونُدْعَى إذا ما هُزهِز الأَسَل السُّمْر(٢)
ألم يَكُ غَدرا ما فعلتم بشَمْعَل وقد خاب من كانت سَريرته الغدر
أَجِدَّكُم ما تَرْهَبون كتائبا بِلَمْلَمَ دعواها الأراقمُ والنّمْر(٣)
فإنْ تكفروا ما قد علمتم فرُبَّما أُتيح لكم قَسْرا بأسيافنا النصر(٤)
وأُقسم لو حربٌ عَوانٌ تلقَّحتْ وحانَ من الناسِ التنمُّر والخطْر(٥)
لَنَحْنُ عليكم لا لكم إن عَثَرْتُمُ مع الصَّكَّةِ الأولى إذا قُضِىَ الأمر(٦)
وكم قد دفَعْنا عنكُم من مُلِمَّةٍ ولكن أَبيتُم لا وفاءٌ ولا شُكر
ونحن قتلنا مُصْعَبا قد علمتمُ بمَسْكِنَ يومَ الحرب أنيابُها خضر(٧)

---

(١) الأبيات الآتية موجودة فى ت وديوان الأعشين ٢٨٩ ، وليست فى غ . وفى ت : فروضكم وفى الديوان : توفينكم فروضكم .

(٢) فى الديوان :

أَيُنْسَى إذا ما لم تَنلكمْ كريهة ونَنْسَى إذا ما هُزهز الأسل الحمر

وهو محرف . وتنوبكم : تصيبكم . والأسل : الرماح .

(٣) الديوان : لا ترهبون . ولملم : لم أجده فى الأماكن ، وهو فى اللغة الجمع الكثير ، والمعروف فى الأماكن ألملم ويلملم ، وهما موضع واحد على ليلتين من مكة يحرم منه أهل اليمن . والأراقم : أحياء من تغلب ، وهم جشم ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحارث بنو بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب . والنمر : قبيلة .

(٤) الديوان : فطالما أتيح لها قسرا . .

(٥) الديوان : فأقسم لن حرب . والحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد مرة . والتنمر : الغضب والسخط . والخطر : الوعيد والتهديد ورفع السلاح ووضعه .

(٦) ت : من الصكة . الديوان : مع الصرعة .

(٧) الديوان : أنيابها حصر ، ت : أنيابها كشر . ومصعب : يريد به ابن الزبير ، والى العراق من قبل أخيه عبد الله ، وقد قتل فى الحرب بينه وبين عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ . ومسكن : موضع على نهر دجيل عند دير الجاثليق . وخضرة الأنياب : كناية عن الحداثة ، يريد فى أول الحرب .

فما رَبُّ ذاك الفضلِ كاسرَ عينه   هشامٌ ولا عبدُ العزيزِ ولا بِشْر[١]

فبعث إليه بشر بن مروان خاصةً[٢] فأرضاه ووصله صِلةً سنية ، وحمله على فرس جوادٍ ، وكساه كسوة فاخرة . فقال يمدحه من أبيات[٣] :

متى يقولوا : أبو مروانَ سيـدُنا   وخيرُ من يُرْتَجى بِشْرٌ، فقدصَدَقُوا

هو الجوادُ قَديـما كان سابقَهم   حتى أقرُّوا ، ولو لم يَنْزِعُوا سُبقوا[٤]

كان الوليد بن عبد الملك محسنا إلى أعشى بنى تغلب . فلما ولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة وَفَد عليه ومدحه . فلم يُعطه شيئا وقال : « ما أرى للشعراء فى بيت المال حقا ولو كان لهم حق ما كان لك شىء لأنك امرؤ نصرانى » . فقال :

لَعَمْرى لقد عاش الوليـد حيـاتَهُ   إمامَ هُدًى ، لا مُسْـتزادٌ ولا نَزْرُ[٥]

كأنَّ بـنى مروان بعـد وفاتِه   جَلاميدُ ما تَنْدَى وإنْ بَلَّها القَطْرُ[٦]

(١) أراد هشام بن عبد الملك ، وصفه بذلك لحول عينه. وعبد العزيز وبشر : ابنا مروان ابن الحكم .

(٢) خاصة : رسولا خاصا .

(٣) ديوان الأعشين ٢٩١ .

(٤) ينزعوا : يكفوا وينتهوا .

(٥) مستزاد : يطلب منه زيادة العطاء . والنزر : البخيل

(٦) غ والديوان : لا تندى . . ت : ولو بلها . وتنـدى : تسخو . والقطر : المطر .

ناهِض بن ثُومَة

هو ناهضُ بن ثُومة بن نَصيح بن نَهيك بن إمام بن جَهْضَم بن شهاب بن أَنَس ابن رَبيعة بن كَعب بن أبى بكر[١] بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

شاعر فصيح ، بدوى ، فارس ، من شعراء الدولة العباسية . كان يَقْدَم البصرة ، فيُكتَب عنه شعره ، وتؤخذ عنه اللغة . روى عنه الرياشى وأبو شُراعَة[٢] وغيرهما .

وكان يهاجيه رجل من بنى الحارث بن كعب ، يقال له : نافع بن أصعر الحارثى[٣] ، فأَبَرَّ عليه[٤] ناهض . فمما قال ناهض فى جواب قصيدة هجا بها نافع قبائل قيس ، من قصيدةٍ أولُها :

ألَا يا اسْلَمَا يا أيهـا الطَّللانِ ... وهــل سالمٌ باقٍ على الحَدَثانِ
خليلىَّ قد أكثرتُما اللومَ فارْبَعا ... كفانِىَ مابى لو تُركتُ كفانى[٥]
إذا لم تصل سَلْمى وأسماءُ فى الصِّبا ... بحَبْليهما حَبْلِى ، فمَنْ تَصلانِ ؟
فدَعْ ذا ، ولكنْ قد عجبتُ لنافعٍ ... ومَعْواهُ من نَجرانَ حيثُ عَوانى[٦]

---

* أخبـاره فى ب ١٢ : ٣٣ ، س ١٢ : ٣٢ ، د ١٣ : ١٧٥ ، ى ١٣ : ١٧٦ .

(١) غ : كعب بن بكر . وما أثبته عن س أصح .

(٢) س : أبو سراعة . غ : أبو سراقة . والتصحيح عن أمالى القالى ١ : ٢٢ ، والأغانى ٢٠ : ٣٥ .

(٣) كذا فى س . فى غ : نافع بن أشعر . ولم أجده فيما بين يدى من مراجع .

(٤) فأبر عليه : غلبه . وفى غ : فأثرى عليه .

(٥) أربعا : أمسكا وتوقفا .

(٦) ب ، س : ودع ذا . وفى ص : حيث غوانى ، تحريف . ومعواه : عواؤه، شبه هجاءه بعواء الكلب .

لَعَمْرِى ، لقد قال ابن أصعر نافعٌ[1] مقالةَ موطوءِ الحريمِ مُهانِ
هجــا نافعٌ كعبا ليُدركَ وترَهُ ولم يهجُ كعبٌ نافعاً لأوانِ[2]
ولم تَعْفُ من آثارِ كعبٍ بوجهه قوارعُ منها وُضَّحٌ وقَوانى[3]
وقد خضَّبوا وجْهَ ابنِ عُلبةَ جعفرٍ خِضابَ نجيعٍ لا خِضابَ دِهانِ[4]
فلم يُذْمِ كعبا نافعٌ منـــه ضربه بسيفٍ ولم يطعُنْهمُ بسِنانِ[5]
فما لك مَهْجَى ياابن أصعر[6] فالتَقِمْ على حجرٍ واصبِرْ لكل هوانِ
إذا المـــرءُ لم ينهضْ بثأرٍ لعمِّه فليس يُجَلِّى العـــارَ بالهذيانِ[7]
أَبِى قيسُ عَيْلانٍ وعمِّىَ خِنْدِفٌ ذوو البَذْخِ عندالفَخْرِ والخَطَرانِ[8]
إذا ما تجمَّعْنا وسارتْ حِـــذاءَنا ربيعةُ لم يُعْدَل بنا أخوانِ
أليس نبيُّ اللهِ منّا محمـــدٌ وحمزةُ والعبــاسُ والعُمَرانِ[9]
ومِنّا ابن عباسٍ ومنـــا ابنُ عمِّــه علىٌّ إمامُ الحـــقِّ ، والحَسَنانِ[10]

---

(١) ب ، س : لعمرى لقد كان ابن أصرع نافع . د : ابن أسعر ، ى : ابن أشعر .
(٢) كذا فى غ ، أى أن كعبا لم يهج نافعا فى أى وقت . وفى ص : ولم يهج كعبا نافع لأوان.
(٣) والقوارع : الإصابات . والوضح : جمع واضحة ، وهى الشجة التى تبين العظم . والقوانى : الشديدة الحمرة .
(٤) النجيع : دم الجوف . وانظر خبر جعفر بن علبة الحارثى فى الأغانى (د) ١٣ : ٤٥ .
(٥) غ : فلم يهج كعبا نافع بعد ضربة .
(٦) ب ، س : ياابن أصفر فاكتعم . د ، ى : ياابن أشعر فاكتعم .
(٧) غ : فيثأر بعمه .
(٨) ب ، س : أيا قيس عيلان . وفى ص : وعمى جندب ، تحريف . فقد أراد أبناء ليلى من الياس بن مضر بن نزار ، التى انتقل هذا اللقب منها إلى أبنائها فى قصة تروى . وفى غ : ذوا البذخ . والبذخ : الكبر والتطاول والفخر ، ولم تذكر فيه المعاجم التسكين ولكن الشاعر اضطر إلى ذلك . والخطران : الاهتزاز والتبختر فى المشى والمصاولة .
(٩) العمران : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب أوعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز .
(١٠) ب ، س : أمان الحق .

وعثمانُ والصِّدّيقُ منــا وإنّنا لَنَعلمُ أن الحقَّ ما يَعدان(١)
ومنا بنو العباس فَضْلا، فمَنْ لــكم؟ هَلُمُّوهُ أو لا يَنْطِقَنَّ يمــانِ

فأنشــد ناهض هذه القصيدة أيوبَ بن سليمان بن على بالبصرة ، وعنده خالٌ له من الأنصار . فلما ختمها بهذا البيت ، قال الأنصارى : « أَخْرَسنا ، أخرسه الله تعالى ! » .

وكان جَدُّه نَصيح شاعرا أيضا .

قال الفضل بن العباس الهاشمى ، من ولد قُثَم بن جعفر : كان ناهض بن ثومة يَفِد على جَدى قثم فيمدحه ، ويَصِله جدى ويَمِيره(٢) ، وكان بدويا جافيا كأنه من الوحش ، وكان طيب الحديث . فحدّثه يوما : أنهم انتجعوا الشام ، فقصد صديقا له من ولد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزل حلب . فمدحه وكان بَرّا به . قال : فمررتُ بقرية يقال لها قرية بكر بن عبد الله الهلالى . فرأيت دُورا متباينة وخِصاصا قد ضُمَّ بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناس كثير مقبلون ومُدبِرون ، عليهم ثياب تحكى ألوان الزهر . فقلت فى نفسى : « هذا أحد العيدين : الأضحى أو الفطر » ثم ثاب إلىَّ ما عَزَب من عقلى ، فقلت : « خرجت من أهلى ببادية البصرة فى صفر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك . فما هذا الذى أرى ؟ وما هذا الذى يخيل إلى نفسى ؟ لا والله ما لهذا أصل ، وإن الذى أراه لشأنٌ عظيم غير مايقع لى الأمر». وأقبلت أتأمله .

فبينا أنا واقف متعجب ، إذ جاءنى رجل فأخذ بيدى ، فأدخلنى داراً قَوْراء ، وأدخلنى منها بيتاً قد نُجِّد فى وجهه فُرُش ومُهِّدت ، وعليها شاب ينال فروع شعره منكبيه ، والناس حوله سِماطان . فقلت فى نفسى : « هذا الأمير الذى حُكِى لنــا جلوسُه على السرير وجلوس الناس حوله وبين يديه ، ولقد أُريت ما كنت أتمناه من

---

(٥) كذا فى غ . وفى س : تعدان .

(٦) غ : جدى وغيره . وفى الخبر كثير من العبارات المزيدة غير الموجودة فى الأغانى .

دهر طويل ، فياليت شعرى ، ما السبب فى إدخالى عليه ؟ وما يريد منى ؟ » فقلت وأنا ماثل بين يديه : « السلام عليك ، أيها الأمير ، ورحمة الله وبركاته » . فجذب رجل بيدى وقال : « اجلس ! فإن هذا ليس بأمير » . فقلت : « وما هو ؟ » قال : « عروس » . فقلت : « واثـكل أماه ! لَرُبَّ عروسٍ بالبادية أهونُ على أهله من هَنِ أمه ! » فلم أنشب أن دخل رجال يحملون هَنات[1] مدوَّرات : أما ما خفّ منها فيُحمَل حملا ، وأما ما ثقل وكبر فيدحرج . فوضع ذلك أمامنا ، وتحلَّق القوم عليها حلقاً متراحمين ، وأنا أنظر إليهم وأقول : « يا قوم ! ياهؤلاء الذين لم أر مثلهم قط » . ثم أتينا بخرق بيض ، فألقيت بين أيدينا . فظننتها ثيابا وهممت أن أسأل القوم منها خرقاً أقطعها قميصاً ، وذلك أنى رأيت لها نسيجاً متلاحما لا يبين له سَدًى ولا لُحْمة . فلما بسط القوم أيديهم إذا هو يتمزق سريعاً فإذا هو — فيما زعموا — صنف من الخبز لا أعرفه . ثم أتينا بطعام كثير حلو وحامض ، وحار وبارد ، فأكثرت منه وأنا لا أعرف ما فى عَقِبه من التَّخَم والبَشَم . ثم أتينا بشراب أحمر فى عِساس[2] ، فقلت : « لا حاجة لى فيه ، فإنى أخاف أن يقتلنى » . فضحكوا وقالوا : « يا بدوى ! هذا ينفع ما أكلت ويهضمه » . فقلت : « ما أريده » .

وكان إلى جنبى رجل ناصح لى من بين الجماعــة ، جزاه الله خـيراً . فقــال لى : « يا بدوى ! أعلم أنك قد أكلت وأكثرت من الطعام ، وهذا النبيذ يهضم ما أكلت وإن أنت شربت الماء هَمَى بطنك[3] » . فلما ذكر البطن تذكرت شيئاً كان أوصانى به أخى[4] والأشياخ من أهلى ، وقالوا : لا تزال حيا بخير ما دام بطنك شديداً ،

---

(١) هنات : أشياء .

(٢) العساس : جمع عس ، وهو القدح الـكبير .

(٣) همى بطنك : أسهل .

(٤) غ : أبى .

فإذا اختبلف[١] فأَوْصِ . وهذا والله مما قاله لى الرجل: إنى إذا اتخمت همى[٢] بطنى . فقلت : « قد نصح لك هذا الرجل ، أحسن الله جزاءه ! » وشربت من ذلك الشراب لأتداوى ، ورأيته طيبا فأكثرت منه وأنا لا أملّ شربه . فتداخلنى لذلك صلف لا أعرفه من نفسى ، وبكاء لا أعلم سببه ولا علم[٣] لى بمثله ؛ واقتدارٌ على أمرى أظن معه أنى لو أردت نيل السقف لبلغتُه ، ولو ساورتُ[٤] الأسد لقتلتُه ، ولو وثب إلىّ جماعة من النـاس أقاتلهم لقتلتهم . وجعلت ألتفت إلى الرجل الناصح لى فتحدّثنى نفسى بهَتْم أسنانه وهشم أنفه . وأهُمّ أحيانا بأن أقول له : « يا ابن الزانية ! » .

فبينا نحن كذلك إذ هجم علينـــا شياطين أربعة ، أحدهم قد عَلّق فى عنقه جَعبةً[٥] فارسية مُشنّجة[٦] الطرفين ، دقيقة الوسط ، مشدودة بالخيوط شـــداً منـكراً[٧] لم أر مثله . ثم بدر الثانى فأخرج من كمه هَنَةً سوداء كفَيْشَلة الحمار ، فوضعها فى فيــه . وبقيت أنظر إليه وأتعجب وأقول: « ترى الشيطان أى شىء يريد أن يصنع بهذه الهنة ؟ » . وضرط منها ضراطاً لا والله ما سمعت أعجب منه . فاستتمّ بها أمرهم . ثم حرك أصابعه على ثُقَب[٨] فيها ، فأخرج منها صوتاً ليس كما بدأ يشبه الضراط ، لـكنه أتى منها لما حرك أصابعه بصوت عجيب متلائم مشاكل بعضه لبعض، كأنه — علم الله — ينطق بكلام ما سمع السامعون أشجى منه[٩] . قال : وضرب الأول

(١) كذا فى غ ، وفى س : رقت .
(٢) س : حب . وربما كان محرفا عما أثبت .
(٣) غ : ولا عهد ؛
(٤) ساورت الأسد : واثبته وصاولته .
(٥) الجعبة : كنانة السهام .
(٦) المشنجة : المتقبضة .
(٧) غ : مشبوحة بالخيوط شبحا منكرا .
(٨) غ : على أجحرة .
(٩) س : أسخى .

على الجبة الفارسية التى كانت فى يده من جانبها ، وقال عليها قولا اختلط كلامه بصاحب الهنة . فسمعت شيئاً لا — وبيت الله — ماسمعت أطيب منه . ثم بدر ثالث كَزٌّ مَقِيت[١]، عليه قميص وسخ ، ومعه مرآتان فجعل يصفّق بهما بيديه ، إحداها على الأخرى . فخالط بصوتهما[٢] ما يفعل الرجلان . ثم بدر رابع عليه قميص مصون وسراويل مصونة ، وخُفّان أحذمان[٣] لا ساق لواحد منهما ، فجعل يقفز كأنه يثب على ظهور المقارب . ثم التبط[٤] به على الأرض . فقلت : « معتوه ، ورب الكعبة ! » . ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندى ، ورأيت القوم يحذفونه بالدراهم حذفاً منكراً .

ورأيت الأربعة شياطين قد اختلط كلام صاحب الجبة ، وضراط صاحب الهنة ، وقفز ذلك الشيطان ، وتصفيق صاحب المرآتين فى موضع ، فكأنه — شهد الله — شيء واحد آخذ بالقلب من ملاحته . وطربت من طيبته حتى كدت أن أشق قميصى . ثم قلت : « أبقى عرياناً بلا شيء ! » وجعلتُ أُشْخَص[٥] إليهم ، وهم يُحذَفون بالدراهم، ويُلصَق على وجوههم بالبصاق ، وأنا أقول : « ليت كان معى شيء فأعطيهم كما يعطى هؤلاء[٦] » . وإذا هم يدورون على واحد واحد فيعطيهم إلى أن جاءوا إلىّ . فقالوا : « هات ، يا بدوى » . فقلت : « لا ها اللهِ ما معى شى ، ولو كان معى

---

(١) الكز : الجهم المتقبض . والمقيت : الكريه .

(٢) ص : فخالطت بصوتها . ب ، س : فخالطت بصوته . د ، ى : فخالطنا بصوتهما . ولعل الصواب ما أثبت .

(٣) أحذم: مقطوع . ب ، د ، ى : أجذمان . س : أخذمان .

(٤) التبط : سقط .

(٥) أشخص : أرفع بصرى دون أن يطرف .

(٦) ص: يعطون هؤلاء.

لفعلت » . فأقبلوا يضحكون منى . وأعطانى صديقى الذى كان إلى جنبى درهما فأعطيتهم . ورأيت ـ والله ـ منهم منظراً حسناً . وأقبلت أفكر فى نفسى وأقول : « يا قوم ، رأيتم هذه الجعبة الفارسية ، والمرآة ، والهنة : أيش نشأ منهم من العجائب ؟ ! » وأنا شاخص الطَّرْف إليهم .

ثم أرسل النساء إلينا أنْ أمتِعونا من لهوكم هذا . فبعثوا بهم إليهن . وجعلنا نسمع أصواتهم من بُعد . وكان معنا فى البيت شاب لا أبهة[(١)] له . فعلَتِ الأصوات بالثناء عليه والدعاء له . وإذا به قد خرج فجاء بخشبة ، عينها[(٢)] فى صدرها ، فيها خيوط أربعة . فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف أذنه . ثم عرك آذانها وحركها بخشبة فى يده . فنطقت ـ ورب الكعبة ـ وإذا هى كأحسن قينة رأيتها قط . وغنى عليها بغناء ما سمعته قط . فأطربنى حتى كدت أطير فرحاً ، واستخفّنى من مجلسى فوثبت فجلست بين يديه . وقلت : « بأبى أنت وأمى ! ما هذه الدابة ؟ فلست أعرفها للأعراب . وما أراها خلقت إلا قريباً » . فأقبل يضحك ويصفق من كلامى ، وتضحك الجماعة معه منى أيضاً ، ويصفقون ويقولون : «هِيهِ ، ياأعرابى ! بالله عليك ، هذه دابة ؟ » قلت : « فداكم أبى وأمى ! أنا بدوى لا أعرف فعرّفونى ، فقد والله تحيرت » . فقال لى المغنى : « هذا البَرْبَط » . فقلت : « بأبى أنت وأمى ! فما هذا الخيط الأسفل ؟ » قال : « الزِّير » . قلت : « فالذى يليه ؟ » قال : « المَثْنَى » . قلت : « فالذى يليه ؟ » قال : « المَثْلَث » . قلت : « فالأعلى ؟ » قال : « البَمّ » . فقلت : « آمنت بالله أولا ، وبك ثانياً ، وبالبربط ثالثا ، وبالبم رابعاً » .

فضحكنا حتى سقطنا[(٣)] إلى الأرض . وجعل ناهض يعجب من ضحكنا وكنا نستعيده هذا الحديث ، ونطرف به إخواننا . وكان من ملاحة الحديث على أمر جليل .

(١) غ : لا آبه له .
(٢) غ : عيناها .
(٣) غ : فضحك أبى والله حتى سقط . والضمائر فى الفقرة كلها المفرد الغائب .

نُباتة أبو الأسد*

هو نباتة بن عبد الله الحِمّانى ، من بنى شَيْبان[1] .

شاعر ، مطبوع ، متوسط الشعر ، من شعراء الدولة العباسية ، من أهل الدِّينَوَر[2] .

[وكان][3] مليحا ، طيب النادرة ، مَزّاحا ، خبيث الهجاء .

وكان صديقا لعَلُّويه ، كثيرا ما يغنى بأشعاره . وكان علويه يصفُه للناس[4] ويعرضه المنافع .

كتب أبو الأسد إلى موسى بن الضحاك :

لموسَى أَعْبُدٌ وأنا أخوه ... وصاحبه ، ومالى غيرُ عَبْدِ
فلو شاء الإله وشاء موسى ... لآنسَ جانبَىْ فرجٍ بسَعْدِ[5]

وفرج غلام أبى الأسد ، وسعد غلام كان لموسى . فبعث إليه موسى بسعد . وشاطره بعدُ فى بقية غلمانه ، فأخذ شطرهم وأعطاه شطرهم .

كان أبو الأسد مَدَح أحمد بن أبى دُواد ، فوعده بالثواب ومَطَله ولم يُثِبْه . فكتب إليه :

---

* أخباره فى ب ١٢ : ١٧٤ ، س ١٢ : ١٦٧ ، د ١٤ : ١٣١ ، ى ١٤ : ١٢٥ .

(١) كذا فى س ، وبنو حمان المعروفون من تميم لا شيبان . والشاعر فيه خلاف : هل هو من تميم أو شيبان ، فاختصر المؤلف الخلاف فأوهمت عبارته .

(٢) الدينور : مدينة من الجبل بينها وبين همذان أكثر من عشرين فرسخا .

(٣) زيادة عن غ يستلزمها نصبه للصفات . وفيه : مليح النوادر .

(٤) غ : يصله بالأكابر .

(٥) فرج : كذا فى غ . وفى س : فرح . وكثيرا ما تهمل س النقط .

ليقتــلك إذ نُبِّئتَنى بواحدةٍ ... تَقْذِفُنى منك آخرَ الأبدِ
تحلفُ أنْ لا تَبَرَّنى أبدا ... فإن فيها بردا على كبدى
إشفِ فؤادىَ منى فإنَّ به ... مِنِّىَ جُرحا نكأتُه بيدى
إن كان رزقى إليك فارْمِ به ... فى ناظِرَىْ حيَّةٍ على رصَدِ
قد عشت دهرا وما أُقَدِّر أن ... أرضى بما قد رضيتُ من أحد
فكيف أخطأتُ ؟ لا أصبتُ ولا ... نهضتُ من عثرةٍ إلى سَدَد[١]
لو كنتُ حُرّا — كما زعمتُ — وقد ... كَدَدْتَنى بالمطال ، لم أَعُد
صبرتُ لما أسأتَ بى ، فإذا ... عدتُ إلى مثلها ، فعُدْ وعُد
فإننى أهْلُ ذاك فى طمعى ... وفى خَطائى سبيلَ مُعتمِد[٢]
أبْعَدَنى اللهُ حيث يحملنى ... حِرْصى على مثل ذا من الأَوَد[٣]
الآنَ أيقنتُ بعد فعلك بى ... أنىَ عبدٌ لأعبُدٍ قُفُد[٤]
فصرت من سوء ما رَضيت به ... أُكنَى أبا الكلبِ لا أبا الأسد[٥]

ثم هجاه أبو الأسد فقال :

أنت امرؤٌ فَتَّ الصنيعةِ رَثُّها ... لا تُحْسِن النُّعمَى إلى أمثالِى
نُعماك لا تَعْدُوك إلا فى امرئٍ ... فى مَسْك مِثْلِك من ذوى الأشكال[٦]

---

(١) السدد : السداد والاستقامة .

(٢) ب ، س : فإنى . وخطائى : عدولى .

(٣) غ : حين يحملنى . والأود : الكد والتعب ، والعوج أيضا .

(٤) قفد : كذا فى د ، ى . وهم جمع أقفد أى مسترخى العنق أو غليظه ، أو من يمشى على صدر قدميه ولا تبلغ عقباه الأرض أو الكز اليدين والرجلين القصير الأصابع . وفى س : فقد . وفى ب ، س بدون ضبط .

(٥) غ : سوء ما رميت به .

(٦) المسك : الجلد .

وإذا نظرتَ إلى صنيعك لم تجد أحـدا سَمَوتَ به إلى الإفضال
فاسلَمْ لغير سلامةٍ تُرْجَى لها إلا انسِـدَادُكَ خَلَّةَ الأَنْذالِ(١)

وأدى إليه سَلَامة وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عائشة ، هذه الأبيات عن أبى الأسد . فبعث إليه ببِرٍّ(٢) واستكفَّه(٣). وبعث ابن عائشة على مظالم ما سَبَذان(٤) ، وقال له : « قد شَرِكتَه فى التوبيخ لنا فشَرَكْناك فى الصنيعة(٥) فإن كنتما صادقين فىّ(٦) كنتما من الأنذال ، وإن كنتما كاذبين فقد جزيتكما بالقبيح حسَنا » .

وكان أبو الأسد منقطعا إلى الفَيْض بن أبى صالح وزير المهدى(٧) . وفيه يقول :

ولائمةٍ لامتْكَ يا فيضُ فى النَّدَى فقلتُ لها لن يقدحَ اللومُ فى البحرِ(٨)
أرادتْ لتَثْنى الفيضَ عن غايةِ الندى ومن ذا الذى يَثْنِى السحابَ عن القَطْرِ(٩)
مواقــعُ جُودِ الفيض فى كلِّ بلدةٍ مواقعُ ماءِ المُزْنِ فى البلد القَفْرِ(١٠)
كأنَّ وفودَ الفيضِ لما تحمَّلوا إلى الفيض لاقَوا عنده ليلةَ الفِطْرِ(١١)

وكان قبله منقطعا إلى أبى دلف . فلما قدم عليه علىّ بن جَبَلة العَكَوّك غلب عليه ،

---

(١) غ : بغير . والخلة : الحاجة .
(٢) غ : ببرد .
(٣) استكفه : طلب إليه أن يكف عن هجائه .
(٤) ما سبذان : أحد أقاليم فارس .
(٥) ب ، س : الصنعة . د ، ى : الصفقة .
(٦) غ . صادقين فى دعواكما . وربما سقطت كلمة دعواكما من الأصل .
(٧) كذا فى ص ، والجهشيارى ١٦٤ ، وزامباور : معجم الأنساب ٥ . وفى غ : الفيض بن صالح .
(٨) الجهشيارى : هل يقدح .
(٩) لتثنى : كذا فى ص والجهشيارى . وفى غ : لتنهى . ورواية الشطر الثانى ترجح ما أثبته . وفى غ والجهشيارى : عادة الندى . وهى أرجح من رواية الأصل المثبتة هنا .
(١٠) المزن : السحاب أو المطر منه .
(١١) الجهشيارى : حين تحملوا . وفيه وفى غ : ليلة القدر .

وسقطت منزلة أبي الأسد عنده : فانقطع إلى الفيض بعد عزله عن الوزارة ولزومه منزله ، وذلك في أيام الرشيد . وفيه يقول :

أتيتُ الفيضَ مشتكيا زماني   فأعداني عليه جودُ فَيْضِ[1]
وفاضتْ كَفُّه بالبَذْل منه   كما كفُّ ابنِ عيسى ذاتُ غَيْضِ[2]

زار أبو الأسد أبا دلف في الكَرَج[3] فحُجب عنه أياما . فكتب إليه يعاتبه :

ليتَ شِعْرِي أضاقتِ الأرضُ عنِّي   أم بفَجٍّ أنا الغداةَ طريدُ
أم أنا قانع بأدْنَى معاشٍ   همتي القوتُ والقليل الزهيد
مِقْوَلي قاطعٌ وسَيْفي حُسام   ويدي حُرَّةٌ وقلبي سديد[4]
رُبَّ بابٍ أعزَّ من بابك اليو   مَ عليه عساكرٌ وجنود
قد ولَجْناه داخِلين غُدُوًّا   ورَواحا ، وأنت عنه مَذود[5]
فاكفُفِ اليومَ من حِجابك إذلستَ أميرا ، ولا خميسا تقود[6]
واعترِفْ في فراقِ الصدقَ إذلستُ أسيرا ، ولا عليَّ قيودُ[7]
لا يقيم العزيزُ في بلد الهُو   ن ولا يكسُد الأريب الجَليد[8]

(١) أعداني : نصرني . والخليفة الهادى هو الذى عزل الفيض وبقى معزولا فى عهد الرشيد.

(٢) ابن عيسى : هو أبو دلف . وغيض : نقص وقلة ، يريد ذات بخل .

(٣) الكرج : مدينة فى منتصف الطريق بين همذان وأصبهان ، وهى إلى الأولى أقرب . وأول من مصرها أبو دلف وجعلها وطنه وإليها قصده الشعراء وذكروها فى أشعارهم .

(٤) غ : قلبي شديد وسديد : قاصد موفق ، وكثيرا ما تترك س النقط . والمقول: اللسان. والحسام : القاطع.

(٥) ولجناه : دخلناه . ومذود : مدفوع مطرود .

(٦) الخميس : الجيش .

(٧) د ، ى : واغترب ، بدلا من : واعترف . وفى غ : فى فدافد الصد . واعترف : اعرف .

(٨) ب ، س : ولا يكسب . د ، ى : ولا يكبت . والهون: الخزى والذلة . والجليد: ذوالقوة والصبر .

ولأبى الأسد فى بِسْطام[1] ، وهى من جيد شعره ، ومنه أخذ البحترى فى مدحه على بن يحيي المنجم[2] :

أَعْدُو على مالِ بسطام فأنهبُهُ ... كما أشـــاء فلا تُثْنَى إلىّ يَدِى

حتى كأنّى بسطامٌ بما احتكمتْ ... فيه يداى ، وبسطامٌ أبو الأسد

كان إبراهيم المَوْصِلِى صديقا لأبى الأسد . فلما مات قيل له : « ألا ترثيه ! » فقال :

تولّى الموصلى فقد تولّتْ ... بَشاشاتُ المَزاهـــرِ والقِيانِ[3]

وأىُّ ملاحةٍ تبـقَى، فتَبْقَى ... حياةُ الموصلى على الزمان[4]

ستَبْـكِيه المزاهرُ والملاهى ... وتُسْعِدُهن عاتِقَةُ الدِّنان[5]

وتَبـكيه الغَويَّـة إذ تَوَلّى ... ولا تبكيه تاليةُ القُران[6]

فقالوا له : « ويحـــك ! فضحته ، وكان صديقك ». فقال : « هى فضيحة عند من لا يعقل ، فأما من يعقل فلا . وبأى شىء كنت أذكره وأرثيه : بالفقه أم بالزهد أم بالدين أم بالقراءة ؟ وهل يُرثَى مغن إلا بهذا وشبهه ؟ » .

قال أبو الفضل الـكاتب : كنت مقيما بالجبل . فمر بى أبو الأسد الشاعر ، فأنزلته عندى أياما ؛ وسألته عن خبره فقال : « قصدت شاهين بن عيسى ، ابن أخى أبى دلف ،

---

(١) بسطام : صديق له كان برابه (غ) .

(٢) لم أعثر على الأبيات التى يشير إليها فى ديوان البحترى المطبوع .

(٣) المزاهر : جمع مزهر ، وهو العود . والقيان : جمع قينة ، وهى الجارية المغنية .

(٤) ب ، س : وأى فلاحة . غ : بقيت فتبقى .

(٥) تسعد : تعين . الدنان : جمع دن ، وهو الوعاء العظيم تعتق فيه الخمر . والعاتق : القديم والـكريم ، يصف خمرا .

(٦) القران : القرآن ، خفف همزته . والغوية : الضالة .

فما احتبسني ولا برّني ولا عرض على المقام عنده . وقد حضرني فيه أبيات فاكتبْها » . وهي :

إني مررتُ بشاهينٍ وقد لَقِحت ... ريحُ العشيِّ وبردُ الثلج يُؤذيني (١)

فما وَقَى عِرْضَه مني بكُسْوتِه ... ولا على حَسَبٍ حامٍ ولا دين (٢)

إن لم يكن لبنُ الدّايات غيّره ... عن طبع آبائه الشُّمِّ العرانين (٣)

فرُبّما غاب بعلٌ عن حَليلتِه ... فناكها بعضُ سُوّاسِ البَراذين (٤)

وما تحرّكَ أيرٌ فاستوى شَبَقا ... إلا تحرّكَ عِرْقٌ في استِ شاهين (٥)

ثم قال : « والله لأمزّقنه كل ممزّق ، ولأصيرن إلى أبي دلف ولأنشدنّه » . ومضى من فوره يريد أبا دلف فلم يصل إليه . وبلغ الشعر أبا دلف فشقّ ذلك عليه وغمه . فأتاه أبو الأسد فدخل إليه فسأله عن قصته فأخبره بها(٦) . فقال : « هبْه لي » . فقال : « والله ، لا وهبْتُه لك وقد حَرَمني واستخفّ بي ، ولكن اشتر مني عرضه» . قال : « بكم ؟ »قال : « بعشرة آلاف درهم » . قال: « قد فعلت » . فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وأمسك عنه .

(١) لقحت : حملت الماء وبجته في السحاب . وكذا هي في ص . وفي ب ، س : لفحت ، وتوصف بذلك الرياح الساخنة لا ريح العشي . وفي د ، ى : نفحت ، أى هبت .

(٢) الشطر الثاني في غ : « لا بل ولا حسب دان ولادين » .

(٣) الشم : جمع أشم ، وهو المرتفع . والعرانين : جمع عرنين ، وهو الأنف أو ما صلب منه وشممه كناية عن الكبرياء . والدايات : جمع داية ، وهى المرضعة .

(٤) البعل : الزوج . والحليلة : الزوجة . والبراذين : جمع برذون ، وهو غير العربي من الخيل ويعمل في حمل الأثقال .

(٥) غ : فامتلا شبقا . والشبق : شدة الشهوة .

(٦) كذا في غ . وفي ص : فدخل إليه فأخبره عن قصته فأخبره بها . تحريف .

النُّعْمان بن بَشير*

هو النعمان بن بشير بن سعد بن حصين[1] بن ثَعْلبة[2] بن خَلّاس[3] بن يزيد[4] ابن مالك الأغر[5] بن ثعلبة بن كعب بن الخزْرَج بن الحارث بن الخزرج .

وأمه عَمْرة بنت رَواحة ، أخت عبد الله بن رواحة ، التي يقول فيها قيس بن الخطيم[6] :

أَجَدَّ بِعَمرةَ غُنيانُها فتهجرَ أم شأنُنا شأنُها[7]

وعمرة من سَرَوات النسا ءِ تَنْفَحُ بالمسك أردانُها[8]

وله صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولأبيه بشير بن سعد . وكان جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعه رجل آخر ليشهدا غزوة له ، فاستصغرهما فردهما .

وأبوه بشير بن سعد أول من قام يوم السَّقيفة من الأنصار إلى أبي بكر رضي الله عنه

---

* أخباره في ب ١٤ : ١١٩ ، س ١٤ : ١١٤ ، د ١٦ : ٢٨ ، ى ١٦ : ٣ .

(١) حصين : كذا في س وبعض أصول د ، ى . وفي ب ، س : نصر . وحذفت د الكلمتين اعتمادا على أنهما من حشو الناسخين ، إذ ليس لهما وجود في نسب النعمان الذي أورده ابن دريد في الاشتقاق ٢٧١ ، والخزرجي في الخلاصة ٥٠ ، ومقدمة ديوان النعمان طبع دهلي بالهند ، صفحة ا

(٢) اختلفت المصادر في موضع « ثعلبة » من نسب النعمان ، فهو في الإصابة وطبقات ابن سعد ، وسير أعلام النبلاء ٣ : ٢٧٤ النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة ، وكذا هو في أسد الغابة ١ : ١٩٥ ، ثم جعله مرة أخرى ٥ : ٢٢ : النعمان بن بشير بن ثعلبة بن سعد .

(٣) كذا في ب ، س ، د ، وتاج العروس (خلس) وجامع الأصول ، وأسد الغابة وابن سعد . وفي ى ، والاشتقاق وخلاصة الخزرجي ، والإصابة : جلاس . وخطأها ابن هشام ٢ : ٣٤٨ وفي ص بدون نقط .

(٤) غ وأسد الغابة : زيد .

(٥) كذا هو في غ وأسد الغابة وطبقات ابن سعد . وفي ص : مالك بن الأغر .

(٦) ديوانه (مطبعة المدني) ٢٤ .

(٧) جد : استمر . وغنيانها : استغناؤها .

(٨) الأردان : جمع ردن ، وهو أصل الكم من الملابس .

فبايعه . ثم توالت الأنصار فبايعته . وشهد بشير مع النبي صلى الله عليه وسلم العقبة وبدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها . واستشهد يوم عين التمر[١] مع خالد ابن الوليد .

وكان النعمان عُثمانيا . وشهد مع معاوية صِفّين . ولم يكن معه من الأنصار غيره . وكان كريما عليه ، رفيعا عنده . وعند يزيد ابنه .

وعُمِّرَ إلى خلافة مروان بن الحكم . وكان يتولى حمص . فلما بويع لمروان ، دعا إلى ابن الزبير ، وخالف على مروان ، وذلك بعد قتل الضحاك بن قيس بمَرْج راهِط. فلم يُجبه أهل حِمْص إلى ذلك . فهرب منهم ، فتبعوه فأدركوه فقتلوه ، وذلك فى سنة خمس وستين .

ويقال إن النعمان أول مولود وُلد بالمدينة بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إليها . وقد قيل ذلك فى عبد الله بن الزبير ، إلا أن النعمان أول مولود ولد بعد مقدمه صلى الله عليه وسلم من الأنصار .

وروى النعمان عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا كثيرا[٢] .

قال الشعبي : سمعت النعمان بن بشير يقول : أعطانى أبى عطية ، فقالت أمى عمرة : « لا أرضى حتى تُشهِد له رسول الله صلى الله عليه وسلم » . قال : فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن ابنى من عمرة أعطيته عطية فأمرتْنى أن أُشهدك » . فقال : « أعطيتَ كلَّ ولد مثل هذا ؟ » قال : « لا » . قال : « فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » .

---

(١) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة ، فتحها خالد عنوة سنة ١٢ هـ فى عهد أبى بكر . وقد شهد بشير العقبة الثانية لا الأولى (أسد الغابة وطبقات ابن سعد) .
(٢) ذكر الزركلى أن له ١٢٤ حديثا (الأعلام) والذهبى ١١٤ (سير أعلام النبلاء) .

قال الشعبي : أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير فى أعْطِياتهم ، وعامله على الكوفة وأرضها النعمان ، وكان عثمانيا يُبغض أهل الكوفة لرأيهم فى على بن أبى طالب عليه السلام . فأبى النعمان أن يُنفذها لهم . فكلموه وسألوه بالله ، فأبى أن يفعل . وكان إذا خطب على المنبر أكثر من قراءة القرآن، وكان يقول: « لا ترون على منبرى هذا أحدا بعدى ، يقول : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فصعد المنبر يوما. فقام إليه أهل الكوفة فقالوا : « ننشدك الله والزيادة ». فقال : « اسكتوا » . فلما أكثروا ، قال : « أتدرون ما مثلى ومثلكم ؟ مثل الضبع والضب والثعلب. فإن ثعلبا وضبعا أتيا الضب فى وِجاره[1] فناداياه : « أبا الحِسْل »[2]. فقال : « سميعا دعوتما » . قالا : « أتيناك لتحكم بيننا » . قال : « فى بيته يُؤْتَى الحَكَم ». قالت الضبع : « إنى حللت عَيْبَتى »[3] . قال: « فعْلَ الحُرّة فعلتِ». قالت : « فلقطت تمرة » . قال : « طَيِّبا لقطتِ ». قالت : « فأكلها ثُعالة[4] » . قال : « لنفسه نظر » . قالت : « فلطمته » قال : « بجُرْمه لطمته » . قالت «فلطمنى» . قال : «حر انتصر» . قالت : « فاقض بيننا » . قال : «[قدفعلتُ] حَدِّث امرأة حديثين ، فإن أبَتْ فَعَشْرة »[5] . فقال عبد الله بن هَمّام السَّلُولى :

زيادتنا نُعمانُ لا تحبِسَنّها خَفِ اللهَ فينا والكتابَ الذى تتلو[6]

(١) الوجار : جحر الضبع وغيرها .

(٢) الحسل : ولد الضب حين يخرج من بيضته .

(٣) العيبة : الصرة تجعل فيها الثياب وغيرها .

(٤) ثعالة : اسم علم للثعلب .

(٥) هذا مثال يراد به أن المرأة لا تفهم ما تسمع للمرة الأولى وتحتاج إلى أن يكرر عليها . ورمى به الضبع لأنها أنثى .

(٦) ب ، س : لا تحرمننا . وفى نوادر أبى زيد الأنصارى ٤ : تق الله فينا . وانظر شرح الرضى على شواهد الشافية ٤٩٦ .

فإنك قد حُمِّلتَ منا أمانة ... بما عجزت عنه الصَّلاخِمةُ البُزْلُ[1]
فلا تَكُ بابُ الشرِّ تُحسِنُ فَتْحَه ... سريعا ، وبابُ الخيرِ أنت له قُفْلُ[2]
وقد نلتَ سلطانا عظيما فلا يكن ... لغيرك جُمّار الندى ولك النخل[3]
وأنت امرؤ حلو اللسان بليغُه ... فما بالُه عند الزيادة لا يحلو
وقبلَك قد كانت علينا أئمةٌ ... يَهمُّهُمُ تَقْويمُنا وهمُ عُصْلُ[4]
إذا نَصَبوا للقول قالوا فأحسنوا ... ولكنّ حسن القول خالفه الفِعْلُ[5]
يذمون ذى الدنيا وهم يَرضِعونها ... أفاويقَ حتى ما يدرُّ لها ثَعْلُ[6]

---

(١) الصلاخمة : جمع صلخم ، وهو الجمل الصلب الشديد . والبزل : جمع بازل ، وهو الجمل الذى انشق نابه ، ويكون ذلك فى العام التاسع من عمره .

(٢) ب :

وإن يك باب الشعر تحسن فتحه ... فلا يك باب الخير ليس له قفل

وفى س الرواية نفسها مع إصلاحها إلى : باب الشر . وفى د :

فلا يك باب الشر تحسن فتحه ... وباب الندى والخيِّرات له قفل

وفى رغبة الآمل للمرصفى ١ : ١٨٦ : باب الخير منك . وفى بعض أصول د :

فلا تك باب الشر تحسن فتحه ... لدينا ، وباب الخير أنت له قفل

وفى ى :

فلا يك باب الشر تحسن فتحه ... لدينا ، وباب الخير أنت له قفل

(٣) الجمار : شحم النخل يكون فى قمة رأسه ، تقطع القمة ثم تكشط عن الجمار الأبيض فى جوفها كأنه القطعة الضخمة من السنام ، وهو رخص يؤكل بالعسل . يريد فلا يكن لغيرك الثمر بالرغم من أن النخل لك . ورواية الشطر الثانى فى غ :

* لغيرك جَمّات الندى ولك البخل *

(٤) غ : قد كانوا . والعصل : جمع أعصل ، وهو المعوج فيه صلابة وشدة .

(٥) نصبوا للقول : تهيئوا . وفى ب ، س ، ى : أنصتوا .

(٦) ب ، س ، د : يذمون دنياهم . ى : يذمون دنيانا . وأفاويق : جمع فيقة ، وهى اللبن يجتمع فى الضرع بين الحلبتين ، يريد أنهم يرضعونها ثم يتركونها مقدار ما يجتمع اللبن ثم يرضعونها ثانية وهكذا . والثعل : ثدى زائد صغير فى أثداء الناقة والشاة لا يدر من اللبن شيئا ، ذكره للمبالغة .

فيا معشرَ الأنصـــارِ إنى أخوكمُ وإنى لمعروفٍ أَتَى منكمُ أهل[1]
ومن أجل إيواءِ النبي وَنَصْره يحِبكمُ قلبى ، وغـيركمُ الأصلُ

فقال النعمان بن بشير : « لا عليه أن [لا] يتقرب[2] ، فوالله لا أُجيزها ولا أُنفِذها أبدا » .

دخل النعمان بن بشير المدينة أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير ، فقال: « والله لقد أخفقت أذناى من الغناء فأسمِعونى » . فقيل له : « لو وجهتَ إلى عزة الميلاء فإنها من قد عرفت » . فقال : « إى ورب البيت ، إنها لمن يزيد النفس طيبا والعقل شحذا . ابعثوا إليها عن رسالتى ، فإن أبتْ صرتُ إليها » . فقال له بعض القوم : « إن النقلة تشتد عليها لثقل بدنها ، وما بالمدينة دابة تحملها » . فقال النعمان : «وأين النجائب عليها الهوادج؟». فوجه إليها بنجيبة فذكَرَتْ علة . فلما عاد الرسول إلى النعمان ، قال لجلسائه : « أنتم كنتم أخبر بها ، قوموا بنا » . فقام هو فى خواص أصحابه حتى طرقوها . فأذِنت وأكرمت واعتذرت . فقبل النعمان عذرها . وقال لها : « غنى ! » فغنت :

أجدّ بعمرة غنيانهـــا فتهجر أم شاننا شانهـــا
وعمرة من سروات النسا ء ينفح بالمسك أردانهـــا

فأشير إليها أنها أمه ، فأمسكت. فقال : « غَنِّينى ، فو الله ما ذكر إلا كرماً وطِيباً . ولا تغنى سائر اليوم غيره » . فلم تزل تغنيه هذا اللحن حتى انصرف .

كان معاوية بن أبى سفيان تزوج امرأة من كَلْب[3] . فقال لامرأته ميسون أم يزيد : « ادخلى فانظرى إلى ابنة عمك هذه[3] » . فأتتها فنظرت إليها : ثم رجعت فقالت :

(١) د : أنى منـكم ، أى حان .

(٢) س : لا عليه أن يتقرب . ب ، س : أن لا يقترب . د ، ى : ألا يتقرب .

(٣) هى نائلة بنت عمارة ، وكانت ميسون من بنى كلب أيضا . (الطبرى ٢ : ٢٠٤) .

« ما رأيت مثلها ، ولقد رأيت خالا تحت سُرَّتها ليُوضَعَنّ فى مكانه رأس زوجها » . فتطيَّر من ذلك فطلقها . فتزوجها حبيب بن مسلمة ثم طلقها . فتزوجها النعمان بن بشير فلما قُتل الضحاك بمرج راهط فى خلافة مروان بن الحكم ، أراد النعمان أن يهرب من حِمْص ، وكان عاملا عليها ، فخالف ودعا لابن الزبير . فطلبه أهل حمص فقتلوه . واحتزوا رأسه ، فقالت امرأته هذه الكلبية : « ألقوا رأسه فى حجرى فأنا أحق به » . فألقوه فى حجرها فضمته إلى جسمه وكفنته ودفنته .

نظر معاوية إلى رجل فى مجلسه فراقه حسناً وشارة(١) وجسماً . فاستنْطَقه فرآه سديداً . فقال له النعمان(٢) : « ممن أنت ؟ » قال : « ممن أنعم الله عليه بالإسلام ، فاجعلنى حيث شئت يا أمير المؤمنين » . فقال : « عليك بهذه الأَزْد الطويلة العريضة ، الكثير عددها ، التى لا تمنع من دخل إليهم ، ولا تبالى من خرج منهم » . فغضب النعمان بن بشير ، ووثب من بين يديه وقال : « والله ، إنك ما علمت لسيِّئ المجالسة لجليسك ، عاقٌّ بزَوْرِك(٣) ، قليل الرعاية لأهل الحُرمة بك » . فأقسم عليه إلا جلس ، فجلس . فضاحكه طويلا ثم قال له : « إن قوماً أولهم غَسّان وآخرهم الأنصار لكِرام » . وسأله عن حوائجه فقضاها حتى رضى .

خرج النعمان بن بشير فى ركب من قومه ، وهو يومئذ حديث السن ، حتى نزلوا بأرض من الأردن يقال لها حَفير(٤) ، وحاضِرتُها بنو القَيْن . فأهدت لهم امرأة من بنى القين ، يقال لها ليلى ، هدية . فبينا القوم يأكلون ويتحدثون ويذكرون الشعراء ، قال بعضهم : « يا نعمان ، هل قلت شعراً ؟ » . قال : « لا » . فقال شيخ من بنى الحارث يقال له ثابت بن سِماك : « لم تقل شعراً قط ؟ » قال : « لا » . قال :

(١) الشارة : الحسن والجمال والهيئة واللباس والزينة وامتلاء الجسد .
(٢) يفهم من الأغانى أن السائل هو معاوية . ويرجح جوابه ذلك .
(٣) الزور : الزائر .
(٤) ب ، س : حفر . تحريف . وحفير : نهر بالأردن .

«فأقسمتُ لتُربَطَنَّ إلى هذه السَّرْحَة[1] فلا تفارقها حتى يرتحل القوم أو تقول شعراً » .
فقال عند ذلك ، وهو أول شعر قاله[2] :

يا خليلَيَّ وَدِّعا دار ليلى ليس مثلي يحلُّ دارَ هوان[3]
إنّ قَيْنيّةً تحُلُّ مُحِبًّا فحفيراً فجَنْبَتَىْ تَرْفُلان[4]
لا تُؤاتيك فى المغيب إذا ما حالَ من دُونِها فروعُ قَنانِ[5]
إنّ ليلى ولو كَلِفت بليلى عاقها عنك عائق غيرُ وان[6]

وضرب الدهر ضربانه على ذلك وأتى له زمن طويل . ثم إن ليلى القينية قدمت عليه بعد ذلك ، وهو أمير لحمص . فلما رآها عرفها فأنشأ يقول[7] :

ألا استأذنتْ ليلى فقلت لها لِجِى وما لَكِ ألا تدخلى بسلام[8]
وإن أناسا زُرْتِهم ثم حَرَّموا عليك دخول البيت غيرُ كرام[9]

وأحسن صلتها ورِفْدها[10] طول مقامها إلى أن رحلت عنه .

ولما حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبى سفيان ، خرج إليه حاجبه

---

(١) السرحة : الشجرة العظيمة أو التى لا شوك فيها .
(٢) ديوانه ١٤ . وياقوت : معجم البلدان (ترفلان ــ حفير) .
(٣) غ وياقوت والديوان : الهوان .
(٤) ى : تحل محلا . د : وحفيرا . ى وياقوت : فجنبى ترفلان . والبيت عند ياقوت مرة أخرى :

إن قينية تحل حفيرا ومحبا فجنبى ترفلان

(٥) قنان : جبل بأعلى نجد . وفى معجم البلدان : القنان .
(٦) ياقوت : وإن كلفت . وفى ب ، س : عائق وأوان، تحريف . وفى الديوان : فليلى .
(٧) ديوانه ١٥ .
(٨) لجى : ادخلى . وفى ب ، س : فقلنا لها محى . وفى ى : فقلنا لها .
(٩) الديوان ، د ، ى : فإن أناسا . ب ، س : فإن أناسا زرتم . وفى الديوان : غير حرام ، تحريف .
(١٠) الرفد : العطاء .

سعد أبو دُرّة ـ وقد حجب بعده عبد الملك بن مروان ـ . فقيل له : « استأذِن للأنصار » . فدخل إليه ، وعنده عمرو بن العاص . فاستأذن لهم . فقال له عمرو : « ما هذا اللقب يا أمير المؤمنين ! اردُد القوم إلى أنسابهم » . فقال له معاوية : « إنى أخاف من ذلك الشُّنعة » . فقال : « هى كلمة تقولها : إن مضت غضضتَهم ونقصتَهم وإلا فهذا الاسم راجع إليهم » . فقال له : « اخرج فقل : من ها هنا من ولد عمرو ابن عامر فليدخل » . فقالها الحاجب ، فدخل ولد عمرو بن عامر كلهم إلا الأنصار . فنظر معاوية إلى عمرو نظر منكر . ثم قال له[1] : « باعدت جداً » . فقال : « اخرج فقل : من كان ها هنا من الأوس والخزرج فليدخل » . فقالها فلم يدخل أحد . فقال معاوية : « اخرج فقل : من كان ها هنا من الأنصار فليدخل » . فخرج فقالها . فدخلوا ، يَقدُمهم النعمان بن بشير وهو يقول[2] :

يا سعد لا تُعِد الدعاء فمالنا نسبٌ نُجيب به سوى الأنصارِ[3]

نسبٌ تخيَّره الإله لقومنا أثقِلْ به نسباً على الكفار[4]

إن الذين ثَوَوْا ببَدْرٍ منكمُ يومَ القَليب همُ وقود النار

فقال معاوية لعمرو : « لقد كنا أغنياء عن هذا ! » .

والنعمان بن بشير من المعروفين[5] بالشعر سلفاً وخلفاً : جده شاعر ، وأبوه شاعر ، وأخوه شاعر[6] ، وعمه شاعر ، وهو شاعر ، وأولاده شعراء ، وأولاد أولاده شعراء .

---

(١) يفهم من الأغانى أن القائل هو عمرو لا معاوية .

(٢) ديوانه ٢٣ .

(٣) ب ، س : لا تجب الدعاء . والديوان : لا تعد النداء ... نجيب له .

(٤) ب ، س : إلى الكفار .

(٥) كذا فى س ، وفى غ : من المعرقين ، وهى أليق بالسياق .

(٦) وأخوه شاعر : ليست فى غ .

فأما جَدُّه سعد بن الحصين فهو القائل(١) :

إن كنتِ سائلةً والحقُّ مَغْضَبةٌ فالأَزْدُ نِسْبَتُنا والماءُ غسّانُ(٢)
شُمُّ الأُنوف لهم عزٌّ ومكرُمــة كانت لهم من جبال الطَّوْد أركان(٣)

وأبوه بشير بن سعد هو القائل من قصيدة طويلة(٤) :

تقول وتُذْرِى الدمعَ عن حُرِّ وجهِها لعلك نفسِى قبلَ نفسِك باكرُ(٥)
أباح لها بِطْرِيقُ فارسَ غائِطــا لها من ذُرَا الجَوْلان بقلٌ وزاهر(٦)
فقرَّبتُها للرَّحْلِ وهْى كأنها ظَليمُ نَعامٍ بالسَّماوةِ نافر(٧)
فأوردتُها ماءً فــا شربتْ به سوى أنه قد بُلَّ منها المَشافر(٨)
فباتت سُراها ليلةً ثم عَرَّسَتْ بيَثْرِبَ والأعرابُ بادٍ وحاضر(٩)

---

(١) ديوان النعمان ٣١ . وينسب البيتان إلى حسان بن ثابت . وانظر ديوانه ٤٠ ، وسيرة ابن هشام ١ : ١٠ ومعجم البلدان : غسان .

(٢) غ : الحق معتبة . ورواية الشطر الأول فى ديوان النعمان وسيرة ابن هشام وياقوت : « إما سألت فإنا معشر نُجب » وفى ديوان حسان وسيرة ابن هشام : الأســد نسبتنا . وهى لغة فى الأزد ، من أجداد الأنصار . وغسان : ماء بسد مأرب باليمن، وآخر بالمشلل قرب الجحفة.

(٣) س: جبال الطور ، تحريف وفى ديوان حسان : لهم مجد . . . كجبال الطود . وجبال الطود : هى جبال السراة .

(٤) ديوان النعمان ٣٢ . وتنسب أيضا إلى حسان بن ثابت ، وإلى سعد بن الحصين جد النعمان (انظر ديوان حسان ٤٢) .

(٥) تندى : تسقط . وباكر : تريد مقدم على إهلاكى قبل أن تهلك نفسك بهذه الرحلة .

(٦) س: الحوذان، وهو تحريف الجولان : جبل بالشام . والغائط : المكان المنخفض يزرع .

(٧) الظليم : الذكر من النعام .

(٨) المشافر : جمع مشفر ، وهى شفة الناقة .

(٩) السرى : سير الليل . وعرست : أقامت . ويثرب : الاسم الجاهلى لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وباد : فى البادية . وحاضر : فى الحضر .

وعمه الحصين[1] بن سعد ، أخو بشير ، هو القائل :

إذا لم أزر إلا لآكل أكلـةً ... فـلا رفعتْ كفِّى إلىَّ طعامى

فمـا أكلةٌ إن نلتُها بغنيمةٍ ... ولا جَوْعـةٌ إن جعتُها بغَرام

لما هجا الأخطلُ الأنصار ، دخل النعمان بن بشير على معاوية . فلما مَثَل بين يديه أنشأ يقول[2] :

معاوىَ إلّا تُعْطِنا الحقَّ تعـترِفْ ... لِحَى الأَزْد مشدودا عليها العمائمُ[3]

أيشتمنا عبـدُ الأَراقم ضَلّةً ... فماذا الذى تُجدى عليك الأراقمُ[4]

فمـا لىَ ثأرٌ دون قطعِ لسانـه ... فدُونَك من يُرضيه عنك الدراهمُ[5]

وأَرْعِ رُوَيدا لا تسُمْنا دَنِيّـةً ... لعلك فى غِبِّ الحـوادث نادم[6]

متى تَلْقَ منا عُصْبَةً خَزْرَجيّةً ... أو الأوسَ يوما تَخْتَرِمْك المَخارم[7]

وتَلْقَكَ خيـلٌ كالقَطا مُسْبَطِرّةٌ ... شَماطيطُ أَرْسالٌ عليها الشَّكائم[8]

يُسوِّمها العَمْران عمرو بن عامر ... وعِمران حتى تُسْتباحَ المَحارم

---

(١) غ: الحسين .وانظر ديوان النعمان ٣٣ .

(٢) ديوانه ٢٧ .

(٣) تعترف : تعرف .

(٤) غ والديوان : وماذا . والأراقم : أحيـاء من تغلب ، هم جشم ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحارث وبكر بن حبيب . وأراد بعبدهم الأخطل .

(٥) د : غير قطع لسانه . ودونك : اسم فعل أمر بمعنى خذ .

(٦) ب ، س، والديوان: وراع رويدا. يريد كن شفيقا بالرعية . وغب الحوادث : عقبها.

(٧) تخترمك : تهلـكك . والمخارم : الطرق فى الجبال . يريد نغزوك فتصبح طريدا تتجاذبك مخارم الجبال فتهلك .

(٨) ب ، س ، والديوان : وتلقاك خيل كالقطا مستطيرة . والقطا : طائر شبيه بالحمـام . ومسبطرة : طويلة سريعة . والشماطيط : المتفرقة المتتابعة ، وكذلك الأرسال . والشكائم : جمع شكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس من اللجام .

ويبدو من الخَوْد الغَريرة حِجْلُها ويَبْيَضُّ من هَــوْل المُقام المَقادم(١)
فتطلب رَتْقَ الصَّدْعِ بعد انفِتاقِه فدَعْها بــه فالآنَ والأمرُ سالم(٢)
وإلا فبَزِّى لَأْمَــةٌ تُبَّعِيَّةٌ مَواريثُ آبائى ، وأبيضُ صارم(٣)
وأَسْمَرُ خَطِّىٌّ كأنَّ كُعوبَه نَوَى القَسْبِ فيه،لَهْذَمِىٌّ خُشَارم(٤)
وأَجْرَدُ خَــوّار العِنان كأنه بدُومةَ مَوْشِىٌّ الذِّراعَيْن صائم(٥)
فإن كنتَ لم تشهد ببَدْرٍ وَقيعةً أذلَّتْ قريشا والأُنــوفُ رَواغم
فسائِلْ بنا حَيَّيْ لُؤَىٍّ بن غالبٍ وأنت بمــا تُخفى من الأمر عالم
ألم تَبْتَدِرْكُم يومَ بدرٍ سيوفُنا وليلُك عمــا ناب قومَك نائم(٦)
ضربناكُمُ حتى تَفَرَّقَ جَمْعُكُم وطارتْ أَكُفٌّ منكُمُ وجَماجم

---

(١) فى الديوان : العزيزة . غ ، والديوان : هول السيوف . والخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة والحجل : الخلخال . والمقادم : جمع مقدمة وهى الناصية والجبهة .

(٢) د : شعب الصدع . ى : شعب الصدع بعد انبثاقه . والديوان: شعب الصدع بعد التئامه.

(٣) الديوان : وإلا فثوبى . . . تواريث . البز : الثياب والسلاح . واللأمة : الدرع ، نسبها إلى التبابعة من ملوك اليمن . والأبيض : السيف .

(٤) الأسمر : الرمح . الخطى : نسبة إلى الخط وهو سيف البحرين؛ لأن أجود الرماح تباع به. والقسب: التمر اليابس يتفتت فى الفم، وتشبه الرماح بنواه فى الصلابة . واللهذمى : القاطع من الأسنة. والخشارم : الأنف الغليظ يبدو أنه شبه الرمح به . وفى د : ضبارم ، وهو الشديد الخلق من الأسد استعاره وصفا للرمح . وفى ى والديوان : خثارم ، وهو الغليظ الشفة. وفى غ والديوان : فيها .

(٥) وضع د هذا البيت قبل سابقه ، ولم يرد فى ب ، س والديوان . والأجرد : الفرس القصير الشعر . وخوار العنان : ضعيفه ، يريد أنه طيع . ودومة : على الطريق بين المدينة ودمشق قرب جبلى طيء . وموشى الذراعين : صفة للثور . وصائم : قائم فى سكون .

(٦) الديوان : ألم تبدر يوم بدر . ب ، س والديوان : قائم . وليلك نائم : أى أنت نائم غافل فى ليلك .

وعاذتْ عن البيتِ الحرام عَوانِسٌ ... وأنت على خوفٍ ، عليك التَّمائم (١)
وعَضَّت قريشٌ بالأنامل بِغْضةً ... ومن قبلُ ما عُضَّت علينا الأَباهم (٢)
فكُنّا لهـا فى كل أمرٍ تَكِيدُه ... مكانَ الشَّجا والأمرُ فيه تَفاقُم (٣)
فما إنْ رَمَى رامٍ فأَوْهَى صَفاتَنا ... ولا ضامَنا يوما من الناسِ ضائم (٤)
وإنى لأُغْضِى عن أمورٍ كثيرةٍ ... سَتُرْقَى بها منى إليك السلالم (٥)
أُصانِعُ فيها عبدَ شمسٍ وإننى ... لتلك التى فى النفسِ منى أُكاتم (٦)
فلا تشتُمنّا يا ابن حَرْبٍ فإنما ... تَرَقَّى إلى تلك الأمورِ الأشائم (٧)
فما أنت والأمرَ الذى لستَ أَهْلَه ... ولكنْ ولىُّ الحقِّ والأمرِ هاشمُ
إليهم يصيرُ الأمرُ بعدَ شَتاتِه ... فمَنْ لك بالأَمْرِ الذى هو لازم
بهم شَرَعَ اللهُ الهُدَى واهتُدِى بهم ... ومنهم لهم هادٍ إمامٌ وحاتم (٨)

فأمر معاوية بدفع الأخطل إلى النعمان ليقطع لسانه . فاستجار بيزيد بن معاوية فمنع منه . وأرضوا النعمان حتى كف عنه .

---

(١) غ والديوان : وعاذت على البيت . والذى فى المعاجم : عاذ بكذا ، إذا التجأ إليه، فلعل الأصل : عاذت إلى البيت . وعوانس : كذا فى س ، د . وفى ى : عوابس ، يصف الخيل . وفى ب ، س ، والديوان : عرائس . وفى ب ، س : تمائم .

(٢) كذا روى البيت فى د ، ى . وفى ب ، س والديوان: عضت عليك . وفى ص: بالأنامل بغتة . . عضت عليه .

(٣) فكنا لها : كذا فى غ ، وهو الصواب. وفى س: فكنا لهم. وفى الديوان : نكيده .

(٤) غ والديوان : من الدهر ضائم. وأوهى : أضعف . والصفاة : الحجر الصلد الضخم لا ينبت ، يستعار للجماعة الأقوياء .

(٥) غ والديوان : سترق بها يوما إليك السلالم .

(٦) منى : كذا فى غ والديوان ، وفى ص : منها .

(٧) البيت غير موجود فى الديوان .

(٨) الديوان: شرح الله . ب ، س والديوان : فاهتدى بهم . غ والديوان : ومنهم له . ى: إمام وحاكم .

لما ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن بن حسان ولم يضرب أخاه حين تهاجيا، كتب عبد الرحمن إلى النعمان بن بشير يشكو ذلك إليه ، فدخل النعمان إلى معاوية وأنشأ يقول :

يا ابنَ أبى سفيانَ ما مِثْلُنا جارَ عليه ملك أو أمير
اذكُرْ بنا مَقْدم أَفْراسِنا بالحِنْو إذ أنت إلينا فقير(١)
فاذكر غداة الساعدىِّ الذى آثركم بالأمر فيها بشير(٢)
واحذر عليهم مثلَ بَدْرٍ فقد مر بكم يومٌ ببدر عسير(٣)
إن ابن حسان له ثائرٌ فأَعْطِه الحقَّ تَصِحّ الصدور
ومثلَ أيام لنا شتَّتتْ أطفالكم ، أمرُكَ فيها صغير(٤)
أما ترى الأزد وأشياعها تحوكَ خُزْرا كاظماتٍ تَزِر(٥)
يطوف حولى منهمُ معشرٌ إنْ صُلْتُ صالوا وهمُ لى نصير
يأبى لنا الضَّيْمَ فلا يُمتَلى عزٌّ منيعٌ وعَديدٌ كثير(٦)
وعنصرٌ فى عزٍّ جرثومةٍ عاديّةٍ تنقل عنها الصخور(٧)

ومن مختار شعر النعمان(٨) :

---

(١) بالحنو : كذا فى غ والديوان ، وهو المعوج من الرمل . وفى س : بالحو ، تحريف .

(٢) غ : واذكر . والساعدى ، يريد اليوم الساعدى ، نسبة إلى بنى ساعدة من الأنصار ، أصحاب السقيفة التى تمت فيها بيعة أبى بكر ، وكان بشير أبو النعمان أول من بايعه من الأنصار كما سبق أن قال أبو الفرج .

(٣) ب ، س ، والديوان : فاحذر . . وقد . وفى ب والديوان : مربكم يوم بدر عمير ، تحريف .

(٤) غ : شتتت ملكا لكم. أى : سبيت ملكا لكم .

(٥) ب ، س ، والديوان : تجول خزرا . والخزر : جمع أخزر ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه غضبا . وتزير : تصيح كالأسد ، وأصله تزئر فخفف همزته .

(٦) ى : فلا نمتلى .

(٧) د : حر جرثومة . والجرثومة : الأصل . وعادية : نسبة إلى بنى عاد ، أى قديمة .

(٨) ديوانه ١٠ .

كأن الرُّضاب وصَوْب السحا ب بات يُشاب بذَوْب العَسَلْ(١)
من الليل خالط أنيابها بُعيدَ الكَرَى واختلافِ العَلَل(٢)

أخذ هذا المعنى جميل فقال(٣) :

وكأن طارقها على عَلَلِ الكرى والنجمُ وَهْنا قد دنا لتَغَوُّرِ
يَسْتَمُّ ريحَ مُدامةٍ معلولةٍ وسحيقَ مسكٍ فى ذكىِّ العنبر(٤)

ومن شعراء أولاد النعمان ابنه عبد الله بن النعمان [وهو القائل](٥):

ماذا رجاؤك غائبا من لم يَسُرُّكَ شاهِدا(٦)
وإذا دنوتَ يَزيده منك الدنوُّ تباعدا

ومن شعراء أولاد أولاده عبد الخالق بن أبان بن النعمان، شاعر مكثر ، وهو القائل(٧) :

وكان أبونا الشيخ عمرو بن عامر بأعلى ذُرا العلياء ركنا تأثّلا(٨)
وخطّ حياضَ المجدِ مُتْرَعة لنا مِلاءً ، فعَلّ الصَّفْوَ منها وأنْهلا(٩)

---

(١) صوب السحاب : ما يسقط منه من مطر . ويشاب : يخلط .

(٢) رواية البيت فى الديوان :

من الليل شارك أنيابها بعيدالرقاد وبعدالكسل

والعلل : الشرب بعد الشرب تباعا ، ولعله أراد النوم بعد النوم .

(٣) ديوانه ١٠٧ .

(٤) ب ، س : كنسيم ريح . الديوان: يستاف . وفى ب ، س : لسحيق . وفى د ، ى : بسحيق . وفى الديوان: بذكى مسك أو سحيق العنبر.

(٥) ديوان النعمان ٤٣ .

(٦) غ : لا يسرك .

(٧) ديوان النعمان ٤٤ .

(٨) د ، ى : وشاد أبونا . وتأثل : تأصل .

(٩) الصفو : كذا فى غ ، وفى س : الضيف ، تحريف ، والعل : الشرب مرة بعد مرة تباعا . والنهل : أول الشرب .

وأَشْرَعَ فيها الناسُ بعدُ فمالهم ... من المجد إلا سُؤْرُه حين أَفْضَلا[١]

وفى غيرنا مجــدٌ من الناس كلِّهم ... وأما كمِثْل العُشْر من مجــدنا فلا[٢]

ومنهم شبيب بن يزيد[٣] بن النعمان ، شاعر مكثر مجيد ، وهو القائل يعاتب بنى أمية عند اختلاف أمرهم فى أيام الوليد بن يزيد من أبيات :

ياقلب صبرا جميلا لا تمُت جزعا ... قد كنتَ من أن ترَى جَلْدَ القوَى قمَنَا[٤]

يا أيُّها الراكب المُزجى مَطيَّته ... لُقِّيت حيث توجَّهتَ الثَّنا الحسنا[٥]

أَبلِغْ أُميَّةَ أعلاهــا وأسفلَها ... قولا ينفِّر عن أَجْفانهــا الوَسَنا[٦]

إن الخلافة أمر كان يُعْظمه ... خيارُ أوَّلِـكم قِدْما وأولنــا

فقد بَقَرْتُم بأيديكم بطونَــكُم ... وقد وُعِظتم فمــا أحسنتمُ الأَذَنا[٧]

أَغريتمُ بكم جهلا عدوكم ... فى غير فائدة فاستوسِقوا سَنَنا[٨]

لمــا سفــكتم بأيديكم دماءكمُ ... بَغْيا وغشَّيْتمُ أثوابكم دَرَنا[٩]

وأخو النعمان هو إبراهيم بن بشير بن سعد ، شاعر مكثر ، وهو القائل[١٠] :

---

(١) أشرع فيها الناس : وردوا . السؤر : البقية تبقى فى الحوض ونحوه بعد الشرب .

(٢) غ : فأما .

(٣) ب ، س : زيد . وانظر ديوان النعمان ٤٤ .

(٤) غ : تمت حزنا . وقمن : جدير .

(٥) د ، ى : بل أيها الراكب . والمزجى : السائق .

(٦) ب ، س ، د : عن نوامها . ى : عن ألبابها . والوسن : النعاس .

(٧) بقرتم : شققتم . والأذن : الاستماع .

(٨) استوسقوا : اجتمعوا . والسنن : الطريق الواضح . يريد اجتمعوا واتفقوا على كلمة واحدة .

(٩) غ : غشيتم أبوابكم . والدرن : الوسخ .

(١٠) ديوان النعمان ٢٠ .

ولم أر سلمى بعدَ إذ نحنُ جيرةٌ   منَ الدهرِ إلا وقفةً بالمَشاعرِ
ألا رُبَّ ليلٍ قد سريتُ سواده   إلى رُدُحِ الأعجازِ غُرِّ المَحاجرِ (١)
ليالىَ يدعونى الصِّبا فأجيبه   أجُرُّ إزارى عاصياً أمرَ زاجرى
وإذ لِمَّتى مثلُ الجَناحِ أثيثةٌ   أمشِّى الهُوَيْنا لا يروِّعُ طائرى (٢)
فأصبحتُ قد ودعتُ ذا كُم بعَبْرةٍ   مخافةَ ربى يوم تُبْلى سرائرى (٣)

وبنت النعمان بن بشير شاعرة ذات لسان وعارضة وشر ، واسمها حُميدة . وكانت تهجو أزواجها . وكانت تحت الحارث بن خالد المخزومى – وقيل بل كانت تحت المهاجر ابن عبد الله بن خالد – وقالت فيه :

كهولُ دمشقَ وشبانُها   أحبُّ إلىّ من الجاليَـه (٤)

وقد ذكرت أخبارها مع زوجها الحارث بن خالد . وطلقها فتزوجها روح بن زنباع فهجته أيضا .

---

(١) س: ردح الأكفال . ى: رجيج الأعجاز . والردح : جمع رداح ، وهى الضخمة . والغر : جمع غراء ، وهى البيضاء . والمحاجر : جمع محجر ، وهو ما دار بالعين .
(٢) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن. وأثيثة : كثيرة ملتفة .
(٣) د : ذاكم بغيره. وتبلى : تختبر.
(٤) الجالية : القوم الذين جلوا عن بلادهم.

نائلة بنت الفرافِصَة*

هى نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو ـ وقيل : ابن عَفْر ـ بن ثَعْلبة ابن الحارث بن حِصْن بن ضَمْضم بن عَدِى(1) بن جَناب الكلبية ، زوجة عثمان ابن عفان .

كان سعيد بن العاص قد تزوج ، وهو على الكوفة(2) ، هند بنت الفرافصة ابن الأحوص ، فبلغ ذلك عثمان . فكتب إليه :

« أما بعد ،

فقد بلغنى أنك تزوجت امرأة من كلب ، فاكتب إلىّ بنسبها وجمالها » .

فكتب إليه :

« أما بعد ،

فإن نسبها أنها بنت الفرافصة بن الأحوص ، وأما جمالها فإنها بيضاء مديدة » .

فكتب إليه عثمان :

« إن كان لها أخت فزَوِّجنيها » .

فبعث سعيد إلى الفرافصة يخطِب إحدى بناته على عثمان رضى الله عنه . فأمر الفرافصة ابنه ضَبّا فزوّجها إياه ، وكان ضب مسلما ، وكان الفرافصة نصرانيا .

فلما أرادوا حَمْلها إليه ، قال لها أبوها : « يا بُنَيّة ، إنك تَقْدَمين على نساء من نساء قريش ، هنّ أقدر على الطِّيب منك . فاحفظى عنى خَصْلتين : تكَحّلى ، وتطيّبى بالماء حتى يكون ريحُك ريح شَنٍّ(3) أصابه مطر » .

---

* أخبارها فى ب : ١٥ : ٧٠ ، س ١٥ : ٦٧ ، د ١٦ : ٣٢٢ ، ى ١٦ : ٢٤٩ .

(1) ب ، س : على .

(2) من سنة ٣٠ إلى ٣٤ هـ .

(3) الشن : القربة الخلق .

فلما حُملت ، كرهت الغربة وحَزِنت لفراق أهلها . فأنشأت تقول :

ألستَ تَرى باللهِ يا ضَبُّ أننى مُصاحِبةٌ نحوَ المدينةِ أَرْكُبا[1]
إذا قَطَعوا حَــزْنا تَخُبُّ رِكابُهم كما زَعْزعتْ ريحٌ يَراعا مُثَقَّبا[2]
لقد كان فى أبناء حِصْن بن ضَمْضم لكَ الويلُ ما يُغْنِى الخِباءَ المُطَنَّبا[3]

فلما قدمت على عثمان ، قعد على سريره ، ووضع لها سريرا حِيالَه ، فجلست عليه. فوضع عثمان قُلَنْسِيَته فبدا الصلع . فقال : « يا بنت الفرافصة ، لا يهولنَّك ماترَيْن من صلعى فإن وراءه ما تحبين » . فسكتت . فقال : «إما أن تقومى إلىّ وإما أن أقوم إليك » . فقالت : « أما ما ذكرت من الصلع فإنى من نساء أَحَبُّ بعُولَتِهن[4] إليهن السادة الصلع . وأما قولك : إما أن تقومى إلىّ وإما أن أقوم إليك ، فوالله لَما تجشَّمْتُ إليك من جَنبات السماوة أبعد مما بينى وبينك ، بل أقوم إليك » . فقامت فجلست إلى جنبه ، فمسح رأسها ودعا لها بالبركة . ثم قال لها : « اطرحى عنك خِمارك[5] » . فطرحته . ثم قال : « انزعى دِرْعك »[6] . فنزعته . ثم قال لها : « حُلِّى إزارك » . فقالت : « ذاك إليك » ، فحل إزارها . فكانت من أحظى نسائه عنده .

قال أبو الجراح مولى أم حبيبة : كنت مع عثمان رضى الله عنه يوم الدار . فما

(١) غ : ألست ترى يا ضب بالله أنى . وأركب : جمع ركب وهم الركاب .

(٢) ب ، س : تحث ركابهم . والحزن : ما غلظ من الأرض . وتخب : تسرع . واليراع : القصب .

(٣) المطنب : ذو الأطناب ، وهى الحبال الطويلة تشد بها الخيام . وكنت بالخباء المطنب عن نفسها .

(٤) البعولة : جمع بعل ، وهو الزوج .

(٥) غ : رداءك .

(٦) الدرع : القميص .

شَعَرْت إلا وقد خرج محمد بن أبى بكر ، ونحن نقول : « هَمُّه فى الصلح[١] » . إذا بالناس قد دخلوا من الخَوْخَة[٢] ، ونزلوا بأمْراسِ الحبال من سور الدار ، ومعهم السيوفَ . فرميت بسيفى[٣] وجلست عليه ، وسمعت صياحهم . فإنى لأنظر إلى مصحف عثمان رضى الله عنه ، وإلى حمرة أديمه . فنشرتْ نائلة شعرها . فقال لها عثمان : « خُذى خمارك ، فلَعَمْرى لدخولهم علىّ أهون[٤] من حرمة نشر شعرك » . وأهوى إليه رجل بالسيف . فاتّقته بيدها فقطع إصبعين من أصابعها . ثم قتلوه وخرجوا يكبِّرون . ومر بى محمد بن أبى بكر فقال : « مالك ، يا عبد أم حبيبة ؟ » ومضى . فخرجت . فقالت نائلة لما قتل عثمان[٥] :

ألا إنّ خيرَ الناس بعد ثلاثةٍ   قَتيلُ التُّجيبىّ الذى جاء من مِصْرِ[٦]
ومالىَ لا أبكى وتبكى قرابتى   وقد غُيِّبَت عنا فُضول أبى عمرو[٧]

ولما قُتل عثمان ، بعثت نائلة بقميصه إلى معاوية مع النعمان بن بشير أو عبد الرحمن ابن حاطب بن أبى بَلْتَعة . وكتبت إليه :

« من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبى سفيان :

أما بعد ،

فإنى أذكِّركم بالله الذى أنْعَمَ عليكم ، وعلّمكم الإسلام ، وهداكم من

---

(١) غ : هم فى الصلح .
(٢) الخوخة : كوة تؤدى الضوء إلى البيت ، ومخترق ما بين كل دارين ليس عليه باب .
(٣) كذا فى د ، ى ، وهو الذى يتفق مع العبارة . وفى ص ، ب ، س : بنفسى .
(٤) غ : أعظم .
(٥) غ : وقد قيل إن هذين البيتين للوليد بن عقبة .
(٦) أرادت بالثلاثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر ، وبالتجيبى كنانة بن بشر بن عتاب .
(٧) أبو عمرو : هو عثمان بن عفان . وفى اللسان : وقد حجبت .

الضلالة ، وأنقذكم من الكفر ، ونصركم على العدو ، وأسبغ عليكم النعمة . وأَنْشُدكم الله تعالى ، وأذكِّركم حقه وحق خليفته : أن تنصروه[1] ، وبعزمة الله عليكم فإنه قال تعالى[2]: « وإنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ » . وإن أمير المؤمنين بُغِيَ عليه . ولو لم يكن له عليكم إلا حق الولاية ثم أُتِي إليه ما أُتى لَحُقَّ على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره ، لقِدَمه في الإسلام ، وحسن بلائه ، وأنه أجاب داعيَ الله ، وصدّق كتابه ورسوله ، والله أعلم به إذ انْتَخَبه[3]، وأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة .

وإني أقص عليكم خبره ، لأني كنت مشاهدة أمره كله حتى أُفْضِي إليه ، إن أهل المدينة حصروه في داره يحرسونه ليلهم ونهارهم ، قياما على أبوابه بسلاحهم ، يمنعونه كل شيء قدروا عليه حتى منعوه الماء ، يُحضِرونه الأذى ، ويقولون له الإفك . فمكث هو ومن معه خمسين ليلة ، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر . وكان علي مع المحرضين[4] من أهل المدينة ، ولم يقاتل مع أمير المؤمنين، ولم ينصره ، ولم يأمر بالعدل الذي أمره الله تبارك وتعالى به . فظلت تقاتل خزاعة ، وبكر ، وسعد بن بكر[5]، وطوائف من مُزَينة ، وجُهَينة ، وأنباط يَثْرِب ، ولا أرى سائرهم ، ولكن قد سميت لكم الذين كانوا أشد الناس عليه في أول أمره وآخره . ثم إنه رُمي بالنبل والحجارة . فقُتِل ممن كان في الدار ثلاثة نفر . فأتوه يصرخون

(١) غ : خليفته الذي لم تنصروه .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ٩ .

(٣) د : انتجبه . وهما بمعنى متقارب .

(٤) كذا في غ . وفي ص : مع الحضريين المصريين من أهل المدينة ، تحريف .

(٥) لم يذكر غ بكرا ، بل هذيلا .

إليه ليأذن لهم فى القتال ، فنهاهم عنه . وأمرهم أن يردوا إليهم نبلهم، فردوها إليهم. فلم يزدهم ذلك على القتـــال إلا جَراءة فى الأمر . ثم أحرقوا باب الدار . فجـاءه نفر من أصحابه وقالوا : « إن فى المسجد ناسا يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل ، فاخرج إلى المسجد حتى يأتوك » . فانطلق فجلس فيه ساعة ، وأسلحةُ القوم مُطلَّة عليه من كل ناحية ، وما رأى أحدا يعدل. فدخل وقد كان نفرٌ من قريش على عامّتهم السلاح . فلبس درعه وقال لأصحابه : « لولا أنتم ما لبست درعا » . فوثب عليه القوم . فـكلمهم الزبير[1] وأخذ عليهم ميثاقا فى صحيفة بعث بها إلى عثمان رضى الله عنه : « إنّ عليكم عهد الله وميثاقه ألا تَعرُّوه[2] بشىء » . فـكلموه وتحرّجوا ، فوضع السلاح فلم يكن إلا وَضْعه ، حتى دخل عليه القوم يَقْدُمهم ابن أبى بكر ، حتى أخذوا بلحيته ، ودَعَوا باللقب . فقال : « أنا عبد الله وخليفته » فضربوه على رأسه ثلاث ضربات وطعنوه فى صدره ثلاث طعنات . وضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعت فى العظم . فسقطتُ عليه ، وقد أُثْخِن وبه حياة ، وهم يريدون قطع رأسه ليذهبوا به . فأتتنى بنت شَيْبة بن ربيعة فألقت نفسها معى عليه . فوُطِئْنا وَطْئا شديدا ، وعُرِّينا من ثيابنا . وحرمة أمير المؤمنين أعظم . فقتلوه ــ رحمه الله ــ فى بيته، وعلى فراشه . وقد أرسلت إليكم بثوبه وعليه دمه .

وإنه ــ والله ــ إن كان أَثِمَ من قَتَلَه لَمَا يَسْلَم من خذله . فانظروا أين أنتم من الله عز وجل ، فإنا نشتكى ما مسّنا إليه ، ونستنصر وليه وصالح عباده . ورحمة الله على عثمان . ولعن الله من قتله ، وصرعهم فى الدنيا والآخرة مصارع الخزى والمذلة . وشفى منهم الصدور » .

فحلف رجال من أهل الشام ألا يَطَئوا النساء حتى يقتلوا قتلته أو تذهب أرواحهم .

---

(١) غ : ابن الزبير .

(٢) ب ، س ، د : تغزوه وعره : ساءه .

النَّمِر بن تَوْلَب*

هو النمر بن تولب بن أُقَيش بن عبد كعب بن عوف [بن الحارث بن عوف][1] ابن وائل بن قيس بن عُكْل ، واسم عكل عوف بن عبد مَناة بن أُدّ بن طابخة ابن إلياس بن مُضَر بن نِزار .

شاعر مُقِلّ مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وأسلم وحسن إسلامه . وكان جوادا فصيحا شاعرا جريئا على المنطق ، أحد فرسان العرب المذكورين .

وكان أبو عمرو بن العلاء يسمى النمر بن تولب الكَيِّس لجودة شعره وحسنه . وكان يشبِّه شعره بشعر حاتم الطائى .

ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم . وكتب له كتابا ، فكان فى بيت أهله . وروى عنه صلى الله عليه وسلم حديثا واحدا .

حدث يزيد بن عبد الله أخو مُطَرِّف قال : بينا نحن بالمِرْبَد جلوس – يعنى مربد البصرة – إذ أتى علينا أعرابى أشعث الرأس ، فوقف علينا . فقلنا : « لكأن هذا الرجل ليس من أهل هذا البلد » . قال : « أجل » . وإذا معه قطعة من جراب أو أديم ، فقال : « هذا كتاب كتبه لى رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فقرأناه فإذا فيه مكتوب[2] :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى زهير بن أُقَيش – حى من عكل – ،

---

* أخباره فى ب ١٩ : ١٥٧ ، س ١٩ : ١٥٧ ، ى ٢٢ : ٢٨٧ .

(١) زيادة عن غ .

(٢) انظر جمهرة رسائل العرب لأحمد زكى صفوت ١ : ٦٨ ، ومجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله الحيدرآبادى ١٩٤ (طبع ١٩٤١) .

إنكم إن شهدتم أن لا إله إلى الله ، وأنى رسول الله، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة، وفارقتم المشركين ، وأعطيتم الخمس من الغنائم وسهم النبي والصَّفِي ، فأنتم آمنون بأمان الله ورسوله ، لكم ما للمسلمين ، وعليكم ما عليهم » .

فقال له القوم : « حدثنا ــ رحمك الله ــ ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم » : فقال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: صوم شهر الصبر ، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر ، يذهبن كثيرا من وَحَر الصدر »(١) . فقال له القوم : « أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » فقال : « أراكم تخافون أن أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا حدثتكم حديثا » . ثم أهوى إلى الصحيفة وانصاع مدبرا . فقيل بعد ما مضى : « هذا النمر بن تولب العكلى الشاعر » .

ولما وفد النمر على النبي صلى الله عليه وسلم أنشده :

يا قوم إنى رجل عندى خبرْ ... للهِ من آياته هـذا القمر(٢)
والشمسُ والشِّعْرَى وآياتٌ أخر ... مَنْ يتسامَ بالهُدَى فالخبثُ شر
إنّا أتيناك وقد طال السفر ... نقود خيلا رُجُما فيها ضرر(٣)

* نُطعمها اللحم إذا عزّ الشجر(٤) *

قال الأصمعي : إطعامها اللحم سقيها اللبن ، والعرب تقول ، اللبن أحد اللحمين . وقال ابن الأعرابى وابن حبيب : العرب إذا لم تجد العلف دقت اللحم اليابس فأطعمته الخيل .

كان للنمر أخ يقال له الحارث بن تولب ، وكان سيدا معظما. فأغار الحارث على بنى

---

(١) وحر الصدر : الحقد والغيظ .

(٢) ى : الله .

(٣) غ : أقود . والرجم : جمع الرجيم ، وهى المهزولة أو المتعبة من السفر .

(٤) غ : أطعمها .

أسد فسبى امرأة منهم يقال لها جمرة بنت نوفل[١] فوهبها لأخيه النمر ففركته[٢] . فحبسها حتى استقرت . فولدت له أولادا . ثم قالت له فى بعض أيامها : « أزِرْنى أهلى فإنى قد اشتقت لهم » . فقال لها : « إنى أخاف إن صرتِ إلى أهلك أن تغلبينى على نفسك » . فواثقَتْه لترجعَنْ إليه . فخرج بها فى الشهر الحرام حتى أقدَمَها بلاد بنى أسد . فلما أطلّ على الحى تركته واقفا وانصرفت إلى منزل زوجها الأول . فمكث طويلا فلم ترجع إليه ، فعرف ما صنعت وأنها خدعته فانصرف . فقال :

جزى اللهُ عنا جمرةَ ابنــةَ نوفلٍ ... جــزاءَ مُغِــلٍّ بالأمانةِ كاذبِ
لَهَانَ عليها أمسِ موقفُ راكبٍ ... إلى جانب السَّرْحات أخيَبُ خائب
وقد سألتْ عنى الوشاة ليكذبوا ... علىّ وقــد أبليتُهــا فى النوائب
ومرّت[٣] كأن الشمس تحت قناعِها ... بدا حاجبٌ منهــا وضنَّت بحــاجب

ولما فارق النمر زوجته هذه جزع عليها حتى خيف على عقله . فمكث أياما لا يَطْعَم ولا يشرب ولا ينام . فلما رأت عشيرته ذلك منه أقبلوا عليه يلومونه ويصبِّرونه . وقالوا له : « إن فى نساء العرب مندوحة ومتَّسعا » . وذكروا له امرأة من فَخِذه الأدنين يقال لها دَعْد ، ووصفوها بالكمال[٤] والصلاح . فتزوجها ووقعت فى قلبه وشغلته عن ذكر جمرة . وفيها يقول :

أَهيم بدعد ما حييت فإن أَمُتْ ... أوكِّل بدعد من يهيم بها بعدى

ومن الناس من يروى هذا البيت لنصيب ، وهو خطأ .

وعمِّر النمر طويلا . وكان جوادا واسع القِرَى ، كثير الأضياف ، وهّابا لماله .

---

(١) غ : حمزة بنت نوفل .
(٢) فركته : كرهته .
(٣) غ : وصدت .
(٤) غ : بالجمال .

فلما كبر خَرِف وأُهْتِر . فكان هِجِّيراه : « اصْبَحوا الراكب ! »[1] « اغبِقُوا الراكب ! »[2] « أعطوا السائل ! » « اقْرُوا الوارد ! » « انْحَروا للضيف ! » « تحملوا لهذا فى حَمالته[3] كذا وكذا ! » لعادته بذلك . فلم يزل يهذى بهذا مدة خرفه حتى مات .

وخرفت امرأة من حى كرام ، عظيم خطرهم وخطرها . فكان هجيراها : « زوِّجونى ! » « قولوا لزوجى يدخل ! » « مَهِّدوا لى جانب زوجى ! » فقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : « ما لهج به أخو عكل النمر بن تولب فى خرفه أنخر وأسرى وأجمل مما لهجت به صاحبتكم » . ثم ترحّم عليه .

ومات الحارث قبل أخيه النمر .

قال حماد : وكان النمر كثير البيت السائر والبيت المتمثَّل به . فمن ذلك قوله :

لا تغضبَنّ على امرئ فى مالِهِ ... وعلى كرائم صُلْبِ مالِكَ فاغضَبِ
وإذا تُصِبْكَ خَصاصة فارْجُ الغِنَى ... وإلى الذى يُعطِى الرّغائب فارْغَبِ[4]

وقوله :

أعاذلَ إن يُصبِحْ صَداىَ بقَفْرَةٍ ... بعيدا تَناءَى ناصِرِى وقَرِيبى[5]
تَرَىْ أنّ ما أبقيتُ لم أكُ رَبَّهُ ... وأنّ الذى أفنيتُ كان نصيبى

قيل للنمر بن تولب : « كيف أصبحت يا أبا ربيعة ؟ » وأنشأ يقول :

---

(١) اصبحوه : اسقوه الصبوح ، وهو شراب الصباح .

(٢) اغبقوه : اسقوه الغبوق ، وهو شراب المساء .

(٣) الحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٤) الخصاصة : الفقر والخلل . وجزم بإذا على غير اللغة المشهورة .

(٥) غ : فأنى ناصرى . والصدى : جسد الميت .

أصبحتُ لا يحمل بعضى بعضا   أشكو العُروق الآبضاتِ أبْضا[١]
كما تَشكَّى الأَرْحَبِيُّ العَرْضا[٢]   كأنما كان شبابى قَرْضا[٣]

قال الأصمعى : أنشدنى حماد بن الأخطل بن النمر بن تولب لجده النمر :

أعِذنى ربِّ من حَصَرٍ وعِيٍّ   ومن نفس أعالجُها عِلاجا
ومن حاجاتِ نفسى فاعصمَنِّى   فإنّ لُمُضْمَراتِ النفس حاجا
فأنت وَلِيُّها وبرِئتُ منها   إليك فما قضَيْتَ فلا خِلاجا[٤]

ثم قال: « كان النمر بن تولب أَفْتَى خلق الله » . قلت : « وما كان من فُتوّته؟»
قال : أو ليس فتى من يقول :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت   فوا حَزَنا من ذا يهيم بها بعدى

---

(١) أبض العرق : تقبض .
(٢) ب ، س : كما تشكى الأزجى القرضا . ى : كما تشكى الأزجى العرضا .
(٣) هذا الشطر غير موجود فى غ .
(٤) الخلاج : الجذب والغمز والطعن .

نُصيب الأصغر*

مولى المهدى

عبد نشأ باليمامة . واشتُرى للمهدى فى حيـاة المنصور . فلما سمع شعره قال : « والله ما هو بدون نصيب مولى مروان[1] » . فأعتقه . وزوّجه أمَةَ له يقال لهـا جَمْفرة . وكناه أبا الحجْناء . وأقْطَعه ضيعة بالسواد . وعُمِّرَ بعده .

وكان ملعونا هجّاء .

فمن شعره يمدح الرشيد هارون ، وهى من جيد شعره :

ألَلبَيْنِ - يا ليلى - جِمالُك تُرْحَلُ   ليقطع منـا البين ما كان يوصلُ ؟
تُعَلِّلنا بالوعـــد ثُمّتَ تلتوى   بموعِـدها حتى يَفوتَ التعلُّلُ[2]

منها :

أمِنْ أجْـلِ آياتٍ ورسمٍ كأنّـه   بقيةُ وَحْىٍ أو رداءٌ مسلسَلُ[3]
جرى الدمعُ من عينيك حتى كأنه   تَحدُّرُ دُرٍّ أو جُمـانٌ مُفصَّلُ[4]
فيـا أيُّها الزنجى مالك والصِّبى ؟   أَفِقْ عن طِلاب البِيض إن كنت تَعْقِل
فمِثْلُك من أُحْبوشة الزّنج قُطِّعت   وسائلُ أسبابٍ بهـا يتوسّلُ[5]

---

* أخباره فى ب ۲۰ :۲٥ ، س ۲۰ :۲٥ ، ى ۲۲ :٤۰۰ ، طبقات الشعراء لابن المعتز ١٥٥ .

(١) غ : مولى بنى مروان . وهى أدق ، لأن نصيبا كان مولى عبد العزيز بن مروان .

(٢) غ : يموت المطل .

(٣) الوحى : الكتابة .

(٤) الجمان : اللؤلؤ .

(٥) الأحبوشة : الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة .

قصَدْنا أمـــير المؤمنين ودونه مَهامِهُ مَوْماةٍ من الأرض مَجْهَل(١)
على أَرْحَبِيّاتٍ طوى السير فانطوت شمائلها ممـــا تُحَل وتُرْحَل(٢)
إلى ملكٍ صَلْتِ الجبين كأنه صفيحةُ مَسْنون جـلا عنه صَيْقل(٣)
شريكان فينا منـه : عينٌ بَصيرة كَلوءٌ ، وقلبٌ حافظ ليس يغفل
فــا فات عينيه رَعاهُ بقلبــه وآخِرُ ما يرعى ســواء وأوّلُ(٤)
وما نازعتْ فينا أمورَك هفــوةٌ ولا خَطْلة فى الرأى والرأى يخطَل

منها :

ورثتَ رسول الله عضوا ومَفْصِلا وذا من رسول الله عضو ومفصل
على ثقةٍ منا نحنُ قلوبنا إليك كما كنا أباك نؤمِّــل(٥)
إذا ما رَهِبنا من زمان مُلمَّة فليس لنا إلا عليك مُعوّل(٦)

وجه المهدى نصيبا الشاعر مولاه إلى اليمن فى شراء إبل مَهْرية . ووجه معه رجلا من الشيعة . وكتب معه إلى عامل اليمن بعشرين ألف دينار . فمد نصيب يـده فى الدنانير ينفقها فى الأكل والشرب والتزويج والجوارى . وكتب الشيعى بخـبره . فـكتب المهدى فى حَمْله موثقا بالحديد . فلما دخل على المهدى أنشده :

تأوّبنى ثِقْلٌ من الهمّ موجِعُ فأرّق عينى والخليُّون هُجّع(٧)

---

(١) المهامه : جمع مهمه ، وهى الصحراء البعيدة والبلد القفر . والموماة : المفازة الواسعة أو الفلاة التى لا ماء فيها .

(٢) الأرحبيات : النجائب القوية .

(٣) صلت الجبين : واضحه . والصفيحة : العرض . والمسنون : أراد به السيف .

(٤) ى : وعاه بقلبه . غ : فآخر .

(٥) وضع غ هذا البيت بعد تاليه .

(٦) غ : ما دهتنا . . المعول .

(٧) تأوبنى : أتانى ليلا مرة بعد أخرى .

منها :

إليك أميرَ المؤمنين ولم أجد سواكَ مُجيرا منك يُدْنى ويمنع
تأملتُ هل من شافعٍ لى فلم أجد سوى رحمةٍ أعطاكَها اللهُ تشفع[1]
لَئِنْ جَلَّت الأَجْرام منى وأَفْظَعت لَعفوُكَ من جُرمى أجلُّ وأوسع[2]
لـئن لم تَسَعْنى يا ابنَ عمِّ محمـد فما عجزتْ منى وسائلُ أربع[3]
طُبِعتَ عليها صِبْغـةً ثم لم تزل على صالح الأخلاق والدين تُطبَع:[4]
تَغابيك عن ذى الذَّنب ترجو صلاحه وأنت ترى ما كان يأتى ويصنع[5]
وعفوُكَ عمن لو تـكون جزيتَه لطارتْ به فى الجو نـكْباءُ زَعْزع[6]
وأنك لا تَنْفـكُّ تَنْعَش عاثِرا ولم تعترِضْه حـين يكبو ويَخْمَع[7]
وحِلْمُك عن ذى الجهل من بعد ما جرى
به عَنَقٌ من طائِش الجهل أَشْنع[8]
فهيهن لى إما شفعتُ منافعٌ وفى الأربع الأولى إليهن أفزَعُ:[9]
مُناصَحتى بالفعل إن كنتُ نائيا إذا كان دانٍ منك بالقول يخدع[10]

(١) غ : تلمست هل من شافع .
(٢) غ : عن جرمى .
(٣) غ : عجزت عنى .
(٤) صبغة : فطرة وطبيعة .
(٥) ب ، س : ذى اللب . ى : تبغى صلاحه .
(٦) النـكباء : الريح التى تهب من غير الجهات الأصلية . والزعزع : التى تزعزع الأشياء .
(٧) يخمع : يعرج .
(٨) عنق : كذا فى غ ، وهو سير ممتد سريع . وفى س : عنن ، تحريف .
(٩) غ : شفعن .
(١٠) غ : نائيا .

وثانيةٌ ظنِّى بك الخيرَ غائبا ... وإن قلتَ عبدٌ ظاهرُ الغش مُسْبَع (١)
وثالثــة أنّى على ما هويتَه ... وإن كثَّر الأعــداء فىّ وشَنَّعوا
ورابعة أنى إليك يسوقُنى ... وَلائى ، فمولاى الذى لا يُضيِّع (٢)
وإنى لمَولاك الذى إن جفوتَه ... أتى مُستكينا راهبا يتضرع
وإنى لمولاك الضعيف فأعْفِنى ... فإنى لعفوٍ منك أهلٌ ومَوْضِع

فقطع عليه المهدى الإنشاد . ثم قال له : « ومن أعتقك ، يا ابن السوداء ؟ » فقال ــ وأومأ بيده إلى الهادى ــ : « الأمير موسى ، يا أمير المؤمنين » . فقال المهدى لموسى : « أعتقتَه ؟ » قال : « نعم ، يا أمير المؤمنين » . فأمضى المهدى ذلك . وأمر بحديده ففُكَّ عنه . وخلع عليه عدة خلع ووصله بألفى دينار وأمر له بجعفرة ، وكانت جميلة فائقة من رُوقَة الرقيق (٣) . فقال له سالم قَيِّم الرقيق : « لا أدفعها إليك أو تعطينى ألف درهم » . فقال قصيدته التى هى :

قد آذَن الحىُّ فانْصاعوا بتَرْحالِ ... فهاج بينَهم شَوْق وَبلبـالى (٤)

وقام بها بين يدى المهدى حتى قال :

مازلتَ تبذل لى الأمــوال مجتهدا ... حتى لأصبحتُ ذا أهــل وذا مال
زوجتَنى يا ابن خيرِ الناس جاريةً ... ما كان أمثالُها يُهْدَى لأمثالى
زوجتَنى بَضَّة بيضاء ناعمــة ... كأنها دُرَّة فى كَفِّ لَئَّال (٥)
فسامَنى سالم ألفا فقلتُ له ... أنَّى لىَ الألفُ يا قُبِّحْت من سالِ (٦)

---

(١) غ : غائبا . ومسبع : دعى، أو أصيل فى العبودية .
(٢) ب ، س : فولاك .
(٣) الروقة : الذين يروقون الناس .
(٤) غ : أآذن . . . بلبال .
(٥) اللئال : بائع اللؤلؤ .
(٦) غ : فسالنى سالم ، أى سألنى .

أراد من « سائل » كما قالوا : شاكى السلاح ، وشائك .

هيهات ألفك إلا أن أجيء بها   من فضل مولى لطيف المن مفضال

فأمر له المهدى بألف دينار ، ولسالم بألف درهم .

وكان حُبس باليمن مدة طويلة فدخلت عليه ابنته حَجْناء . فلما رأت قيوده بكَتْ . فقال :

لقد أصبحت حجناء تبكى لوالد   بِدَرَّة عين قلَّ عنه غَناؤها(1)

أحجناء ، صبرا ، كلُّ نفس رَهينة   بموتٍ ، ومكتوبٌ عليها بَلاؤها(2)

أحجناء إنْ أُفلتْ من السجن تَلْقَنى   حُتوفُ مَنايا لا يُرَدُّ قضاؤها

أحجناء أسبابُ المنايا بمَرْصَد   فإلّا يعاجلْ غَدْوُها فمساؤها(3)

أحجناء إنْ يُصبحْ أبوك ودَلْوُه   تَمرَّت عُراً منها ورَثّ رِشاؤها(4)

لقد كان يُدْلى فى رجال كثيرة   فيَمْتَح مَلْأَى ، وهى صِفْرٌ دِلاؤها(5)

أحجناء إنْ يصبح أبوك ونفسُه   قصيرٌ تَمَنّيها طويلٌ عَناؤها(6)

لقد كان فى دنيا تَفِيء ظلالُها   عليه ، ومجلوبٌ إليه بهاؤها(7)

ولما دخل مقيدا على المهدى رَفَده(8) ثُمامة بن الوليد عنده ، واستعطفه له ، وسَوَّغ

---

(1) درة العين : أراد بها ما تسقطه من دموع غزيرة .

(2) بموت : كذا فى غ . وفى س : لموت .

(3) وضع غ هذا البيت قبل سابقه .

(4) غ : أضحى أبوك . ورث : بلى . والرشاء : حبل البئر .

(5) يمتح : يستقى . يريد أنه كان يستقى مع الكثيرين ، فيخرج دلاءها ملأى بالماء ويخرجون دلاءهم فارغة .

(6) ب . س : قليل تمنيها .

(7) غ : تفيأ ظلها .

(8) رفده : أعانه وسانده .

عذره عنده . ولم يزل يَرفُق به حتى أطلقه . وكان نصيب منقطعا فى متقدِّم الأيام إلى أخيه شيبة ، فامتدح ثمامة بأبيات .

ودخل نصيب يوما على ثمامة — بعد وفاة أخيه شيبة — وهو يفرِّق خيله على الناس. فأمر له بفرس منها ، فأبى أن يقبله ، وبكى ، وأنشد :

يا شيبةَ الخيرِ إمّا كنت لى شَجَنا آليتُ بعدك لا أبكى على شَجَنِ
أضحتْ جيادُ ابن قعقاعٍ مقسَّمةً فى الأقربين بلا مَنٍّ ولا ثمن[1]
وَرَّثتهم فتعزَّوا عنك أنْ ورثوا ولا وَرِثْتُك غيرَ الهم والحَزَن[2]

فبكى ثمامة ومن حضر . وشيبة بن الوليد وأخوه من وجوه قواد المهدى .

وفى شيبة يقول أبو محمد اليزيدى، وقد عارضه فى شىء من النحو بحضرة المهدى :

عِشْ بجَدٍّ ولا يضرُّك نوك إنما عيشُ من ترى بالجدودِ[3]
عش بجد وكن هَبَنَّقَةَ القيْـ ـسىَّ أو شيبة بن الوليد[4]

خرج المهدى يتنزه بعيساباذ[5] . وقدم نصيب ومعه ابنته الحجناء . فدخل على المهدى فأنشده[6] :

رُبَّ عيشٍ ولذة ونعيم وبهاء بمُشْرقِ الميدانِ
بسط اللهُ فيه أبهى بساطٍ من بَهارٍ وزاهرِ الحَوْذان

حتى أتى على القصيدة . فأمر له المهدى بعشرة آلاف درهم ، ولها بمثلها .

---

(١) ى : أبى القعقاع . غ : بلا حمد .

(٢) غ : إذ ورثوا . . . وما ورثتك .

(٣) النوك: الحمق .

(٤) هبنقة القيسى : رجل شهر بين العرب بالحمق ، ورووا عنه قصصا كثيرة .

(٥) عيساباذ : حى بشرقى بغداد نسب إلى عيسى بن المهدى، وقد بنى به المهدى قصر السلام الذى بلغت النفقة عليه ٥٠٠٠٠٠٠٠ درهم .

(٦) نسب غ الشعر إلى حجناء بنت نصيب .

ثم دخلت الحجناء على العباسة بنت المهدى فأنشدتها :

أتيناكِ يا عبّاسةَ الخيرِ والحيا | وقد عَجِفت أُدْمُ المَهارِي وكَلَّتِ

وما تركتْ منا السنون بقيةً | سوى رِمَّةٍ منا من الجهد رَمَّت

فقال لنا من ينصح الرأى نفسه | وقد ولَّت الأموال عنا وقلّت :(١)

عليكِ ابنةَ المهدىِّ عوذى ببابها | فإن محلَّ الخير فى حيثُ حَلَّت

فأمرت لها بثلاثة آلاف درهم وكسوة وطيب . فقالت :

أغنَيْتِنِى يا ابنــةَ المهدىِّ أىَّ غنى | بأَعْجَرَيْن كثيرٍ فيهما الوَرِقُ(٢)

من ضَرْبِ تسعٍ وتسعين محكّــكة | مثــل المصابيح فى الظلماء تَأْتلق

أما الحسود فقــد أمسى تَأَوَّبه | غمٌّ وكاد برَجْع الرِّيق يختنق(٣)

وذو الصداقة مسرور لنــا فرِحٌ | بادى البِشارة ضاحٍ وجهه شَرِق

كان نصيب إذا قَدِم على المهدى استهداه منه القواد ، وسألوه أن يأمره بزيارتهم .

فكان ممن استهداه خزيمة بن خازم ، فوصله وحمله . فقال :

وجدتُكَ ياخزيمةُ أَرْيَحِيًّا | بما تَحْوى ، وذا حسب صَمِيمِ

تميمٌ كان خيرَ بنى مَعَدٍّ | وأنت اليومَ خــيرُ بنى تميم

سوى رهطِ النبى ، وهم أديمٌ | وأنت قُدِدْتَ من ذاك الأديم

وقال فيه أيضا :

ياأفضلَ الناسِ عُودا عند مَعْجَمه | إذا تَفاضل يوما مُعجَم العودِ(٤)

إنى لواحدُ شعرٍ قــد شُهِرتُ به | وذا خزيمةُ أضحى واحدَ الجود

---

(١) غ : عنا فقلت .

(٢) الأعجر : الكيس الممتلىء .

(٣) غ : أمسى تغيظه غما .

(٤) تفاضل : كذا فى غ . وفى س : تقابل . ومعجمه : اختباره .

إنْ يُعْطِكَ اليومَ معروفاً يَعِدْكَ غدا ... فأنت فى نائلٍ منه وموعود[1]
وقد رأينا تميما غير مُكْرَهةٍ ... ألقتْ إليك جميعا بالمَقاليد
فأنت أكرمُها نفسا وأفضلُها ... إن الصَّناديد أبناء الصناديد

قال الزبير بن بكار : كتب إلىّ أبو محمد إسحاق بن إبراهيم التميمى يقول : أنشدت الفضل بن يحيي قول أبى الحجناء نصيب :

عند الملوكِ مضرَّةٌ ومنافعُ ... وأرى البرَامِكَ لا تضرُّ ، وتنفَعُ
إنّ العروقَ إذا استسَرَّ بها الثَّرَى ... أَشِرَ النباتُ بها وطاب المَزْرع
وإذا نَكِرت من امرئٍ أعْرَاقَه ... وقَديمه فانظر إلى ما يصنع[2]

قال : فأعجبه الشعر وقال : « يا أبا محمد ، كأننى لم أسمع بهذا القول إلا الساعة ، وماله عندى عيب ، إلا أننى لم أكافئه عليه ». قال : فقلت : « وكيف ذلك أصلحك الله وقد وهبت له ثلاثين ألف درهم ؟ ! » فقال : « لا ، والله ، ولاثلاثون ألف دينار مكافئة له ، فكيف ثلاثون ألف درهم ؟ » .

وأحسن ما أنشد[3] قوله ، وقد رأى كثرة الشعراء على باب الفضل بن يحيي ، فلما دخل الناس إليه قال له :

ما لَقِينا من جود فضل بن يحيي ... تَرَكَ الناسَ كلَّهم شعراء

وهو القائل :

جاء الربيعُ الذى كنا نؤمِّلُه ... فكلُّنا بربيعِ الفضلِ نَرْتَبِعُ[4]

---

(١) غ : معروفا على ثقة .
(٢) غ : فإذا . ابن المعتز : وإذا جهلت .
(٣) أنشد : غير واضحة فى س . والعبارة فى غ : أخبرنى أحمد بن سليمان بن أبى شيخ قال : كان أبى يستملح قول نصيب . .
(٤) غ : جاد الربيع . . . مرتبع

كانت تطول بنا فى الأرض نُجْعَتُنا ... فاليومَ عنــد أبى العباس ننتجع(١)
إنْ ضاق مذهبُنا أو حلَّ ساحَتنا ... ضَنْك وأَزْمٌ فعند الفضل يتسع(٢)
إن يمنعوا ما حَوَتْ عنى أكُفُّهمُ ... فلن يضرَّ أبا الحجناء ما منعوا(٣)
أو حَلَّئونا وذادوا عن حياضهمُ ... يومَ الشُّروع ففى غُدْرانِك الشَّرَع(٤)

(١) النجعة : السعى وراء الـكلأ ، كنى بها عن السعى وراء الرزق .
(٢) غ : متسع .
(٣) غ : حوت منا . فلن يضر : كذا فى غ . وفى ص : فلم يضر ، تحريف .
(٤) حلئونا : منعونا عن الماء . والشرع : الاستقاء والشرب .

حرف الهاء

هلال المازنى*

هو هلال بن الأَسْعَر بن خالد بن أَرْقَم بن قُسيم بن ناشِرة بن سَيّار بن رِزام ابن مازِن بن مالك بن عمرو بن تميم .

شاعر إسلامى ، من شعراء الدولة الأموية ، وأظنه أدرك الدولة العباسية .

وكان رجلا شديدا ، عظيم الخَلْق ، أَكولا ، معدودا من الأَكَلة ، فارسا ، شجاعا ، شديد البأس والبطش ، أعظم الناس فى حرب غَناء .

وعُمِّرَ عمرا طويلا . ومات بعد بلايا عظام مرّت على رأسه .

كان رجل من بطن من قومه من بنى رزام بن مالك ، يقال له المُغيرة بن قَنْبَر ، يعول هلالا ، ويُفْضل عليه ، ويحتمل ثِقْله وثقل عياله . فهلك فقال هلال يرثيه :

ألا ليت المغـــيرةَ كان حيّا   وأَفْـنَى قبلَه النـــاسَ الفناء
لتَبْكِ على المغيرة كلُّ خيلٍ   إذا أفْنَى عَرائِـكَها اللقـاء(1)
ويبك على المغـيرة كلُّ جيشٍ   تَمُور لدى معاركه الدماء(2)
فتى الفتيان فارسُ كلِّ حرب   إذا شالتْ ، وقد رُفع اللِّواء(3)

---

* أخباره فى ب ٢ : ١٨١ ، س ٢ : ١٧٥ ، د ٣ : ٥٢ ، ى ٣ : ٥١ ، ت ١/١/٣٣٣ .

(1) غ ، ت : ليبك . والعرائك : جمع عريكة ، وهى النفس ، والقوة .

(2) تمور : تجرى وتسيل .

(3) شالت الحرب : تهيأت لأن يخوض الأبطال غمارها .

ويبكِ على المغيرة كلُّ كَلٍّ ... فقيرٍ كان يَنْعَشُه العطاء(١)
لقد وارى جديدُ الأرضِ منه ... خِصالا عَقْدُ عِصْمتِها الوفاء(٢)
فصــبرا للنوائب إنْ أَلَمَّتْ ... إذا ما ضاق بالحدَث الفضاء
هِزَبْرٌ تنجلى الغَمَراتُ عنه ... نقىُّ العِرْض همَّتُه العَلاء
إذا شهِد الكَريهةَ خاض منها ... بحورا لا تُكدِّرها الدِّلاء
جَسور لا يروِّعه ارتيــاعٌ ... ولا يَثْنى عزيمتَه اتِّقاء(٣)
حليم فى مَشاهِده إذا ما ... حُبَا الحلماء أَطْلَقها المِراء(٤)
حَميــد فى عَشيرته فَقِيدٌ ... يَطيب عليه فى المَلأ الثَّناء(٥)
فإن تَكُن المنيــةُ أقْصَدَتْه ... وحُمَّ عليــه بالتَّلف القَضاء(٦)
فقد أَوْدَى به كرمٌ وخِيرٌ ... وعَوْدٌ بالفضائل وابتداء(٧)
وجَرْىٌ لا يُضَمُّ إليه جَرْىٌ ... مُراهنة إذا جَدَّ الجِراء(٨)

وكان يَرِد مع الإبل فيأكل ما يجد عند أهله . ثم يرجع فيها ولا يتزود طعاما ولا شرابا حتى يرجع يوم ورودها ، لا يذوق فيما بين ذلك طعاما ولا شرابا .

---

(١) جعل غ هذا البيت ثالث الأبيات . وكذا روايته فيه . وفى س : فقير عر يلتمس العطاء وفيه إقواء . والكل : اليتيم وصاحب العيال .
(٢) جديد الأرض : ظهرها .
(٣) غ ، ق : جسور لا يروع عند روع . س : عزيمة ارتقاء .
(٤) الحبا : جمع حبوة ، وهى أن يشتمل الرجل بثوبه أو يجمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها عند الجلوس . والمراء : المجادلة والمخاصمة .
(٥) فقيد : يفتقده طالبو المعروف .
(٦) أقصدته : أصابته فقتلته . وحم : قضى وقدر .
(٧) الخير : الشرف .
(٨) رواية الشطر الأول فى غ : وجود لا يضم جوادا . ومراهنة : مسابقة . والجراء : المسابقة .

وكان عادِيّ الخَلْق[1] ، لا توصف صفته . حَدَّث عنه من أدركه أنه كان يوما فى إبل له فى يوم شديدِ وَقْع الشمس ، مُحْتَدم الهاجرة . وقد عَمَد إلى عصاه ، فطرح عليها كساءه من الشمس ، وأدخل رأسه تحت كسائه . فبينا هو كذلك ، إذ مرّ به فى وقت الظهيرة رجلان : أحدهما من بنى نَهْشَل والآخر من بنى فُقَيم ، وكانا أشدّ تميميين فى ذلك الوقت بطشا ، يقال لأحدهما الهَيّاج ، أقبلا من البحرين معهما أنواطٌ من تَمْر هَجَر[2] ، وهلال بناحية الصِّعاب[3] . فلما انتهيا إلى الإبل ولم يعرفا هلالا[4] بوجهه ولا أن الإبل له ، ناديا : « يا راعى ، أعندك شراب تَسْقِينا ؟ » وهما يظنّان أنه عبد لبعضهم . فناداهما هلال ورأسه تحت كسائه : « عليكما الناقة التى صفتها كَيْت وكَيت فى موضع كذا ، فأنيخاها فإن عليها وَطْبَين[5] من لبن ، فاشربا منهما ما بدا لكما » . فقال له أحدهما : « ويحك ، يا غلام ! انهض فأْتِنا بذلك اللبن » . فقال لهما : « إنْ يكن لكما حاجة فستأتيانها فتجدان الوطبين فتشربان » . فقال أحدهما : « إنك ، يا ابن اللَّخْناء ، لَغليظ الكلام . قم فاسقنا » . ثم دنا من هلال ، وهو على تلك الحال ، وقد قال لهما : « أراكما ، والله ستلقيان هَوانا وصَغارا » وسمعا ذلك منه ؛ فدنا أحدهما فأهوى له ضربا بالسوط على عَجُزه ، وهو مضطجع . فتناول هلال يده ، وهو مضطجع ، فاجتذبه إليه ، فرماه تحت فخذه ثم ضغطه . فنادى صاحبه : « ويحك ! أغِثْنى ! قد قتلنى » . فدنا صاحبه منه . فتناوله هلال أيضا ، واجتذبه ، فرمى به تحت فخذه الأخرى ثم أخذ برقابهما فجعل يصك برءوسهما بعضها ببعض ، لا يستطيعان أن يمتنعا منه . فقال أحدهما : « كُنْ هلالا ولا نبالى ما صنعت

(١) عادى الخلق : عظيمه ، نسبة إلى بنى عاد الذين تضرب بهم العرب المثل فى عظم البناء والقامة.
(٢) هجر : عاصمة البحرين أو البحرين كلها .
(٣) الصعاب : جبل بين اليمامة والبحرين أو رمال صعبة المسالك بين البصرة واليمامة .
(٤) غ، ت : ولا يعرفان هلالا بوجهه . وهى أدق.
(٥) الوطب : وعاء اللبن .

بنا » . فقال : « أنا هلال . ووالله لا تُفلتان منى حتى تعطيانى عهـدا وميثاقاً لاتَخيسان(١) به : لَتَأْتيانِّ المِرْبَد إذا قدمتما البصرة ثم لتناديانِّ بأعلى أصواتـكما بما كان منى ومنـكما » . فعاهداه وأعطياه نوطا من التمر الذى معهما . وقدما البصرة فأتيا المربد ، فناديا بما كان منهما ومنه .

حدث كُـنَيف(٢) بن عبد الله المازنى قال : كنتُ يوما مع هلال ونحن نَبْغِى إبلا لنا . فدفَعْنا إلى قوم من بكر بن وائل وقد لَغِبْنا(٣) وعَطِشنا ، وإذا نحن بفِتْية شباب عند رِكَيَّة(٤) لهم وقـد وردت إبلهم . فلما رأوا هلالا استهْولوا خَلْقه وقامته . فقام رجلان منهم إليه . فقال له أحدهما : « ياعبد الله ، هـل لك فى الصِّراع ؟ » فقال لهما هلال : « أنا إلى غير ذلك أحْوَج » . قال : « وما هو ؟ » قال : « إلى لبن وماء فإنى لَغِب ظمآن » . قالا : « ما أنت بذائقٍ من ذلك شيئا حتى تُعطينا عهدا لَتُجيبنَّنا إلى الصراع إذا رَوِيت وأرَحْت » . قال لهما هلال : « إنى لـكما ضيف ، والضيف لا يصارع رب منزله ، وأنتما مكتفيان(٥) من ذلك بمـا أقول لـكما : اعْمِدوا إلى أشدِّ فحل شدة وهَيْبة وصَوْلة ، وإلى أشد رجل منـكم ذراعا ، فإن لم أقبض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم ، فـلا يمتنع البعير ولا الرجل حتى أُدخل يد الرجل فى فم البعير ، فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتمونى . وإن فعلته علمتم أن صراع أحدكم أيسر من ذلك » فعجبوا من مقالته . وأومئوا إلى فحل فى إبلهم هائج صائل قَطِم(٦) . فأتاه هلال ومعه نفر من أولئك القوم وشيخ لهم . فأخذ هلال

---

(١) تخيسان به : تخلفانه .

(٢) ب ، س : كفيف

(٣) لغبنا : تعبنا وأصابنا الإعياء .

(٤) الركية : البئر .

(٥) س : مكتفون .

(٦) قطم : هائج . وفى س فى موضعها : فخطم .

بهامة الفحل مما فوق مِشْفَره . فضغطها ضغطة جرجر الفحل [منها] واستخذى ورَغا . وقال : « لِيُعطيني من أحب يده حتى أُولجها فى فم هذا الفحل » . قال : فيقول الشيخ : « يا قوم ، تنكّبوا هذا الشيطان ! فوالله ما سمعت فلانا ــ يعنى الفحل ــ جرجر منذ بَزَل[1] قبل اليوم . فلا تَعرِضوا لهذا الشيطان » . فجعلوا يَتْبعونه وينظرون إلى خطوه ، ويَعْجَبون من طول أعضائه حتى جازَهم .

قال هلال : قَدِمتُ المدينة وعليها رجلٌ من آل مروان . فلم أضع عن إبلى ماعليها من أَحْمال التجار حتى أُخذ بيدى وقيل : « أجب الأمير » . فقلت لهم : « ويلكم ، إبلى وأحمالى ! » فقيل : « لا بأس على إبلك وأحمالك » . قال : فانطُلق بى حتى أُدخلت على الأمير فسلمت عليه . ثم قلت : « جُعلت فداك ! إبلى وأماناتى ! » فقال: نحن ضامنون لإبلك وأماناتك حتى نؤديها إليك » . قال : قلت : « فما حاجة الأمير إلىّ ؟ » قال لى ــ وإلى جانبه رجل أصفر لا والله ما رأيت رجلا قط أشد منه خَلْقا ولا أغلظ عنقا ، ما أدرى أطولُه أكثر أم عرضه ــ : « إن هذا الفتى[2] الذى ترى ، لا والله ما ترك بالمدينة عربيا[3] يُصارع إلا صَرَعه . وبلغنى عنك قوة ، فأردت أن يُجْرى الله صَرْع هذا العبد على يدك . فتدرك ما عنده من أَوْتار[4] العرب » . فقلت : « جعلنى الله فداء الأمير ! إنى تَعِب[6] نَصِب جائع . فإنْ رأى الأمير أن يَدَعنى اليوم حتى أضع عن إبلى ، وأؤدى أماناتى ، وأُريح يومى هذا ، وأجيئه غدا ، فليفعل » . فقال لأعوانه : « انطلقوا معه وأعينوه على الوضع عن إبله والأداء لأماناته ، وانطلِقوا به إلى المطبخ فأَشْبعوه » . ففعلوا جميع ما أمرهم به .

---

(١) بزل : بزغ نابه فى السنة التاسعة من عمره . وفى ب ، س : انزل .

(٢) غ : هذا العبد .

(٣) ب : عبدا . س : عبدا عربيا ، ولا يكون ذلك .

(٤) الأوتار : جمع وتر ، وهو الثأر .

(٥) غ : لغب ، وهى بمعناها .

قال : فظَلِلْت بقية يومى ذلك . وبِتُّ ليلتى بأحسنِ حال شبعا وراحة وصلاحَ حال . فلما كان من الغد ، غدوت عليه ، وعلىّ جُبَّة لى صوف وبَتٌّ(١) ، وليس علىّ إزار إلا أنى قد شددت بعمامتى وسطى . فسلمت عليه فردّ علىّ . وقال للأصفر : «قم إليه ! فقد أرى أن الله تعالى أتاك بما يُخزيك» . فقال العبد : « ائْتَزِر ، يا أعرابى » . فأخذت بَتّى وائتزرتُ به على جبتى . فقال : « هيهات ! هذا لا يثبت إذا قبضت عليه جاء فى يدى » : فقلت : « والله ، مالى من إزار » . فدعا الأمير بمِلْحَفة ما رأيت قبلها ولا عَلا جلدى مثلُها . فشددت بها على حَقْوى(٢) وخلعت الجبـــة .

قال : وجعل العبد يدور حولى ويريد خَتْلى ، وأنا منه وَجِل لا أدرى كيف أصنع به. ثم دنا منى دنوة فنَقَدَ(٣) جبهتى بظُفُره نقدة ظننت أنه قد شجّنى وأوجعنى. فغاظنى ذلك منه . فجعلت أفكّر فى خَلْقه بماذا أقبِض منه . فما وجدت فى خلقه شيئا أصغر من رأسه . فأقبض على رأسه ، فوضعت إبهامى فى صُدْغه وأصابعى(٤) الأخرى فى أصل أذنه الأخرى. ثم غمزته غمزة ، صاح منها : « قتلتنى ! » قال : يقول الأمير : « اغمِس رأس العبد فى التراب ». قال : فقلت له : « لك ذلك علىّ ». فغمست رأسه فى التراب ووقع شبيها بالمغشى عليه . فضحك الأمير حتّى استلقى ، وأمر لى بجائزة وكسوة . ثم انحدرت .

كان هلال بن الأسعر ضربه رجل من بنى عَنَزة ثم من بنى جَلّان يقال له عُبيد

---

(١) البت : كساء غليظ مهلهل مربع ، وقيل من وبر وصوف .

(٢) الحقو : الخصر .

(٣) نقد : نقر .

(٤) كذا فى غ . وفى س : وإصبعى .

ابن جُرَىّ[١] فى شىء كان بينهما فشجَّه وخَمَشه خُماشة . فأتى هلال بنى جلان فقال : « إن صاحبكم قد فعل بى ما ترون ، فخذوا لى بحقى » . فأوعدوه وزَبَروه[٢] . فخرج وهو يقول : « عسى أن يكون لهذا جزاء » . ومضى لذلك زمن طويل حتى دَرَس ذكره[٣] . ثم إن عبيد بن جرى قدم الوَقبا ــ موضعا من بلاد بنى مازن[٤] ــ فذكر مابينه وبين هلال فخافه . فسأل عن [أعزّ][٥] أهل الماء فقيل له : « مُعاذ بن جَعْدة بن ثابت بن زُرارة بن ربيعة بن سيّار بن رِزام بن مازن » فوجده غائبا عن الماء . فعقد طرف ثوبه إلى جنب طُنُب بيت معاذ ، وكانت العرب إذا فعلتْ ذلك وجب على المعقود بطنب بيته أن يُجير المستجير وأن يطلب له بظُلامته ، وإن كان يومَ فعل ذلك غائبا عن الماء . فقيل : « رجل استجار بمعاذ بن جعدة » . ثم خرج عبيد بن جرى ليسقى. فوافق قدومَ هلال بإبله يوم وروده . فلما نظر إلى عبيد بن جرى ذكر ما كان بينه وبينه ، ولم يعلم باستجارته بمعاذ . فطلب شيئا يضربه به فلم يجد . فانتزع مِحْوَر السانية[٦] ، فضربه على رأسه فصرعه وَقيذا[٧] . وقيل : « قتل هلال بن الأسعر جار معاذ بن جعدة » . فلما سمع هلال ذلك تخوف بنى جعدة الرِّزاميِّين ، وهم بنو عمه. فأتى راحلته ليركبها . فأتته خَوْلة بنت يزيد بن ثابت ، بنت أخى جعدة بن ثابت ، وهى جدة السفاح ، وهند بنت عبد الله بن مالك ، أم أبيه[٨] . فتعلقت بثوب هلال

(١) ت : حرى .
(٢) زبروه : منعوه ونهوه . وفى س ، د ، ى : زجروه .
(٣) درس : انمحى .
(٤) غ ، ت : بنى مالك .
(٥) زيادة عن غ يقتضيها السياق .
(٦) ت : الساقية . والسانية : الدلو العظيمة مع أدواتها .
(٧) الوقيذ : المشرف على الموت .
(٨) غ : وهى جدة أبى السفاح زهيد بن عبد الله بن مالك أم أبيه . ولا يقصد بالسفاح هنا الخليفة العباسى بل هو أحد أشراف العرب ، لأن الخليفة جدته العالية بنت عبيد الله بن عبد الله ابن عباس . (انظر تاج العروس : سفح ، وتاريخ الإسلام للذهبى ٥ : ١٣٤) .

ثم قالت : « أىْ عدو الله ، قتلتَ جارنا ! والله لا تفارقنى حتى تأتيك رجالنا » .
قال هلال : والمحور بيدى لم أضعه . فهممت أن أعلو به رأس خولة . ثم قلت فى نفسى: « عجوز لها سِنٌّ وقرابة» . قال : فضربتها برجلى ضربة رميتُ بها من بعيد ثم ركبت ناقتى .

وجاء معاذ بن جعدة وإخوته ، وهم يومئذ تسعة إخوة ، وعبد الله بن مالك ابن هند زوج ابنة معاذ جُبَيلة . فسمعوا الواعية[1] على الجلانى وهو دَنِف لم يمت . وأخبروا الخبر . فركب الإخوة التسعة وعبد الله بن مالك ، فكانوا مثل الجمال[2] فى شدة خَلْقهم . وركب معهم عشرة غلمة لهم أشد منهم خَلْقا ، لا يقع لأحد منهم سهم فى غير موضعه . فلما أصبحوا من تلك الليلة قَصُّوا أثره وكان لا يخفى أثره على أحد لعظم قدمه . فلحقوه من بعد الغد . فناداهم: « يا بنى جعدة ، أُنْشُدُكم اللهَ أن أكون قتلت رجلا غريبا طلبتِه بتِرَةٍ[3] ، وتقتلونى وأنا ابن عمكم » . وظن أن الجلانى قد مات . ولم يكن قد مات إلى أن اتبعوه وأخذوه . فقال معاذ : « والله ، لو أيقنا أنه قد مات ما ناظرنا بك القتل[4] من ساعتنا ، ولكنا تركناه ولم يمت . ولسنا نحب قتلك إلا أن تمتنع منا ، ولا نقدم عليك[5] حتى نعلم ما يصنع جارنا » . فقاتلهم وامتنع منهم . فقال معاذ لأصحابه : « لا ترموه بالنَّبْل ، ولا تضربوه بالسيوف ، وارموه بالحجارة ، واضربوه بالعصى ، حتى تأخذوه » . ففعلوا وما قدروا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع ، ومن الأخرى إصبعين ، ودقوا ضِلَعين من أضلاعه ، وأكثروا الشِّجاج

---

(١) الواعية : الصراخ على الميت .
(٢) غ ، ت : الجبال .
(٣) الترة : الثأر .
(٤) ناظرنا بك القتل : أخرناه عنك .
(٥) كذا فى غ ، ت . وفى ص : تمتنع منا فنقدم عليك .

فى رأسه . ثم أخذوه وما كادوا يقدرون على أخذه . فوضعوا فى رجله قيدا . وجاءوا به وهو معروض على بعير . فدفعوه إلى الجَلانى ولم يمت بعد . فقالوا : « انطلقوا به معكم إلى بلادكم ولا تُحدثوا فى أمره شيئا . فإنْ مات صاحبكم فاقتلوه . وإن حَيِي فأَعْلِمونا حتى نحمل أَرْش الجناية لكم »(١). فقال الجلانيون : « وفتْ ذمتكم يا بنى جعدة . إنا نخاف أن ينتزعه منا قومكم إن خَلَّيتم عنا وعنهم » . فقال لهم معاذ : فأنا أحمله معكم ، وأشيِّعكم حتى تَردوا بلدكم » . فحمل معروضا على بعير . وركبت أخته جَمّاء بنت الأسعر معه . وجعل يقول : « قتلنى بنوجعدة ! » وتأتيه أخته بمَغْرَة(٢) فشربها حتى يقال : « هوذا يُمشي بالدم(٣) لأن بنى جعدة فرّثوا(٤) كبده فى جوفه » . فلما بلغوا أدنى بلاد بنى بكر بن وائل ، قال الجلانيون لمعاذ وأصحابه : « قد وفيتم فانصرفوا » .

وجعل هلال يُريهم أنه يُمشى بالدم فى الليلة عشرين مرة . فلما ثقل الجلانى وتخوّف هلال أن يموت من ليلته أو أن يُصبح ميتا ، تبرّز هلال كما كان يصنع وفى رجله القيد كأنه يقضى حاجة . ووضع كساءه على عصاه فى ليلة ظَلْماء . ثم اعتمد على القيد فكسّره . ثم طار تحت الليل على رجليه وكان أدلّ الناس . فتنكّب الطريق الذى يُعرَف ويُطلب فيه . وجعل يسلك المسالك التى لا يطمع فيها حتى انتهى إلى رجل من بنى أثاثة بن مازن ، يقال له السِّعر بن زيد(٥) . فحمله على ناقة يقال لها مَلْوة . فركبها ثم تجنب بها الطريق . وأخذ نحو بلاد قيس بن عَيْلان تخوفا من بنى مازن أن يتبعوه : فسار ثلاثَ ليال وأيامَها . ونزل اليوم الرابع فنحر الناقة ، وأكل لحمها

(١) الأرش : دية الجراح .
(٢) المغرة : طين أحمر يصبغ به .
(٣) أمشى الرجل : أسهل من دواء تناوله .
(٤) فرث : شق وفتت . وكذا العبارة فى غ ، ت . وفى س : يمشى الدم ... رثوا .
(٥) غ : يزيد .

كله إلا فَضْلة فَضَلت منه فاحتملها . ثم أتى بلاد اليمن فوقع بها، فلبث زمانا ، وذلك عند مقدم الحجاج العراق(١) .

فبلغ إفلاتُه من بالبصرة من بكر بن وائل ، واستَعْدوا عليه الحجاج ، وأخبروه بقتله صاحبهم . فبعث الحجاج إلى عبد الله بن شُعْبة ، وهو يومئذ عريف بنى مازن ، فقال له: « لتأتينِّى بهلال أو لأفعلنّ بك.». فقال : « إن أصحاب هلال(٢) وبنى عمه صنعوا كذا وكذا » . وقصّ عليهم قصته ، ودَفْعه إلى الجلانيين وتشييعهم إياه . فقال : « ما يقول ؟ » فقال بعض البكريين : « صدق » . فقال الحجاج : « لا يُرغم الله إلا أنوفكم ! قد أمَّنت كل قريب لهلال وحميم وعريف ، ومنعت من أخذ أحدٍ به ، حتى يظفر به البكريون أو يموت قبل ذلك .

ولما وقع هلال إلى اليمن بعث إلى بنى رِزام بن مازن بشعر ، يعاتبهم فيه ويعظّم عليهم حقه ويذكر قرابته . فقال معاذ : « لا أرضى إلا أن تُؤدّى ثلاث ديات : دية المقتول ، ودية الجوار ، ودية الأمان » . فقال هلال من أبيات :

بنى مازنٍ ، لا تطردُونى فإننى ... أخوكم وإنْ جَرّت جرائرَها يَدِى
ولا تُثلجوا أكباد بكر بن وائل ... بتَرْكِ أخيكم كالخليع المطرَّد
ولا تجعلوا حِفْظى بظَهْرٍ وتحفَظُوا ... بَعيدا ببغضاء يروح ويَغْتدى(٣)
فإنّ القريب حيثُ كان قريبُكم ... وكيف بقَطْع الكفِّ من سائر اليد؟
وإنّ البعيدَ إنْ دنا فهو جارُكم ... وإن شَطَّ عنكم فهو أَبْعَدُ أبعَدِ
وإنى وإنْ أَوْجَدْتُمونى لحافِظٌ ... لكم حِفْظَ راضٍ عنكم غيرِ موجَد(٤)

---

(١) قدمه فى سنة ٧٥ ه

(٢) كذا فى غ ، ت . وفى ص : بنى هلال ، تحريف .

(٣) ب ، س : تروح وتغتدى .

(٤) ب ، س أوحدتمونى ... موحد . وأوجدتمونى : أغضبتمونى .

سيَحْمِى حِمَى عِرْضى وإن كنتُ غائبا
أغرُّ إذا ما رِيعَ لم يتبلَّد[1]

وتعلم بكرٌ أنكم حيثُ كنتمُ
وكنتُ من الأرض الغريبة مَحْتِدِى

وأنى ثقيلٌ حيثُ كنتُ على العدا
وأنى وإنْ أُوحِدت ليس بأوحد[2]

ولما دُفع هلال إلى أولياء المقتول ليقتلوه بصاحبهم ، جاء رجل يقال له حُفَيد ، كان هلال قد وَتَره ، فقال : « لآتينَّه ولأُصغِّرنَّ إليه نفسه » ، وهو فى القيود مصفود للقتل[3] . فأتاه فلم يَدعْ له شيئا إلا عَدّه عليه مما يكره . قال : وإلى جنب هلال حجر مِلْء الكف ، فأخذه هلال وأهوى به للرجل ، فأصاب جبينَه ، فاجْتَاف جُلْفة[4] من وجهه ورأسه . ثم رمى بها وقال : « خذ الآن القصاص منى » . وأنشد :

أنا ضربتُ كَرِبا وزَيْدا
وثابتا مَشَّيْتهم رويدا

كما أفأتُ[5] حَيْنه عُبيدا
وقد ضربت بعده حُفيدا

وهؤلاء كلهم من بنى رِزام ، وكلهم نكأ فيه هلال .

ولما طال مقام هلال باليمن ، نهضتْ بنو مازن بأجمعهم إلى بنى رزام بن مازن ، رهط هلال ، ورهط معاذ بن جمدة جار الجلانى المقتول . فقالوا : « قد أسأتم بابن عمكم وجُزْتم الحد فى الطلب بدم جاركم فنحن نحمل لكم ما أردتم » . فحمل دَيْسَم ابن المِنْهال بن خُزَيمة[6] بن شهاب بن أُثاثة بن ضِباب بن حُجَيَّة بن كابية ابن

---

(١) غ : سيحمى حماكم بى .

(٢) غ : لست بأوحد ، وهى أحسن .

(٣) د ، ى : مصبور للقتل .

(٤) اجتلف جلفه : كشط قطعة .

(٥) د ، ى : أفدت .

(٦) ب ، س : جذيمة .

حُرْقوص بن مازن الذى طلب معاذ أن يُحمَل لجاره ، لفضل عزّه وموضعه فى عشيرته . وكان الذى طلب ثلاثمائة بعير ، فقال هلال فى ذلك :

إن ابن كابيـــة المُرزَّأَ دَيْسَما   وارى الزِّناد بعيدُ ضوءِ النارِ(١)
من كان يحمِلُ ما تحمَّلَ ديسمٌ   مِن حائلٍ فُنُقٍ وأمِّ حُوار(٢)
عَيَّت بنـو عمرو بحمل هَنائد   فيها العِشار مَتالىَ الأَبْـكار(٣)
حتى تَلافاها كريمٌ سابق   بالخير حَلَّ منازلَ الأخيـــار
حتى إذا وردتْ جميعا أرزمَتْ   جَلّانُ بعـــد تَشمُّسٍ ونِفار(٤)

تَقاوَمَ هلال بن الأسعر المازنى ونُهَيس(٥) الجلانى وهما يسقيان إبلهما . فحذف(٦) هلال نهيسا بمحور فى يده فأصابه فمات . فاستعْدَى ولده بلال بن أبى بُرْدة على هلال فحبسه . فأسلمه قومه بنو رزام . وعمل فى أمره ديسم فافتكه بثلاث ديات . فقال هلال يمدحه :

تدارك دَيْسَمٌ حسبا ومجـــدا   رِزاما بعد ما انشقَّتْ عَصاها
هم حَمـلوا المِئِينَ وألحَقُوها   بأهليها وكان لهم سَناها(٧)
وما كانت لتَحْمِلَها رزامٌ   بأَسْتاهٍ مُعقَّصةٍ لِحاها
بكابيةَ بن حُرْقوصٍ وجَدٍّ   كريمٍ لا فتًى إلا فَتاها

(١) المرزأ : الـكريم الذى يصاب فى ماله كثيرا لاعتياد الناس سؤاله .
(٢) الحائل : الناقة التى لم تحمل سنة أو أكثر . والفنق : الناقة الفتية السمينة . والحوار: الفصيل .
(٣) د ، ى: ملابئ الأبكار . وعيت: عجزت . وهنائد : جمع هنيدة، وهى المئة من الإبل والعشار: جمع عشراء ، وهى الناقة التى أتى عليها عشرة أشهر من حملها أو هى كالنفساء من النساء.
(٤) أرزمت : أصدرت صوتا عند الحنين .
(٥) ب ، س : بهيس .
(٦) د ، ى : فخذف .
(٧) د ، ى : فألحقوها . . فـكان .

قال المعتمر بن سليمان : قلت لهلال بن أسعر : « ما أكلةٌ أكلتَها بلغتْنى عنك ؟ » قال : « جُعت مرة ومعى بعيرى فنحرته ، وأكلته إلا ما حملتُ منه على ظهرى . ثم أردت زوجتى فلم أقدر على جماعها ، فقالت : وكيف تصل إلىّ وبيننا بعير ؟ » قال : فقلت له : « فكم تكفيك هذه الأكلة ؟ » قال : « أربعة أيام » .

روى المدائنى قال : مر هلال بالبصرة على رجل من بنى مازن وقد حمل من بستانه رطبا فى زَوارِيق[1] . فجلس على زورق صغير منها وقد كُثِب[2] الرطب فيه وغُطِّى بالبَوارى[3] . فقال له : « يا ابن عم ، آكلُ من رطبك هذا ؟ » قال : « نعم » . قال : « ما يكفينى[4] ؟ » قال : « ما يكفيك » . فجلس على صدر الزورق وجعل يأكل إلى أن اكتفى . ثم قام فانصرف . فكُشِف الزورق فإذا هو مملوء نوًى قد أكل رُطَبه وألقى النوى فيه .

وسئل عن أعجب شيء أكله ، قال : « مائتى رغيف مع مكوك[5] ملح » .

قال صَدَقة بن عُبيد المازنى : أَوْلَم علىّ أبى لما زُوِّجت . فعملنا عشر جِفان ثَريد من جَزور . فكان أول من جاءنا هلال بن الأسعر المازنى . فقدمنا إليه جفنة فأكلها ، ثم أخرى ثم أخرى حتى أتى على العشر . ثم استسقى ، فأُتى بقربة نبيذ . فوضع طَرَفها فى شِدْقه ففرّغها فى جوفه . ثم قام فخرج . واستأنفنا عمل الطعام .

---

(١) زواريق : جمع زورق ، أشبع كسرته فأتت بياء .
(٢) كثب : جمع .
(٣) البوارى : الحصر المصنوعة من القصب .
(٤) ب ، س : فيه ما يكفينى .
(٥) المكوك : مكيال يسع صاعا ونصف صاع .

هارون الواثق*

هو الواثق بالله أبو جعفر هارون بن المعتصم بالله .

قال إسحاق بن إبراهيم : دخلت يوما دار الواثق بالله بغير إذن إلى موضع أمر أن أدخله إذا كان جالسا . فسمعت صوت عود وترنُّما لم أسمع أحسن منه . فأطلع خادم رأسه . ثم رده وصاح بي . فدخلت وإذا الواثق فقال : « أي شيء سمعت ؟ » فقلت : « الطلاق كامل لازم ، وكل مملوك [لي] حر ، لقد سمعت ما لم أسمع مثله قط حسنا » . فضحك وقال : « وما هو إنما هو فَضْلة أدب ، وعلم مدحه الأوائل ، وكثر في حرم الله عز وجل ومُهاجَر[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتهاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون بعدهم . أتحب أن تسمعه ؟ » قلت : « إي والله الذي شرفني بخطابك وجميل رأيك » . فقال : « يا غلام ، هات العود ، وأعط إسحاق رِطْلا » . فدفع الرطل إلي . وضرب وغنى في شعر أبي العتاهية بتلحينه[2] :

أضحَتْ قبورهم من بعـــد عِزِّهمُ ... تَسْفِي عليها الصَّبا والحَرْجَف الشَّمَلُ[3]

لا يدفعون هَوامـا عن وجوههمُ ... كأنهم خَشَب بالقـاع مُنْجَـدِل

فشربت الرطل ثم قمت فدعوت له ، فأجلسني وقال : « أتشتهي أن تسمعه بالله ؟ » فقلت : « إي والله » . فغنانيه ثانية وثالثة . وصاح ببعض الخدم وقال : « احمل إلى إسحاق ثلاث مائة ألف درهم » . ثم قال : « يا إسحاق ، قد سمعت ثلاثة أصوات ،

---

* أخباره في ب ٨ : ١٦٣ ، س ٨ : ١٥٦ ، د ٩ : ٢٧٦ .

(١) حرم الله : مكة . ومهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم : المدينة ، حيث هاجر إليها.

(٢) لم أجد البيتين في ديوانه (المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٩) .

(٣) تسفي التراب : تحمله وتنشره . والحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب . والشمل: الريح الهابة من الشمال .

وشربت ثلاثة أرطال ، وأخذت ثلاث مائة ألف درهم . فانصرِف إلى أهلك مسرورا ليُسَروا معك » . فانصرفت بالمال .

ومن مشهور أغانى الواثق فى شعر حسان بن ثابت[1] :

إن التى عاطَيْتَنى فرددتُهـــا ... قُتِلتْ قُتلتَ فهاتِهـــا لم تُقْتَل[2]

كلتاهما حَلَب العصير فعاطِنى ... بزجاجة أرخاهُما للمَفْصِـــل[3]

ومن مشهور أغانى الواثق :

سَقى العَلَمَ الفرد الذى فى ظِلاله ... غزالان مكحولان مُؤْتلفـــانِ

إذا أَمِنا التفّا بجيدَىْ تواصُلٍ ... وطَرْفاهُما للرَّيْب مُسْتـــترقان

أرَغْتُهما خَتْلاً فلم أستطعهمـــا ... ورَمْيا ففاتانى وقد رَمَيـــانى[4]

قال إسحاق بن إبراهيم: صرت إلى سُرَّ من رأى بعد قدومى من الحج ، فدخلت إلى هارون الواثق . فقال : « بأى شىء أطرَفْتَنى من أحاديث العرب وأشعارهم ؟ » فقلت : « يا أمير المؤمنين ، جلس إلىّ فتى من الأعراب فى بعض المنازل . فحادثنى فرأيت منه أحلى ما رأيت من الفتيان منظرا وحديثا وظَرْفا وأدبا . فاستنشدته فأنشدنى :

* سقى العلم الفرد الذى فى ظلاله *

الأبيات . وتنفّس نفسا ظننت أنه قد قطع حيزومه . فقلت له : « مالك ، بأبى أنت ؟ » فقال : « وراء هذين الجبلين لى شَجَن ، وقد حيل بينى وبين المرور بهذه

---

(١) ديوانه ١٧ .

(٢) فى ديوانه : إن التى ناولتنى . وفى غ : إن التى عاطيتها . يصف خمرا . وقتلت : مزجت بالماء .

(٣) بعد هذا الخبر بياض فى س بمقدار نحو ١٥ سطرا .

(٤) أرغت : أردت وطلبت . والختل : الخداع . وقدرميانى: كذا فى غ ، وهامش س . وفيها : وقد قتلانى .

البلاد ، ونَذَروا دمى، وأنا أقنع بالنظر إلى الجبلين تملُّلا بهما إذا قدم الحاج ، ثم يحال بينى وبين ذلك » . فقلت له : « زدنى مما قلت فى ذلك » فأنشد :

إذا ما وردتَ المـاءَ فى بعض أهله حَضُـورُ فعرِّض بى كأنك مازحُ

فإن سألتْ عنى حَضورُ فقل لهـا : به غُـبَّرٌ من دائه وهو صالحُ(١)

فأمرنى الواثق فكتبت له الشعرين . فلما كان بعد أيام . دعانى فقال : « قد صنع بعض عجائزنا فى أحد الشعرين لحنا فاسمعه ، فإما ارتضيتَه أظهرْناه ، وإن رأيت فيه موضع إصلاح أصلحته » . فغُنِّى لنا من وراء الستارة ، فكان فى نهاية الجودة . وكان كذلك يفعل إذا صنع شيئا . فقلت : « أحسن، والله، صانعه، يا أمير المؤمنين، ما شاء » . فقال : « بحياتى ؟ » فقلت : « وحياتك » . وحلفت له بما وثق به . فأمر لى برطل فشربته . ثم أخذ العود فغناه ثلاث مرات . وسقانى ثلاثة أرطال ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم . فلما كان بعد أيام ، دعانى فقال : « قد صُنع أيضا عندنا لحن فى الشعر الآخر » ، وأمر به فغُنِّى . فكانت حاله فيه مثل الأولى وأخذت ثلاثين ألف درهم أخرى . ثم قال لى : « هل قضيتُ حقَّ هديتك ؟ » فقلت : « نعم ، يا أمير المؤمنين ، فأطال الله بقاءك وتمم نعمتك ! » فقال : « إنك لم تقض حق جليسك الأعرابى ، ولا سألتنى معونته على أمره. وقد سبقتُ مسألتك، وكتبت بخبره إلى العامل بالحجاز ، وأمرت بإحضاره وخِطبة المرأة وحَمْل صَداقها إلى قومها عنه من مالنا » . فقلت : « السبق إلى المكارم لك، وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر الناس » . وقبلت يده وانصرفت .

ومن أغانى الواثق :

فى فى ماءٌ وهل ينـ ـطقُ من فى فِيـهِ مـاءُ

---

(١) غبر : بقية .

أنا مملوكٌ لمملو كٍ عليه رقباء[1]
كنت حُرّا هاشميا فاسترقّتْني الإماء
ما بعيني دموعٌ أنفد الدمعَ البكاء

وكان الواثق أحذق من يغنى ويضرب بالعود . وبلغت صنعته مائة صوت .

ومن شعره وأصواته :

سألته حُوَيْجِة فأعْرَضا وعَلّق القلب بها وأمرضا[2]
فاستلّ منى سيفَ عزمٍ مُنتَضَى وكان ما كان وكابرْنا القَضا[3]

كان الواثق يحب خادما أُهْدِى إليه من مصر . فغاضَبه يوما وهجره . فسمع الخادم يحدث صاحبا له بحديث غَضَبه عليه وهو يقول : « والله ، إنه ليجتهد منذ أمس أن أصالحه فلم أفعل » . فقال الواثق :

يا ذا الذى بعذابى ظلّ مُفتخِرا هل أنت إلا مليكٌ جار إذ قَدَرا
لولا الهوى لَتجارَيْنا على قَدَرٍ وإنْ أُفِقْ مرة منه فسوف ترى[4]

وقيل : إن هذا الشعر لأبى حفص الشِّطْرنجى .

لما خرج المعتصم إلى عَمُّورية[5] ، استخلف الواثق بسر من رأى . فكانت أموره كلها كأمور أبيه . فوجّه إلى الجلساء والمغنين يوما أن يبكّروا إليه يوما حدّده لهم ، ووجه إلى إسحاق . فحضر الجميع. فقال لهم الواثق : « إنى عزمت على الصَّبوح. ولست أجلس على سرير حتى أختلط بكم ونكون كالشىء الواحد . فاجلسوا معى حلقة . وليكن كل جليس إلى جانبه مغن » . فجلسوا كذلك . فقال الواثق : « أنا أبدأ » .

(١) غ : الرقباء .
(٢) غ : وعلق القلب به ومرضا .
(٣) غ : فكان .
(٤) د : لتجازينا .
(٥) عمورية : من بلاد الروم فتحها المعتصم فى سنة ٢٢٣ هـ .

فأخذ العود فغنى وشربوا . وغنى من بعده حتى انتهى إلى إسحاق فأُعطِى العود ، فلم يأخذه . فقال : « دعوه » . ثم غنوا دورا آخر . فلما بلغ الغناء إلى إسحاق لم يغن . وفعل ذلك ثلاث مرات . فوثب الواثق فجلس على سريره . وأمر بالناس فدخلوا ، فما قال لأحد منهم : اجلس . ثم قال : « علىّ بإسحاق » . فأُتى به. فلما رآه قال : « يا خُوزى ، يا كلب ! أتَبَذّل لك وأغنى فتترفع علىّ ! أتُرانى لو قتلتك كان المعتصم يُقيدنى بك ! ابطَحوه » . فبطح وضرب ثلاثين مِقْرعة ضربا خفيفا . وحلف : لا يغنى سائر اليوم سواه . فاعتذر وتكلمت الجماعة فيه . فأخذ العود وما زال يغنى حتى انفض مجلسه .

قال إسحاق : دخلت يوما إلى الواثق وهو مُصطبِح . فقال : « غننى ، بحياتى ، يا إسحاق ، صوتا غريبا لم أسمعه منك حتى أسر به بقية يومى » . فكأن الله أنسانى الغناء كله إلا هذا الصوت :

يا دارُ إن كان البِلَى قد مَحاكْ ... فإنه يُعجبنى أن أراكْ

أبكى الذى قد كان لى مَألَفا ... فيكِ وآتِى الدار من أجل ذاكْ(1)

قال : فتبينت الكراهة فى وجه الواثق ، وندمت على ما فرط منى . وتجلد وشرب رطلا كان فى يده . وعدلت عن الصوت إلى غيره . فكان ذلك اليوم آخر جلوسي معه .

---

(1) غ : فآتى .

همام الفَرَزْدَق*

هو هَمّام بن غالب بن صَعْصَعة بن ناجية بن عِقال بن محمد بن سُفْيان بن مُجاشِع ابن دارِم بن مالك بن حَنْظَلة بن مالك[1] بن زَيْد مَناة بن تميم . واسم دارم بَحْر . وإنما سمى دارما ، لأن قوما أتوا أباه مالكا فى حَمالة ، فقال له : « قم - يا بحر - فائتنى بخَرِيطتى[2] » . يعنى خريطة كان له فيها مال ، فحملها وهو يَدْرِم عنها ثِقلا ، والدَّرَمان : تقارُب فى الخَطْو ، فقال : « لقد جاءكم يَدْرِم بها » . فسمى دارما .

واسم مالك أبيه عُرْف ، سمى عُرْفا لجوده[3] .

والفرزدق لقب غَلَب عليه، وتفسيره الرغيف الضخم الذى يُجفِّفه النساء للفَتوت. وقيل : بل هو القطعة من العجين الذى يُعمل رغيفاً . شُبِّه وجهه بذلك ، لأنه كان غليظا جَهْما .

وأم غالب ليلى بنت حابِس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع .

وأم الفرزدق لِينَة بنت قُرَيظة[4] الضَّبِّيَّة .

وكان للفرزدق أخ يقال له هُمَيم ، ويلقَّب الأَخْطَل ، ليست له نباهة . فأعقب ابنا يقال له محمد ، فمات والفرزدق حى .

وكان يقال لصعصعة « مُحْيِي المَوْءودات » . وذلك أنه كان خرج باغيا ناقتين

---

* أخباره فى ب ١٩ : ٢ ، س ١٩ : ٢ ، ى ٢١ : ٢٩٩ ، ت ١ /٣/ ١١٠٦ ، وابن سلام ٢٥٠ .

(١) ابن مالك : عن هامش ص مع إلحاقها بالأصل ، ت ، وليست فى غ .

(٢) الخريطة : وعاء من أدم وغيره .

(٣) عرف : كذا فى غ . وفى ص بالغين تحريف .

(٤) غ : قرظة .

فارِقَتين[١] ـ والفارقة : التى تَفَرُق إذا ضربها المَخاض فتَندُّ على وجهها حتى تنتج ـ. قال : فرُفعت لى نار فسرت نحوها . وهممت بالنزول فجعلت النار تضىء مرة وتخبو أخرى ، حتى قلت : « اللهمّ ، لك على ـ إن بلغتنى هذه النار ـ ألا أجد أهلها يوقدونها لـكربة يقدر أحد من الناس أن يُفرِّجها إلا فرجتها عنهم » . قال : فلم أسر إلا قليلا حتى أتيتها ، فإذا حَىٌّ من بنى أَنْمار بن الهُجيم بن عمرو بن تميم ، وإذا أنا بشيخ حادِر أَشْعَر[٢] يُوقدها فى مقدم بيته ، والنساء قد اجتمعن إلى امرأة ماخِض قد حبستهن ثلاث ليال . فسلّمت ، فقال الشيخ : « من أنت ؟ » فقلت : « أنا صعصعة بن ناجية بن عقال » . فقال : « مرحبا بسيدنا . فيم أنت يا ابن أخى ؟ » فقلت : « فى بُغاء ناقتين لى فارقتين عَمِىَ علىّ أمرُهما » . فقال : « قد وجدتَهما بعد أن أحيا الله بهما أهل بيت من قومك . وقد نتجناهما ، وعطفت إحـداهما على الأخرى . وهما تانِك فى أدنى الإبل » فقلت : « فيم توقد نارك منذ الليلة » . قال : قد أوقدتها لامرأة ماخض قد حبستنا منذ ثلاث ليال » . وتـكلم النساء فقلن : « قد جاء الولد ! » فقال الشيخ : « إن كان غلاما ، فوالله ، ما أدرى ما أصنع به . وإن كانت جارية فلا أسمعنّ صوتها » . أى اقتلنها . فقلت : « يا هذا ، ذَرْها فإنها ابنتك ورزقها على الله » . فقال : « بل أقتلها » . فقلت : « أنشُدك الله » . فقال : «إنى أراك بها حَفِيًا فاشترِها منى » . فقلت : « إنى اشتريتها منك » . فقال : « ما تعطينى ؟ » فقلت : « أعطيك إحـدى ناقتىّ » . قال : « لا » . قلت : « فأزيدك الأخرى » . فنظر إلى جملى الذى تحتى فقال : « لا ، إلا أن تزيدنى جملك هذا فإنى أراه حسن اللون شابّ السن » . فقلت : « هو لك والناقتان على أن تبلغنى أهلى عليه » . قال : « قد فعلت » . فابتعتها منه بلَقُوحين وجمل ، وأخذت عليه

(١) ى : فارقين . وهى الصيغة الموجودة فى كتب اللغة التى لم تورد التأنيث .

(٢) حادر : سمين غليظ . أشعر : كثير شعر الجسم .

عهد الله وميثاقه أن يحسن بِرَّها وصِلَتها ما عاشت حتى تَبين عنه أو يدركها الموت . فلما خرجت من عنده حدَّثَتْنى نفسى أن هذه مكرُمة ماسبقنى إليها أحد من العرب . ثم قلت : « اللهم ، إن لك علىّ ألا أسمع برجل من العرب يريد أن يَئِد بنتا له إلا اشتريتها بلقوحين وجمل » . فبعث الله ـ عز وجل ـ نبيه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أحييتُ مائة موءودة إلا أربعا ، لم يشاركنى فى ذلك أحد حتّى أنزل الله ـ عز وجل ـ تحريمه فى القرآن . وقيل : بل فدى ثلاثمائة موءودة أو أربعمائة .

وقد فخَر الفرزدق بذلك فى عدة مواضع من شعره . فمن ذلك قوله[1] :

أَبى أحدُ الغَيْثين صَعْصعة الذى ... متى تُخْلِفِ الجَوْزاءوالنجمُ يُمْطِرِ[2]

أَجارَ بناتِ الوائِدين ، ومَنْ يُجِرْ ... على الفقرِ يَعْلمْ أنـه غيرُ مُخفَر

على حين لا تحيا البنات ، وإذ همُ ... عُكوفٌ على الأَنْصاب حول المُدَوَّر

يعنى الدَّوار ، وطوافهم حول الصنم .

ووفد غالب بن صعصعة إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسلم . ووفد أبوه صعصعة قبله إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعرض عليه الإسلام فأسلم . وأخبره بفعله فى الموءودات فاستحسنه . وسأله : « هل له فى ذلك من أجر ؟ » قال : « نعم » .

وعُمِّرَ غالب بن صعصعة حتى لقى أمير المؤمنين عليا ـ عليه السلام ـ بالبصرة ، وأُدخل إليه الفرزدق ، وأظنه مات فى إمارة زياد[3] ، ومُلْك معاوية .

ومما قال الفرزدق[4] :

وجَدِّىَ الذى منع الوائِدين ... وأَحْيـا الوَئيدَ فلم يُوأَدِ[5]

---

(١) ديوان الفرزدق ٤٧٧ ، ونقائض جرير والفرزدق ٩٥٠ .

(٢) غ : والدلو يمطر .

(٣) ولى زياد بن أبيه البصرة من ٤٥ ـ ٥٣ وأضيفت الكوفة إليه من ٥٠ ـ ٥٣ هـ .

(٤) ديوانه ٢٠٣ ، والنقائض ٧٨٩ .

(٥) الديوان والنقائض : ومنا الذى .

وقيل : إنه قال للنبي — صلى الله عليه وسلم — : « أَوْصِنِى ! » قال : « أوصيك بأمك وأبيك ، وأختك وأخيك ، وأدانيك أدانيك[1] » . قال : « زِدْنى ! » قال: « احفظ ما بين لَحْيَيك وما بين رجليك » . ثم قال له النبي — صلى الله عليه وسلم — : « ما شيء بلغنى عنك فعلتَه ؟ » قال : « يا رسول الله ، رأيت الناس يموجون فى غير وجه ، ولم أدر أين الوجه؟ غير أنى علمت أنهم ليسوا عليه ، ورأيتهم يَئِدون بناتهم ، وعلمت أن ربهم لم يأمرهم بذلك . فلم أتركهم يئدون ، وفديت من قدرت عليه .

وقال للنبي — صلى الله عليه وسلم — : « إنى حملت حَمالات[2] فى الجاهلية فجاء الإسلام وعلىّ منها ألف بعير ، فأديت من ذلك سبعمائة » ، فقال : « إن الإسلام أمر بالوفاء ، ونهى عن الغدر » . فقال : « حسبى ! حسبى ! » ووفى بها . ويقال : إنه قال هذا القول لعمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، وقد وفد عليه فى خلافته .

وكان صعصعة شاعرا . وهو القائل :

إذا المرء عادَى من يَودُّك صَدْرُه ... وكان لمن عاداك خِدْنا مُصافِيا

فــلا تسألَنْ عما لديــه فإنّه ... هو الداء لا يُخفِى بذلك خافيا

قال عوانة : تراهَن ثلاثة نفر من كَلْب على أن يختاروا من تميم وبكر نفرا يسألونهم ، فأيهم أعطَى ولم يسألهم عن نسبهم ومن هم، فهو أفضلهم . فاختار كل واحد منهم رجلا ، والذين اختيروا : عُمَيْر بن السُّليل بن قيس بن مسعود الشيبانى[3] ، وطَلَبة بن قيس بن عاصم المِنْقَرى ، وغالب بن صعصعة المجاشعى أبو الفرزدق . فأتوا

---

(١) ب ، س : وإمائك . ى : وإمائك وأدانيك .

(٢) الحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٣) كذا فى ى . وفى ب ، س : عمير بن السليك . وفى س : عمير بن السليك بن مسعود بن قيس الشيبانى . وانظر النقائض ٨٠٦ .

ابن السليل فسألوه مائة ناقة . فقال : « من أنتم ؟ » فانصرفوا عنه . ثم أتوا طلبة ابن قيس فسألهم عن نسبتهم . فأتوا غالبا فسألوه . فأعطاهم مائة ناقة وراعيها ولم يسألهم : من هم . فساروا ليلة ثم ردوها . وأخذ صاحب غالب الرهن . وفى ذلك يقول الفرزدق[1] :

وإذ ناحَبَتْ كلبٌ على الناس : أيُّهم ... أحقُّ بتاج الماجد المتكرِّم ؟[2]

على نفرٍ هم من نزارٍ ذوى العلا ... وأهلِ الجراثيمِ التى لم تهدَّم[3]

فلم يجْزِ عن أحسابهم غيرُ غالب ... جرى بعِنانَىْ كلِّ أبيضَ خِضْرِم[4]

أجدبت بلاد بنى تميم ، وأصابت بنى حنظلة سَنَة[5] ، فى خلافة عثمان رضى الله عنه . فبلغهم خصب عن بلاد كَلْب بن وَبَرَة . فانتجعها بنو حنظلة فنزلوا أقصى الوادى . وتسرّع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بنى مالك بن حنظلة . ولم يكن مع بنى يربوع من بنى مالك غير غالب . فنحر ناقة فأطعمهم إياها فلما وردت إبل سُحيم بن وَثيل الرِّياحى ، حبس منها ناقة فنحرها من غد . فقيل لغالب :« إنما نحر سحيم مواءمة لك » : أى مساواة . فضحك غالب وقال : « كلا ، ولكنه امرؤ كريم ، وسوف أنظر فى ذلك » . فلما وردت إبل غالب ، حبس منها ناقتين فنحرهما وأطعمهما . فلما وردت إبل سحيم ، نحر ناقتين فأطعمهما . فقال غالب : « الآن علمت أنه يُوائمنى » . فعقر غالب عشرا ، فأطعمها بنى يربوع وغيرهم ، فعقر سحيم عشرا . فلما بلغ غالبا فعله ضحك . وكانت إبله ترد لِخِمْس ، فلما وردت عقرها كلها

---

(١) ديوانه ٧٥٩ .

(٢) الديوان : وإذا نحبت . وناحبت : راهنت .

(٣) الديوان : نزار ذؤابة . والجراثيم : الأصول .

(٤) الديوان : فلم يجل : والخضرم : الكثير العطاء .

(٥) السنة : القحط .

عن آخرها . فالمُكثِر يقول : « كانت أربعمائة ، والمقلِّل يقول : كانت مائة . فأمسك سحيم حينئذ .

ثم إنه عقر بعد ذلك ، فى خلافة على بن أبى طالب — رضى الله عنه — بكُناسة الكوفة ، مائتى بعير وناقة . فخرج الناس بالزُّبُل[1] والأطباق والحبال لأخذ اللحم . فقال على — رضى الله عنه — : « أيها الناس ، لا يحل لكم ، إنما أُهِلَّ بها لغير الله — جل وعز » . وكان الفرزدق يومئذ مع أبيه غلام . وجعل غالب يقول : « يابنى ، اردد علىّ » . والفرزدق يردّها عليه ويقول : « يا أبه ، اعقِر ! » .

فلم يُغْنِ عن سحيم فعلُه ، ولم يُجمَل كغالب إذ لم يُطِق فعله .

وجاء غالب أبو الفرزدق إلى علىّ — عليه السلام — بالفرزدق بعد وقعة الجمل بالبصرة ، فقال : « إن ابنى هذا من أشعر مضر — أو قال : شاعرهم ، فاسمع منه » . فقال : « عَلِّمه القرآن » . وكان ذلك فى نفس الفرزدق ، فقيّد نفسه فى وقت ، وآلَى ألا يحل قيده حتى يحفظ القرآن .

وكان الفرزدق وجرير والأخطل أشعر طبقات الإسلاميين ، ولهم التقدم فى الطبقة الأولى منهم ، وقد صح أن الفرزدق كان شاعراً موصوفاً أربعا وسبعين سنة ، وندعُ ما قبل ذلك ، لأنه جاء به بعد الجَمَل على سبيل الاستظهار سنة ست وثلاثين ، وتوفى الفرزدق سنة عشر ومائة فى أول خلافة هشام هو وجرير والحسن البصرى وابن سيرين فى ستة أشهر .

ومات غالب أبو الفرزدق فى أول أيام معاوية ، ودُفن بكاظِمة . وقال الفرزدق يرثيه[2] :

لقد ضَمَّت الأكفانُ من آل دارمٍ فتًى فائضَ الكفَّين مَحْضَ الضَّرائبِ

---

(١) الزبل : جمع زبيل ، وهو القفة أو الجراب أو الوعاء .

(٢) ديوانه ٤٢ .

قيل للمفضَّل الضَّبي : « أيُّما أشعر : الفرزدق أم جرير ؟ » قال : « الفرزدق » . قيل : « لم ؟ » . قال : « لأنه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين ومدح قبيلتين ، وأحسن فى ذلك ، وهو[١] :

عجبتُ لِعِجْلٍ إذ تُهاجى عَبيدَها   كما آلُ يَرْبوعٍ هجَـوا آل دارمِ

فقيل له : « وقد قال جرير[٢] :

إن الفـرزدقَ والبَعيثَ وأمَّــه   وأبا البعيث ، لشَرُّ ما إسْتارِ[٣]

قال : « وأى شىء أهون مما يقول الإنسان : فلان وفلان وفلان والناس جميعا ، كلهم بنو الفاعلة » .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : « كان الشعراء فى الجاهلية فى قيس ، وليس فى الإسـلام مثل حظ تميم فى الشعر . وأشعر تميم جرير والفرزدق والأخطل[٤] . وما ذُكِر[٥] جرير والفرزدق فى مجلس قطُّ ، فاتفق أهل المجلس على أحدهما . وكان يونس ابن حبيب فرزدقياً » .

قال أبو عثمان المـازنى : مر الفرزدق بالرَّمّاح بن مَيّادة ، والنـاس حوله ، وهو ينشد :

لَوَ انَّ جميع الناس كانوا برَبْوة   وجئتُ بجَدَّى ظالمٍ وابنِ ظالمِ
لَظَلَّت رقاب الناس خاضعةً لنـا   سُجودًا على أقدامنا بالجماجم

---

(١) ديوانه ٨٤٨ .
(٢) ديوانه ٣١٧ . النقائض ٣٣٤ .
(٣) إستار : كلمة فارسية معربة ، بمعنى أربعة .
(٤) الأخطل من بنى تغلب لا من بنى تميم .
(٥) العبارة الآتية من قول يونس بن حبيب ، كما يصرح الأغانى .

فقال له الفرزدق : « يا بن الفارسية ، لتدعنه لى أو لأنبشنّ أمك من قبرها » .
فقال له ابن ميادة : « خذه ، لا بارك الله لك فيه » . فقال الفرزدق[١] :

لو أن جميع الناس كانوا بربوة ... وجئت بجدى دارم وابن دارم

وأتبعه البيت الثانى .

قال حماد الراوية : أنشدنى الفرزدق يومًا شعرًا له ثم قال : « أتيت الكلب[٢] ؟ » يعنى جريرًا . قلت : « نعم » . قال : « أنا أشعر أو هو ؟ » فقلت : « أنت فى بعض ، وهو فى بعض » . فقال : « لم تُناصِحْنى » . فقلت : « هو أشعر منك إذا رُوخى من خناقة ، وأنت أشعر منه إذا خِفْتَ أو رَجَوْت » . فقال : «قضيت لى ، والله ، عليه ، وهل الشعر إلا فى الخير والشر ؟ » .

روى أبو الزناد عن أبيه قال : قال لى جرير : « يا أبا عبد الرحمن ، أيُّما أشعر : أنا أو هذا ؟ » يعنى الفرزدق . وناشدنى لأُخبرنَّه . فقلت : « لا ، والله ، ما يشاركك ولا يتعلق بك فى النسيب » . فقال : « أوَّه ! قضيت ، والله ، له علىّ . وأنا أخبرك : مادهانى إلا أننى هاجيت كذا وكذا شاعراً (وسمى عددًا كثيرًا) وأنه تفرغ لى وحدى[٣] » .

قال خالد بن كلثوم الكلبىّ : مررت بالفرزدق وقد كنت رويت[٤] شيئاً من شعره وشعر جرير وبلغه ذلك . فاستجْلَسنى فجلست بإزائه ، وعُذت بالله من شره . فحدثته حديثَ أبيه ، وذكرته بما يعجبه . ثم قلت : « إنى لأذكر يوم لَقّبك بالفرزدق » ، فقال : « وأى يوم ؟ » فقلت : « مررت به وأنت صبى ، فقال له بعض من كان يجالسه : كأن ابنك هذا الفرزدق دهقان الحيرة فى أبهته ونباهته ، فسماك

---

(١) لم أجده فى ديوانه ولا النقائض .
(٢) ب ، س : الكلبى . ى : الكليبى .
(٣) ب ، س : وأنه تفرد لى وحده .
(٤) غ : دونت .

بذلك » . وأعجبه هذا القول مني وجعل يستعيده . ثم قال : « أنشِدني بعض شعر ابن المَراغة » . فجعلت أنشده حتى انتهيت . ثم قال لي : « فأنشِدْ نقائضَها التي أجبتُه بها » . فقلت : « ما أحفظها » . فقال : « يا خالد ، أتحفظ ماقاله فيّ ولا تحفظ نقائضها ، والله لأهجوَنّ كلبا هجاء يتصل بأعقابها إلى يوم القيامة إن لم تقم حتى تكتب نقائضها وتحفظها وتنشدنيها » . فقلت : « أفعل » . ولزمته حتى حفظت نقائضها وأنشدته إياها خوفاً من شره .

كان الفرزدق يقول : « قد علم الناس أني فحل الشعراء ، وربما أتت عليّ الساعة لَقَلْع ضرس من أضراسي أهون عليّ من قول بيت شعر » .

لما تزوج الفرزدق حَدْراء بنت زِيق بن بِسْطام بن قيس . نخاصمته النَّوارُ وأخذت بلحيته ، فخادشها وخرج وهو يقول[1] :

قامت إليّ نوارُ تنتِف لِحْيَتي تنتافَ جعدةَ لحية الخَشْخاش[2]

كلتاهما أسدٌ إذا ما أُغضِبت وإذا رضِين فهنّ خيرُ مَعاش[3]

والخشخاش : رجل من عَنَزة . وجعدة : امرأته . فجاءت جعدة إلى النَّوار ، فقالت : « مايريد الفرزدق مني ؟ أما وجد لا مرأته غيري أُسْوة ؟ » .

وكان للفرزدق ثلاثة أولاد : حَبْطة وسَبْطة ولَبْطة . وكان لبطة من العَقَقة ، فقال له الفرزدق[4] :

أإنْ أرعشَتْ كفا أبيك وأصبحَتْ يداكَ يدَىْ لَيْثٍ فإنك جاذِبُه[5]

---

(١) ديوانه ٤٨٦ .

(٢) الديوان : بكرت عليّ . . نتف الجعيدة . غ : قامت نوار إلى .

(٣) الديوان : إذا حربتها . . ورضاها وأبيك خير معاش .

(٤) ديوانه ١٢٤ .

(٥) ى : جادبه ، أي عائبه .

إذا غالبَ ابنٌ بالشَّبابِ أباً له كبيرا ، فإن الله لا شك غالِبُه(١)

وكان له بنات خمس أو ست . وكان للفرزدق ابنة يقال لها مَكِّية . فغاب الفرزدق فكتبت النَّوار تشكو إليه بنته . وكتب إليه أهله يشكون إليه سوء خلقها و تَبَذِّيها عليهم . فكتب إليهم(٢) :

كتبتُم إلينا أنها ظلمتكُم كذبتُم ، وبيتِ اللهِ، بل تَظْلمونَها(٣)
فإلّا تَعُدُّوا أُمهـا من نسائكم فإن ابن ليلى والـدٌ لا يَشينها(٤)
وإنّ لها أعمامَ صدقٍ وإخوةً وشَيْخا إذا شاءت تَنَمَّر دونَها(٥)

قدم لبطة بن الفرزدق الحيرة . فمر بقوم من بنى تغلب ، فاستقْراهم فقرَوْه . ثم قالوا له : « من أنت ؟ » فقال : ابن شاعرِكم ومادحِكم الذى يقول فيكم(٦) :

أضْحَى لتَغْلِبَ من تميمٍ شاعرٌ يرمى الأعادىَ بالقَريضِ المُثْقَلِ(٧)
إذا غاب كَعْبٌ عنهم ابنُ جُعَيْلِهم وتَنمَّر الشعراء بعد الأخْطلِ(٨)
يَتباشَرون بموته ووراءه منى لهم قطعُ العَذاب المُرْسَلِ(٩)

فقالوا له : « فأنت ابن الفرزدق إذن ؟ » قال : « فأنا هو » . فتنادَوا : « ياآل تغلب ، اقضوا حق حاميكم والذائد عنكم فى ابنه ! » فجمعوا له مائة ناقة ، فانصرف بها .

---

(١) غ ، والديوان : لابد غالبه .
(٢) ديوانه : ٨٨ .
(٣) غ : كتبتم عليها . الديوان : كتبتم زعمتم .
(٤) الديوان : تعدوا أمها .
(٥) ى : صدقوأسوة . الديوان : شئتم .
(٦) ديوانه ٧٠٨ .
(٧) غ : الأثقل . الديوان :
أمسى لتغلب من تميم شاعر يرمى القبائل بالقصيد الأثقل
(٨) غ : إن غاب كعب بنى جعيل عنهم . ومثله فى الديوان مع : إذا ، فى موضع : إن .
(٩) غ ، والديوان : ووراءهم .

أتى الفرزدقُ عبدَ الله بن مسلم الباهليّ ومعه عمرو بن عِفرَى الضبّيّ[١] راوية الفرزدق ، وقد هجاه جرير[٢] فى قوله :

ونُبِّئْتُ جَـوّابا وشيكا يَسُبُّنى ... وعمرو بن عِفْرَى، لاسَلامٌ على عَمْرِو[٣]

فقال ابن عفرى للباهلي : « لا يهولنَّكَ أمره . أنا أرضيك عنه » بدون ماهمّ له به . فأعطاه ثلاثمائة درهم . فقبلها ورضي عنه . وبلغه بعد ذلك صُنْع عمرو فقال[٤] :

ستعلم ياعمرَو بن عفرى مَنِ الذى ... يـلام إذا ما الأمر غَبّت عواقِبُه[٥]

نهيتُ ابن عِفْرى أن يُعفِّر أمــه ... كعَفْر السَّلا إذ جَرّرته ثعالبــه[٦]

فلو كنتَ ضَبّيًّا صفحتُ ولو مَشتْ ... على قَدَمى حَيّاتُه وعَقــاربه[٧]

منهـا :

تضِنُّ بمال الباهـــلىِّ كأنما ... تضن على المال الذى أنت كاسِبه[٨]

فإن امرأً يَغْتابنى لم أطَأْ لـــه ... حَريمـا ولا ينهاه عنى أقاربه[٩]

---

(١) كذا فى ى ، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام ٢٧٧ عن المقصور والممدود لابن ولاد ٨٧ . وفى ب ، س : عمرو بن عفراء . وفى ص : محمد بن عمرو . وانظر الشعر الآتى .

(٢) كذا فى غ ، وطبقات فحول الشعراء ، والمقصور والممدود لابن ولاد . وفى ص : هجاه وابنه . وانظر ديوان جرير ٢٧٩ .

(٣) غ ، والديوان ، وطبقات فحول الشعراء ، والمقصور والممدود : جوابا وسكنا .

(٤) ديوانه ٥٠ .

(٥) كذا روى الشطر الثانى فى الديوان وفى غ . وفى ص : إذا ما المرء عيبت عواقبه ، تحريف وغبت : صارت إلى أواخرها .

(٦) الديوان : عفرته ثعالبه . والسلا : الجلدة التى ينزل فيها الطفل من الناس والمواشى من بطن أمه .

(٧) غ ، والديوان ، والطبقات : ولو سرت .

(٨) الديوان : تشمر مال الباهلى . الطبقات : تفوقت مال الباهلى. الديوان والطبقات : تهر على المال .

(٩) غ: وإن، غ، والديوان: يغتابنى. الديوان: نهاه. ى : تنهاه عنى تجاربه ويعتابنى : يعيبنى.

كمُخْتطِبٍ يوما أَساوِدَ هَضْبةٍ أتاه بها فى ظُلمة الليـل حاطِبه(١)

فأتاه عمرو بن عفرى فى نادى قومه ، وقال له : « اجْهَد جَهْدكَ ! هل هو إلا هذا ؟ واللهِ ، لا أَدَع لك مَساءة إلا أتيتُها ، ولا تأمرنى بشىء إلا اجتنبته ، ولا تنهانى عن شىء إلا ركبتُه » . فقال الفرزدق : « اشهدوا أنى آمُره أن يَبَرّ أباه ، وأنهاه أن يَنيكَ أمه » . فضحك القوم، وخجل ابن عفرى .

قال أبو بكر(٢) : كنا جلوسا عند الحسن ، إذ جاءه الفرزدق فتخطّى حتى جلس إلى جنبه . فجاء رجل فقال : « يا أبا سعيد ، الرجل يقول : لا واللهِ ، وبَلَى واللهِ ، فى كلامه ، لا يريد اليمين ؟ » فقال الفرزدق : « أو ما سمعت ما قلتُ فى ذلك ؟ فقال الحسن « وما قلتَ ؟ » قال(٣) :

ولستَ بمأخـوذٍ بلَغْوٍ تقولُه إذا لم تَعَمَّدْ عاقداتِ العَزائمِ

فلم يلبَث أنْ جاء رجل آخر ، فقال : « نـكون فى هذه المغازى ، فنُصيب المرأة لها زوج : أفيَحِلُّ غِشْيانُها وإنْ لم يطلقها زوجها ؟ » فقال الفرزدق : « أو ما سمعتَ ماقلتُ فى ذلك ؟ » فقال الحسن : « ما كلُّ ماقلت سمعوا . فما قلت ؟ » قال : قلت :

وذاتِ حَليلٍ أنـكحَتْها رماحُنا حَلالا لمن يَبْنى بهـا لم تُطلَّقِ

أتى الفرزدق الحسن فقال : « إنى قد هجوت إبليس فاسمع » . قال : « لا حاجة لنا بما تقول » . قال : « لئن لم تسمع لأخرجن فأقول للناس : إن الحسن ينهى عن هجاء إبليس » قال : « اسكت فإنك بلسانه تنطق » .

قال على بن زيد : ما سمعت الحسن متمثّلا بشعر قط إلا بهذا البيت :

---

(١) الأساود : جمع أسود ، وهو الحية العظيمة .

(٢) الهذلى المدنى . وانظر طبقات فحول الشعراء ٢٨٣ .

(٣) ديوانه ٨٥١ .

(٤) غ والطبقات : أنـكحتنا ب ، س ، والطبقات : حلال .

الموتُ بابٌ ، وكلُّ الناس داخِلُه ياليتَ شِعْرِىَ: هذا الباب ، ما الدارُ؟[١]

قال : وقال لى يوما : « ما تقول فى قول الشاعر :

لولا جريرٌ هلكتْ بَجيلَهْ نِعْمَ الفَتَى وبِئْسَتِ القَبيلَهْ

أهجاه أم مدحه ؟ » قلت : « مدحه وهجا قومه » . قال : « ما مُدح من هُجِى قومه » .

وقال رجل لابن سيرين وهو مستقبِل القبلة يريد أن يكبِّر : « أتوضَّأُ من الشعر ؟ » فانصرف إليه بوجهه وقال[٢] :

ألا أصبحتْ عِرْسُ الفرزدقِ ناشِزا ولو رضِيتْ رمحَ استِه لاستقرَّتِ

ثم كبّر .

قال ابن سلام[٣] : كان الفرزدق أكثر بيتا مُقلَّدا . والمقلد البيت الذى يُضرَب به المثل . فمن ذلك قوله[٤] :

فَوا عَجبا حتى كُليبٌ تَسبُّنى كأنّ أباها نَهْشَلٌ أو مُجاشعُ[٥]

وقوله[٦] :

تُرَجِّى رُبيعٌ أن تجىء صِغارها بخيرٍ ، وقد أعْيا ربيعا كبارُها[٧]

(١) غ : فليت شعرى بعد الباب ما الدار .
(٢) ديوان جرير ٨٨ .
(٣) طبقات فحول الشعراء ٣٠٥ .
(٤) ديوانه ٥١٨ . النقائض ٦٩٩ .
(٥) غ . والطبقات : فياعجبا . الديوان : فياعجبى .
(٦) ديوانه ٣٣٨ . النقائض ١٢٤ .
(٧) الديوان والنقائض : أترجو . الديوان والطبقات : يجىء .

وقوله[١] :

قَوارِصُ تـأتيني وتَحتقِرونها وقد يَمـــلأُ القَطْرُ الإناءَ فيَفْعَم[٢]

وقوله[٣] :

أحْلامنا تَزِن الجبـــالَ رَزانةً ويزيد جاهِلُنا على الجُهّال[٤]

وقوله[٥] :

وإنّك إنْ تسعى لتُدْرِكَ دارِما لأنتَ المُعَنَّى ياجريرُ المُكلَّف[٦]

وقوله[٧] :

فإنْ تَنْجُ مِنْها تنج من ذى عظيمةٍ وإلا فإنى لا إخالُك ناجيـــا[٨]

وقوله[٩] :

والشيبُ ينهَض فى الشباب كأنـه ليـــلٌ يسير بجانبيه نَهـار[١٠]

---

(١) ديوانه ٧٥٦ . كامل المبرد (طبع الحلبى) ٢٨ . أمالى المرتضى ١ : ٣٠٥ .

(٢) الطبقات والـكامل : ويحتقرونها . الديوان والأمالى : فيحتقرونها . الديوان : القطر الأتى . والقوارص : جمع قارصة ، وهى الـكلمة المؤذية ، فعم الإناء يفعمه : ملأه وبالغ فى ملئه .

(٣) ديوانه ٧٣٠ .

(٤) كذا روى البيت فى ص ، ى . والشطر الثانى فى ب ، س ، والطبقات : وتخالنا جنا إذا مانجهل . وهمابيتانمن قصيدتين مختلفتين فى ديوانه ، أولهما هو (٧١٧) :

أحلامنا تزن الجبـال رزانة وتخالنا جنـا إذا ما نجهـل

وثانيهما هو (٧٣٠) :

إنا لتوزن بالجبال حلومنا ويزيد جاهلنا على الجهال

(٥) ديوانه ٥٦٧ ، والنقائض ٥٧٢ .

(٦) الديوان والنقائض : فإنك . وهما والطبقات و ى : إذ تسعى . والبيت غير موجود فى ب ، س . والمعنى : المتعب .

(٧) البيت غير موجود فى ديوانه . وقطع محمود محمد شاكر عن معارف ابن قتيبة ٢٧٦ ، وبيان الجاحظ ٣٦٧ ، بنسبته إلى الأسود بن سريع التميمى (طبقات فحول الشعراء ١٥١) .

(٨) غ : فإن تنج منى . وذو عظيمة : أراد أمرا ذا داهية عظيمة .

(٩) ديوانه ٤٦٧ . ووضعه غ خطأ فى الأبيات المتداخلة المعقدة .

(١٠) غ والديوان : فى السواد . وهماوالطبقات: يصيح بجانبيه ، وهى الرواية المشهورة .

وقوله[١] :

ترى كلَّ مظلومٍ إلينا فِرارُه ويهرب منا جاهـدا كلُّ ظالمِ[٢]

وقوله[٣] :

ترى الناسَ ماسِرْنا يسيرون خلفَنا وإنْ نحن أومَأْنا إلى الناس وَقَّفوا[٤]

وقوله[٥] :

فسيفُ بنى عَبْسٍ وقد ضربوا به نبا بيَدَىْ وَرْقاء عن رأس خالدِ[٦]

كذاكَ سيوفُ الهندِ تَنْبُو ظُباتُها وتقطعُ أحيـانا مَنـاط القَلائد[٧]

وكان يُداخل الـكلام[٨] . وذلك يُعجب أصحاب النحو. فمن ذلك قوله يمدح هشام ابن إسماعيل المخزومى[٩] خال هشام بن عبد الملك[١٠]:

---

(١) ديوانه ٨٥٧ ، النقائض ٣٨٢ .

(٢) الديوان والنقائض والطبقات و غ : ويهرب منا جهده .

(٣) ديوانه ٥٦٧ ، النقائض ٥٧٢

(٤) الديوان : إلى النار .

(٥) ديوانه ٦ ١٨ ، ٢١٢ . النقائض ٣٨٤ .

(٦) الطبقات : وسيف. وورقاء : ابن زهير بن جذيمة العبسى . خالد: ابن جعفر بن كلاب وضربه ورقاء ضربات بسيفه فلم يغن شيئا .

(٧) غ والديوان والنقائض والطبقات : ويقطعن . الديوان : نياط القلائد . الظبات : جمع ظبة . وهى حد السيف .

والمناط : الموضع الذى تناط فيه ، أى تعلق . والقلائد : جمع قلادة ، وهى حلى يعلق فى العنق ولم يرد الفرزدق أن عادة سيوف الهند أن تنبو ولـكنها تقطع الأعناق أحيانا ، فهذا فاسد . بل أراد أنها تنبو أحيانا ، وعادتها أن تقطع الرقاب (طبقات فحول الشعراء ٣٠٨) .

(٨) كذا فى غ . وفى س : أصحاب الـكلام ، خطأ .

(٩) كذا فى س ، غ ، وهو خطأ . والصواب ما قاله المبرد : الـكامل ١ : ٢٨ من أنه يمدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى .

(١٠) ديوانه ١٠٨ ، كامل المبرد ١ : ٢٨ .

وأصبح ما فى الناسِ إلا مُملَّكا   أبو أُمِّــــه حَىٌّ أبوه يُقارِبُه[١]

وقوله[٢] :

تعـالَ فإنْ عاهـدْتَنى لا تخونُنى   نـكُنْ مثلَ من ـيا ذئبُ ـيصطحبانِ

مر الفرزدق بمجلس بنى حَرام فألفى عَنْبَسة مولى عثمان : فقال . « يا أبا فراس ، متى تذهب إلى الآخرة ؟ » قال : « وما حاجتك إلى ذلك : يا بن أخى ؟ »[٣] قال : « أكتب معك إلى أبى » . قال : « لاأذهب حيث أبوك، أبوك فى النار ، فاكتب إليه مع رِيالَوَيْه وأصْطَفانُوس » .

قال سَلَمة بن عَيّاش[٤] : حُبست فى السجن ، فإذا فيه الفرزدق قد حبسه مالك ابن المُنْذر بن الجارُود . فكان يريدأن يقول البيت ، فيقول صدره وأسبِقُه إلى القافية، ويجيء القافيه فأسبقه إلى الصدر .فقال لى : « ممن أنت؟ » . قلت : « من قريش». قال : « كل أَيْر حمار من قريش ، من أيِّهم أنت ؟ » قلت : « من بنى عامر ابن لُؤَىّ » . قال : لئام أذلّة ، جاورْتَهم ، فكانوا شرّ جوار . » . قلت ألَا أخبِرُك بأذلّ منهم وألأم ؟ » قال : « مَنْ ؟ » قلت : « بنو مُجاشِع » . قال : « ولم ، ويلك؟ » قلت : « أنت سيدهم وابن سيدِهم وشاعرُهم ، جاءك شُرْطِىٌّ لمالك بن المنذر. فأخذك وأدخلك السجن ، فلم يمنعوك » . قال : « قاتَلَكَ الله » .

كتب يزيد بن المُهلَّب[٥] إلى أخيه مُدْرِكة أو مروان : « احمل إلىّ الفرزدق ،

(١) الكامل : وما مثله فى الناس . والديوان : وما مثله فى الناس إلاملك . ومعناه كما شرحه المبرد : « وما مثله فى الناس حى يقاربه إلا مملك ، أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح ، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد ، وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير » .

(٢) ديوانه ٨٧٠ . أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣١١ .

(٣) غ : يا بن أخى .

(٤) طبقات فحول الشعراء ٢٨٧ .

(٥) طبقات فحول الشعراء ٢٨٦ .

فإذا شَخَص فأَعْطِ أهله عشرة آلاف [درهم] : فقال له الفرزدق : « ادفعها إلىّ » قال : « اشخَص وأدفعها إلى أهلك » . فأبى وخرج وهو يقول(١) :

دَعـانى إلى جُرْجـانَ والرّىُّ دونَه لآتيَـه إنّى إذن لَزَءورُ(٢)

لآتىَ من آلِ المهلبِ ثائرا بأعراضِهم والدائراتُ تدورُ(٣)

سآبَى وتأبَى لى تميم وربما أَبَيْتُ فلم يقدِرْ علىَّ أمير

كان مَسْلَمة بن عبد الملك على العراق بعد قتل يزيد بن المهلب(٤) . فلبث بها غيرَ كثير ، ثم عزله يزيد بن عبد الملك . واستعمل عمر بن هُبَيرة على العراق ، فأساء عزل مسلمة . فقال الفرزدق(٥) :

وَلَّتْ بمسلمة الرِّكابُ مُودَّعا فَارْعَىْ فَزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَـعُ(٦)

فسَد الزمانُ وبُدِّلت أَعْلامُه حتى أُمَيَّةُ عن فزارةَ تَنْزِعُ(٧)

ولقد علمتُ إذا فزارةُ أُمِّرتْ أنْ سوْفَ تطمعُ فى الإمارة أَشْجَعُ(٨)

---

(١) ديوانه ٢٤٣ .

(٢) الديوان: أبو خالد إنى إذن لزءور . وجرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان. والرى : مدينة أخرى هناك . وزءور : مبالغة زائر ، من زئير الأسد .

(٣) الديوان : ثائرا بأعراضها . الطبقات : ذائرا بأعراضهم .

(٤) طبقات فحول الشعراء ٢٨٧ . وولى مسلمة من ١٠٢ — ١٠٣ هـ .

(٥) ديوانه ٥٠٨ . كامل المبرد ٤٤٣ ، ٨٠٧ . الطبرى ٢ : ١٤٣٣ . وولى عمر بن هبيرة من ١٠٣ — ١٠٥ هـ .

(٦) الديوان : ومضت لمسلمة . والكامل والطبرى : راحت بمسلمة البغال عشية . وهناك مخففة من هنأك ، أى كان هنيئا .

(٧) الشطر الأول فى الديوان : إن القيامة قد دنت أشراطها ، وفى الكامل : فأرى الأمور تنكرت أعلامها . والأعلام جمع علم، وهو المنار يوضع على الطريق ليستدل به . ونزع عن القوس : رمى، يقول : تبدلت الدنيا حتى صار بنو أمية يحتمون ببنى فزارة ويصدرون عن رأيهم .

(٨) الديوان والطبرى : لئن نزارة . الكامل : يطمع .

ولَخَلْقُ رَبِّك ماهُمُ ولَمِثْلَهُمْ   فى مثلِ ما نالت فزارةُ يَطمع(١)
عُزِل ابنُ بِشْرٍ وابنُ عَمْرٍو قبْلَه   وأخو هَراةَ لِمِثْلِها يتوقَّعُ(٢)

ابن بشر : هو عبد الملك بن بشر بن مروان ، كان على البصرة ، أمّره عليها مسلمة . وابن عمرو : هو سعيد بن حُذَيفة بن عمرو بن الوليد بن عُقْبة بن أبى مُعَيط. وأخو هراة : هو عبد العزيز بن الحَكَم بن أبى العاص .

لما قدم خالد بن عبد العزيز القَسْرى واليا على ابن هُبيرة ، حبسه . فنُقب له سَرَب ، فخرج منه ، فهرب إلى الشام . وقال الفرزدق يذكر خروجه(٣) :

لما رأيتَ الأرض قد سُدَّ ظهرُها   ولم ترَ إلا بَطْنَها لك مَخْرَجا
دعوتَ الذى ناداه يونسُ بعد ما   ثَوَى فى ثَلاثٍ مُظلماتٍ ففَرَّجا(٤)
فأصبحتَ تحتَ الأرضِ قد سِرْتَ ليلةً   وما سارَ سارٍ مثلَها حين أَدْلَجا(٥)

قيل لابن هبيرة : « من سيد العراق ؟ » قال : « الفرزدق ، هجانى ملكا ومدحنى سُوقة » .

---

(١) غ : ولخلق مثلك . الطبرى : من خلق . ب ، س : مطمع . يقول : إنما أشجع — على هوانها — شىء مما خلق الله ، فإذا نالت فزارة ما نالت ، فغير عجيب أن تطمع أشجع فى أن تنال مثل ما نال هؤلاء الأخساء (الطبقات) .

(٢) الديوان والطبقات : نزع ابن بشر . والكامل مرة : عزل ابن عمرو وابن بشر قبله والطبقات : متوقع . وناب عبد الملك بن بشر عن مسلمة بن عبد الملك من ١٠٢ — ١٠٣ هـ . أما سعيد بن حذيفة وعبد العزيز بن الحكم فلم يذكرا بين الولاة ، وذهب الطبرى إلى أنه عنى محمدا ذا الشامة بن عمرو بن الوليد نائب مسلمة ، وذهب ابن سلام إلى أنه عنى سعيد بن عمرو بن عقبة ابن أبى معيط ، وسعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبى العاص نائب مسلمة أيضا .

(٣) ديوانه ١٤١ . طبقات فحول الشعراء ٢٩١ ، كامل المبرد ٨١٣ .

(٤) ثوى : أقام . والظلمات الثلاث : ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ، وظلمة الليل . يشير إلى قصة سيدنا يونس عليه السلام .

(٥) الكامل : سرت سيرة . والسارى : السائر ليلا . وأدلج : سار فى أول الليل .

وقال الفرزدق لخالد القَسْرى حين قدم أميرا لهشام(١) :

أَلَا قطع الرحمنُ ظهرَ مَطِيَّةٍ ... أتتْنا تَخَطَّى من دمشقَ بخالدِ(٢)

وكيف يؤُمُّ المسلمين وأُمُّه ... تَدِين بأن اللهَ ليس بواحدِ(٣)

بَنَى بِيعةً فيها الصليب لأُمِّه ... وهَدَّم من كفرٍ مَنارَ المساجدِ(٤)

وقال فيه(٥) :

لَعَمْرِى لئِنْ كانت بَجِيلةُ زانَها ... جريرٌ ، لقد أخزى بجيلةَ خالدُ(٦)

لقى الفرزدق جارية لبنى نَهْشَل ، فجعل ينظر إليها نظرا شديدا . فقالت له : « ما لك تنظر ؟ والله لو كان لى ألف حِرٍ لما طمعتَ فى واحد منها » . فقال : « ولم يا لخناء ؟ » قالت : « لأنك قبيح المنظر سيِّء المَخْبر فيما أرى » . فقال : والله ، لو جربتِنى لعفَّى خُبْرى على منظرى » . ثم كشف لها عن مثل ذراع البَكْر . فكشفت له عن مثل سَنام النّاب(٧) . فعالجها . فقالت : «أنكاح بنَسيئة ! هذا شرّ القضية » . قال : « ويحك ! ما معى إلا جُبَّتى ، أفتَسْلُبِينى إياها ؟ » ثم تسَنَّمها . وقال فى ذلك يرتجز(٨) :

أوْلجتُ فيها كذِراع البَكْرِ ... مُدَمْلَكَ الرأسِ شديدَ الأَسْرِ(٩)

---

(١) ديوانه ١٨٩ . طبقات فحول الشعراء ٢٩٢ . كامل المبرد ٨١٢ :

(٢) الكامل : أتتنا تهادى . ب ، س : أتتنا تعطى .

(٣) الكامل والطبقات : وكيف يؤم الناس من كانت امه .

(٤) الديوان : ويهدم . الكامل : بنى بيعة فيها النصارى لأمه .

(٥) طبقات فحول الشعراء ٢٩٣ .

(٦) جرير : بن عبدالله الصحابى .

(٧) الناب : الناقة المسنة .

(٨) ديوانه ٣٠٨ ، النقائض ١٠٤٣ .

(٩) البكر : ولد الناقة أو الفتى من الإبل . ومدملك : مفتول ممصوب . والأسر: الخلق

زاد على شبر ونصفِ شـبر كأننى أولجتُه فى جَمْرِ
يُطير عنه نَفَيانَ الشَّعْرِ نَفْىَ شُعورِ الناسِ يومَ النَّحرِ(١)

فحملت منه ثم ماتت بجُمْع(٢) . فبكاها وبكى ولده منها ، فقال(٣) :

وغِمْدِ سلاحٍ قد رُزِئْتُ فلم أَنُحْ عليـه ولم أَبْعَثْ عليـه البواكيـا
وفى جُوْفِهِ من دارمٍ ذو حَفيظةٍ لو أنَّ المنايا أَنْسَأْنَه لياليا(٤)
ولـكنَّ ريبَ الدَّهرِ يعثُرُ بالفتى ولا يستطيع ردَّ ما كان جائيا(٥)
وكم مثلِه فى مثلها قد وضعتُه وما زلت وَثّابا أجُرُّ المخازيا(٦)

فقال جرير يعيره(٧) :

وكمْ لك يا بنَ القَـيْنِ إن جاء سائلٌ من ابنٍ قصيرِ الباعِ مِثْلُكَ حامِلُه(٨)
وآخرَ لم تشعُرْ به قد أضعتَه وأوردْتَه رَحْما كثـيرا غوائله(٩)

كان الفرزدق قد تزوج ظبية ابنة أَدْلَم(١٠) من بنى مجاشع بعد أن أَسَنَّ وكبر ، وتركها عند أمها بالبادية سنة ، ولم يكن صَداقها عنده . فـكتب إلى أبان بن الوليد

---

(١) نفيان الشعر : ما تطاير منه وأطرافه .

(٢) ماتت بجمع : ماتت حاملا .

(٣) ديوانه ٨٩٤ . النقائض ١٠٤٣ .

(٤) الديوان : لوان الليالى . وأنسأته : أخرته .

(٥) الديوان : ولـكن رأيت الدهر . ب ، س : فلم يستطع ردا لما كان جائيا . ى : ولا يستطيع رد الذى كان جائيا .

(٦) الديوان : وقد كنت وثابا أجر الدواهيا .

(٧) النقائض ١٠٤٣ . ديوان جرير ٤٨٦ .

(٨) النقائض والديوان : قد جاء سائلا .

(٩) النقائض : وأودعته رحما . ب ،س : وأوردته جما . والديوان : وأودعته رحما كثيرا حوائله .

(١٠) غ : حالم . النقائض ١٠٤٤ : ولم .

البَجَلى ، وهو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القَسْرى ، بهذه الأبيات من أبيات . فأعطاه ما سأل وأرْضاه(١) :

فلو جَمَعوا من الُخلّان ألْفـا ... وقالوا : أَعْطِنا بهمُ أبانا(٢)

لَقلتُ لهم : إذن لَغَبَنْتُمونى ... وكيف أبيع مَنْ شَرَط الضَّمانا(٣)

خليلٌ لا يرى المائةَ الصَّفايا ... ولا الخيلَ الجِيادَ ولا القِيانا(٤)

عَطاءً دونَ أضعافٍ عليهـا ... ويُطعِم ضَيْفه العُبُط السِّمانا(٥)

فما أرجو لظبيةَ غيرَ ربى ... وغيرَ ابنِ الوليدِ بما أعانا(٦)

أعان بهَجْمةٍ أرضَتْ أباها ... وكانت عنـده غَلَقا رِهانا(٧)

فلما بنى بها عجز عنها ، فقال(٨) :

يا لَهْفَ نفسى على نَعْظٍ فُجِعتُ به ... حين التقى الرَّكَبُ المحلوقُ والرَّكَبُ(٩)

---

(١) ديوانه ٨٧٦ .

(٢) الديوان : لو . غ والديوان : فقالوا .

(٣) كذا روى البيت فى الديوان . وفى س ، غ حرف إلى :

لقلت لهـم إذا ما تغبنـونى ... وكيف أبيع من شرط الزمانا

(٤) الصفايا : جمع صفى ، وهى الناقة الغزيرة .

(٥) الديوان : ويعلف قدره العبط السمانا . والعبط : كذا فى ى ، وهى جمع عبيط ، وهى الناقة السمينة الفتية ينحرها صاحبها من غير علة . وفى ب ، س : الغبط ، تحريف .

(٦) الديوان : وما . غ : وغير أبى الوليد .

(٧) الديوان : أعان بدفعة . ب ، س : ورضا أباها . الديوان: فكانت . والهجمة : من الإبل أولها أربعون إلى مازادت، أو مابين السبعين إلى المائة .

(٨) ديوانه ١٠٥ النقائض ١٠٤٤ .

(٩) الديوان : إذا التقى .

فقال جرير (١) :

وتقول ظبيـــةُ إذ رأتك مُحَوْقِلا ـ حَوْق الحمار ـ من الخبال الخابلِ (٢)
إنَّ البَلِيَّـــةَ فوق كلِّ بليـــةٍ شيـخٌ يُعلِّل نفسَـــه بالبـاطل (٣)
لو قد عَلِقْتِ من المهاجر سُلَّما لَنجوتِ منه بالقضاء الفاصلِ (٤)

فنشزتْ عليه ونافرته إلى المهاجر ، وبلغه قول جرير ، فقال : «لو أتتْنى بالملائكة معها لقضيتُ للفرزدق عليها » .

دخل الفرزدق المدينة هاربا من زياد ، وعليها سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس أميرا من قِبَل معاوية . فمَثَلَ بين يديه وهو مُعْتَمّ ، وعنده الحُطَيئة وكَعب بن جُعَيل التَّغْلَبي . فصاح به الفرزدق : « أصلح الله الأمير ! هذا مقام العائذ بك . أنا رجل من تميم ثم أحد بنى دارم . أنا الفرزدق بن غالب » . فأطرق سعيد مليا ولم يُجبه : فقال الفرزدق : « رجل (٦) لم يُصب دما حراما ولا مالا حراما » . فقال : « إن كنتَ كذلك فقد أمنت » . فأنشده (٧) :

إليك فررتُ منك ومن زيادٍ ولم أحسب دمى لكما حَلالا (٨)

(١) النقائض ١٠٤٤ ديوان جرير ٤٢١ .
(٢) حوقل الرجل : ضعف . وحوق الحمار : لقب الفرزدق . وفى ص ، ب ، س : خوف الحمار، تحريف. والشطر الأول فى الديوان: قالت هنيدة إذ رأتك مقنعا .
(٣) غ : وهى كل بلية . النقائض : وهو كل بلية . وها : يعلل عرسه . ورواية البيت فى فى الديوان :

إن الرزية لا رزية مثلها قرد يعلل نفسه بالباطل

(٤) الديوان : من المهاجر ذمة .
(٥) الخبر فى ى ، وطبقات فحول الشعراء ٢٧٠، ومعجم الأدباء ٧ : ٢٥٨ ، وليس فى ب وس . وكان ذلك فى سنة ٥٠ هـ ، كما يقول الطبرى ٢ : ٩٤ .
(٦) كذا فى ى وفى ص : من رجل ولا معنى لهاهنا .
(٧) ديوانه ٦١٧ .
(٨) ى : ضلالا .

ولكنى هجوتُ وقد هجانى ... معاشرُ قد رَضَخْتُ لهم سِجالا(١)
فإن يكن الهجاء أحلَّ قتلى ... فقد قلنا لشاعرِكم وقالا(٢)
أرِقتُ فلم أنَمْ ليلا طويلا ... أُراقب هل أرى النَّسْرَين زالا(٣)
عليك بنى أُميّة فاستَجِرْهُم ... وخُذْ منهم لما تَخشى حِبالا
فإنّ بنى أمية من قريش ... بَنَوا لبيوتِهم عَمَدا طوالا(٤)
ترى الغُرَّ الجحَاجحَ من قريش ... إذا ما الأمرُ فى الحَدَثان غالا(٥)
قِياما ينظرون إلى سعيدٍ ... كأنّهمُ يرون به الهلالا(٦)

فلما قال هذا البيت، قال الحطيئة لسعيد: « هذا والله هو الشعر لا ما كنت تُعلَّل به منذ اليوم » . فقال كعب بن جعيل . فضِّله على نفسك ولا تفضله على غيرك ». قال: « بلى والله ، إنه ليُفضِّلُنى وغيرى . يا غلام ، أدركتَ من قبلك وسبقت من بعدك . ولئن طال بك عمر لتَبرُزَنَّ » .

ثم عبث الحطيئة بالفرزدق فقال : « يا غلام ، أَنجدَت(٧) أمُّك ؟» قال : «لا بل أبى » . أراد الحطيئة : إنْ كانت أمك أنجدت فقد أصبتُها فولدَتْك إذ شابهتَنى فى الشعر . فقال الفرزدق : لا بل أبى . فوجده لَقِنا(٨) .

---

(١) الديوان : وقد هجتنى . ورضخ له : أعطاه عطاء غير كثير . والسجال : جمع سجل ، وهو الدلو العظيمة .
(٢) ى ، والديوان : لشاعرهم .
(٣) والنسران : كوكبان .
(٤) ى ، والديوان : فى قريش .
(٥) الديوان : ترى الشم . . . عالا ، والغر : جمع أغر ، وهو السيد الأبيض . والجحاج وهو السيد السمح الكريم والحدثان : ما يحدث من نوائب الدهر . وغال : أصاب بشر .
(٦) ى ، والديوان ، والطبقات : هلالا .
(٧) أنجدت : أتت نجدا .
(٨) اللقن : سريع الفهم والجواب .

وقيل : إن الفرزدق لما أنشد هذه الأبيات ، قال كعب : « هذه ، والله ، رؤياى البارحة : رأيت كأن أبا مُرّة[١] فى نواحى المدينة ، وأنا أضمُّ ذَلاذلى[٢] خوفاً منه ».

فلما خرج الفرزدق ، خرج مروان فى أثره فقال له : « لم ترضَ أن نكون قعوداً حتى جعلتنا قياماً !![٣] » فقال له : « يا أبا عبد الملك ، إنك من بينهم لَصافِن[٤] » .

فحقد مروان عليه ذلك . ولم تطل الأيام حتى عُزل سعيد وولى مروان[٥] . فلم يجد على الفرزدق متقدَّما حتى قال أبياته التى فيها[٥] :

هما دَلَّتانى من ثمانينَ قامةً ... كما انقضَّ بازٍ أقتَمُ الرأسِ كاسِرُه[٦]

فلما استوَتْ رجلاىَ فى الأرضِ قالتا : ... أحَىٌّ نُرَجِّى أم قتيلٌ نحاذِرُه[٧]

فقلت: ارفعُوا الأسبابَ لا يَشعُروا بنا ... وأقبلتُ فى أعجازِ ليلٍ أبادره[٨]

أُبادر بَوّابِين قد وُكِّلوا بنا ... وأحمرَ من ساجٍ تلوح مَسامره[٩]

فقال له مروان : « أتقول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ! اخرج من المدينة ! » فذلك قول جرير[١٠] :

---

(١) أبو مرة : كنية إبليس ، وفى ى : ابن قترة .

(٢) الذلاذل : أسافل القميص الطويل .

(٣) يشير إلى قوله فى مدح سعيد :

قياما ينظرون إلى سعيد ... كأنهم يرون به الهلالا

(٤) صفن الرجل : صف قدميه ، والفرس : قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة .

(٥) ديوانه ٣٦١ . النقائض ٣٩٨ ، ٧٦٣ ، ١٠٥١ ، وكانت ولاية مروان من ٥٦ ـ ٥٧ هـ

(٦) النقائض : أقتم اللون . غ ، والديوان ، والنقائض : أقتم الريش .

(٧) الديوان : نادتا . غ ، والديوان : يرجى .

(٨) ى والديوان : أرفعا . والديوان : ووليت .

(٩) الديوان :

أحاذر بوابين قد وكلا بها ... وأسمر من ساج تئط مسامره

(١٠) ديوانه ٥٦٠ . النقائض ٣٩٨ .

تدلَّيْتَ تَزْنِى من ثمانين قامــةً وقصَّرْتَ عن باع النَّدَى والمكارم[١]

وأزعجه مروان فى الخروج ، وهو واليها لمعاوية ، وأجَّله ثلاثا . فقال فى ذلك[٢] :

فأَخْرَجنى وأَجَّلنى ثلاثــا كما وُعِدَتْ لمَهلِكِها ثمودُ[٣]

فذكر ذلك جرير فى مناقضته وقال[٤] :

وشَبَّهْتَ نفسَــك أشقَى ثمودَ فقــالوا : ضللت ولم تهتــدِ

يعنى فى التأجيل .

قال الأصمعى : ومن عَبَثات الفرزدق أنه لقى مخنَّثا فقال له : « أين راحت عَمَّتُنا ؟ » فقال له المخنث : « نفاها الأغر ابن عبد العزيز » يريد قول جرير[٥] :

نَفاكَ الأغَرُّ ابنُ عبـد العزيز وحَقُّك تُنْفَى من المسجدِ[٦]

قال عَوانة بن الحكَم : بينا جرير واقف فى المِرْبَد وقد ركبه الناس، وعمر بن لَجَأ مُواقِفَه ، إذ أنشده عمر جواباً عن قوله[٧] :

يا تيْمُ تيمَ عَدِىٍّ ، لا أبالـكمُ لا يَقْذِفَنَّكم فى سَوْءةٍ عُمَرُ[٨]

أحِينَ صرتُ سِماما يا بنى لَجَأٍ وخاطَرتْ بىَ عن أحسابها مُضَرُ[٩]

---

(١) الديوان والنقائض : العلا والمكارم .

(٢) ديوانه ١٨٥ .

(٣) الديوان : أوعدنى فأجلنى ثلاثا . ب ، س : دعانا ثم أجلنا ثلاثا . ى: دعانى ثم أجلنى ثلاثا . النقائض : أو عدنى وأجلى ثلاثا .

(٤) النقائض ٧٩٩ . ديوان جرير ١٢٨ .

(٥) النقائض ٧٩٨ . ديوان جرير ١٢٨ .

(٦) النقائض والديوان : بحقك تنفى عن المسجد .

(٧) النقائض ٤٨٨ . طبقات فحول الشعراء ٣٦٤ . ديوان جرير ٢٨٥ .

(٨) ى : لا يلقينكم . الديوان : لا يوقعنكم .

(٩) الطبقات : كنت سماما والسمام : السموم . وخاطرت بى : دافعت بى .

فأنشده عمر جواباً عن ذلك :

لقد كذبْتَ ، وشرُّ القولِ أكْذَبُه   ما خاطرتْ بك عن أحسابها مضرُ
ألَسْتَ نَزوةَ خوّار على أمَــة   لا يَسْبِق الحَلَبات اللؤمُ والخَوَرُ(١)

وكان الفرزدق قد رَفَده بهــذين البيتين . فقال جرير لما سمعهما : « قُبْحاً يا بن لجأ ! أهذا شعرك ! كذبتَ ، والله ، ولومت ! هذا شعر العزيز(٢) » . يعني الفرزدق . فأُبْلِس عمر فارد جواباً . وخرج عيْثَم(٣) بن أبي الرَّقْراق حتى أتى الفرزدق بالخبر . فضحك وقال : « إيهٍ ، ويلك يابن أبي الرقراق ! إن عندك لخبرا » . قلت : « خزى ابن قِتْب » . وحدثتُه الحديث فضحك حتى ضرب برجليه وقال(٤) :

وما أنتَ إنْ قَرْما تميمٍ تسامَيَــا   أخا التَّيْمِ ، إلا كالوَشيظةِ فى العَظْمِ(٥)
فلو كنتَ مولى الظلمِ أو فى ثيابه   ظلمتَ ولــكنْ لا يَدَىْ لك بالظلمِ(٦)

فلما بلغ هذان البيتان جريراً ، قال : « ما أنصفنى فى شعر قط قبل هذا » . يعنى قوله : * وما أنت إن قرما تميم تساميا *

وكان الفرزدق مَهيباً تخافه الشعراء . فمر يوماً بالشَّمَرْدَل ، وهو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله :

وما بين من لم يُعْطِ سمعا وطاعــة   وبين تميمٍ غيرُ حَزِّ الغَلاصِمِ(٧)

---

(١) النقائض : بل أنت نزوة . . لن يسبق .
(٢) ى : الفريد .
(٣) غ : غنيم .
(٤) ديوانه ٨٢٥ طبقات فحول الشعراء ٣٧٠ .
(٥) ص : تساويا ، تحريف . الديوان : كالشظية . ب ، س : فى الغرم . والقرم : السيد المعظم . والوشيظة : قطعة عظم تكون زيادة فى العظم الصميم .
(٦) الديوان : ولو كنت مولى العز أو فى ظلاله . ى ، والطبقات : الظلم أو فى ظلاله . ولا يدى لك بالظلم : لا طاقة لك بإتيانه .
(٧) الغلاصم : جمع غلصمة ، وهى اللحم بين الرأس والعنق ، أو رأس الحلقوم .

فقال : « والله ، لتتركن هذا البيت أو لتتركن عِرْضك » . قال : « خذه على كُرْه منى » . فهو فى قصيدة الفرزدق التى أولها :

* تحِنُّ بزَوْراء المدينةِ ناقتى[١] *

وكان الفرزدق يقول : « خير السرقة مالا يجب فيه القطع » . يعنى سرقة الشعر.

قال الضّحاك بن بُهْلول الفُقَيمى : بينا أنا بكاظمة[٢] ، وذو الرمة ينشد قصيدته التى يقول فيها[٣] :

أحين أعاذَت بى تميمٌ نســاءها　　　وجُرِّدتُ تَجْريدَ اليمانِىِ من الغِمْدِ[٤]

ومــدَّتْ بضَبْعىَّ الرِّبابُ ومالك　　　وعمرو، وشالت من ورائى بنوسعد[٥]

ومن آل يَرْبوعٍ زُهاءٌ كأنّه　　　دُجَى الليل محمود النِّكاية والوِرْد[٦]

وكنــا إذا الجبّارُ صَعّر خَــدَّه　　　ضربناه حتى يستقيم على الكَرْدِ[٧]

إذا راكبان قد تدليّـا من نَعْف كاظمة متقنّعان ، فوقفا . فلما فرغ ذو الرمة ، حَسَر الفرزدق عن وجهه وقال : « يا عُبَيد ، اضممها إليك » . يعنى روايته ، وهو عُبيد أحد بنى ربيعة بن حَنْظلة . فقال ذو الرمة : « نَشَدتُك الله ، يا أبا فراس ،

---

(١) ديوانه ٨٥١ ، ٨٥٥ . النقائض ٣٤٣ ، ٣٧٥ . وروايته فيهما : فما بين . . . حز الحلاقم .

(٢) كاظمة : موضع على ساحل الخليج العربى فى طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان .

(٣) ديوانه ١٤٢ . وطبقات فحول الشعراء ٤٧٠ .

(٤) الديوان : تجريد الحسام .

(٥) الضبع: وسط العضد بلحمه ، ومدت بضبعى : أخذت به فأعانتنى . وشالت : دافعت . وديوان الفرزدق : الرباب ودارم.

(٦) الطبقات : زها الليل . والزهاء : القدر ، وأراد الجمع الكثيف . والطبقات وديوان الفرزدق : النكاية والرفد .

(٧) غ : ضربناه فوق الأنثيين . والكرد : العنق . وفى ديوان الفرزدق وذى الرمة :

وكنــا إذا القيسى نب عتوده　　　ضربناه فوق الأنثيين على الكرد

إنْ فعلت ! » . فقال : « دع ذا عنك » . وانتحلها فى قصيدته[١] .

قال أبو عبيدة : اجتمع الفرزدق وجرير وكُثَيِّر وابن الرِّقاع عند سليمان بن عبد الملك فقال: أنشدونى من فخركم شيئًا حسنًا » . فبَدَر الفرزدق فقال[٢] :

وما قومٌ إذا العلماء عَـدَّتْ عُروقَ الأكْرَمِين إلى التُّرابِ[٣]
بمختلفين إن فَضَّلْتُمُونا عليهم فى القديم ، ولا غِضاب[٤]
ولو رَفَع السحابُ إليه قوما عَلَوْنا فى السماء على السحاب[٥]

فقال سليمان : « لا تنطقوا . فوالله ما ترك لـكم مَقالا » .

ذكر أبو عبيدة أن رجلا من بنى عبد الله بن دارم خطب النَّوار بنت أعْيَن بن صَعْصعة[٦] بن ناجِية بن عِقال المجاشعية . فرضيته وجعلتْ أمرهـا إلى الفرزدق . فقال لها : « أَشْهِدى لى بذلك على نفسك شهودا : أنك قد رضيت بمن زوَّجتُك » . ففعلتْ . واجتمع الناس لذلك فى مسجد بنى مجاشع . فتـكلم الفرزدق ثم قال : « اشهدوا أنى قد تزوجتها وأَصْدقتُها مائة ناقة حمراء سود الحَدَق ، فإنى أنا ابن عمها

---

(١) التى هجا بها جندل بن الراعى وقومه بنى قيس ، ومطلعها :

أتوعدنى قيس ودون وعيدها ثراء تميم والعوادى من الأسد

أنظر ديوانه ٢٠٧ .

(٢) ديوانه ٣٦ . النقائض : ١٠٢٨

(٣) البيت فى النقائض :

وما أحد من الأقوام عدوا فروع الأكرمين إلى التراب

وفى الديوان :

فما أحد من الأقوام عـدوا عروق الأكرمين على انتساب

(٤) الديوان والنقائض : بمحتفظين .

(٥) فى هامش ص والنقائض : على السحاب . وفى ى : مع السحاب . وفى الديوان :

ولو رفع الإله إليه قوما لحقنا بالسماء مع السحاب

(٦) ى ، والنقائض ٨٠٣ ، وطبقات فحول الشعراء ٢٨٠ : ضبيعة . ولـكن انظر نسب الفرزدق ، والنوار بنت عمه ، ولذلك جعلت أمرها فى الزواج إليه .

وأحق الناس بها » . فبلغ ذلك النوارَ فأبتْه . واستترت من الفرزدق وجزعت ، ولجأت إلى بنى قيس بن عاصم المِنْقَرى . فقال فيهم[(١)] :

بنى عاصمٍ لا تُلْجِئوها فإنكم ... مَلاجِى ءللسَّوآتِ دُسْمُ العَمائمِ[(٢)]

بنى عاصم لو كان حَيًّا أبوكُمُ ... لَلام بنيه اليومَ قيسُ بن عاصمِ[(٣)]

فقالوا للفرزدق : « والله ، لئن زدت على البيتين لنقتلَنَّك غِيلة » .

فنافرتْه النوار إلى عبد الله بن الزبير ، وأرادت الخروج إليه . فتحامَى الناس كِراءها . ثم إن رجلا من بنى عَدىّ بن زيد مناة يقال له زُهير بن ثعلبة ، وقوما يعرفون ببنى أم النُّسَير أكْرَوها ، لأنها كانت بينها وبينهم قرابة ، وسألتهم بالرَّحِمِ التى تجمعهم . فقال فى ذلك[(٤)] :

ولولا أنْ يقول بنو عَدِىٍّ ... أليسَتْ أمَّ حَنْظلةَ النَّوارُ[(٥)]

أتتْكُم يا بنى مِلْكانَ عنى ... قَوافٍ لا تَقَسَّمها التِّجار[(٦)]

يعنى بالنوار هنا بنت جُلّ[(٧)] بن عدى بن عبد مَناة[(٨)] ، ومنهم أم حنظلة بن مالك ، وهى إحدى جداته .

---

(١) النقائض ٨٠٣ ، وليسا فى الديوان .

(٢) ب ، س : لا تجنبوها . وألجأه : عصمه .

(٣) النقائض : حيا لديكم .

(٤) النقائض ٨٠٣ . وفى الديوان بيتان مماثلان ٢٣٩ مع اختلاف حركة الروى ، وهما :

لولا أن تقول بنو عدى ... أليست أم حنظلة النوارا

إذن لأتى بنى ملكان قول ... إذا ما قيل أنجد ثم غارا

(٥) غ : ألم تك أم حنظلة النوار .

(٦) ب ، س : تقسمها البحار . النقائض :

إذن لأتى بنى ملكان منى ... قواذف لا تقسمها التجار

(٧) جل : كذا فى غ ، والنقائض ، وتاج العروس (جلل ـ دول) . وفى س : حمل تحريف .

(٨) كذا فى غ ، وهو الصواب . وفى س : زيد مناة ، خطأ . (انظر معجم القبائل العربية لعمر رضا كحالة : عبد مناة بن كنانة ، وملكان بن كنانة) وتاج العروس ٧ : ٣٢٧) .

وقال لبني أم النُّسَير[1] :

لَعَمْرِي لقد أَرْدَى النَّوارَ وساقَها — إلى الغَوْرِ أحلامٌ خِفافٌ عقولُها[2]
أطاعتْ بني أُمِّ النُّسَيْرِ فأصبحتْ — على قَتَبٍ يعلو الفَلاةَ دَليلها[3]
وقدسَخِطتْ مني نَوارُ الذي ارْتَضَى — به قبلَها الأزواجُ ، خابَ رَحيلها[4]
وإنّ امْرَأً أمسى يُخبِّبُ زوجتي — كماشٍ إلى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتَبيلها[5]
ومن دون أبوال الأسود بَسالةٌ — وبَسْطةُ أيدٍ يمنعُ الضَّيْمَ طُولها[6]
وإنّ أمير المؤمنين لَعالمٌ — بتأويلِ ما وَصَّى العِبادَ رسولُها[7]
فدُونَكَها يا بن الزُّبير فإنّها — مُوَلَّعةٌ يُوهِي الحجارةَ قِيلُها[8]

---

(١) ديوانه ٦٠٣ ، النقائض ٨٠٤ ، طبقات فحول الشعراء ٢٨١ ، كامل المبرد ٧٥٦ .

(٢) س : أودى النوار ، والذى فى كتب اللغة أن أودى تتعدى بالباء . وفى الديوان والنقائض نوار . ب ، س : إلى البو ، الديوان : قليل عقولها .

(٣) يبدو أن ابن سلام وأبا الفرج ، وابن منظور بعدهما ، جمعوا فى هـذا البيت شطرا من بيت وشطرا من آخر ، فرواية الشعر فى الديوان والنقائض :

مُعارِضَةَ الرُّكْبانِ فى شهرِ ناجِرٍ — على قَتَبٍ يعلو الفـلاةَ دليلها
أطاعت بنى أم النسير فأصبحت — على شارف ورقاء صعب ذلولها

والقتب : رحل البعير .

(٤) غ : النوار .

(٥) الديوان : فإن امرأ يسعى غ ٩ : ٣٢٦ : تخبب زوجتى و غ والديوان : كساع إلى أسد الشرى . يخبب زوجتى : يفسدها على . والشرى : موضع ببلاد العرب تكثر به الأسود . ويستبيلها : يأخذ بولها .

(٦) ب ، س : أبواب الأسود . الديوان : وصولة أيد .

(٧) الشطر الأول فى الديوان : فإن أبا بكر إمامك عالم .

(٨) الطبقات :

تأمل أمير المؤمنين فإنها — مولهة يوهى الحجارة قيلها

ومولعة : من الولع ، وهو الكذب . والقيل : القول .

فلما قدمت مكة نزلت على زوجة عبد الله بن الزبير ، وهى تُماضِر بنت مَنْظور ابن زَبّان الفَزارى واستشفعت بها إلى زوجها عبد الله. وانضم الفرزدق إلى حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وأمه بنت منظور هذه . ومدحه فقال[1] :

أصبحتُ قد نزلتْ بحمزةَ حاجتى ... إنّ المُنَوَّهَ باسمه الموثوقُ[2]

بأبى عُمارةَ خيرِ من وَطِئَ الحصى ... وجرتْ له فى الصالحين عروقُ[3]

بين الحوارىِّ الأغرِّ وهاشمٍ ... ثم الخليفةِ بعدُ والصِّدِّيقِ[4]

وقال فى نوار[5] :

هَلُمِّى لابن عمِّـك لا تكونى ... كمُختارٍ على الفرسِ الحِمارا[6]

وقال فى حمزة[7] :

ياحَمْزَ ،هل لكَ فى ذى حاجة غَرِضتْ ... أنْضاؤه بمكانٍ غير ممطورِ[8]

فأنت أحْرَى قريشٍ أن تكون لها ... وأنتَ بين أبى بكر ومنظور[9]

بين الحوارىِّ والصِّديق فى شُعَبٍ ... نَبَتْن فى طيب الإسلام والخير[10]

وجعل أولاد عبد الله بن الزبير يستنشدونه ويستحدثونه . ثم شفعوا له إلى أبيهم.

---

(١) ديوانه ٥٧٠ ، النقائض ٨٠٥ .

(٢) غ والنقائض : أمسيت .

(٣) الديوان : زخرت له فى الصالحين عروق .

(٤) غ : الأعز . وفى البيت إقواء .

(٥) ديوانه ٣٨٦ . النقائض ٨٠٥ .

(٦) الديوان والنقائض : هلم إلى ابن عمك لا تـكونى .

(٧) ديوانه ٣٠٨ .

(٨) كذا روى البيت فى ى والديوان . وفى ص ، ب ، س : عرضت أنصاره بمكان غير ممطور. وغرضت: هزلت بعد سمن، فبقى فى جسدها ثأن . والأنضاء : جمع نضو، وهو البعير المهزول

(٩) الديوان : وأنت .

(١٠) غ : ثبتن فى طنب .

فجعل يُشفِّعهم فى الظاهر ، حتى إذا صار إلى زوجته قلبته عن رأيه فمال إلى النوار .
فقال الفرزدق[١] :

أمّا بَنُوه فلم تُقبَل شَفاعتُهم وشُفِّعتْ بنت منظورِ بن زَبّانا[٢]
ليس الشفيعُ الذى يأتيك مُؤْتَزِرا مثلَ الشفيع الذى يأتيك عُريانا[٣]

فبلغ ابنَ الزبير ذلك . فلقيه على باب المسجد ، فضغط حلقه حتى كاد أن يقتله
ثم خلّاه وقال[٤] :

لقد أصبحتْ عِرْسُ الفرزدق ناشِزا ولو رضيتْ رمحَ استِه لاستَقَرّتِ[٥]

ثم دعا بالنوار وقال : « إن شئتِ ، فرقتُ بينكما وقتلتُه ، فلا يهجونا أبدا .
وإن شئتِ ، سفَّرتُه إلى بلاد العدو » . فقالت : « ما أريد واحدة منهما » . فقال :
« إنه ابن عمك وهو راغب فيك ، أفأزوِّجه إياك ؟ » قالت : « نعم » . فزوجه إياها ،
وكان الفرزدق يقول : « خرجنا متباغضين ، ورجعنا متحابين » .

وقيل : إنهما سَفَر بينهما رجال من بنى تميم كانوا بمكة . فاصطلحا على أن يرجعا
إلى البصرة ، فلا يجمعهما ظِلّ ولا كِنّ حتى يراجعا فى أمرهما ذلك بنى تميم ، ويصيرا
إلى حكمهم . فلما صار إلى البصرة ، رجعت إليه النوار بحكم عشيرتها .

وقيل : إن ابن الزبير قال للفرزدق : « جئنى بصَداقها وإلا فرّقت بينكما » .
فقال الفرزدق : « أنا فى بلاد غربة ، فكيف أصنع ؟ » فقالوا[٦] : « عليك بسَلْم

---

(١) ديوانه ٨٧٣ . النقائض ٨٠٥ . طبقات فحول الشعراء ٢٨٢ .
(٢) الطبقات : أما البنون . الديوان : فلم تنجح شفاعتهم .
(٣) الطبقات : متزرا . والمتزر والمؤتزر : لابس المئزر ، أى الثوب .
(٤) البيت لجرير . (ى ٣١٤) وينسب أيضا لجعفر بن الزبير (ى ٣١٩) . وانظر ديوان جرير ٨٨ .
(٥) الطبقات : ألا أصبحت . وفى غ : مرة والنقائض : ألا تلكم عرس الفرزدق جامحا .
(٦) كذا فى غ وهو الصواب . وفى ص : فقال .

ابن زياد فإنه محبوس فى السجن يطالبه ابن الزبير بمال » . فأتاه فقص عليه القصة . فقال : « كم صداقها ؟ » قال : « أربعة آلاف درهم » . فأمر له بها وبألفين للنفقة . فقال الفرزدق[١] :

دَعى مُغْلِقى الأبوابَ دونَ فِعالِهِم ولـكنْ تَمشّى بى هَبِلْتِ إلى سَلْمِ[٢]
إلى من يرى المعروفَ سهلًا سبيلُهُ ويفعلُ أفعالَ الرجالِ التى تنمى[٣]

وقيل : إن الفرزدق قال لعبد الله بن الزبير : « إنما حكمتَ على لأفارفها فتثب أنت عليها » . وكان ابن الزبير حديداً[٤] فقال : « وهل أنت وقومك إلا جالية العرب ! » ثم أمر به فأُقيم . وأقبل علينا ثم قال : « إن بنى تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوه . فأجمعت العرب عليهم لما انتهكت منه مالم ينتهكه أحد قط . فأجلتهم من أرض تهامة » .

قال : فلقى الفرزدق بعض الناس فقال : « أيُعيِّرنا ابن الزبير بالجلاء ! اسمع » . ثم قال[٥] :

فإن تغضب قريشٌ أو تغضّب فإنّ الأرضَ تُوعبُها تميمُ[٦]
همُ عدد النجوم ، وكلُّ حىٍّ سواهم لا تُعدُّ له نجـــوم[٧]
أعبدَ اللهِ ، مَهْلا عن أذاتى ! فإنى لا الضعيفُ ولا السئّوم

(١) ديوانه ٧٧٥ .
(٢) الديوان : ولـكن تعضى . وهبلت : فقدت بنيك ت ، د ٩ : ٣٣٠ : ومرى تمشى .
(٣) الديوان : ويعقل أخلاق الرجال التى تنمى . ت، د ٩ : ٣٣٠ : أفعال الـكرام .
(٤) حاد المزاج .
(٥) لم أجده فى ديوانه .
(٦) توعبها : تأخذها جميعها . وفى د ٩ : ٣٢٨ : ثم تغضب . الأرض ترعاها .
(٧) د ٩ : ٣٢٨ : لهم نجوم .

ولكنّى صَفَــاةٌ لم تُدنَّس　　تَزِلُّ الطـيرُ عنها والعُصوم(١)

فذلك حين خرج ابن الزبير وغمز على عنقه فكاد يدقها ، وأنشد :

* لقد أصبحت عرس الفرزدق ... *

وقيل : إن الذى كان تقرر عليه عشرة آلاف درهم ، وإن سلم بن زياد أمر له بعشرين ألف درهم مهرا ونفقة : فقبضها . فقالت له زوجته أم عثمان بنت عبد الله بن عمرو بن أبى العاص الثقفية(٢) : « أتعطى عشرين ألف درهم وأنت محبوس ! » فقال :

أَلَا بكَرَتْ عِرْسى تلوم سَفاهةً　　على مامضى منى وتأمرُ بالبُخْلِ
فقلتُ لها ، والجودُ منى سَجيَّةٌ :　　وهل يَمنع المعروفَ سُؤّالَه مِثْلى ؟
ذَرِينى فإنى غيرُ تاركٍ شِيمتى　　ولا مُقْصِرٍ طولَ الحياةِ عن البَذْل(٣)
ولا طاردٍ ضَيْفى إذا جاء طارقا　　وقد طَرَقَ الأضيافُ شيخىَ من قبلى(٤)
أَأَبخل ! إنّ البخل ليس بمُخْلِدِى　　ولا الجود يُدْنينى إلى الموت والقتل(٥)
أَبيعُ بنى حَرْبٍ بآل خُوَيلد !　　وما ذاك عند الله فى البيع بالعدل(٦)
وليس ابنُ مروانَ الخليفة مُشْبِها　　لفَحْل بنى العَوّام، قُبِّح من فَحْل !(٧)

---

(١) الصفاة : الحجر الصلد الضخم الأملس لا ينبت شيئا . والعصوم : لعله جمع عصم ، وهى الظباء . وفى د ٩ : ٣٢٨ : لم تؤبس ، أى تكسر .

(٢) د ٩ : ٣٣١ : أم عثمان بنت عبد الله بن عثمان بن أبى العاصى الثقفية .

(٣) د ، ت : ولا مقصر عن السماحة والبذل .

(٤) د : فقد .

(٥) د : ليس بمخلد .

(٦) خويلد : الجد الثانى لابن الزبير .

(٧) د :

وأشرى ابنَ مروان الخليفة طائعا　　بنجل بنى العوام ! قُبِّح من نَجْل

فإن تُظْهِروا لى البخلَ آلَ خويلد فمادأبُكم دأبى ولا شَكْلُكم شكلى (١)
وإن تَقْهرونى حين غابت عَشيرتى فمن عَجَب الأيام أن تقهروا مثلى (٢)

فلما اصطلحا ورضيت به ، ساق إليها مهرها ودخل بها وأحبلها ، قبل أن يخرج من مكة . ثم خرجا وهما عَديلان فى محمل .

وكانت تُساوره (٣) وتخالفه ، لأنها كانت صالحة حسنة الدين . وكانت تكره كثيرا من أمره . فتزوج عليها حَدْراء بنت زِيق بن بِسْطام بن قيس بن مسعود بن [قيس بن] خالد بن ذى الجدين ـ وهو عبد الله ـ بن عمرو بن الحارث بن همّام ابن مُرّة بن ذُهْل بن شَيْبان وقيل : زيق هو بسطام بن قيس . فتزوجها على مائة من الإبل . فقالت له النوار : « ويلك ، أتزوجتَ أعرابيةً دقيقة الساقين بوّالة على عَقِبيها بمائة ناقة » . فقال يفضّلها عليها ويعيرها بأمها ، وكانت أَمَةً (٤) :

لَجاريةٌ بين السّليل عروقُها وبين أبى الصّهباء من آل خالدِ (٥)
أحَقُّ بإغلاء المهورِ من التى رَبَتْ وهْىَ تَنْزُو فى حجور الوَلائد (٦)

ومدحها أيضا فقال (٧) :

عَقيلةٌ من بنى شيبان يَرْفعها دعائمُ للعُلا من آلِ همّامِ (٨)

---

(١) د : فما دلكم دلى .
(٢) د : حيث غابت .
(٣) تساوره : تواثبه . وفى ت : تشاره .
(٤) ديوانه ١٨١ . والنقائض ٨٠٦ .
(٥) السليل : كذا فى غ ٩ : ٣٣٢ ، ت ، والديوان ، وهو أخو بسطام بن قيس ، وفى ص السلول ، تحريف . وأبو الصهباء : بسطام .
(٦) ربت : نمت وكبرت . تنزو : تثب . والولائد : الجوارى والعبيد .
(٧) ديوانه ٧٦٠ ، النقائض ٨٠٦ .
(٨) د ، ت ، والنقائض : ترفعها .

من آلِ مُرَّةَ بين المُسْتضاءِ بهم ... من رَهْطِ صِيدٍ مَصاليتٍ وحُكّامِ (١)

بين الأَحاوِصِ من كابٍ مُرَكَّبها ... وبين قيس بن مسعود وبِسطامِ (٢)

وأغضب النوار بمدحه ضَرتها . فقالت : « والله ، لأُخزينَّك يافاسق » . وبعثت إلى جرير فجاءها . فقالت : ألا ترى ما قال لى الفاسق ! » وشكته إليه . فقال جرير : « أنا أكفيكه » . وقال من أبيات (٣) :

لستُ بمُعْطِي الحُكْمِ عن شِفِّ مَنْصِبٍ ... ولا عن بنات الحَنْظَليِّين راغبُ (٤)

وهن كماء المُزْنِ يُشفَى به الصَّدَى ... وكانت مِلاحا غيرَ هن المشارب (٥)

لقد كنتَ أهْلاً أن تسوقَ دِياتِكم ... إلى آل زِيقٍ أن يَعيبَك عائب (٦)

وما عَدَلَتْ ذاتُ الصليبِ ظَعينةً ... عُتَيبَةُ والرِّدْفان منها وحاجب (٧)

أأهديْتَ يازِيقَ بن بِسْطامَ ظبيةً ... إلى شَرِّ من تُهْدَى إليه الرَّغائب! (٨)

---

(١) النقائض : من بين صيد . الديوان: من رؤساء مصاليت وحكام. والصيد : جمع أصيد ، وهو المتكبر رافع الرأس . والمصاليت : جمع مصلات ومصلت ، وهو الرجل الماضى فى الحوائج .

(٢) س : ومركبها ، تحريف والأحاوص: جمع أحوص ، وهم عوف، وعمرو، وشريح، أولاد الأحوص بن جعفر .

(٣) ديوانه ٤٢ . النقائض ٨٠٧ . طبقات فحول الشعراء ٣٣٥ .

(٤) غ : ولست . والشف : النقصان . الطبقات : فلا أنا معطى .

(٥) النقائض والديوان : أراهن ماء المزن يشفى به الصدى . غ : يشفى . والصدى: العطش

(٦) غ : لئن كنت . النقائض والديوان : إذ تسوق .

(٧) عتيبة : كذا فى ى ، والديوان والنقائض . وفى ص ، ب ، س : عيينة ، تحريف . والظعينة : المرأة ، وأصلها المرأة على البعير . وعتيبة : ابن الحارث بن شهاب اليربوعى فارس مضر فى زمانه . والردفان : عتاب بن هرمى اليربوعى وابنه عوف . وحاجب : ابن زرارة بن عدس الدارمى .

(٨) النقائض والديوان : يازيق بن زيق غريبة إلى شرما . غ ، والديوان والنقائض : الغرائب . والرغائب : جمع رغيبة ، وهى الأمر المرغوب فيه ، والعطاء الكثير .

ألا رُبَّما لم نُعْطِ زيقًا بحُكْمِه … وأدَّى إلينا الحكمَ والغُلُّ لازِب[١]
حَوَيْنا أبا زيقٍ وزيقًا وعَمَّه … وجَدَّة زيقٍ قد حَوَتْها المَقانب[٢]

فأجابه الفرزدق[٣] .

ألستَ إذا القَعْساء أَنْسَلَ ظهرُها … إلى آلِ بسطامِ بن قيس بخاطبِ ؟[٤]
فنَلْ مثلَها من مثلِهم ثم أمَّهُم … بمِلْكِك من مالٍ مُراحٍ وعازب[٥]
وإنى لأَخْشَى إنْ خَطبتَ إليهمُ … عليك الذى لاقَى يسارُ الكواعبِ

يسار : كان عبدا لبنى غُدانة[٦] ، فأراد مولاته على نفسها ، فنهته مرة بعد مرة ، فألحّ عليها فوعدته ، فجاء فقالت : « إنى أريد أن أُبخِّرك، فإن رائحتك متغيرة » ، فوضعت تحته مِجْمَرا وقد أعدّت له مدية حادة . فأدخلت يدها فقبضت على ذكره ، وهو يرى أن ذلك لشيء ، فقطعته بالمدية . فقال : « صبرا على مَجامر الكرام » . فذهبت مثلا .

وقالوا : سمعنا أنّ حَدْراء زُوِّجتْ … على مائةٍ شُمِّ الذُّرا والغَوارب[٧]
ولو كنتَ من أكْفاء حدراء لم تَلُمْ … على دارمىٍّ بين ليلى وغالبِ[٨]

---

(١) الغل : القيد . لازب : لازم .

(٢) المقانب : جمع مقنب ، وهو جماعة الخيل ما بين الثلاثين أو الأربعين أو زهاء الثلاث مائة.

(٣) ديوانه ١١١ . النقائض ٨١٣ . طبقات فحول الشعراء ٣٣٥ .

(٤) ب ، س: القعساء مرت براكب. والقعساء : الداخلة الصلب العظيمة البطن، يصف ناقة .

(٥) ٩٤ : ٣٣٤ : ثم لمهم، الديوان والنقائض: ثم لمهم عالك. وانظر الطبقات والتعليق عليها وأمهم : اقصدهم . والمراح : الذى أريح على أهله من الرعى ليلا فبات عند أربابه . والعازب : الذى يبيت فى الرعى .

(٦) س : لأبى غدانة ، تحريف .

(٧) الديوان والنقائض : فقالوا . ب ، س : وسم الذرا . وشم الذرا : مرتفعة الأسنمة ، والغوارب : جمع غارب ، وهو مقدم السنام .

(٨) الديوان والنقائض : فلو .

ولو قَبِلوا منى عَطيةَ سقتُه إلى آل زيقٍ من وَصيفٍ مُقارِبِ[١]
هُم زوَّجوا قبلى ضِرارا وأنكَحوا لَقيطا، وهم أكْفاؤنا فى المَناسب
ولو تُنكِح الشمسُ النجومَ بناتِها إذن لنكَحْناهُنَّ قبلَ الكواكب[٢]

وقال جرير أبياته التى أولها[٣]:

يازيقُ أنكحْتَ قَيْنا فى استِهِ حَمَمٌ
يا زيقُ، ويْحَك! مَنْ أنكحتَ، يازيق![٤]
أين الأُلى أنزلوا النعمانَ ضاحيةً أم أين أبناء شَيْبانَ الغَرانيق؟[٥]
يارُبَّ قائلةٍ بعدَ البِناء بها: لاالصِّهْرُ راضٍ ولاابنُ القَيْنِ مَعْشوقُ
غاب المُثَنَّى فلم يشهدْ نَجِيَّكما والحَوْفَزانُ ولم يَشْهَدْكَ مفروق[٦]

والفرزدق يقول لجرير[٧]:

إنْ كان أنفُكَ قد أعْياكَ مَحْمِلُهُ فاركَبْ أتانَك ثم اخْطِبْ إلى زِيقِ

---

(١) المقارب: الدون، أو الوسط بين الجيد والردىء.

(٢) غ: نكحنا بنات الشمس قبل الكواكب.

(٣) ديوانه ٣٩٤. النقائض ٨١٨. طبقات فحول الشعراء ٣٣٣. وفى الديوان بيتان قبل البيت المذكور.

(٤) النقائض والديوان: باسته. الديوان: ماأنكحت. ورواية ابن سلام تقتضى أن البيت ملفق من اثنين هما:

يازيق! قد كنت من شيبان فى حسب يازيق ويحك من أنكحت يازيق
أنكحت ويلك قينا باسته حمم يازيق ويحك! هل بارت بك السوق

(٥) الطبقات: استنزلوا النعمان د٩: ٣٣٤: النعمان مقتسرا. النقائض: نعمان. والنعمان ابن المنذر ملك الحيرة. والغرانيق: جمع غرنوق، وهو الشاب التام الممتلىء الناعم.

(٦) المثنى: ابن حارثة الشيبانى أول من حارب الفرس فى عهد أبى بكر الصديق. والحوفزان الحارث بن شريك بن الصلب. ومفروق: الحارث بن الصلب، أو النعمان بن عمرو الأصم، وكلهم من سادات شيبان (الطبقات).

(٧) ديوانه ٥٩٨. النقائض ٨١٩.

وكان الفرزدق قد دخل على الحجاج يَسْتَمحيه مهر حدراء لما تزوجها . فقال له : « أتزوجت أعرابية على مائة ناقة ؟ » فقال له عنبسة بن سعيد : « إنما هى فرائض قيمتها ألفا درهم ، الفريضة عشرون درهماً » . فقال له الحجاج : « ليس غيرها . يا أبا كعب[1] ، أعط الفرزدق ألفى درهم » . قال : ثم قدم الفضل[2] العَنَزى بصدقات بكر بن وائل . فاشترى الفرزدق مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم ، على أن يثبتها فى الديوان .

قال الفرزدق : فصليت مع الحجاج الظهر ، حتى إذا سلم خرجت فوقفت فى الدار ، فرآنى فقال « مَهْيَمْ ؟ » فقلت : « إن الفضل العنزى قدم بصدقات بكر بن وائل ، وقد اشتريت منه مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم ، على أن تحتسب له بها فى الديوان . فإن رأى الأمير أن يأمر لى بإثباتها فى الديوان ، فعل» . فأمر أبا كعب أن يثبت للفضل ألفين وخمسمائة درهم . ونسى ما كان أمر له به .

قال : فلما جاء الفرزدق بالإبل ، قالت له النوار : « خسرتْ صفقتُك ! أتتزوج نصرانية سوداء مهزولة حَمْشاء الساقين[3] على مائة من الإبل ! » وأبت النوار عليه أن يسوقها كلها . فحبس بعضها ، وامْتار عليها ما يحتاج إليه أهل البادية ، ومضى ومعه دليل يقال له أَوْفى بن خِنْزير ، أحد بنى التَّيْم بن شيبان بن ثعلبة . فلما كانوا ببعض الطريق رأوا كبشًا مذبوحًا . فقال : « يا أوفى ، هلكت والله حدراء » . قال : « مالك بذلك علم ! » فلما وصلا ، قال له بعض أهلها : « هذا البيت فانزل . وأما حدراء فقد هلكت . وقد عرفنا الذى يصيبك فى دينك من ميراثها ،

---

(١) غ : يا كعب .

(٢) غ والنقائض : الفضيل .

(٣) حمشاء الساقين : دقيقتهما .

وهو النصف ، فهو لك » . فقال: « والله ، لا أُرزأُ من ذلك قِطْميراً[1] . وهذا صَداقها فاقبضوه » . فقال زيق : « يا بنى دارم ، ماصاهَرْنا أكرم منكم فى الحياة ، ولا أكرم منكم شركة فى الممات » . فقال الفرزدق[2] :

عَجِبتُ لحادِينا المقحِّمِ سيرَه ... بنا مُزْحِفات من كَلالٍ وظُلَّما[3]
لِيُدْنِيَنا ممن إلينا لقاؤُه ... حبيبٌ ، ومن دارٍ أرَدْنا لَتجَمما
ولو نعلمُ الغيبَ الذى من أمامنا ... لَكَرَّ بنا الحادى المَطِيَّ وأَسْرعا[4]
يقولون: زُرْ حَدراءَ ، والتُّرْبُ دونَها ... وكيف بشىء وَصْلُه قد تَقَطَّما
يقول ابن خِنْزِير : بكيتَ ولم تكن ... على امرأةٍ عَيْنى إخالُ لِتَدْمَما
وأهونُ رُزْء لامرىء غير جازعٍ ... رزيئةُ مُرتَجِّ الرَّوادفِ أفْرَعا[5]
ولستُ ــ وإنْ عَزَّت علىَّ ــ بزائرٍ ... تُراباً على مَرْموسةٍ قد تَضَعْضَما[6]

وحدراء هذه هى التى يقول فيها الفرزدق[7] :

عَزَفْتَ بأعشاشٍ وما كِدْتَ تعزِفُ ... وأنكرتَ من حَدْراءَ ما كنت تعرفُ

وقيل : إن النوار كانت استعانت بأم هاشم لا بتماضر ، وأم هاشم أخت تماضر ، لأن تماضر ماتت عند عبد الله ، بعد أن ولدت له خُبيبا وثابتا ابنى عبد الله بن الزبير ، وتزوج بعدها أختها أم هاشم ، فولدت له هاشماً وحمزة وعبّاداً . وفى أم هاشم يقول الفرزدق[8] :

---

(١) أرزأ : أصيب . والقطمير : القشرة الرقيقة بين النواه والتمرة .

(٢) ديوانه ٥٢٢ . النقائض ٨٢١ .

(٣) د ٩ : ٣٣٥ : بنا موجفات . المقحم : السائر أشد السير . والمزحف من الإبل : الذى قد أعيا فلا يستطيع السير . والظلع : جمع ظالع ، وهو الأعرج .

(٤) غ : فأسرعا . والديوان والنقائض : ولونعلم العلم . . الركاب فأسرعا .

(٥) الديوان والنقائض : غير عاجز . والأفرع : الطويل الشعر .

(٦) ب ، س : عزت إلى . والمرموسة : المدفونة . وتضعضع : اطمأن .

(٧) ديوانه ٥٥١ . النقائض ٥٤٨ .

(٨) لم أجدها فى ديوانه .

تَروَّحتِ الرُّكبانُ يا أمَّ هاشمٍ وهُنَّ مُناخاتٌ لهن حَنين

وحُبِّسْنَ حتى ليس فيهن نافق لبيعٍ ، ولا مركوبُهنَّ سمين (١)

ومكثت النوار عند الفرزدق ترضى عنه أحياناً وتخاصمه أحياناً . ومما قال فيها (٢) :

تُخاصِمُني وقد أُولجْتُ فيها كرأسِ الضَّبِّ يلتمسُ الجَرادا (٣)

وكانت النوار امرأة صالحة . فلم تزل تشمئز منه وتقول له : « ويحك ! أنت تعلم إنما تزوجت بى ضُغْطة (٤) وعلى خُدعة ! » ولا تزال فى كل ذلك حتى حلفت (٥) بيمين مُوبقة، ثم خبثت (٦) وتجنبت فراشه . فتزوج عليها امرأة من النَّمِر بن قاسط يقال لها رُهَيمة (٧) بنت عثمان (٨) بن درهم (٩) من اليَرابيع ، قوم فى بنى مرة بن عُباد، من النمر ابن قاسط، وأمها الحَميصة (١٠) من بنى الحارث بن عُباد (١١). فنافرته الحَميصة، واستعدت عليه، فأنكرها الفرزدق وقال: « إنها منى برىء طالق » . وطلق ابنتها وقال (١٢) :

إن الحَميصة كانتْ لى ولا بنتها مثل الهَراسةِ بين النّعلِ والقَدَم (١٣)

---

(١) ت ، غ ٩ : ٣٣٠ : وخيس .

(٢) ديوانه ١٩٥ . النقائض ٨٠٥ .

(٣) النقائض ، ٩٥ : ٣٢٧ : تخاصمنى النوار وغاب فيها .

(٤) ضغطة : على كره .

(٥) كذا فى غ . وفى س : فى كل ليلة قد حلفت .

(٦) غ : موثقة ثم حنثت .

(٧) غ : جهيمة .

(٨) د ٩ : ٣٤٣ النقائض ٥٩٥ : غنيم .

(٩) كذا فى النقائض ، د ، وهامش س . وفى س : إبراهيم .

(١٠) د : الحَميصة. الحارث بن عباد : كذا فى النقائض د ، وفى س : الحارث بن كعب . وانظر شعر الفرزدق الآتى .

(١١) ديوانه ٨٤٥ . النقائض ٥٩٥ .

(١٢) الهراسة : كذا فى الديوان والنقائض ، د ٩ : ٣٤٣ . وفى س: الفراشة . والهراسة شوك كأنه حسك .

إذا أتتْ أهلَهـــا منى مطلَّقةً فلن أرُدَّ عليها زَفْرَةَ النـــدم[1]

ولما تزوج رُهيمة جعل يأتى النوار وبه رَدَعُ الخلوق[2] وعليه الأثر . فقالت له نوار : « هل تزوجت إلا هُدادية ! » تعنى حيا من أزد عمان . فقال الفرزدق[3] :

تُريك نجومَ الليلِ والشمسُ حَيَّةٌ كِرامُ بناتِ الحارثِ بن عُبادِ[4]

نســاءٌ أبوهنّ الأغرُّ ولم تكن من الأَزْدِ فى أَجْبالها وهُدادِ[5]

ولم يَكُ فى الحىِّ الغَموصِ محلُّها ولا فى العُمــانيين رهطِ زيادِ[6]

أبوها الذى أدْنَى النعـامةَ بعدما أبَتْ وائلٌ فى الحربِ غيرَ تمادِى[7]

عدلتُ بها مَيْلَ النّوارِ فأصبحتْ مُقاربةً لى بعدَ طول بِعـادِ[8]

ولستُ وإنْ أنبأتُ أنى أحبهـــا إلى دارِميات النِّجار جِياد

---

(١) النقائض :

إن تأتِ بنتُك من بيتى مطلقة فلن تردى عليها زفرة الندم

(٢) الخلوق : ضرب من الطيب . وردعه : أثره فى الجسد .

(٣) ديوانه ١٥٩ . النقائض ٥٩٥ .

(٤) الديوان :

أراها نجومَ الليل والشمس حية زحامُ بنات الحارث بن عُباد

والنقائض :

سوف يريك النجمَ والشمس حية زحام بنات الحارث بن عُباد

و د ٩ : ٣٤٣ :

أرتك نجوم الليل والشمس حية زحام بنات الحارث بن عُباد

(٥) غ والديوان : الأعز . غ وهامش س . من الأزد فى جاراتها . د ٩ : ٣٤٣، الديوان والنقائض : من الحت فى أجبالها .

(٦) الديوان ، د : ولم يكن الجوف الغموض محلها . ولا فى الهجاريين رهط زياد، والغموض المحتقر المتهاون به .

(٧) غ : قاد النعامة . والنعامة : فرسه .

(٨) النقائض. أقمت بها ، غ والديوان : وقد رضيت بالنصف بعد بعاد .

(٩) الديوان : وليست وإن نبأت . .

يعنى بأبيها الذى أدنى النعامة الحارثَ بن عباد ، وأراد قوله :

* قرِّبا مربط النعامة منى[1] *

فلم تزل النوار تستعطفه وترقِّقه حتى أجاب إلى طلاقها . وأخذ عليها ألا تفارقه ، ولا تبرح منزله ، ولا تتزوج بعده ، ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله . وأخذت عليه أن يُشهد الحسن البصرى بطلاقها . ففعل ذلك . فاستصحب أبا شَفْقَل راويته وراوية آخر له ، وأتوا الحسن البصرى . فقال له : « ما تشاء ؟ » قال : « لتشهد أن النوار طالق ثلاثا » . فقال له الحسن : « قد شهدنا » . فلما انصرف قال : « يا أبا شفقل قد ندمت » . فقال : « والله ، إنى لأظن أن دمك يترقرق ، أتدرى من أشهدت ؟ والله ، لئن رجعت لتُرْجَمن بأحجارك » . فمضى وهو يقول[2] :

ندمتُ ندامةَ الكُسَعِىِّ لما ... غدَتْ منى مطلقةً نوارُ[3]

ولو أنّى ملكتُ يدِى وقلبى ... لكان علىَّ للقدَرِ الخيارُ[4]

وكانتْ جَنَّتى فخرجتُ منها ... كآدمَ حين أخرَجه الضِّرارُ[5]

وكنتُ كفاقئ عينيه عمْدا ... فأصبح ما يُضىء له النهارُ[6]

قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبى وقّاص الزهرى : قدم الفرزدق المدينة

---

(١) انظر الخبر والشعر فى كامل المبرد ٩٥٤ .

(٢) ديوانه ٣٦٣ . طبقات فحول الشعراء ٢٦٧ . كامل المبرد ١٠٧ .

(٣) الطبقات : مضت منى ، والكسعى : رجل عرف بحسن الرماية وظن ذات مرة أنه أخطأ الإصابة فكسر قوسه وسهامه ثم اكتشف إصابته فعظمت حسرته وندامته ، وضرب بها المثل .

(٤) الكامل : يدى ونفسى . والشطر الأول فى الطبقات : ولو ضنت يداى بها ونفسى . والبيت فى الديوان :

ولو رضيت يداى بها وقرت ... لكان لها على القدر الخيار

(٥) الطبقات: وكانت جنة. وفى الديوان : حين لج به الضرار. الضرار : العصيان والمخالفة .

(٦) الكامل : لا يضىء .

فى إمرة أبان بن عثمان بن عفان(١) . فإنى والفرزدق وكُثيِّر جلوس فى المسجد نتناشد الأشعار ، إذ طلع علينا غلام شَخْت آدَم(٢) ، فى ثوبين مُمصَّرين — أى مصبوغين بصفرة غير شديدة . فجاء إلينا فقال : « أيكم الفرزدق ؟ » فقلت مخافة أن يكون من قريش : « أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ! » فقال : « لو كان كذلك ، لم أقل هكذا » . فقال له الفرزدق : « من أنت ، لا أم لك ؟ » قال : « رجل من الأنصار ، من بنى مالك بن النجار . ثم أنا ابن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . بلغنى أنك تزعم أنك أشعر العرب ، وتزعم مضر ذلك لك . وقد قال صاحبُنا حسان بن ثابت شعرا ، فأردت أن أعرضه عليك ، وأؤجِّلك سنة . فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب ، وإلا فأنت كذاب منتحِل » ثم أنشد قول حسان(٣) :

* ألم تَسْألِ الرَّبْعَ الجَديد التكلُّما *

حتى بلغ إلى قوله :

وأبقَى لنا مَرُّ الحروبِ ورُزْؤُها   سيوفا وأَدْراعا وجَمّا عَرَمْرَمَا(٤)
متى ما تُرِدْنا من مَعَدٍّ عصابةٌ   وغسانَ نمنعُ حوضَنا أن يُهدَّما(٥)

قوله : وغسان : قَسَم أقسم به ، لأن غسان لم تكن تغزوهم مع معد :

لنا حاضرٌ فَعْمٌ وبادٍ كأنه   شماريخُ رَضْوى عِزّةً وتكرُّما(٦)
أبَى فِعْلُنا المعروفَ أن ننطق الخَنا   وقائلُنا بالعُرْف إلا تكلُّما(٧)

---

(١) من سنة ٧٥ إلى ٨٢ هـ .
(٢) الشخت : الدقيق الضامر من غير هزال . وآدم : أسمر .
(٣) ديوانه ٤ .
(٤) غ : وجما عرمرما .
(٥) الديوان: متى ما تزرنا من معد بعصبة.
(٦) فعم : ملىء . والشماريخ : جمع شمراخ ، وهو رأس الجبل . رضوى : جبل قريب من ينبع
(٧) العرف : المعروف .

وَلَدْنا بــني العَنْقاء وابـــنى محرِّقٍ ... فأَكرِمْ بنا خالا وأَكرِمْ بنا ابْنَمـا(١)
نُسوِّد ذا المال القليل إذا بَدَتْ ... مروءتُه فينا وإنْ كانَ مُعدِما
وإنّا لَنَقْرِى الضيفَ إن جاء طارِقا ... من الشحمِ ما أمسى صَحيحا مُسلّما
لنا الجَفَنات الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضحى ... وأسيافُنا يقطُرْنَ من نجدةٍ دما

وأنشده القصيدة إلى آخرها وقال: « قد أجلتك فى جوابها حولا ». ثم انصرف.

وانصرف الفرزدق مغضبا يسحب رداءه لا يدرى أية طرقة يذهب(٢) حتى خرج من المسجد. فأقبل كثيِّر علىّ وقال : « قاتل الله الأنصارى ! ما أفصح لهجته ، وأوضح حجته ، وأجود شعره ! » .

ولم نزل فى حديث الفرزدق والأنصارى بقية يومنا . حتى إذا كان الغد ، خرجت من منزلى فأتانى كُثير فجلس معى . فإنا لنتذاكر الفرزدق ونقول : « ليت شعرى ، مافعل ؟ » إذ طلع علينا فى حُلة أَفْوافٍ يمانية مُوشّاة ، له غَديرتان ، حتى جلس مجلسه بالأمس . ثم قال : « ما فعل الأنصارى ؟ » قال : فنلنا منه وشتمناه . فقال: « قاتله الله ! ما رُميت بمثله ، ولا سمعت بمثل شعره ! فارقتكُما فأتيت منزلى . فأقبلت أُصَوِّب وأصعِّد فى كل معنى من الشعر ، فكأنى مُفحَم لم أقل شعرا قط ، حتى إذا نادى المنادى بالفجر ، رحلتُ ناقتى ، وأخذت بزمامها حتى أتت ذُبابا — وهو جبل بالمدينة. ثم ناديت بأعلى صوتى : أخاكم ! أخاكم ! يعنى شيطانه . فجاش صدرى كما يجيش المرجل . فعقَلت ناقتى وتوسدت ذراعها . فأقمت حتى قلت مائة وثلاثة عشر بيتا(٣) .

فبينا هو ينشدنا ، إذ طلع الأنصارى . فسلم علينا ثم قال : « أما إنى لم آتك لأُعْجِلك عن الأجل الذى وقّتّه لك ، ولكنى أحببت ألا أراك إلا أسألك : أى شىء صنعت؟ »

---

(١) غ : فأكرم بنا خالا وأكرم بذا ابنما . الديوان : وأكرم بذا ابنما .
(٢) كذا فى ى . وفى س : لايدرى لِمه طرفيه . ب ، س : لا يدرى أنه طرفه .
(٣) تضم القصيدة فى الديوان ٥٥١ والنقائض ٥٤٨ : ١٢١ بيتا .

فقال : « اجلس ! » ثم أنشده :

عزفْتَ بأعشاشٍ وما كدْتَ تعزِفُ ... وأنكرتَ من حَدْراءَ ما كنت تعرِفُ
ولَجَّ بك الهجرانُ حتى كأنما ... ترى الموتَ في البيتِ الذي كنتَ تألَفُ (١)

حتى بلغ قوله :

ترى الناسَ ما سِرْنا يسيرون خلفَنا ... وإنْ نحنُ أومأْنا إلى الناسِ وَقَّفوا (٢)

فلما فرغ الفرزدق من إنشاده ، قام الأنصارى كئيبا . فلما توارى ، طلع أبوه أبو بكر بن محمد [بن عمرو] بن حزم فى مَشْيَخة من الأنصار . فسلموا علينا وقالوا : « يا أبا فِراس ، قد علمت حالَنا ومكانَنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ووصيته بنا . وقد بلغنا أن سفيها من سفهائنا تعرّض لك . فأسألك بالله (٣) : لَمَا حفظت فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ووهبتَه لنا ، ولم تفضحْنا ! » قال إبراهيم ابن محمد: وأقبلتُ أكلمه أنا وكُثير ، فلما أكثرْنا عليه قال : « اذهبوا ، فقد وهبتكم لهذا القرشى » .

قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق : « أَنشدْنى أجود شعر عملته » . فأنشده :

* عزفتَ بأعشاش وما كدت تعزف *

فقال : « زدنى » . فأنشده (٤) :

ثلاثٌ واثنتانِ فتلك خمسٌ ... وواحدة تميل إلى الشِّمامِ (٥)
فبِتْنَ بجانبيَّ مصرَّعاتٍ ... وبتُّ أفُضُّ أغلاقَ الخِتامِ (٦)

---

(١) الديوان والنقائض : تيلف ، وهى لهجة تميمية فى : تألف .

(٢) الديوان : إلى النار .

(٣) غ : فنسألك بالله ، وهى أليق .

(٤) ديوانه ٨٣٥ . النقائض ١٠٠٥ طبقات فحول الشعراء ٣٨ .

(٥) الديوان والنقائض والطبقات : فهن خمس . . وسادسة . والشمام : القبل والرشف .

(٦) النقائض : وبتن جنابتى .

فقال له سليمان : « ما أراك إلا قد أحللتَ نفسك للعقوبة ، أقررتَ بالزّنا عندى وأنا إمام ولا تريد منى إقامة الحدِّ عليك ! » فقال : « إن أخذتَ فىّ بقول الله عز وجل لم تفعل » . قال : « وما قال ؟ » قال : « قال الله تبارك وتعالى[1] : «والشعراء يتّبعهم الغاوون . ألم ترَ أنّهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون » . فضحك سليمان وقال : « تلافيتَها ودَرأْت عنك الحد » . وخلع عليه وأجازه .

وقف الفرزدق على جميل وهو ينشد[2] :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفَنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفّوا

فأسرع الفرزدق له وقال: « أنا أحقُّ بهذا البيت منك » . قال : « أنشُدُكَ الله، يا أبا فراس ! » فمضى الفرزدق وانتحله .

قال أبو عبيدة فى كتاب النقائض[3] : قال رُؤْبة بن العَجّاج : حجّ سليمان ابن عبد الملك وحجت معه الشعراء. فمر بالمدينة منصرفا . فأُتى بأسرى من الروم نحو أربعمائة . فقعد سليمان ، وعنده عبد الله بن حسن بن حسن عليهم السلام ، وعليه ثوبان ممصّران[4] ، وهو أقربهم منه مجلسا . فأدْنَوا إليه بِطْريقَهم وهو فى جامعة[5] . فقال لعبد الله بن حسن « قم فاضرب عنقه » . فقام فما أعطاه أحد سيفا حتى دفع إليه حَرَسىٌّ سيفا كَليلا . فضرب به فأبان عنقه وذراعه ، وأطَنّ[6] ساعده وبعض الغل . فقال له سليمان : « والله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك » . وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه فيقتلونهم ، حتى دفع إلى جرير رجلا منهم . فدسّت إليه بنو عبس سيفا

---

(١) سورة الشعراء ، الآيات ٢٢٤ ــ ٢٢٦ .

(٢) ديوانه ١٣٨ .

(٣) ص ٣٨٣ .

(٤) مصبوغان بصفرة غير شديدة .

(٥) القيد يجمع بين اليدين والرجلين .

(٦) قطع .

قاطعا فى قِراب أبيض . فضرب به فأبان رأسه . ودُفع إلى الفرزدق أسير ، فدسّت إليه القَيْسية سيفا كايلا . فضرب به الأسير ضَربات فلم يصنع شيئا . فضحك سليمان وضحك الناس معه . وقيل : إن سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفا وقال : « اقتله به » . فقال : « لا ، بل أقتله بسيف مجاشع » . واخترط سيفه فضربه ، فلم يُغنِ شيئا . فقال له سليمان : « أما والله لقد بقى عليك عارُها وشَنارها » .

فقال جرير قصيدته التى يهجوه فيها وأولها(١) :

أَلَا حَىِّ رَبْعَ المنزلِ المُتقادِمِ   وما حُلَّ مُذْ حَلَّتْ به أُمُّ سالمِ

منها :

ألم تشهد الجَوْنَيْنِ والشِّعْبَ ذا الغَضَى   وكَرّاتِ قيسٍ يومَ دَيرِ الجَماجمِ(٢)

تُحرِّضُ يا ابْنَ القَيْنِ قيسا ليَجْعلوا   لقومِك يوما مثلَ يومِ الأراقمِ(٣)

بسَيْفِ أبى رَغْوانَ سيفِ مُجاشعٍ   ضربتَ ولم تضرِبْ بسيفِ ابنِ ظالمِ(٤)

ضربتَ به عند الإمامِ فأُرْعِشَتْ   يداك ، وقالوا : مُحْدَثٌ غيرُ صارمِ

فقال الفرزدق يجيب جريرا عن قوله(٥) :

وهل ضربةُ الرُّومِىّ جاعلةٌ لكم   أَبًا عن كليبٍ أو أبا مثلَ دارمِ(٦)

---

(١) ديوانه ٥٥٩ . النقائض ٣٩٤ . طبقات فحول الشعراء ٣٤٢ .

(٢) الديوان والنقائض: ولم تشهد . . ذا الصفا .. وشدات قيس ى ١٥ : ٢٧٣: والشعب والصفا والجونان : عمرو ومعاوية ابنا الجون . والغضى : شجر . ويوم دير الجماجم : موقعة هائلة بين ابن الأشعث الثائر على الأمويين وجندهم .

(٣) الديوان والنقائض : تحضض . أى تحرض قيسا ليهزموا قومك مثل هزيمتهم الأراقم من بنى تغلب .

(٤) أبو رغوان : كنية مجاشع بن دارم جد الفرزدق . وابن ظالم : الحارث المرى كان من أبطال العرب وفتاكهم .

(٥) ديوانه ٨٥٨ النقائض ٣٨٣ . طبقات فحول الشعراء ٣٤٢ .

(٦) ى ١٥ : ٢٧٤ ، والديوان والنقائض والطبقات : فهل .

كذاكَ سيوفُ الهندِ تَنْبو ظُباتُها　　وتقطعُ أحيانا مَناطَ التمائمِ (١)
ولا نقتلُ الأسْرَى ولكنْ نَفُكُّهم　　إذا أثْقَلَ الأعناقَ حَمْلُ المَغارمِ (٢)

وقال يعرض بسليمان، ويعيره نبوَّ سيف ورقاء بن زهير العبسى عن خالد بن جعفر، وبنو عبس هم أخوال سليمان (٣) :

فإنْ يكُ سيفٌ خان أو قدَرٌ أَتَى　　بتعجيلِ نفسٍ حَتْفُها غيرُ شاهِدِ (٤)
فسيفُ بنى عبسٍ وقد ضربوا به　　نبا بيدَىْ ورقاءَ عن رأس خالد
كذاكَ سيوفُ الهندِ تنبو ظُباتُها　　وتقطعُ أحيانا مَنـاط القلائدِ (٥)

وأولها :

تباشَرُ يربوعٌ بنَبْوةِ ضربةٍ　　ضربتُ بها بين الطُّلا والمَحاردِ (٦)
ولو شئتُ قَدَّ السيفُ ما بين عُنْقه　　إلى عَلَقٍ بين الحِجابَيْن جامدِ (٧)

وقيل : إن الفرزدق قال لسليمان : « يا أمير المؤمنين ، هبْ لى هـذا الأسير » . فوهبه له . فأعتقه وقال الأبيات التى منها :

ولا نقتلُ الأسرى ولكن نفكهم　　إذا أثقلَ الأعنـاق حمل المغارم

---

(١) الديوان والنقائض : ويقطعن .
(٢) الديوان والنقائض : فلا .
(٣) ديوانه ١٨٦ ، ٢١٢ : النقائض ٣٨٤ . طبقات فحول الشعراء ٣٤١ .
(٤) الديوان والنقائض : إن يك . الطبقات : قدر أتى لتأخير نفس . النقائض : لتأخير نفس . الديوان : وتأخير نفس ى ١٥ : ٢٧٥ : أتى بتأخير نفسى، وشاهد : حاضر . وفى ى ، والديوان أيضا:

فإن ينب سيف أو تراخت منية　　لميقات نفس حتفها غير شاهد

(٥) الديوان والنقائض والطبقات : ويقطعن . الديوان : نياط القلائد .
(٦) المحارد : كذا فى الديوان، وفى ص : الحرائد . وفى ى ١٥ : ٢٧٥ : الحدائد. والطلا: الأعناق أو أصولها . والمحارد : جمع محرد وهو مفصل العنق .
(٧) العلق : الدم، أو الجامد منه.

ثم أقبل على راويته فقال : « كأنى وابن المراغة وقد بلغه خبرى فقال :

بسيفِ أبى رَغْوانَ سيفِ مُجاشعٍ ضربتَ ولم تضرب بسيف ابن ظالمِ
ضربتَ به عند الإمامِ فأُرعشَتْ يداك وقالوا مُحدَث غير صارم

فما لبثنا إلا أياما يسيرة حتى جاءتنا القصيدة وفيها البيتان . فعجبنا من فطنة الفرزدق .

وقال أيضا فى ذلك(١) :

أيَعْجَبُ الناسُ أنْ أضحكْتُ خيرَهُمُ خليفةَ اللهِ يُسْتسقَى بـه المطَرُ(٢)
فما نَبا السيفُ عن جُبْنٍ وعن دَهَشٍ عندَ الإمامِ ولكنْ أُخِّر القَدَر(٣)
ولو ضربتُ بـه عَمْدا مُقلَّدَهُ لَخَرَّ جُثمانُه ما فوقَه شَعَر(٤)
وما يُقَدِّم نفسا قبل مِيتَتِها جَمْعُ اليدينِ ولا الصَّمْصامة الذَّكَر(٥)

وكان للفرزدق أخ ليست له نباهة ، ويلقب بالأَخْطل . فأعقب ابنا يقال له محمد . فمات والفرزدق حى فرثاه .

ولما قدم خالد إلى العراق أميرا ، أمّر على شُرَط البصرة مالك بن المُنْذر بن الجارُود . وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر(٦) يَدَّعى على مالك فِرْيةً(٧)، فأبطلها خالد . وحفر النهر الذى سماه نهر المبارك . فقال الفرزدق(٨) :

(١) ديوانه ٣٦١ . النقائض ٣٨٥ النقائض .
(٢) أيضحك الناس . ى ١٥ : ٢٧٦ : أضحكت سيدهم .
(٣) النقائض والديوان : وما نبا السيف من جبن ولا دهش . ى ١٥ : ٢٧٦ : ولادهش
(٤) الديوان : ولو ضربت على عمد مقلده .
(٥) الديوان : ما يعجل السيف نفسا قبل ميتتها . والصمصامة : السيف الذى لا ينثنى ، واسم سيف عمرو بن معد يكرب البطل المعروف . والذكر : الحاد القاطع .
(٦) كذا فى غ و الطبقات ٢٩٤ ، وهو الصواب . وفى ص : عبد الأعلى بن عبد الله بن مالك .
(٧) كذا فى الطبقات . وفى ص ، غ : قرية .
(٨) ديوانه ٦٠٠ ، ٦٠١ . النقائض ٧٥١ . طبقات فحول الشعراء ٢٩٤ .

أهلكْتَ مالَ اللهِ فى غــيرِ حَقِّه   على النَّهَرِ المشئومِ غــيرِ المُبارَكِ[١]
وتضرِبُ أقواما صِحاحا ظهورهُم   وتترُكُ حقَّ اللهِ فى ظهر مالك![٢]
أإنفاقَ مالِ اللهِ فى غيرِ كُنْهِهِ   ومَنْعاً لحقِّ المُرْمِلات الضَّرائك![٣]

فكتب خالد إلى مالك لما بلغته الأبيات: أن احبس الفرزدق، فإنه هجا نهر أمير المؤمنين. فأرسل مالك إلى أبي أيوب بن عيسى الضبي[٤] وقال: « ائتني بالفرزدق ». فلم يزل يعمل معه حتى أخذوه. فطلب أن يمروا به على بني حنيفة. فقال الفرزدق: « مازلت أرجو أن أنجو حتى جاوزت بني حنيفة ». فلما قيل لمالك: « هذا الفرزدق ». انتفخ وريده غضبا. فلما دخل عليه قال[٥]:

أقول لنفسي حين غَصَّت بريقها   ألا ليتَ شِعْرى مالها عند مالكِ[٦]
لها عنده أن يَرْجِعَ اللهُ رُوحَها   إليها وتنجو من عظيمِ المَهالك[٧]
وأنت ابنُ جَبّارَىْ ربيعةَ أدركَتْ   بكَ الشمسَ والخضراءَ ذاتَ الحبائك[٨]

فسكن مالك وأمر به إلى الحبس. فقال يهجو [أبا] أيوب بن عيسى الضبي[٩]:

فلو كنتَ ضَبِّيًّا إذنْ ما حبستَني   ولكنَّ زنجيا غِلاظا مَشافِرُه[١٠]

---

(١) غ ، والطبقات : على نهرك .
(٢) الطبقات : براء ظهورهم : والديوان : صحاحا ظهورها .
(٣) ب ، س ، والديوان : الضوائك. والمرملات : اللائى نفد زادهن . والضرائك : جمع ضريكة ، وهى الفقيرة البائسة الهالكة من سوء الحال .
(٤) غ : أيوب بن عيسى الضبي .
(٥) ديوانه ٥٩٩
(٦) الديوان : أقول لنفس لا يجاد بمثلها .
(٧) الديوان : يرجع اليوم . . حذار المهالك . وفى غ : جسيم المهالك .
(٨) ى : أدركا . الديوان : حلقت بك الشمس فى الخضراء ذات الحبائك . والخضراء : يريد السماء . والحبائك : الطرق .
(٩) لم أجدها فى ديوانه .
(١٠) ب ، س : كنت قيسيا .

مَتَتُّ له بالرَّحْم بيني وبينــه ... فألفيتُه منــه بعيدا أواصِرُه[١]

وقلت:امرؤٌ من آلِ ضَبَّةَ،فاعتَزَى ... لغيرهمُ لونُ استِه وَمَحاجِرُه[٢]

ثم مدح مالك بن المنذر ــ وهو محبوس ــ مديحا كثيرا، منه قوله من أبيات[٣]:

يامالِ، هل هو مُهلِكي مالم أَقُلْ ا ... ولتَعْرِفَنَّ من القصائدِ قِيلى[٤]

يامالِ، هل لك فى كبيرٍ قد أَتتْ ... تسعون، فوقَ يَدَيْه غيرِ قليل ؟[٥]

فتَجُزَّ ناصِيَتى وتكشفَ كُرْبتى ... عنى وتُطلِق لى يداك كُبولى[٦]

ولقد بنى لكم المُعَلَّى ذروة ... رفعتْ بناءَك فى أَشمَّ طويل[٧]

والخيلُ تعلم فى جَذِيمةَ أنها ... تَرْدِى بكلِّ سَمَيْدعٍ بُهلول[٨]

فاسْقُوا فقد ملأ المعلَّى حوضَكم ... بذَنوبِ مُلْتَهِم الذِّناب سَجيل[٩]

فلما لم ينفعه مَدْحُه مالكا قال لابنه لَبْطة وهو محبوس: « اشخَص إلى هشام »

---

(١) غ : فألفيته منى .

(٢) اعتزى : انتسب .

(٣) ديوانه ٦٨٠ .

(٤) الديوان: هل أنا مهلكى . غ ؛ وليعلمن . الديوان: وليعرفن . وقيلى : قولى .

(٥) الديوان : هل لك فى أسير .

(٦) غ والديوان : وتفرج كربتى . والكبول : القيود .

(٧) الديوان :

ولقد نمت بك للمعلى سورة ... رفعت بناءك فى أشم طويل

(٨) الديوان :

والخيل تعرف من جذيمة أنها ... تعدو بكل سميدع بهلول

تردى : تمشى بين العدو والسير . والسميدع ؛ السيد الكريم الشريف السخى الموطأ الأكناف والشجاع . والبهلول : السيد الجامع لكل خير .

(٩) الذناب : كذا فى الديوان. وفى س، غ :الرباب . والذناب : جمع ذنوب ، وهو الدلو المملوءة . والسجيل : الضخم .

ومدحه بقصيدة . وقال له : « استعن بالقيسية ، ولا يمنعك قولى فيهم فإنهم سيُنْغضون لك[١] » . وقال قصيدته التى أولها[٢] :

بكتْ عينُ محزونٍ وطالَ سِجامُها … وطالت ليالى ساهرٍ لا يَنامُها[٣]
فإنْ تَبْكِ لاتبكِ المصيباتِ إذْ أتى … بها الدهرُ والأيامُ جَمٌّ خِصامها[٤]
ولكنما تبكى تَهتُّكَ خالدٍ … مَحارمَ منا لا يَحِلُّ حَرامها[٥]
فقلْ لبنى مَرْوانَ : ما بالُ ذمّةٍ … وحرمةِ حقٍّ ليس يُرْعَى ذِمامها؟[٦]
أنُقْتَل فيكم أنْ قَتلْنا عدوّكم … على دِينكم والحربُ باقٍ قَتامها ![٧]
أثار بقتل ابنِ المُهلَّب خالدٌ … وفينا بَقِيّاتُ الهُدَى وإمامها ؟[٨]
فغيِّرْ — أميرَ المؤمنين — فإنها … يَمانيةٌ حَمْقاءُ ، أنت هِشامها
أرى مُضَرَ المِصْرَيْنِ قد ذلّ نَصْرُها … ولكنْ عَسَى ألا يَذِلَّ شآمُها[٩]
فمَنْ مُبْلِغٌ بالشام قَيْسا وخِنْدِفا … أحاديثَ ما يُشْفَى ببُرْءٍ سَقامها
أحاديثَ منها نَشْتكيها إليهمُ … ومُظْلِمةً يَغْشَى الوجوهَ ظَلامها[١٠]

(١) ينغضون : ينكرون ، لعله أراد إنكارهم لحبسه . وفى غ والطبقات : سيغضبون.
(٢) ديوانه ٧٩٠ . طبقات فحول الشعراء ٢٩٥ . وفى الديوان أن الفرزدق قال القصيدة عندما قتل المنذر بن الجارود عمر بن يزيد الأسيدى بأمر من خالد بن عبد الله القسرى .
(٣) غ والطبقات : ففاض سجامها . الديوان : فطال انسجامها . ب ، س ، والديوان ، والطبقات : ليالى حادث .
(٤) الديوان والطبقات : فإن نبك لا نبك .
(٥) الطبقات : ولكنما نبكى . ى تبكى تنهك . الديوان : ولكننا نبكى تنهك .
(٦) الديوان : وحرمة حل .
(٧) الديوان : إذ قتلنا . . والحرب باد . والدين : الطاعة . والقتام : الغبار .
(٨) الديوان : وثار .
(٩) الديوان : ولكن قيسا لا يذل شآمها . والمصران : البصرة والكوفة .
(١٠) ى : الوجوه قتامها .

فإنْ مَنْ بها لم يُنْكِرِ الضَّيْمَ منهمُ ... فيَغْضَبَ منهـا كَهْلُها وغُلامها
بَغَتْ مثلَها من مِثْلِهم وتنكّلوا ... فيعلمَ أهلُ الجوْرِ كيف انتقامها
بغَلْباءَ من جُمهورها مُضَرِيّةٍ ... تُزايلُ منها أذرعَ القوم هامُها[1]
وبيضٍ على هامِ الرجالِ كأنها ... كواكبُ يجلوها لسارٍ ظلامُها
غضِبْنا لكم يا آلَ مَرْوانَ فاغضَبُوا ... عسى أنّ أرواحا يَسوغ طعامها
ولا تقطعوا الأرْحام منا فإنها ... ذُنوبٌ من الأعمالِ يُخشَى أثامها[2]
ألَمْ تكُ فى الأرْحامِ منا ومنكم ... حواجزُ أيامٍ عزيزٍ مَرامها[3]
فترْعَى قريشٌ من تميمٍ قَرابةً ... وتَجْزى بأيامٍ كريمٍ مَقامها
وقد علمت أفْناء خِنْدِفَ أننا ... ذُراها وأنّا عِزُّها وسَنامها[4]
وقد علم الأحياء من كل موطن ... إذا عدت الأحياء أنا كرامها
وأنّا إذا الحربُ العَوانُ تضرّمتْ ... نَليها إذا ما الحرب شُبَّ ضِرامها
قوام قُوَى الإسلامِ والأمرِ كلِّه ... وهل طاعةٌ إلا تَميم قِوامها[5]
إلى الله تشكو عِزَّنا الأرضُ فوقَها ... وتعلمُ أنّا ثِقْلُها وغَرامها
شكَتْنا إلى اللهِ العزيزِ فأسْمَعَتْ ... قَريبا ، وأعْيا مَن سِواهُ كلامُها[6]
نَصولُ بحَوْلِ اللهِ فى الأمرِ كلِّه ... إذا خِيف من مَصْدوعةٍ ما الْتِئامها

فأعانته القيسية وقالوا : « كلما كان نابٌ من مضر أو شاعر أو سيد وثب عليه خالد ! » .

---

(١) ى : جهورنا مضيرية يزايل : وفى ى والديوان : فيها أذرع .
(٢) الأثام : العقوبة .
(٣) الديوان : فى الإسلام . . حواجز أركان .
(٤) الديوان : أبناء خندف ، ى : لقد علمت .
(٥) الديوان : عرا الإسلام .
(٦) كذا فى ى والديوان . وفى س : شكونا إلى الله ، خطأ .

وكتب الفرزدق إلى سعيد بن الوليد الأبرش بأبيات ، فكلم له هشاما . والأبيات[١] :

إلى الأَبْرَشِ الكلبيّ أسندتُ حاجةً ... تَواكَلَها حَيَّا تميمٍ ووائلِ
على حين أنْ زَلَّتْ بِيَ النَّعلُ زَلَّةً ... وأَخْلَفَ ظني كلُّ حافٍ وناعلِ[٢]
فدُونَكَها يا ابنَ الوليدِ فإنها ... مفضَّلةٌ أصحابَها في المحافلِ[٣]
ودونكها يا ابن الوليد فقُمْ بها ... مَقامَ امرئٍ في قومه غيرِ خاملِ[٤]

فكتب هشام بتخليته . فقال الفرزدق يمدح الأبرش :

لقد وثب الكلبيُّ وثبةَ حازمٍ ... إلى خيرِ خَلْقِ الله نفسا وعُنْصُرا
إلى خيرِ أبناء الخلائفِ لم يجد ... لحاجته من دونها مُتأخَّرا[٥]
أَبَى حِلْفُ كلبٍ في تميمٍ وعَقْدُها ... كما سَنَّتِ الآباءُ ، أنْ يَتغيَّرا

وكان هذا الحلف قديما بين تميم وكلب فى الجاهلية وذلك قول جرير فى هذا الحلف بعينه[٦] :

تميمٌ إلى كلبٍ ، وكلبٌ إليهمُ ... أحقُّ وأَدْنَى من صُداءَ وحِمْيَرا[٧]

وقال الفرزدق[٨] :

أَلَمْ تَرَ قَيْساً قيسَ عَيْلانَ شَمَّرتْ ... لنَصْرِى وحاطتْنى هناك قُرومُها[٩]

(١) طبقات فحول الشعراء ٢٩٦ . ولم أجدها فى ديوانه .
(٢) ب ، س ، والطبقات : فأخلف .
(٣) الطبقات : فدونكم ، ودونكها : خذها ، يصف قصيدته .
(٤) غ والطبقات : قيام امرئ .
(٥) غ والطبقات : أبناء الخليفة .
(٦) ديوانه ٢٤٢ ، والنقائض ٩٩٤ .
(٧) الديوان والنقائض : نزار إلى كلب . وصداء وحمير : قبيلتان يمنيتان .
(٨) ديوانه ٧٦١ . طبقات فحول الشعراء ٢٩٧ .
(٩) القروم : جمع قرم ، وهو السيد الشريف المعظم .

فقد حَالفتْ قيسٌ على الناسِ كلّهم تميما ، فهم منها ، ومنها تميمها
وعادتْ عَدوِّى ، إنّ قيسا لَأُسْرتى وقومى ، إذا ما الناسُ عُدَّ صميمها

قال الفرزدق : لما طردنى زياد ، أتيت المدينة وعليها مروان بن الحكم[١] . فبلغه أنى خرجت من دار ابن صياد ، وهو رجل يزعم أهل المدينة أنه الدجال ، فليس أحد يكلمه ولا يجالسه . ولم أكن عرفتُ خبره . فأرسل إلىّ مروان فقال : « أتدرى ما مَثَلُك ؟ حديث تَحَدَّثُ به العرب : أنّ ضَبُعا مرت بحى قوم قد رحلوا . فوجدت مرآة ، فنظرت وجهها فيها . فلما رأت قبح وجهها ألقتها وقالت : من شَرِّ ما طرَحَك أهلُك . ولكن من شرِّ ما طرحك أميرُك . فلا تُقيمن بالمدينة بعد ثلاثة أيام » .

قال : فخرجت أريد اليمن ، حتى إذا صرت بأعلى ذى قَسِيّ — وهى طريق اليمن من البصرة — إذا رجل مقبل . فقلت : « من أين أَوْضَع[٢] الراكب ؟ » قال : « من البصرة » . قلت : « فما الخبر وراءك ؟ » قال : « أتانا أن زيادا مات بالكوفة » . قال : فنزلت عن راحلتى فسجدت وقلت : « لو رجعت فمدحت عُبيدالله ابن زياد وهجوت مروان » . فقلت[٣] :

وقفت بأعلى ذى قَسِىّ مَطِيَّتِى أُمثِّلُ فى مروانَ وابنِ زيادِ[٤]
فقلتُ : عبيدُ الله خيرُهما أبا وأدناهُما من رأفةٍ وسَدادِ[٥]

ومضيت لوجهى حتى أتيت بلاد بنى عُقَيل . فوردت ماء من مياههم ، فإذا بيت عظيم ، وإذا امرأة سافر لم أر كحسنها وهيئتها قط . فدنوت فقلت : « أتأذنين فى الظل ؟ » فقالت : « انزل فلك الظل والقِرَى » . فأنختُ وجلست إليها . فدعت جارية سوداء

(١) كان ذلك فى ولايته الأولى عليها ، من ٤١ — ٤٩ هـ .
(٢) أوضع : أسرع فى سيره .
(٣) ديوانه ١٨٦ .
(٤) الديوان : ذى قساء . . أمايل فى مروان .
(٥) غ : خيرهما لنا . الديوان : وأدناها عرفا لكل جواد .

كالراعية فقالت : « أَلْطِفيه شيئا . واسعى إلى الراعى فرُدِّى علىّ شاة فاذبحيها له » . وأخرجت إلىّ تمرا وزُبدا . وحادثتهافما رأيت مثلها قط : ماأنشدتُها شعرا إلا أنشدتنى أحسن منه . فأعجبنى المجلس والحديث ، إذ أقبل فتى بين بُرْدين فلما رأته رمت ببرقعها على وجهها ، وأقبلت عليه بوجهها وحديثها . فدخلنى من ذلك غيظ . فقلت للحين : « يا فتى هل لك فى الصِّراع ؟ » فقال : « سَوْءَة لك ! إن الرجل لا يصارع ضيفه ! » قال : فألححت عليه . فقالت له : « ماعليك لو لاعبتَ ابن عمك ؟ » فقمتُ وقام فلما رمى ببرده إذا خَلْق عجيب . فقلت : « هلكت ، ورب الكعبة » . فقبض على يدى ثم اخْتَلَجنى إليه وضرب فى صدرى . ثم احتملنى فوالله ما اتَّقيتُ الأرض إلا بظهر كبدى ، وجلس على صدرى . قال : فما ملكت نفسى أن ضرطت ضرطة منكرة . وثرت إلى جملى . فقال: «أنشدك الله ! » وقالت : « عافاك الله ! إنه الظل والقرى » . فقلت : « أخزى الله ظلكم وقراكم ! » ومضيت . فبينا أنا أسير إذ لحقنى الفتى على نَجيب يجنُب[1] نجيبا برَحله وزمامه من أحسن الرِّحال . فقال : « يا هذا ، إنه ما سرَّنى ما كان . وقد أراك أبدعت (أى كَلَّت ركابُك) فخذ هذا النجيب . وإياك أن تُخدَع عنه ، فقد أُعطيت به مائتى دينار » . فقلت : « نعم ، آخذه . ولكن أخبِرنى : من أنت ؟ ومن المرأة ؟ » فقال : « أنا تَوْبة بن الحُمَيِّر ، وهى ليلى الأَخْيَلية » . وقيل : إنه لما صرعه وضرط قال : « يا أبا فِراس ، هذا مَقامُ العائذ بك . والله ، ما أردتُ ما جرى » . فقال : « ويحك ! ما بى أن صرعتنى ، ولكن كأنِّى بابن الأتان (يعنى جريرا) وقد بلغه خبرى هذا ، فقال يهجونى[2] :

جلستَ إلى ليلى لتَحْظَى بقُرْبها　　　فخانَتْك دُبْرٌ لا تزال تخونُ[3]

---

(١) يجنب: يقود إلى جانبه.

(٢) لم أجده فى ديوانه .

(٣) يخون : كذا فى غ . وفى ص : خثون . ولا يتفق مع كونه خبر لا يزال .

فلو كنتَ ذا حَزْمٍ شددتَ وِكاءها كما شَدَّ خَرْتا للدِّلاصِ قُيون(١)

فما مضت إلا أيام حتى بلغ جريرا الخبر فقال فيه هذين البيتين .

قال الفرزدق : أصابنا بالبصرة مطر جَوْد(٢) ليلا . فإذا أنا بأثر دوابّ تدحرجت من ناحية البَرِّية فظننت أن قومًا خرجوا للنزهة . فقلت : خَليقاً أن يكون معهم سُفْرة وشراب . فقصصت آثارهم حتى دفعت إلى بغال عليها رَحائل موقوفة على غَدير . فأغْذَذْتُ السير(١) نحو الغدير ، فإذا نسوة مُستنقِعات فى الماء . فقلت : « لم أر كاليوم قط ولا يومَ دارة جُلْجُل » وانصرفت مُستحِييا منهن . فنادتْني امرأة منهن : « يا صاحب البغلة ، ارجع نسألك عن شيء » . فانصرفت إليهن وهن فى الماء إلى حلوقهن . فقلن : « بالله لَمَا حدثتنا بحديث دارة جلجل » . فقلت : « إن امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عم له يقال لها عُنَيزة . فطلبها زماناً فلم يصل إليها . وكان فى طلب غِرة من أهلها ليزورها ، فلم يُقْضَ له ذلك . فلما كان يوم الغدير ، وهو يوم دارة جلجل ، احتمل الحى . فتقدم الرجال وتأخر النساء والخدم والثَّقَل(٣) . فلما رأى امرؤ القيس ذلك ، تأخر بعد ما سار مع قومه غَلوة . فكمن فى غَيابة من الأرض حتى مر به النساء وإذا فتيات وفيهن عنيزة . فلما وردن الغدير قلن : « لو نزلنا فذهب عنا بعض الكلال » . فنزلن إليه ونحَّيْن العبيد عنهن ثم تجردن وانغمسن فى الغدير كهيئتكن الساعة . فأتاهن امرؤ القيس مُخاتِلا كما أتيتكُن . وهن غَوافل . فأخذ ثيابهن فجمعها . ورمى الفرزدق بنفسه عن بغلته فأخذ أثوابهن ، فجمعها ووضعها فى صدره . وقال لهن كما أقول لكُن : « والله ، لا أعطى جارية منكن ثوبها ولو أقامت

---

(١) الوكاء : رباط القربة وغيرها . والخرت : الثقب . والدلاص : الدرع الملساء اللينة . والقيون : جمع قين ، وهو الحداد والعبد .

(٢) جود : غزير .

(٣) أغذذت السير : أسرعت .

(٤) الثقل : متاع المسافر .

فى الغدير يومها حتى تخرج مجردة » . قال الفرزدق : فقالت إحداهن ، وكانت أَمْجَنهن : « إن امرأ القيس كان عاشقا لابنة عمه ، أفعاشق أنت لبعضنا ؟ » فقال : « لا والله ، ما أعشق منكن واحدة ولكنى أشتهيكن » . قال : فنعَرْن[1] وصَفّقن بأيديهن وقلن : « خذ فى حديثك فلست منصرفاً إلا بما تحب » . قال الفرزدق : « فأبَيْن تلك النسوة على امرىء القيس حتى تعالَى النهار ، وخشين أن يقصرن دون المنزل الذى أردنه . فخرجت إليه إحداهن فدفع إليها ثوبها ووضعه ناحية ، فأخذتْه ولبستْه . وتتابعن على ذلك حتى بقيت عنيزة . فناشدتْه الله أن يطرح إليها ثوبها . فقال : « دَعينا منك . فأنا حرام إن أخذتِ ثوبك إلا بيدك » . قال : فخرجت فنظر إليها مقبلة ومدبرة . فوضع لها ثوبها فأخذته . وأقبلن عليه يَعْذُلْنه ويَلُمْنه ويقلن : عريتَنا وحبستنا وجوّعتنا . قال : فإن نحرتُ لكن راحلتى أتأكلن منها ؟ قلن : نعم . فاخْتَرَط سيفه فعَقَرها ونحرها وكَشَطها . وصاح بالخدم اجمعوا له حطباً . وأجّج ناراً عظيمة . وجعل يقطع لهن من سنامها ، ومن أطايبها وكبدها ، فيلقيه على الجمر . فيأكل ويأكلن معه . ويشرب من زُكْرة[2] كانت معه . ويغنّيهن . وينْبِذ إليهن وإلى العبيد من الكباب حتى شبعن وطربن . فلما أرادوا الرحيل ، قالت إحداهن : « أنا أحمل طِنفسته » . وقالت الأخرى : « أنا أحمل رَحْله » . وقالت الأخرى : « علىّ حَشيّته وأنْساعه » . فقسمن متاع رحله بينهن . وبقيت عنيزة لم يحمِّلها شيئاً . فقال لها امرؤ القيس : « يابنت الكرام ، لابدأن تَحمليني معك فإنى لا أُطيق المشى ، وليس هو من عادتى » . فحملته على غارِب بعيرها . فكان يُدخل رأسه فى خِدرْها فيقبلها . فإذا امتنعت مال حِدْجها[3] . فتقول : «يا امرأ القيس ، عقرتَ بعيرى فانزل» .

---

(١) نعر : صاح بخيشومه .
(٢) الزكرة : زق الخمر .
(٣) الحدج : مركب النساء .

فذلك قوله :

تقول ، وقد مال الغَبيط بنا مَعًا : عقرتَ بَعيرى ، يا امرأ القيس ، فانزلِ[١]

فلما فرغ الفرزدق من حديثه ، قالت له تلك الماجنة : « قاتَلَك الله ! ما أحسن حديثك ، يافتى ، وأظرفك ! فمن أنت ؟ » قلت : « من مضر » . قالت : « مِنْ أيِّها ؟ » قلت : « من تميم » . قالت : « من أيها ؟ » قلت : « إلى هاهنا انتهى جوابى » . قالت : « إخالُك الفرزدق » . قلت : « الفرزدق شاعر وأنا راويته » . قالت : « دعنا من تَوْرِيتك عن نسبك . أسألك بالله : « أنت هو ؟ » قلت : « أنا هو » . قالت : « فإن كنت أنت هو ، فلا أحسبك مُفارقا ثيابنا إلا عن رِضا » . قلت : « أجل » . قالت : « فاصرِف وجهك عنا ساعة » . وهمستْ إلى صواحبها بشىء لم أفهمه . فانغطَطْن فى الماء فتوارَيْن . وأبدين رءوسهن وخرجن ومع كل واحدة منهن ملء كَفِّها طيناً وحَمْأة . وجعلن يتَمادَيْن نحوى ويضربن بذلك الطين والحمأة وجهى . فملأن عينى وثيابى . ووقعتُ على وجهى مشغولا بعينىّ وما فيهما . وشددن على ثيابهن فأخذنها . وركبت تلك الماجنة بغلتى وتركْنَنى مُنبطِحاً بأسوأ حال وأخزاها ، وتقول : « زعم الفتى أنه لابد من أن يَنِيكنا » . فما زُلْت من ذلك المكان حتى غسلت وجهى وثيابى وجففتها وانصرفت عند مجىء الظلام إلى منزلى على قدمى . ووجهن بغلتى إلى منزلى مع رسول لهن . وقلن : « قل له تقول لك أخواتك : طلبت منا مالم يُمْكِنا ، وقد وجهنا إليك بزوجتك فنِكْها سائر ليلتك . وهذا كِسْر درهم يكون لحمّامك إذا أصبحت » .

فكان الفرزدق يقول إذا حدث بهذا الحديث : « ما مُنيت بمثلهن ! » .

لما قدم يزيد بن المهلب واسطا[٢] ، قال لأُمَيَّة بن الجَعْد ، وكان صديق الفرزدق : « إنى لأحب أن تأتينى بالفرزدق » . فقال للفرزدق : « ماذا فاتك من يزيد ، أعظم

(١) ديوان امرىء القيس (دار المعارف بمصر) ص ١١ .

(٢) واسط : مدينة بناها الحجاج بن يوسف بين البصرة والكوفة .

الناس عفواً ، وأسخى الناس كفا ؟ » قال : « قد صدقت . ولكنى أخشى أن آتيه فأجدالعُمانية ببابه . فيقوم رجل إلىّ فيقول : هذا الفرزدق هجانى ، فيضرب عنق . فيبعث إليه يزيد فيضرب عنقه ، ويبعث إلى أهلى بديتى . فإذا يزيد قد صار أوفى العرب ، وإذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب » . ثم قال : « لا والله ، لا أفعل » . فأخبر يزيد بما قال . فقال : « أما إذ وقع هذا فى نفسه فدعه لعنه الله ! » .

دخل الفرزدق مع فتيان من آل المهلب فى بركة يتبرّدون فيها ، ومعهم ابن أبى علقمة الماجن . فجعل ينفلت إلى الفرزدق فيقول : « دعونى حتى أنكحه ، حتى لا يهجونا أبداً » . وكان الفرزدق من أجبن الناس . فجعل يستغيث ويقول : « ويلكم ! لا يمس جلدى جلده فيبلغ ذلك جريرا ، فيُوجب علىّ أنه قد كان منه الذى يقول » . فلم يزل يناشدهم حتى كفوا عنه .

وقيل : إن مشايخ الأَزْد وأولى النُّهَى جاءوا . فصاحوا بابن أبى علقمة وبأولئك السفهاء . فقال لهم ابن علقمة : « ويلكم ! أطيعونى اليوم واعصُونى الدهر . هذا شاعر مضر ولسانها ، وقد شتم أعراضكم وهجا ساداتكم . والله ، لاتنالون من مضر مثلها أبدا » . فحالوا بينه وبينه . فكان الفرزدق يقول بعد ذلك : « قاتله الله ! والله لقد كان أشار عليهم بالرأى[(١)] » .

خرج الفرزدق حاجّا . فلما قضى حجه عدل إلى المدينة . فدخل على سُكَينة بنت الحسين عليهما السلام . فقالت : « يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ » قال : « أنا » . قالت : « كذبت أشعر منك جرير حيث يقول[(٢)] :

بنفسى مَن تَجنُّبــــه عزيزٌ ... علىّ ، ومن زيارته لِمــامُ

(١) فى حاشية على هامش ص : « سوءة لك يا فرزدق ، إن كان الرأى الذى استحسنته لهم أن يفعل بك » .

(٢) ديوانه ٥١٢ . طبقات فحول الشعراء ٣٥٣ .

ومن أُمسِى وأُصبح لا أراه ... ويطرُقُنى إذا هَجَع النِّيـــام

فقال : « والله لو أذنتِ لى لأسمعنَّك أحسن منه » قالت : « أقيموه ». فأُخرج. ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها . فقالت : « يا فرزدق، من أشعر الناس ؟ » قال : « أنا » . قالت : « كذبت . صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول[1] :

لولا الحيـــاء لَعادَنى استِعْبارُ ... ولَزُرْتُ قَبْرَكِ والحبيبُ يُزار[2]

كانت إذا هجر الضّجيعُ فِراشَها ... كُتِم الحديثُ وعَفّتِ الأَسْرار[3]

لا يُلْبِثُ القُرَناءَ أنْ يتفرقوا ... ليـــلٌ يـــكُرُّ عليهمُ ونهار

فقال : « والله ، لو أذنت لى لأسمعنّك أحسن منه » . فأمرت به فأخرج . ثم عاد إليها فى اليوم الثالث ، وحولها مُوَلَّدَات[4] كأنهن التماثيل . فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجبته . وبَهِت ينظر إليها . فقالت له سكينة : « يافرزدق، من أشعر الناس ؟ » قال : « أنا » . قالت : « كذبت صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول[5] :

إنّ العيونَ التى فى طَرْفِها حَوَرٌ ... قَتَلْنَنا ثم لم يُحْيِين قتـــلانا[6]

يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَراكَ به ... وهُنّ أضعفُ خلق الله أَرْكانا[7]

أَتبَعْتُهم مُقْلةً إنسانُها غَرِقٌ ... هل ما ترى تاركٌ للعين إنسانا؟

---

(١) ديوانه ١٩٩ . النقائض ٨٤٧ .

(٢) قبرك : كذا فى المصادر، وهى الرواية المشهورة وكذا كان فى ص ثم ضرب عليه وكتب فى الهامش : بيتك .

(٣) الديوان والنقائض : هجر الحليل . . خزن الحديث .

(٤) المولدات : الجوارى .

(٥) ديوانه ٥٩٥ . طبقات فحول الشعراء ٣٢٠ ، ٣٥٢ .

(٦) غ والديوان والطبقات مرة : فى طرفها مرض .

(٧) الديوان : لا صراع به .

فقال : « والله ، لو تركتِنى لأسمعنّك أحسن منه » . فأمرت بإخراجه . فالتفت إليها وقال : « يا بنت رسول الله ، إن لى عليك حقا عظيما : ضربتُ إليك من مكة إرادة التسليم عليك . فكان جزائى من ذلك تكذيبى ، وطردى ، وتفضيل جرير على ، ومَنْعك إياى أن أنشدك شيئا من شعرى . وبى ما قد عِيلَ منه صبرى . وهذه المنايا تغدو وتروح . ولعلى لا أفارق المدينة حتى أموت . فإذا أنا مت ، فمرى بى أن أُدْرَج فى كفنى ، وأُدفَن فى حِرِ هذه الجارية » ، وأشار إلى التى أعجبته . فضحكت سكينة . وأمرت له بالجارية . فخرج بها آخذا بِرَيْطَتها[١] ، وأمرت الجوارى فدفعن فى أَقْفِيتهما . ونادته : « يا فرزدق ، احتفظ بها وأَجْمِل صُحْبتها ، فإنى قد آثرتُك بها على نفسى » .

كان تميم بن زيد القُضاعىّ ثم أحد بنى القَيْن[٢] بن جَسْر غزا الهند فى جيش ، وفيهم رجل يقال له خُنَيس . فلما طالت غيبته على أمه اشتاقته . فسألت عمن يكلم تميم ابن زيد أن يُقْفِل ابنها[٣] . فقيل لها : « عليك بالفرزدق فاستَجيرى بقبر أبيه » . فأتت قبر غالب بكاظمة . فأقامت حتى علم الفرزدق بمكانها . ثم أتته وطلبت حاجتها . فكتب إلى تميم بن زيد هذه الأبيات[٤] :

هَبْ لى خُنَيسا واتَّخِذْ فيه مِنَّةً ... لغُصَّةِ أمٍّ ما يَسوغُ شَرابُها[٥]
أتَتْنِى فعاذَتْ ـ يا تميم ـ بغالبٍ ... وبالحُفْرةِ السّافِى عليها تُرابُها[٦]

---

(١) الريطة : الملاءة التى كلها نسج واحد .
(٢) كذا فى غ وهو الصواب . وفى س : عبد القين .
(٣) يقفله : يرجعه .
(٤) لم أجدها فى ديوانه . وهى فى النقائض ٣٨١ ، كامل المبرد ٤٣٠ ، طبقات فحول الشعراء ٢٦٢ ، أمالى القالى ٣ : ٧٧ ، اللسان (حوب) .
(٥) النقائض : فهب لى خنيسا . الطبقات : فهب لى حبيشا . الأمالى : فخل خنيسا . الكامل واللسان : واحتسب فيه منة . الكامل والنقائض والأمالى واللسان : لحوبة أم .
(٦) اللسان : أتتنى فعاذت ذات شكوى بغالب .

تميمَ بنَ زيدٍ، لا تكونَنَّ حاجتى بظهرٍ فلا يَخْفَى علىَّ جوابُها[١]

فلما أتاه كتابه ، لم يدر ما اسمه : حبيش أو خُنَيس . فأخرج ديوانه وأقفل كل حبيش وخنيس فى جيشه ، وهم عدة ، وأنفذهم إلى الفرزدق .

ضرب مُكاتَب[٢] لبنى مِنْقَر بساطا على قبر غالب أبى الفرزدق . فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه بمكانه عند قبر أبيه . ثم قدم عليه فقال[٣] :

بقبر ابنِ ليلى غالب عُذْتُ بعد ما خشيتُ الرَّدى أو أنْ أرَدَّ على قَسْرِ[٤]

فأخبرنى قبرُ ابن ليلى فقال لى فَكاكُك أن تَلْقَى الفرزدق بالمِصْرِ[٥]

فقال الفرزدق : « صدق أبى، أَنِخْ » . ثم طاف له فى الناس حتى جمع له مكاتَبَته وفَضْلا .

كان عبد الله[٦] بن عطية راوية للفرزدق وجرير . قال : دعانى يوما الفرزدق فقال « إنى قد قلت بيت شعر ، والنوارُ طالق إنْ نَقَضه ابنُ المَراغَة » . قال : [قلت] « وما هو ؟ » قال : « قد قلت[٧] :

فإنى أنا الموتُ الذى هو نازلٌ بنفسِك فانظرْ كيف أنت مُحاوِلُه[٨]

ارحل إليه بالبيت » . قال : « فرحلت إلى اليمامة. فلقيت جريرا بفناء بيته يعبث

---

(١) الطبقات : يخفى عليك . الكامل والنقائض : يعيا على . الأمالى ولا يعيا على . اللسان : ولا يعيا عليك . وكانت حاجتى بظهر : طرحتها وأهملتها .

(٢) المكاتب : العبد الذى كاتب مولاه أن يؤدى عنه فيعتقه .

(٣) النقائض ٣٨١ . طبقات فحول الشعراء ٢٦٢ .

(٤) النقائض : إلى قسر .

(٥) غ : فخاطبنى قبر ابن ليلى وقال لى . النقائض : فقال لى القبر المبارك إنما . والمصر . يريد البصرة .

(٦) ى : عبيد الله .

(٧) ديوانه ٧٣٨ . النقائض ٦٠٦ .

(٨) الديوان والنقائض : هو ذاهب . غ : تحاوله .

بالرمل . فقلت له : « إن الفرزدق قد قال بيتا، وحلف بطلاق النوار أنك لا تنقضه ». قال : « هيه ! أظنّ ـ والله ـ ذلك . فما هو ، وَيْلَكَ؟ » فأنشدته إياه . فجعل يتمرغ في التراب ويحثوه على رأسه وصدره حتى كادت الشمس تغرب . ثم قال : « أنا أبو حَزْرة ، طلقتْ امرأة الفاسق الخبيث ! » ثم قال[1] :

أنا الدهرُ يُفنى الموتَ والدهرُ خالدٌ   فجِئْنى بمثل الدهرِ شيئا يُطاوله

ارحل إلى الفاسق الخبيث» . قال: فقدمت على الفرزدق فأنشدته إياه ، وأخبرته بمقالة جرير . فقال : « أقسمت عليك لَمَا سترتَ هذا الحديث » .

دخل الفرزدق على بلال بن أبى بردة ، وعنده ناس من اليمامة ، فضحكوا . فقال : « يا أبا فِراس، أتدرى مم ضحكوا ؟ » قال : «لا» . قال : « من جَفائك ». قال : « أصلح الله الأمير ! حججتُ فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبى ، وعلى عاتقه الأيسر صبي آخر ، وإذا امرأة من قدامه آخذة بمئزره ، وهو يقول[2] :

أنت وهبتَ زائدا ومَزْيَدا   وكهلةً أُولِجُ فيها الأَجْرَدا

والمرأة تقول من خلفه : « إذا شئت . إذا شئت » . فسألت : « ممن الرجل ؟ فقيل لى : « من الأَشْمَريين » ، فأنا أجْفَى أم ذلك ؟ » فقال بلال : « لا حيّاكَ الله ! قد علمتُ أنهم لم يُفْلتوا منك » .

ركب الفرزدق بغلته . فمر بنسوة . فلما حاذاهن لم تتمالك بغلته ضرطا . فضحكن منه . فالتفت إليهن وقال : « لا تضحكن ، فما حمَلْتنى أنثى إلا ضرطت » . فقالت له إحداهن : « ما حَمَلك أكثرُ من أمك . فأراها قد قاست منك ضراطا كثيرا ». فحرك بغلته وهرب منهن .

---

(١) ديوانه ٤٨٣ ، النقائض ٦٥١ .

(٢) لم أجده فى ديوانه .

قال الفرزدق : ما أعيانى جوابُ أحد كما أعيانى جواب دِهْقان[١] مرة قال لى : « أنت الفرزدق الشاعر ؟ » قلت: « نعم » . قال: « إن هجوتنى تخربْ ضيعتى[٢] ؟ » قلت : « لا » . قال : « أفتموت عَيْشونة ابنتى ؟ » قلت : « لا » . قال : « فرِجْلى إلى حَلْقى فى حِرِ أمك » . قال : قلت : « ويلك ! فلم تركت رأسك ؟ » قال : « حتى أنظر أى شىء تعمل ؟ » .

مر الفرزدق بماء فأسرع فيه بغلته . فقال له مجنون بالبصرة يقال له حربيش : « نَحِّ بغلتك . جَذَّ الله رجليك ! » قال : « ولم ، ويلك ؟ » قال : « لأنك كذوب الحنجرة ، زانى الكَمَرَة » . فقال الفرزدق لبغلته : « عَدَس ! »[٣] ومضى وكره أن يسمع قوله الناس .

قيل للفرزدق : « ما اختيارُكَ فى شعرك القِصار ؟ » قال : « لأنى رأيتها فى الصدور أثبت ، وفى المحافل أجْوَل » .

وقيل للحطيئة : « ما بال قصارك أكثر من طوالك ؟ » قال : « لأنها فى الآذان أوْلج ، وفى أفواه الرجال أعْلق » .

قيل لعقيل بن عُلَّفة : « مالك تُقَصِّر فى هجائك ؟ » قال : « حَسْبُك من القلادة ما أحاط بالرقبة » .

قال الجهْم بن سُويد بن المنذر الجرامى للفرزدق : « أما وجدتْ أمك لك اسما إلا الفرزدق الذى تكسره النساء فى سويقها ! » قال : والعرب تسمى خبز الفَتوت الفرزدق . فأقبل الفرزدق على قوم معه فى المجلس فقال: « ما اسمه ؟ » فلم يخبروه باسمه. قال : « والله ، لئن لم تخبرونى لأهجونَّكم كلكم » . فقالوا له : « اسمه الجهم

(١) الدهقان : رئيس الإقليم عند الفرس .
(٢) غ : أفأموت إن هجوتنى .
(٣) عدس : كلمة يزجر بها البغال .

ابن سويد بن المنذر » . فقال الفرزدق : « أحق الناس ألا يتكلم في هذا أنت ، لأن اسمك اسم متاع المرأة ، واسم أبيك اسم الحمار ، واسم جدك اسم الكلب » .

لقى الفرزدق الحسين بن علىّ عليهما السلام ، متوجها إلى الكوفة خارجا من مكة ، في اليوم السادس من ذى الحجة[1] . فقال له الحسين : « ما وراءك ؟ » قال : « يا ابن رسول الله ، أنفُس الناس معك وأيْديهم عليك ، والدنيا مطلوبة وهى فى أيدى بنى أمية ، والأمر إلى الله عز وجل ، والقضاء ينزل بما شاء » . قال : « ويحك ! معى وِقْر بعير من كتبهم يدعوننى ويناشدوننى الله » . قال : فلما قتل الحسين ، قال الفرزدق : « انظروا ، فإن غضبت العرب لابن سيدها وخيرها ، فاعلموا أنه سيدوم عزها وتبقى هيبتها . وإن صَبَرت عليه ولم تتغير ، لم يزدها الله إلا ذلا إلى آخر الأبد » . وأنشد[2] :

فإن أنتمُ لم تثأروا بابنِ خيركم ... فألقوا السلاحَ واغزلوا بالمَغازلِ

كان الفرزدق أراد امرأة شريفة على نفسها فامتنعت عليه . فتهدّدها بالهجاء والفضيحة . فاستجارت بالنوار امرأته وقصّت عليها القصة . فقالت لها : « عِديه ليلة ثم أعْلِميني » . ففعلت . وجاءت النوار فدخلت الحَجَلة[3] مع المرأة . فلما دخل الفرزدق البيت ، أمرت الجارية فأطفأت السراج . وبادرت المرأة الحجلة ، فاتبعها الفرزدق ، فخرجت من الجهة الأخرى . ووقع الفرزدق على النوار وهو لا يشك أنها صاحبته . فلما فرغ ، قالت له : « ياعدو الله ! يافاسق ! » فعرف نغمتها وأنه خُدع ، فقال لها : « ياسُبْحان الله ! ما أطْيَبك حَراما ، وأرْدَاك حلالا ! » .

---

(١) فى ذلك التاريخ خلافا نظرا للخلط بين خروج مسلم بن عقيل والحسين . وانظر كامل ابن الأثير ٤ : ٣٠ ، ٣٣ ، ومروج الذهب للمسعودى ٥ : ١٤٢ .

(٢) لم أجدها فى ديوانه .

(٣) الحجلة : موضع يزين بالثياب والستور للعروس .

قال الأصمعى : سمع الفرزدق رجلا يقرأ « والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ ، والله غفور رحيم » . فقال الفرزدق : « اقطعوا أيديهما نكالا من الله ، والله غفور رحيم ! لا ينبغى أن يكون هذا هكذا ! فقيل له : إنه : « وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »[١] . فقال : « هكذا ينبغى أن يكون » .

مرّ أسماء بن خارجة الفَزارى على الفرزدق ، وهو يَهْنَأُ بعيرا[٢] له . فقال له : « يافرزدق ، كسد شعرك ، واطّرحتك الملوك ، فصرت إلى مهنة إبلك . وقد أمرت لك بمائة بعير فاقبضها » . فقال الفرزدق يمدحه[٣] :

إنّ السَّماحَ الذى فى الناسِ كُلِّهِمِ ... قد حازه اللهُ للمِفْضالِ أَسْماءِ

يُعطى الجزيلَ بلا مَنٍّ ولا كَدَرٍ ... عَفْوا ويُتبِع آلاءً بنَعْماءِ[٤]

ما ضَرَّ قوما إذا أمسى يُجاوِرهم ... ألّا يكونوا ذوى إبْلٍ ولا شاءِ

شرب الفرزدق نبيذاً باليمامة وهو يريد العراق . فقال لصاحب له : « إن الغُلمة[٥] قد آذَتْنى فاكْسِبْنى بَغِيا » . قال : « من أين أصيب لك هاهنا بغيا ؟ » قال : « لا بد أن تحتال لى » . قال : فمضى الرجل إلى القرية ، والفرزدق ناحية . فقال : « هل من امرأة تقبَل[٦] ؛ فإن معى امرأة ماخِضا قد أخذها الطَّلْق » . فبعثوا معه امرأة . فأدخلها على الفرزدق وقد غطاه . فلما دنت منه ، واثبها ، ثم ارتحل مبادراً وقال : « كأنى بابن الخبيث (يعنى جريرا) لو قد بلغه هذا الخبر قد قال[٧] :

(١) الآية ٣٨ من سورة المائدة .

(٢) يهنأ البعير : يطليه بالقطران عند جربه .

(٣) لم أجدها فى ديوانه .

(٤) غ : بلا من يكدره .

(٥) الغلمة : الشهوة العظيمة .

(٦) تقبل : تعمل قابلة ، أى مولدة .

(٧) ديوانه ٢٨١ . النقائض ٢٥١ . طبقات فحول الشعراء ٣٥٣ .

وكنتَ إذا حَلَلْتَ بدارِ قومٍ   رَحلتَ بخَزْيةٍ وتركتَ عارَا

فبلغ جريرا الخبر، فهجاه بهذا الشعر.

قال الفرزدق : قد علم الناس أنى فحل الشعراء ، وربما أتت علىّ ساعة لَقَلْعُ ضرسٍ من أضراسى أهون علىّ من قول بيت شعر .

قال أبو عبيدة : انصرف الفرزدق من بعض الأمراء فى غداةٍ باردة ، وأمر بجزور فنُحرت ثم قسمها . وأغفل امرأة من بنى فُقَيم . فرجزت فقالت :

فَيْشَلةٌ هَدْلاء ذات شِقْشِقٍ   مُشرفة اليافوخِ والمُحَوَّقِ(١)

مُدْمَجة ذات حِفافٍ أَخْلَقٍ   نِيطتْ بحقوى قَطِمٍ عَشَنَّقٍ(٢)

أولجتُها فى سَبَّةِ الفرزدقِ(٣)

قال أبو عبيدة : فهرب منها ، فدخل بيت حماد بن الهيثم . ثم إن الفرزدق قال فيها(٤) :

قتلتُ قتيلا لم ير الناسُ مثلَه   أُقلِّبه ذا تُومَتَيْنِ مُسَوَّرا(٥)

حملتُ إليه طعنةً فطعنتُه   فغادرتُه بين الحَشايا مُكَوَّرا(٦)

ترى جُرْحَه من بعد ما قد طعنتُه   يَفوح كمثل المِسْكِ خالط عَنْبرا

وما هو يومَ الزَّحْف بارَز قِرْنَه   ولا هو وَلَّى يومَ لاقَى فأَدْبَرا

---

(١) هدلاء : مسترخية . والحوق : ما استدار بالكمرة من حروفها .

(٢) نيطت : علقت . الحقو : الخصر . القطم : العظيم الشهوة . العشنق : الطويل .

(٣) السبة : الاست .

(٤) ديوانه ٢٣٣ ، ٣٨٣ .

(٥) ذا تومتين : كذا فى غ . وفى س : كالتومتين . والتومة : اللؤلؤة ، والقرط فيه حبة كبيرة . والمسور : ذو الأساور .

(٦) ب ، س : حملت عليه حملتين بطعنة . ى: حملت عليه حملة فطعنته، وهى أحسن الروايات. غ : فوق الحشايا . ومكور : صريع .

بنى دارمٍ ، ما تأمرون بشاعرٍ بَرودِ الثَّنايا ما يزال مُزَعْفَرا(١)
إذا ما هُوَ اسْتلقَى رأيتَ جَهازه كَمَقْطَعِ عُنْق الناب أسودَ أحمرا(٢)
وكيف أُهاجى شاعرا رمحُه استُه أعدَّ ليومِ الرَّوْعِ عِطْرا ومِجْمَرا(٣)

فقالت المرأة : « لا أرى الرجال يذكرون منى هذا » ، فعاهدت الله ألا تقول شعرا .

قدم الفرزدق الشام ، وبها جرير بن الخَطَفى . فقال جرير : « ما ظننت أنك تَقْدَم بلدا أنا فيه ! » فقال له الفرزدق : « إنى طال ما أخلفتُ ظنَّ العاجز » .

قال هشام بن القاسم العَنَزى : جمعنى والفرزدق مجلس ، فتجاهلت عليه ، فقلت له : « من أنت ؟ » قال : « أما تعرفنى ؟ » قلت : « لا » قال : « أنا أبو فِراس » قلت : « من أبو فراس ؟ » قال : « أنا الفرزدق » . قلت : « من الفرزدق ؟ » قال : « أو ما تعرف الفرزدق ؟ » قلت : « أعرف الفرزدق شيئا تتخذه النساء عندنا بالمدينة يتسَمَّنّ به ، وهو الفَتوت » . فضحك ثم قال : « الحمد لله الذى جعلنى فى بطون نسائكم » .

حج هشام بن عبد الملك فى خلافة أخيه الوليد ، ومعه رؤساء أهل الشام . فجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من ازدحام الناس . فنُصب له منبر فجلس عليه ينظر إلى الناس . فأقبل علىُّ بن الحسين عليهما السلام ، وهو أحسن الناس وجها ، وأنظفهم ثوبا ، وأطيبهم رائحة . فطاف بالبيت . فلما بلغ إلى الحجر ، تنحى الناس كلهم وخلوا الحجر ليستلمه ، تعظيما وهيبة وإجلالا له . فغاظ ذلك هشاما وبلغ منه .

---

(١) الديوان :

ألا يا عباد الله ما بال شاعر برود الثنايا لا يزال مزعفرا

(٢) الديوان مرة : رأيت سلاحه . ومقطع : موضع قطع . والناب : الناقة المسنة .

(٣) الديوان مرة : فكيف ، وأخرى : فهل يغلبنى شاعر . والديوان : درجا ومجمرا . غ : ردعا ومجمرا .

فقال رجل لهشام: « من هذا ، أصلح الله الأمير ؟ » فقال : « لا أعرفه » . وكان به عارفا ولكنه خاف أن يرغّب فيه أهل الشام قولُه منه . فقال الفرزدق ، وكان حاضرا لذلك كله : « أنا أعرفه ، فسَلْني يا شامى » . فقال : « من هو ؟ » فقال[1] :

هـذا الذى تعرِف البَطحاءُ وَطْأَته | والبيتُ يعرِفُه والحِلُّ والحَرَمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كلِّهِمِ | هـذا التقىُّ النقى الطاهر العلم[2]
هذا ابن فاطمةٍ إنْ كنتَ جاهلَه | بجَدّه أنبياء الله قـد خُتِموا
وليس قولُك : مَنْ هذا ، بضائرِه | العُرْبُ تعرف من أنكرتَ والعَجَم
إذا رأته قريشٌ قال قائلُها : | إلى مكارمِ هـذا ينتَهِى الكرم
يكاد يُمْسِكُه عِرْفانَ راحتِه | ركنُ الحطيمِ إذا ما جاء يَستَلِم[3]
الله شرّفه قِدْما وعَظّمه | جَرَى بذلك له فى لَوْحِه القَلَم[4]
أىُّ الخلائقِ ليستْ فى رقابِهِمُ | لأَوّليَّةِ هـذا أو لـه نِعَم ؟[5]
من يَعرفِ اللهَ يعرفْ أوليةَ ذا | فالدِّينُ من بيتِ هذا ناله الأُمم[6]
يَنْمِى إلى ذروةِ الدينِ التى قَصُرت | عنها الأكفُّ وعن إدراكها القدم[7]

---

(١) لم أجدها فى ديوانه . وهى فى أمالى المرتضى ١ : ٦٨ . وزهر الآداب للحصرى ٦٥ ، وشرح المرزوقى للحماسة ١٦٢١ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى ١٦٩ ، والبيان والتبيين للجاحظ ١ : ٣٧ . واختلف فى نسبة أبيات منها ، فقيل: إنها للفرزدق وللحزين الكنانى فى عبدالله ابن عبد الملك ولداود بن سلم فى قثم بن العباس .

(٢) ب ، س : الظاهر . الحصرى : النقى التقى .

(٣) عرفان : أى من أجل معرفة . والحطيم : الجدار الذى عليه ميزاب الكعبة .

(٤) الحصرى : الله فضله قدما وشرفه .

(٥) الأمالى : أى القبائل .

(٦) غ : من يشكر الله يشكر أولية ذا . وفى ص : الدين . والحصرى : يعرف أوليته .

(٧) الحصرى :

ينمى إلى ذروة العز التى قصرت | عن نيلها عرب الإسلام والعجم

مَن جَدُّه دانَ فضلُ الأنبياء له   وفضْلُ أُمّته دانتْ له الأُمم (١)
مشتقّةٌ من رسولِ اللهِ نَبْعَتُه   طابتْ مَغارِسُه والخِيمُ والشِّيَم (٢)
ينشقُّ ثوبُ الدُّجَى عن نورِ غُرَّته   كالشمس تنجاب عن إشراقها الظُّلَم
من معشرٍ حُبُّهم دينٌ ، وبُغضُهم   كفرٌ ، وقُربهمُ مَنْجًى ومُعْتَصم
مُقدَّمٌ بعدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُم   في كل بِرٍّ ، ومختومٌ به الكَلِم (٣)
إنْ عُدَّ أهلُ التُّقَى كانوا أئمتَهم   أو قيل : مَنْ خيرُ أهلِ الأرضِ ؟ قيل: هُمُ
لا يستطيع جوادٌ كُنْهَ جودهمُ   ولا يُدانيهمُ قوم وإن كَرُموا (٤)
يُستدفَع الشرُّ والبلوى بحُبِّهمُ   ويُسْتَرَبُّ به الإحسان والنِّعَم (٥)

فغضب هشام ، فحبسه بين مكة والمدينة . فقال الفرزدق (٦) :

أتَحْبِسُني بين المدينة والتي   إليها قلوبُ الناسِ يَهْوِي مُنيبُها (٧)
يُقلِّب رأسا لم يكنْ رأسَ سيدٍ   وعَيْنا لـه حَوْلاءَ بادٍ عيوبُها (٨)

فبلغ شعره هشاما ، فوجَّه فأطلقه . فوجّه إليه علي بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال : « اعذر ، يا أبا فراس . فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا

---

(١) دانت له : كذا في غ . وفي س : دانت لها . وهي لا تتفق مع السياق .
(٢) الخيم : الطبع . الحصري : طابت عناصره .
(٣) الحصري : في كل بدء .
(٤) ب ، س : بعد جودهم . الحصري : بعد غايتهم .
(٥) يسترب : يستزاد ويستعظم . الحصري : يستدفع السوء والبلوى .
(٦) ديوانه ٥١ . أمالي المرتضى ٦٩ .
(٧) الديوان : يرددني بين المدينة . الأمالي : تحبسني بين المدينة . . . رقاب الناس .
(٨) الديوان :

يقلب عينا لم تكن لخليفة   مشوهة حولاء باد عيوبها

وصلناك به » . فردها وقال : « ما قلتُ ما قلت إلا لله تعالى . وما كنت لأُرْزَأ[1] عليه شيئا » . فقال على : « قد رأى الله مكانك ، فشكرلك. ولكنا أهل بيت ، إذا أنفذْنا شيئا لم نرجع فيه » . فأقسم عليه فقبلها .

لما هجا الفرزدق نهر مالك بن المنذر وطلبه ، ظفر به فى البَراجم ، فأخذه وحبسه . فمروا به على بنى مُجاشع . فقال : « يا قوم ، اشهدوا أنه لا خاتَم فى يدى » . وذلك أن عمر بن يزيد بن أُسيد لما حُبس ، أمر به فلُويت عنقه . ثم أُخرج ليلا إلى السجن ، فجعل رأسه يتقلّب ، والأعوان يقولون له : « قوِّم رأسك » . فلما أتوا به السجان ، قال : « لاأتسلم منكم ميتاً » فأخذوا المفاتيح منه وأدخلوه الحبس. فأصبح ميتا، فشنّعوا أنه مَصّ خاتمه وكان فيه سم فمات . وتكلم الناس فى أمره . فدخل لبطة بن الفرزدق على أبيه فقال : « يا بنى ، هل من خبر ؟ » قال : « نعم ، عمر بن يزيد بن أسيد مص خاتمه فى الحبس وكان فيه سم فمات » . فقال الفرزدق : « وأبوك – والله ، يابنى – لئن لم تلحق واسط ليمَصَّن خاتمه » . قال : وكان عمر قد عارض خالدا ، وهو يصف لهشام طاعة اليمن وحسن موالاتهم . فصَفَق عمر إحدى يديه على الأخرى حتى سُمع لهما فى الإيوان دوىّ ، وقال : « كذب ، والله يا أمير المؤمنين . ما أطاعت اليمانية ولا نصحت . أليس هم أعداءك ، وأصحاب يزيد بن المهلب وابن الأشعث ! والله ، ما يَنعِق ناعق إلا أسرعوا الوثبة إليه . فاحذرهم ، يا أمير المؤمنين » . قال : فتبين ذلك فى وجه هشام. ووثب رجل من بنى أمية فقال لعمر بن يزيد : «وصل الله رحمك، وأحسن جزاءك ، فلقد شددتَ من أنفُس قومك وانتهزت الفرصة فى وقتها . ولكنى أحسب هذا الرجل سيلى العراق ، وهو منكر حسود وليس يَخار لك إن وَلِى » . فلم يرتدع عمر بقوله، وظن أنه لا يُقدم عليه . فلما ولى لم تسكن له همة غيره حتى قتله . ثم إن مالكا وجّه بالفرزدق إلى خالد . فلما قدم عليه ، وجده قد حج واستخلف

(١) أرزأ : أصيب .

أخاه أسد بن عبد الله على العراق . فحبسه أسد . ووافق عنده جريرا . فوثب ليشفع له فقال : « إن رأى الأمير أن يهبه لى ! » فقال أسد : « أتشفع له يا جرير ؟ » قال : « إن ذلك أذلُّ له، أصلح الله الأمير ! » وكلم أسد المنذر فخلى سبيله . فقال الفرزدق[١] :

لا فضلَ إلا فضـــلُ أمٍّ على ابنها　　　كفضلِ أبى الأشبال عند الفرزدق
تداركنى من هُـــوَّةٍ دون قعرهـــا　　　ثمـانون باعـا للطويل العَشَنَّقِ[٢]

حكى لبطة بن الفرزدق أن أباه أصابته ذات الجنْب ، وكانت سبب وفاته . فوُصف له أن يشرب النفط الأبيض . قال : فجعلناه له فى قدح وسقيناه إياه . فقال : « أى بنى ، عجّلت لأبيك شراب أهل النار ! » فقلت له : « قل : لا إله إلا الله » . وجعلت أكررها عليه . فنظر إلىّ ثم قال[٣] :

وظَلَّت تعالَى بالنّهار كأنهـــا　　　رماحٌ نَحاها وجهةَ الريح راكزُ[٤]

فكان ذلك هِجِّيراه حتى مات .

كان الفرزدق قد دبر عَبيدا له ، وأوصى بعتقهم بعد موته ودفع شيء من أمواله إليهم . فلما احتُضر ، جمع سائر بنيه وأهل بيته ، وجعل يقول[٥] :

أرُونى مَنْ يقوم لـكم مَقامى　　　إذا ما الأمرُ جَلّ عن الخطاب[٦]
إلى من ترْجعون إذا حَثَوْتُم　　　بأيديـكم علىّ من التراب ![٧]

فقال بعض عبيده الذين أمر بعتقهم: « إلى الله عز وجل » . فأمر ببيعه قبل وفاته، وأبطل وصيته فيه.

---

(١) ديوانه ٥٩٢ .
(٢) الديوان : كان قعرها . غ : للطوال . والعشنق : المفرط الطول .
(٣) لم أجده فى ديوانه .
(٤) ب ، س : فظلت . غ : تعالى باليفاع .
(٥) ديوانه ١١٤ .
(٦) الديوان : عن العتاب .
(٧) غ والديوان : إلى من تفزعون .

توفى للفرزدق ابن صغير قبل وفاته بأيام فصلى عليه . ثم التفت إلى الناس فقال[١] :

وما نحنُ إلا مثلُهم غيرَ أنّنا ... أقَمْنا قليلا بعدهم وتقدَّموا

فلم يلبث إلا أياما حتى مات .

ولما توفى الفرزدق ، وبلغت وفاته جريرا ، سكت ساعة . فظُنّ أنه يقول شعرا . ثم دمعت عيناه ، فقال له القوم : « سبحان الله ! أتبكى على الفرزدق ! » فقال : « والله ، ما أبكى إلا على نفسى . أما والله إن بقائى خلافَه لقليل . إنه قلّ ما كان مثلنا رجلان مجتمعان على خير أو شر إلا كان أَمَد ما بينهما قريبا » . وقال[٢] :

فُجِعْنا بحَمّال الدِّياتِ ابنِ غالبٍ ... وحامى تميمٍ كلِّها والبَراجِمِ[٣]

بكيناكَ حِدْثانَ الفراقِ وإنما ... بكيناكَ شَجْوا للأمورِ العَظائمِ[٤]

فلا حملتْ بعدَ ابنِ ليلى مَهيرةٌ ... ولا شُدَّ أنساعُ المَطِىِّ الرَّواسمِ[٥]

وكان الفرزدق قد أسنّ حتى قارب المائة . فأصابته الدُّبَيلة[٦] وهو بالبادية . فقدم البصرة فاستطَبّ بها .

ومات الفرزدق فى سنة أربعَ عَشْرة ومائة . وقيل سنة عشر ومائة . ومات فى هذه السنة الحسن وابن سيرين والفرزدق وجرير . فقالت امرأة من أهل البصرة : « كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه فى سنة ! » وقيل : مات جرير بعد الفرزدق

(١) ديوانه ٨١٨ .

(٢) ديوانه ٥٣٠ . النقائض ١٠٤٦ .

(٣) الديوان والنقائض : وحامى تميم عرضها والمراجم .

(٤) الديوان والنقائض : بكيناك إذ نابت أمور العظائم . وحدثان الفراق : من أجل حدوثه .

(٥) المهيرة : الحرة التى يدفع مهرها عند التزوج منها . والأنساع : جمع نسع ، وهو سير ينسج عريضا على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال . والرواسم : الإبل التى تؤثر فى الأرض .

(٦) الدبيلة : داء فى الجوف .

بستة أشهر . وقال جرير لما بلغه موت الفرزدق : « قلّما تصاول فحلان فمات أحدهما ، إلا أسرع لحاق الآخر به ».

رُئى جرير والفرزدق بعد موتهما . فرئى الفرزدق بخير ، وذَكر أنه غُفر له بتكبيرة كبّرها فى المقبرة عند قبر أبيه غالب .

وقبر الفرزدق بالبصرة فى مقابر بنى تميم . وقبر جرير باليمامة ، ومات بها . وقبر الأعشى باليمامة ، أعشى بنى قيس بن ثعلبة .

وقال لبطة : رأيت أبى فى النوم . فقلت : « مافعل الله بك ؟ « فقال : « نفعتنى الكلمة التى نازعَنيها الحسن على القبر » .

والكلمة ــ والله أعلم ــ هى ما يحكَى أنّ النوار لما ماتت أوصت الفرزدق ــ وهو ابن عمها ــ أن يصلى عليها الحسن . فقال له الحسن على قبرها : « ما أعددتَ لهذا المضجع ؟ » قال : « شهادة أن لا إله إلا الله ، منذ سبعين[1] سنة » . فقال : « إذن تنجوَ إن صدقت » . وتشاغل الفرزدق بدفن النوار . وجلس الحسن يعظ الناس . فلما فرغ الفرزدق وقف على حلقة الحسن وقال[2]:

لقد خاب من أولاد آدمَ من مَشَى إلى النار مَغْلولَ القِلادةِ أَزْرَقا[3]
أخاف وراءَ القــبرِ إنْ لم يُعافِنى أشدَّ من القــبر الْتِهابا وأَضْيَقا
إذا جاءنى يـــومَ القيامةِ قائدٌ عَنيفٌ وسَوّاقٌ يسوق الفرزدقا

وقال الفرزدق: « فى هذه الجنازة خيرُ الناس وشر الناس ! » فقال الحسن : « لستُ بخير الناس، ولستَ بشرهم » .

---

(١) كذا فى س ، غ مرة . وفى هامش س ، غ مرة أخرى : بضعا وثمانين سنة .
(٢) ديوانه ٥٧٨ .
(٣) الديوان : أولاد دارم . . مشدود الخناقة أزرقا .

وقيل : إن الفرزدق رُئى فى النوم ، فقيل له : « مافعل الله بك ؟ » فقال : غفر لى بإخلاصى يوم الحسن، وقال : لولا شيبك لعذبتُك بالنار».

قال فُضيل الرَّقاشى : خرجت فى ليلة باردة . فدخلت المسجد، فسمعت تسبيحا[1] وبكاء . فلم أعلم من صاحب ذلك حتى أسفر الصبح ، فإذا الفرزدق . فقلت : « ياأبافراس ، تركت النوّار ، وهى لينة الدِّثار دفيئة الشِّعار ؟ » قال : « إى والله ، ذكرت ذنوبى فأقلقتْنى ، ففزعت إلى الله عز وجل » .

قيل لأبى هريرة : « هذا الفرزدق » . فقال : « هذا الذى يقذف المُحْصَنات ! » ثم قال له أبو هريرة : « إنى أرى عظمك دقيقا وجلدك رقيقا ، ولا طاقةَ لك بالنار ، فتُب فإن التوبة مقبولة من ابن آدم حتى يطير غُرابه » .

قال الفرزدق : قال لى أبو هريرة : « إنه سيأتيك قوم يؤيسونك من رحمة الله فلا تيأس » .

كان يقال لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب .

قال العلاء بن الفضل : قال لى أبو البيداء : « يا أبا الهُذَيل ، أيهما أشعر : جرير أم الفرزدق ؟ » قال : قلت : « ذلك إليك » . قال : « ألم تسمعه يقول[2] :

ما حمَلت ناقةٌ من معشرٍ رجــلا   مثلى إذا الريحُ لَفّتْنى على الــكُور[3]
إلا قريشا فــإنّ اللهَ فضّلهــا   مع النبوة بالإســلام والخِــير[4]

---

(١) غ : نشيجا .
(٢) ديوانه ٢٦٥ .
(٣) الديوان : من سوقة رجلا ، ولفتنى : كذا فى غ والديوان . وفى س : ألفتنى .
(٤) الخير : الشرف .

ويقول جرير[١] :

لا تحسبنّ مِراسَ الحربِ إنْ لَقِحت　　شربَ الكَسيسِ وأكلَ الخبزِ والصِّيرِ[٢]

سلح والله أبو حَزْرة ! سلح والله أبو حزرة ! » .

وكان الفرزدق قد نَيَّف على التسعين ، كان منها خمسا وسبعين يبارى الشعراء فيَبَذُّهم ، ويهجو الأشراف فيَغُضُّهم ، ما ثبت له أحد منهم إلا جرير .

قيل للفرزدق : « مالك وللشعر ؟ فما كان أبوك غالب شاعرا ، وما كان صعصعة شاعرا ، فمن أين لك هذا الشعر ؟ » ، قال : « من قِبَل خالى » . قالوا : « أى أخوالك ؟ » قال : « العلاء بن قَرظة الذى يقول :

إذا ما الدهر جَرَّ على أناسٍ　　كَلاكِلَه أناخَ بآخرينا[٣]

فقُل للشامتين بنا : أفيقوا　　سيَلْقَى الشامتون كما لقينا

دخل قوم من بنى ضبة على الفرزدق فقالوا : « قبَّحك الله من ابن أخت ، عرّضتَنا لهذا الكلب السفيه (يعنون جريرا) حتى شتم أعراضنا وذكر نساءنا » ! فغضب الفرزدق وقال : « قبَّحكم الله من أخوال ! فلَمّا شرفتكم من نخرى أكثر مما عضكم من هجاء جرير . فأنا — ويلكم — عرضتكم لسُوَيْد بن أبى كاهِل حيث يقول :

لقد زَرِقت عيناك يا بن مُكَعْبَرٍ　　كما كلُّ ضَبِّىٍّ من اللؤم أزرقُ[٤]

ترى اللؤم منهم لائحا فى وجوههم　　كما لاح فى خيلِ الحلائبِ أبلَقُ[٥]

(١) ديوانه ٢٥٦ .

(٢) غ : إذ لقحت . . الخبز بالصير . والديوان :

لا تحسبن مراسى الحرب إذ خطرت　　أكل القباب وأدم الرغف بالصير

لقحت : هاجت بعد سكون . والكسيس : نبيذ التمر ، وفى ص : الكبيس ، تحريف . والصير : السمك المملوح .

(٣) ب ، س : بكلكله .

(٤) ابن مكعبر : كذا فى غ وهو الصواب . وفى ص : ابن معكبر ، تصحيف .

(٥) غ : اللؤم فيهم . والحلائب : جمع حلبة ، وهى الخيل تجتمع من كل أوب للسباق .

أو أنا عرضتكم للأبلق العجلى حيث يقول :

إذا رأيتَ رجلا من ضَبَّهْ فنِكْه عَضْدا فى سَواء السَّبَّهْ[١]

لَىَّ اليمانىِّ عِقاصَ الزُّبَّه[٢]

وأنا عرضتكم لمالك بن نُوَيرة حيث يقول :

ولو ذُبِح الضَّبىُّ بالسيف لم تجد من اللؤم للضبىِّ لحما ولا دما[٣]

والله ، لما ذكرت من شرفكم ، وأظهرت من أيامكم ، أكثر . ألست الذى أقول[٤] :

وأنا ابنُ حَنْظلةَ الأغرِّ وإننى فى آل ضَبَّةَ لَلْمُعَمُّ المُخْوَلُ

فَرْعان قد بلغ السماءَ ذُراهُما وإليهما من كل خوف يُعْقَلُ[٥]

شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية . فقال : « قد أَجَزْنا شهادة أبى فِراس ، زيدونا شهودا » . فقام الفرزدق فرحا . فقيل له : « ما أجاز شهادتك » . فقال : « بلى ، قد سمعته يقول : قد أجزنا شهادة أبى فراس » . فقالوا : « أفما سمعته يستزيد شاهدا آخرا ؟ » قال: وما يمنعه ألا يقبل شهادتى وقد قذفت كل مُحْصَنة ؟ »[٦] .

كان عطية بن جِمال الغُدانىُّ صديقا ونديما للفرزدق . فبلغ الفرزدق أن رجلا من بنى غُدانة هجاه ، وأعان جريرا عليه ، فأراد أن يهجو بنى غدانة . فأتاه عطية ابن جمال يسأله أن يصفح له عن قومه، ويَهَبَ له أعراضهم . ففعل ثم قال[٧] :

---

(١) غ : عمدا . وعضدا : أن تأخذ بعضده فتعتليه .

(٢) ب ، س : إن اليمانى عفاص الدبه . ى : إن اليمانى عقاص الذبه وأظنها محرفة . والعقاص : جمع عقيصة ، وهى الضفيرة والزبة : كلمة يمنية بمعنى اللحية أو مقدمها .

(٣) غ : يذبح .

(٤) ديوانه ٧١٧ . النقائض ١٨٨ .

(٥) يعقل : يلجأ .

(٦) غ : ألف محصنة .

(٧) ديوانه ٧٢٦ . النقائض ٢٧٥ . طبقات فحول الشعراء ٤٢٤ .

أَبنِى غُدانةَ إنــــى حررتُــكم ... فوهبتُــكم لعطيةَ بن جعالِ[١]
لولا عطيةُ لاجْتَدعتُ أنوفَــكم ... من بين أَلأمِ أَعْيُنٍ وسِبــــالِ[٢]

فبلغ ذلك عطية . فقال : « ما أسرع ما ارتجع أخى هبته ! قبّحها الله من هبة ممنونة مرتجَعَة ! » .

قدم الفرزدق المدينة فى سنة مجدبة ، فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز فقالوا له : « إن الفرزدق قدم مدينتنا فى هذه السنة الجدبة التى قد أهلكت عامة الأموال . وليس عند أحد منهم مايعطيه شاعرا . فلو بعث الأمير إليه فأرضاه ، وأمره ألا يعرض لأحد بمدح ولا هجاء » . فبعث إليه عمر بن عبد العزيز فقال : « قد قدمت مدينتنا فى هذه السنة الجدبة ، وليس عند أحد مايعطيه شاعرا . وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم . فخذها ولا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء » . فأخذها : ومر بعبد الله ابن عمرو بن عثمان ، وهو جالس فى سقيفة داره . وعليه مُطْرَف خَزّ أحمر وجُبّة خز حمراء . فقال له[٣] :

أعبدَ اللهِ . أنت أحقُّ ماشٍ ... وساعٍ بالجماهير الكبار
نَمَى الفاروق أُمّك وابنُ أَرْوَى ... أبوك فأنت مُنْصدِع النهار[٤]
هما قمرا السماء وأنت نجمٌ ... به فى الليل يُدْلِجُ كلُّ سار

فخلع عليه الجبة والمطرف ، وأمر له بعشرة آلاف درهم . فخرج رجل رأى عبد الله بن عمرو والفرزدق وما أعطاه ، وقد كان رأى عمر بن عبد العزيز وما أعطاه ،

---

(١) الديوان والنقائض : ووهبتــكم .

(٢) غ والديوان والنقائض والطبقات : ألأم آنف . والسبال : جمع سبلة ، وهى الشارب أو مجتمع الشاربين أو اللحية .

(٣) ديوانه ٣٦٠ .

(٤) ابن أروى : الخليفة عثمان بن عفان . ومنصدع النهار : ظاهر جلى . والفاروق : عمر ابن الخطاب . وكانت ليلى أم عمر بن عبد العزيز بنت عاصم بن عمر الفاروق .

وسمع ما أمره به من ألا يعرض لأحد بمدح ولا هجاء . فدخل على عمر بن عبد العزيز فأخبره . فبعث إليه عمر: « ألم أتقدم إليك يافرزدق ألا تعرض لأحد بمدح ولاهجاء ! اخرج : فقد أجّلتك ثلاثا ، فإن وجدتك بعد ثالثة نـكّلت بك » . فخرج الفرزدق وهو يقول :

وأوْعَدنى وأجّلنى ثلاثا   كما وُعِدتْ لمهلـكها ثمود(١)

فقال فيه جرير :

نفاكَ الأغرُّ ابنُ عبد العزيز   ومِثْلُك يُنْفَى عن المسجد(٢)

وشَبَّهْتَ نفسك أشقَى ثمودَ   فقالوا : ضَلَلْتَ ولم تهتد

---

(١) ب : أجلنى وواعدنى ثلاثا . س ، ى : فأجلنى وواعدنى ثلاثا . وانظرالشعر قبل .

(٢) غ : من المسجد . وانظر الشعر قبل .

الهَيْثَم أبو حَيَّة النُّمَيْرِى

هو الهَيْثَم بن الرَّبيع بن زُرارة بن كَثِير بن جَناب[1] بن كعب بن مالك بن عامر ابن نُمير بن عامر بن صَعْصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكْرمة ابن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار . ويقال لمالك: الأَصْقَع . وقال قوم: إن الأصقع هو الأَصمّ بن مالك بن جَناب بن كعب .

وأبو حية شاعر مُجيد ، من مخضرمى الدولتين ، ومدح خلفاءها . وكان فصيحا، مُقَصِّدا ، راجزا ، من ساكنى البصرة .

وكان أهوج ، جبانا ، بخيلا ، كذابا ، معروفا بذلك ، من أجبن الناس .

وكان أبو عمرو بن العلاء يُقَدِّمه .

وكان يُصْرَع .

وكان له سيف يسميه « لُعاب المَنِيّة » ، ليس بينه وبين الخشبة فرق .

دخل ليلة إلى بيته كلب . فظنه لصا . فحدَّث جار له قال : أشرفتُ عليه ، وقد انتضى سيفه « لعاب المنية » وهو واقف فى وسط الدار يقول : « أيها المغترّ بنا، المجترِئ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ! خيرٌ قليل ، وسيف صقيل ، لعاب المنية ، الذى سمعت به ، مشهورةٌ ضَرْبتُه ، لا تُخاف نَبْوَته . اخرج بالعفو عنك ، قبل ان أدخل بالعقوبة عليك . إنى والله إن أدْعُ قيسا إليك لا تقُم لها . وما قيس ؟ تملأ والله الفضاء خَيْلا ورَجْلا ! سبحان الله ! ما أكثرها وأطيبها ! » فبينا هو كذلك ، إذا خرج الكلب . فقال : « الحمد لله الذى مَسَخك كلبا، وكفانى حربا »

* أخباره فى ب ١٥ : ٦٤ ، س ١٥ : ٦١ ، د ١٦ : ٣٠٧ ، ى ١٦ : ٢٣٦ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٨٦ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ١٤٣ ، وخزانة الأدب للبغدادى ٤ : ٢٨٢

(١) جناب : كذا فى غ . وفى س : حماق .

وكان من أكذب الناس . قال يوما : « رميت ظبية . فلما نفذ سهمى عن القوس، ذكرت بها حبيبة لى . فعَدَوْت خلف السهم حتى قبضت عليه : فأمسكت قُذَذه[1] قبل أن يدركها » .

قال سعيد بن مَسْعدة الأَخْفَش : قال أبو حية النميرىّ : « أتدرى ما يقول القَدَريون ؟ » قلت: « لا ». قال : « يقولون : إن الله لا يكلف العباد مالا يُطيقون، ولا يسألهم ما لا يَجدون . وصَدَق القَدَريون ! ولكنى لا أقول كما يقولون » .

قال سَلَمة بن عياش لأبى حية النميرىّ : « أتدرى ما يقول الناس ؟ » قال : « وما يقولون ؟ » قال : « يقولون : إنى أشعر منك » . قال : « إنا لله ، هلك الناس ! » .

وكان يقال : إن أبا حية فى الشعراء كالرجل الرَّبْعة : لا يُعَدّ طويلا ولا قصيرا[2] .

قال الأصمعىّ : وفد أبو حية النميرىّ على المنصور . فامتدحه وهجا بنى حسن فى قصيدة أولها :

عُوجا نُحَىِّ ديارَ الحىِّ بالسَّنَدِ ... وهل بتلك الديارِ اليومَ من أَحَدِ

منها :

أحينَ شِيمَ — فلم يترك لكم تِرَةً — ... سيفٌ تَقَلَّده الرِّئْبالُ ذو اللِّبَدِ[3]

سللتُموه عليكم ، يا بنى حسنٍ ! ... ما إنْ لكم من فلاحٍ آخرَ الأَبَدِ[4]

قد أصبحتْ لبنى العباسِ صافيةً ... بجَدْعِ آنُفِ أهلِ البَغْى والحَسَدِ[5]

(١) القذذ : جمع قذة ، وهى ريش السهم .

(٢) قائله الأصمعى (غ) .

(٣) غ : يترك لهم . وشام السيف : استله . والترة : الثأر . والرئبال : الأسد .

(٤) فى الهامش حاشية تقول : « قابله الله تعالى على قوله » ، أى كافأه وجازاه .

(٥) ب ، س، د : لجدع . غ : آناف.

وأصبحت أُكْلةً للَّيْثِ فى فمــــه   فمن يحاولُ شيئا فى فم الأســـد(١)

فوصله أبو جعفر بشىء دون ما كان يأمله . فاحْتَجن(٢) لعياله أكثره . وصار إلى الحيرة . فشرب فيها عند خَمّارة . فأعجبه الشرب ، وكره أن ينفَد ما معه، وأحب أن يدوم له ما كان فيه ، فسأل الخمارة أن تبيعه بنَسيئة ، وأعلمها أنه قد مدح الخليفة وجماعة القواد ، ففعلت وشرهت إلى فَضْل النسيئة ، وكان لأبى حية أير كعُنق الظليم. فأبرزه فتَدلَّت . وكانت كلما سقته خَطّت فى الحائط خطا . فأنشأ يقول :

إذا اسْقَيْتِــــنى كُوزا بخَطٍّ   فخُطِّى ما بدالكِ فى الجدارِ

فإنْ أعطيتِنى عَيْنـــا بدَيْنٍ   فهاتى العين وانتظرى ضِمارى(٣)

خرقتُ مقدَّما من جنب ثوبى   حِيال مَــكانِ ذاكَ من الإزار

فقالتْ ، وَيْلَها : رجلٌ ويمشى   بما يمشـــى به عُجَرُ الحمار(٤)

وقالت: ما تريد ؟ فقلت: خيرا   نَسيئَــةَ ما علىّ إلى يَســارى(٥)

فصَدَّت بعــد ما نظرتْ إليه   وقد ألمحتُهــا عُنُقَ الحُوار(٦)

---

(١) غ :

وأصبحت كلهاة الليث فى فمه   ومن يحاول شيئا فى فم الأسد

(٢) احتجن : احتجز .

(٣) الضمار : الوعد المسوف، أوالدين لا يرجى حصوله .

(٤) العجر : جمع عجرة ، وهى العروق المنعقدة فى الجسد ، يريد أير الحمار لما فيه من التعقيد.

(٥) النسيئة : الدين . واليسار : الغنى .

(٦) الحوار : ولد الناقة ، شبه ذكره بعنقه .

وقعة هِرَقْلة*

كانت الروم قد ملّكت امرأة[1] عليهم، لأنه لم يكن في زمنها من هو من أهل المملكة غيرها . وكانت تكتب إلى المهدىّ ، وإلى الهادى ، وإلى الرشيد ، في أول خلافته بالتعظيم والتبجيل ، وتُدِرّ عليه الهدايا ، حتى بلغ ابنها[2] . فحاز الملكَ دونها، وعاث وأفسد وفاسَدَ الرشيدَ ، فخافت على مُلْك الروم أن يذهب ، وعلى بلادهم أن تعطب، لعلمها بالرشيد، وخوفها من سطوته. فاحتالت على ابنها فسَمَلت عينيه[3] . فبطل من الملك ، وعاد الملك إليها . فاستكبر ذلك أهل المملكة، وأبغضوها من أجله . فخرج عليها نِقفور وكان كاتبَها[4] ، فأعانوه وعَضَدوه . وقام بأمر المملكة ، وضبط أمر الروم .

فلما قوى أمره وتمكّن ملكه ، كتب إلى الرشيد[5] :

«من نِقفور ملك الروم، إلى الرشيد ملك العرب.

أما بعد .

فإن هذه المرأة كانت وضَعَتْك وأباك وأخاك موضع الملوك، ووضعت نفسها موضِع

---

* أخبارها في ب ١٧ : ٤٤، س ١٧ : ٤٤ ، ى ١٨ : ١٦٧ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٦٩٥ وكامل ابن الأثير ٦ : ١٢٦ .

(١) هى الملكة رينى Irene زوجة ليو الرابع . (٧٧٢ – ٨٠٣ م) .

(٢) قسطنطين السادس Constantine VI

(٣) سملت عينيه : ففقأتهما بحديدة محماة وقلعتهما

(٤) Nicephorus ، الذى حكم من (٨٠٢ – ٨١١ م) . وذكر الطبرى أنه كان يلى ديوان الخراج ، وذلك أصح .

(٥) تختلف رواية الطبرى ٣ : ٦٩٥ وابن الأثير : الكامل ٦ : ١٢٦ للرسالتين تمام الاختلاف . وذكر أن هذا التحدى وقع في سنة ١٨٧ هـ ، وأن الرشيد شفى غيظه ببعض الفتوح أما فتح هرقلة نفسها فكان في سنة ١٩٠ هـ .

السُّوَق . فإنى واضعك بغير ذلك الموضع ، وعاملٌ على تَطرُّق بلادك ، والهجوم على أَمْصارك ، أوتؤدى إلىّ ما كانت المرأة تؤديه إليك . والسلام » .

فلما ورد الكتاب على الرشيد كتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

من عبد الله هارون أمير المؤمنين ، إلى نقفور كلب الروم .

أما بعد .

فقد فهمت كتابك . وجوابُك عندى ما تراه عِيانا لا ما تسمعه » .

ثم شخَص من شهره ذلك يَؤُم بلاد الروم فى جمعٍ لم يُسمَع بمثله ، وقواد لا يُجارَوْن رأياً ونجدة . فلما بلغ نِقفور ذلك ، ضاقت عليه الأرض بما رَحُبت ، وشاور فى أمره . وجدّ الرشيد فجعل يوغل فى بلاد الروم ، فيقتل ويَسْبى ويغنَم ، ويُعفّى الآثار ، ويخرب الحصون ، حتى صار إلى طرق متضايقة دون قسطنطينية . فلما بلغها وجدها وقد أمر نقفور بالشجر فقُطع ورُمى به فى الطرق وأشعلت فيه النيران . وكان محمد بن يزيد بن مَزْيد أول من لبس ثياب النّفاطين فخاضها، ثم اتبعه الناس . فبعث إليه نقفور بالهدايا ، وخضع له أشد الخضوع ، وأدى إليه الجزية عن رأسه فضلا عن أصحابه . فرجع هارون لما أطاعه وأعطاه ما أعطاه إلى الرَّقّة .

وقال فى ذلك أبو العتاهية(١) :

إمامَ الهُدى ، أصبحتَ بالدين مَعْنيّا ... وأصبحتَ تَسْقى كل مُسْتَمطِر رِيّا

لك اسمانِ شُقّا من رشادٍ ومن هُدىً ... فأنت الذى تُدْعَى رَشيدا ومَهْديا

إذا ما سَخِطْتَ الشىء كان مُسخَّطا ... وإنْ ترضَ شيئاً كان فى الناس مَرْضيا

بسطْتَ لنـا شرقا وغربا يَدَ العُلا ... فأوسعتَ شَرْقيا وأوسعت غربيـا

(١) ديوانه (المطبعة الكاثوليكية (١٩٠٩) ٣١٨ تاريخ الطبرى ٣ : ٦٩٧ .

ووشَّيْتَ وجه الأرضِ بالجود والنَّدى   فأصبح وجهُ الأرض بالجود مَوْشِيًّا(١)
فأنت أمير المؤمنين فتى التُّقى   نشرتَ من الإحسان ما كان مَطْوِيًّا(٢)
قضَى اللهُ أن يَبْقَى لهارونَ ملكُه   وكان قضاء الله في الخَلْق مَقْضِيًّا(٣)
تحلَّيْتَ للدنيا وللدين بالرِّضا   وأصبح نقفورُ لهارون ذِمِّيًّا(٤)

فلما بَعُد الرشيد وسقط الثلج ، وأمِنَ نِقفور أن يُغْزَى ، اغترّ بالمملكة ، ونقض ما كان بينه وبين الرشيد ، ورجع إلى حالته الأولى . فلم يجترئْ يحيي بن خالد(٥) — فضلا عن غيره — على إخبار الرشيد بغدر نقفور ، وبذل هو وبنوه أموالا للشعراء على أن يقولوا شعراً في إعلام الرشيد بذلك ، فكلهم كَعَّ(٦) وأشفق ، إلا شاعرا من أهل جُدَّة(٧) يكنى أبا محمد ، وكان مُجيداً قوى الشعر . فأخذ من يحيي وبنيه مائة ألف درهم ، ودخل على الرشيد فأنشده :

نَقَضَ الذى أُعطِيتَه نِقفورُ   فعليه دائرةُ البَوار تَدورُ(٨)
أبْشِرْ — أميرَ المؤمنين — فإنه   فتحٌ أتاك به الإلٰهُ كبيرُ(٩)

---

(١) ديوانه : بالجود مفشيا .

(٢) ديوانه : وأنت .

(٣) الطبرى : أن صفا لهارون .

(٤) غ والديوان : تجللت الدنيا لهارون ذى الرضا . الطبرى: تحليت الدنيا لهارون بالرضا .. فأصبح .

(٥) أخطأ أبو الفرج فى ذكر يحيي بن خالد البرمكى هنا ، لأن وقعة هرقلة كانت بعد نكبة البرامكة .

(٦) كع : جبن وتأخر .

(٧) فى الكامل : أهل جنده ، وفى الطبرى : أهل جندة . وذكرا أن القائل هو أبو محمد عبد الله بن يوسف ، أو الحجاج بن يوسف التيمى .

(٨) غ : الذى أعطاكه .

(٩) الطبرى : غنم أتاك .

ولقد تَباشَرَتِ الرعيـةُ أنْ أَتَى   بالنَّقْضِ منـه وافدٌ وبَشـير[١]
ورجَتْ بيُمْنِك أنْ تُعجِّل غزوةً   تَشْفِى النفوسَ ، نَكالُها مذكور[٢]
أعطاكَ جِزْيَتَه وطَأْطأَ خَدَّه   حذرَ الصَّوارمِ ، والرَّدى مَحْذور
فأجَرْتَه من وَقْعِها وكأنهـا   بأكُفِّنا شُعَلَ الضِّرامِ تَطير
وصرفْتَ من طول العساكر قافلا   عنـه ، وجارُك آمِنٌ مسرور[٣]
نِقفور ، إنك حين تغدر أنْ نَأى   عنك الإمامُ لَجاهِلٌ مغـرور
أظَنَنْتَ حين غدرتَ أنَّك مُفلِت   هَبِلَتْكَ أمُّك ، ما ظنَنْتَ غرور
ألْقاكَ حَيْنُك فى زَواخِرِ بَحْرِه   فطَمَتْ عليك من الإمام بُحور
يا من يُرِيد رضا الإلٰه بسَعْيه   واللّهُ لا يَخفى عليـه ضمير
لا نُصْحَ ينفع مَنْ يغُشُّ إمامَه   والنصحُ من نُصَحائه مشكور
نُصْحُ الإمامِ على الأَنامِ فَرِيضةٌ   ولأهلِه كَفَّارةٌ وطَهـور[٤]

فلما أنشده ، قال الرشيد : « أو قد فعل ؟ » وعلم أن وزراءه قد احتالوا فى ذلك. فسار الرشيد قاصدا إليه . فكان الفتح على يديه . فقال أبو العتاهية فى فتحها[٥] :

ألا نادَتْ هِرَقْلـةُ بالخرابِ   منَ الملكِ الموفَّقِ للصـواب[٦]
غـدا هارونُ يُرْعِد بالمَنايا   ويُبْرِق بالمُذكَّرة القِضاب[٧]
وراياتٍ يحُـلُّ النصرُ فيهـا   تمـر كأنها قِطَع السحاب
أميرَ المؤمنين ، ظفرتَ فاسْـلَمْ   وأبشِرْ بالغَنيمة والإياب

---

(١) غ والطبرى : فلقد . . . بالنقض عنه .
(٢) ب ، س ، والطبرى : ورجت بمينك . والطبرى : مكانها مذكور .
(٣) ب ، س : فى طول . الطبرى : وصرفت بالطول العساكر .
(٤) الطبرى : ولأهلها .
(٥) ديوانه ٣١٩ . الطبرى ٣ : ٦٩٨ .
(٦) الطبرى : الموفق بالصواب .
(٧) المذكرة : السيوف القوية . والقضاب : القاطعة .

وجعل الرشيد يفتح الحصون فى طريقه والمدن ويُخْرِبها ، حتى أناخ على هرقلة ، وهى أوْثَق حصن وأعزّه جانبا وأمْنَعُه ركنا . فتحصن أهلها ، وكان بابها على واد ، ولها خندق يُطيف بها . فلما ألح هارون عليهم بالمجانيق والعَرّادات والسهام ، ودام الحصار ، فُتِح الباب ذات يوم . فاستشرف المسلمون لذلك . فإذ رجـل من أهلها كأكمل الرجال قد خرج فى أكمل السلاح . فنادى : « قد طالت مُواقفتـكم إيانا . فليبرز إلىّ منـكم رجلان » . ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين . فلم يُجبه أحد . فدخل وأغلق الباب ، وكان الرشيد نائما فلم يعلم بخبره إلا بعد انصرافه ، فغضب ولام خدمه وغلمانه على تركهم إيقاظه وتأسّف لفوته . فقيل له : « إن الامتناع منه سيُغريه ويُطمعه ويطغيه . وأحْرِ به أن يخرج فى غد ، فيطلب مثلما طلب » . فطالت على الرشيد ليلته ، وأصبح كالمنتظر له . وإذا بالباب قد فتح ، وخرج الرجل طالبا للبراز ، وذلك فى يوم شديد الحر . فجعل يدعو ويدّعى بأنه يثبت لعشرين منهم . فقال الرشيد : « مَنْ له ؟ » فابتدره جِلّة القواد كهَرْثَمة ، ويزيد بن مَزْيد ، وعبد الله بن مالك ، وخزيمة بن خازم ، وأخيـه ، وداود بن يزيد ، وأخيه . فعزم على إخراج بعضهم . فضجّ المُطَّوِّعة حتى سمع ضجيجهم . فأذن لعشرين منهم ، فاستأذنوه فى المشورة ، فأذن لهم . فقال قائلهم : « يا أمير المؤمنين ، قوادك مشهورون بالنجدة والبأس وعلوّ الصوت ومدارسة الحرب . ومتى خرج واحد منهم فقتل هذا العِلْج لم يكْبُر ذلك . وإن قتله العلج كانت وصمة على العسكر قبيحة وثُلْمة لا تُسَد . ونحن عامة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يصلح للعامة ؛ فإنْ رأى أمير المؤمنين أن يخلِّينا نختار رجلا فنخرجه إليه ، فإنْ ظفر علم أهل الحصن أن أمير المؤمنين ظفر بأعزّهم على يد رجل من العامة من أفْناء الناس ، ليس ممن يُوهِن قتلُه ولا يؤثّر . وإن قُتل الرجل فإنما استشهد ولم يؤثر ذهابُه فى العسكر ولم يَثْلمه ، وخرج إليه بعده مثلُه ، حتى يقضى الله ما يشاء » . « فقال الرشيد : « قد استصوبتُ رأيكم هذا » .

فاختاروا رجلا منهم يعرف بابن الجزَرى ، وكان معروفا فى الثغر بالبأس والنجدة . فقال له الرشيد : « أتخرج ؟ » قال : « نعم ، وأستعين بالله تعالى » . فقال : « أعطوه فرسا ورمحا وسيفا وترسا » . فقال : « يا أمير المؤمنين ، أنا بفرسى أوْثق ، ولكنى قد قبلت السيف والترس » . فلبس سلاحه . واستدْناه الرشيد فودّعه وأتْبعه الدعاء . وخرج معه عشرون من المطوّعة . فلما انقضّ فى الوادى ، قال لهم العلج — وهو يعدّهم واحدا واحدا : « إنما كان الشرط عشرين ، وقد زدتم رجلا ، ولكن لا بأس » . فنادَوه : « ليس يخرج إليك إلا رجل واحد » .

فلما فَصَل منهم ابن الجزرى ، تأمّله الرومى وقد أشرف الناس من الحصن يتأملون صاحبهم والقِرْن ، حتى ظنوا أنه لم يبق أحد فى الحصن إلا أشرف . فقال له الرومى : «أتصدُقنى عما أستخبرك». قال: «نعم». قال: «بالله ، أنت ابن الجزَرى ؟» قال : « اللهم نعم » . فكفّر له[1] . ثم أخذا فى شأنهما . فاطّعنا حتى طال الأمر بينهما . وكاد الفرَسان يقومان ، وليس يخدش واحد منهما صاحبه . ثم تحاورا بشيء ، فزج كل واحد منهما رمحه ، وانْتضى سيفه ، فتجالَدا مليا ، واشتد عليهما الحر ، وتبلّد الفَرسان . وجعل ابن الجزرى يضرب الضربة التى يرى أنه قد بلغ فيها ، فيتّقيها الرومى ، وكان ترسه من حديد ، فيُسمَع لذلك صوت منكر . ويضربه الرومى ضرب مُعَذّر[2] ، لأن ترس ابن الجزرى كان درقة . فكان العلج يخاف أن يعض بالسيف ويعطب . فلما يئس كل واحد منهما من الوصول إلى صاحبه ، انهزم ابن الجزَرى . فدخلت المسلمون كآبة لم يكتئبوا مثلها قط ، وعَطْعط[3] المشركون اختيالا وتطاولا . وإنما كانت هزيمته حيلة منه ، فاتّبعه العلج . وتمكّن ابن الجزرى

---

(١) كفر له : حياه بأن وضع يده على صدره وطأطأ رأسه .

(٢) المعذر : المبالغ فى العذر .

(٣) العطعطة : تتابع الأصوات واختلاطها .

منه . فرماه بوَهَق[١] فوقع فى عنقه فما أخطأه . وركض فاستلبه عن فرسه . ثم عطف عليه ، فما وصل إلى الأرض حتى فارقته رأسه .

فكبّر المسلمون أعلى تكبير ، وانخزل المشركون ، وبادروا الباب يُغلقونه . واتصل الخبر بالرشيد ، فصاح بالقواد : « اجعلوا النار فى المجانيق » . ففعلوا ، وجعلوا الكتان والنفط على الحجارة ، وأضرموها نارا ، ورموا بها السور . فكانت النار تلصق به وتأخذه الحجارة ، وقد تصدع فتهافت . فلما أحاطت بهم النيران ، فتحوا الباب مستأمنين .

فقال الشاعر المكّى الذى ينزل جُدّة[٢] :

هَوَتْ هِرَقْلةُ لما أنْ رأتْ عَجَبا ... جَوائما تَرْتمى بالنِّفط والنار[٣]
كأنّ نيراننا فى جَنْب قَلْعتهم ... مُصبَّغات على أَرْسانِ قَصّار

وهذا كلام ضعيف لكن قدره فى وقته عظيم ، فأَعْظَم الشيد الجائزة له .

وصُبّت الأموال على ابن الجزرى وقُوِّد . فلم يقبل التقويد [إلا][٤] بغير رزق ولا عوض ، وسأل أن يُعفَى وينزل بمكانه من الثغر . فلم يزل به طول عمره .

ولما انصرف الرشيد عن هرقلة ، قدم الرَّقَّة فى آخر رمضان . فلما عَيّد جلس للشعراء . فدخلوا وفيهم أَشْجَع ، فأنشأ يقول :

لا زلتَ تنشر أَعْيادا و تَطْويها ... تَمْضِى بها لك أيامٌ وتُمضيها[٥]
مستقبِلا زينةَ الدنيا وبهجتَها ... أيامُها لك نَظْمٌ فى لياليها
ولا تَقَضّت بك الدنيا ولا برحَتْ ... يَطْوى لك الدهرُ أيامًا و تَطْويها

---

(١) الوهق : الحبل يرمى فى أنشوطة فتؤخذ به الدابة والإنسان .

(٢) نسب الشعر فى معجم الشعراء (طبع عيسى الحلبى) لعيسى بن جعفر ، ص ٩٩–١٠٠ .

(٣) غ : حوائما .

(٤) زيادة عن غ .

(٥) غ : أيام وتثنيها .

والعيد والعيد والأيامُ بينهما   موصولةٌ لك لا تَفْنَى وتُفنيها(١)
لِيَهْنِك الفتحُ والأيامُ مقبلةٌ   إليك بالنصر معقود نَواصيها(٢)
أمستْ هرقلةُ تهوِى من جوانبها   وناصرُ الدين والإسلام يَرْميها(٣)
ملكْتَها وقتلتَ النا كثين بها   بنصرِ من يملك الدنيا ومَنْ فيها(٤)
ما رُوعىَ الدينُ والدنيا على قدَمٍ   بمثل هارون راعيه وراعيها

فأمر له بألف دينار وقال : « لا ينشدنى أحد بعده شيئا » . فقال أشجع : « لَأَمْره ألا ينشده أحد بعدى شيئا أحب إلىّ من صلته » .

رأى الرشيد ليلة فى منامه كأن امرأة وقفت عليه ، وأخذت كف تراب ثم قالت له : « هذه تربتك عن قليل » . فأصبح فَزِعا . فقصّ رؤياه ، فقال له أصحابه : « وما فى هذا ؟ قد يرى النائم أكثر من هذا وأغلظ ثم لا يضره » . فركب وقال : « إنى لأرى الأمر قريبا » . فبينا هو يسير إذ نظر إلى امرأة واقفة من وراء شباك حديد تنظر إليه . فقال : « هذه والله المرأة التى رأيتها . ولو رأيتها بين ألف امرأة ما خفيت علىّ » . ثم أمرها أن تأخذ كف تراب فتدفعه إليه . فضربت بيدها الأرض التى كانت عليها فأعطته منها كف تراب . فبكى وقال : « هذه والله التربة التى رأيتها ، وهذه المرأة بعينها » . ثم مات بعد مدة ، ودُفن فى ذلك الموضع بعينه ، اشتُرى له ودُفن فيه . وأتى نعيه بغداد ، ورثاه أشجع فقال :

غَرُبت بالمَشْرقِ الشمـ   سُ فقُلْ للعين تَدْمَعْ
ما رأينــا قطُّ شمسا   غَرُبت من حيث تَطْلُع

---

(١) ى : العيد .
(٢) غ : وليهنك . . معقودا .
(٣) غ : وناصر الله .
(٤) غ : وما فيها .

هِنْد بنت أَسْماء*

هى هند بنت أسماء بن خارِجة الفَزارىّ .

كان أسماء بن خارجة قد زَوّج ابنته هندا من الحجاج بن يوسف . فلما كان ليلة البناء بها ، قال لها أسماء : « يا بُنَيَّة ، إن الأمهات يؤدبن البنات، وإن أمك هلكت وأنت صغيرة . فعليك بأطيب الطيب : الماء ، وأحسن الحسن : الكُحْل . وإياك وكثرة المعاتبة، فإنها مُقَطِّعة للود. وإياك والغَيرة ، فإنها مفتاح للطلاق ، وكونى لزوجك أَمَة ، يكنْ لك[1] عبدا . واعلمى أننى القائل لأمك :

خذى العَفْوَ منى تَستَديمى مودّتى ... ولا تَنطِقى فى سَوْرتى حين أغضبُ

فإنى رأيت الحبّ فى الصدر، والأذى ... إذا اجتمعا لم يَلْبَث الحبُّ يذهب[2]

وكانت هند امرأة مجربة تزوَّجها جماعة من أمراء العراق، فقبلت من أبيها وصيته. وكان الحجّاج يصفها فى مجلسه بكل خير . وفيها يقول عُقَيبة[3] الأَسَدىُّ الشاعر يخاطب أباها :

جزاكَ اللهُ ـ يا أسماءُ ـ خيرا ... كما أرضَيْتَ فَيْشَلَةَ الأَميرِ

بصَدْعٍ قد يفوح المسكُ منه ... عليه مثلُ كِرْكرة البَعيرِ

إذا أخذ الأميرُ بِمَشْعَبيها ... سمعت لها أزيزا كالصَّرير[4]

إذا نفحت بأزواج تراها ... تُجيد الرَّهْز من فوق السرير[5]

---

* أخبارها فى ب ١٨ : ١٢٨ ، س ١٨ : ١٢٨ ، ى ٢٠ : ٣٣٣ .

(١) كذا فى غ . وفى ص : له ، خطأ .

(٢) غ : فإنى وجدت .

(٣) كذا فى غ وهامش ص . وفيها : عتبة .

(٤) الأمير : كذا فى غ وهامش ص . وفيها : البعير . وفى غ : بمشعبيها . والمشعب: المسيل.

(٥) ى : لفحت .

لما قدم الحجاج الكوفة ، أشار عليه محمد بن عُمَير بن عطارد أن يخطب إلى أسماء ابنته هندا . فخطبها، فزوجه إياها، فأقبل عليه محمد متمثلا :

أمِنْ حَذَرِ الهُزال نكحتَ عبدا؟ فصِهْرُ العبـدِ أدْنَى للهُزالِ

فاحتملها عليه أسماء، وسكت عن جوابه. ثم أقبل على الحجاج يوما ، وهند جالسة، فقال : « ما يمنعك من الخِطْبة إلى محمد بن عمير ابنته ، فإن من شأنها كيت وكيت». قال : « أتقول هذا وهند تسمع ! » فقال: « مواقفتُك أحبُّ إليّ من رضاها » . فخطبها إلى محمد بن عُمير ، فزوّجه . فقال أسماء لمحمد بن عُمير ـ وضرب بيده على منكبه :

دونك ما أسدَيْتَه يا بنَ حاجبٍ سَواءٌ كعُرْف الدِّيك أو قُذَّة النسْرِ [1]

بقَوْلِك للحجاج : إن كنتَ ناكحا فلا تَعْدُ هِنْدا من نساء بـني بَدْرِ

فإن أباها لا يرى أنّ خاطبـا كِفـاءٌ لهـا إلا التـوّجُ من فِهْرِ [2]

فزوجتُها الحجّاج لا مُتَكـارِهـا ولا راغبا عنه ، ونِعْمَ أخُو الصِّهْرِ [3]

أردتَ ضِراري فاعتمدْتَ مَسرّتي وقد يُحسن الإنسانُ من حيث لا يدري

فإن تَرهُ عـارا فقـد جئتَ مثلَه وإنْ تره فخرا فهل لك من شُكْرِ ؟ [4]

وكانت هند تحت عُبيدالله بن زياد ، وكان أبا عُذْرها . فلما قُتل ، كانت معه . فلبست قَباء ، وتقلدت سيفا وركبت فرسا لعُبيد الله يقال له الكامل ، وخرجت حتى دخلت الكوفة ليس معها دليل . ثم كانت بعد ذلك أشد خلق الله جزعا عليه . ولقد قالت يوما : « إني لأشتاق إلى القيامة، لأن أرى وجه عُبيد الله بن زياد » .

---

(١) في هامش ص: دونك ما أسلفته . وفي غ: كعين الديك . وأسدى: أعطى والقذة: الأذن.

(٢) ب ، س : كفاء له .

(٣) ب ، س : ولا باغيا عنه .

(٤) غ : فإن ترها عارا فقد جئت مثلها وإن ترها فخرا . . .

فلما قدم بشر بن مروان الكوفة ، دُلّ عليها . فخطبها فتزوجها ، فولدت له عبد الملك بن بشر . وكان بشر ينال من الشراب ويكتم ذلك . وكان إذا صلى العصر ، خلا فى ناحية من داره ، ليس معه إلا أعْين مولاه ، صاحب حمام أعين بالكوفة ، وأخذ فى شأنه فلم تزل هند تتجسس خبره حتى عرفته . فبعثت مولى لها ، فأحضرها أطيب الشراب ، وأحدّه وأشدّه ، وأرقّه وأصْفاه . وأصلحت له طعاما علمت أنه يشتهيه . وأرسلت إلى أخويها مالك وعُيينة فأتياها . وبعثت إلى بشر فاعتلّت عليه بعلة فأتاها . فوضعت بين يديه ما أعدته له ، فأكل وشرب ، وجعل مالك يسقيه ، وعيينة يحدثه ، وهند تُريه وجهها ، فلم يزل كذلك حتى أمسى . فقال : « هل عندكم من هذا شىء نعود عليه غدا ؟ » فقالت : « هذا دائم لك ما أردته » . فلزمها . وبقى أعين يقع الذباب على وجهه ولا يرى بشرا ، إلى أن بحث عن أمره فعرفه . فعلم أنه ليس فيه حظ بعدها . ومات بشر عنها ، فلم يكثر جزعُها عليه . فقال الفرزدق فى ذلك[1] :

فإن لا تكنْ هندٌ بكَتْه فقد بكت عليه الثريّا فى كواكِبها الزُّهْرِ

ثم خلف عليها الحجاج ، وكان سبب ذلك أنه بعث أبا بردة بن أبى موسى الأشعرىّ ، وهو قاضيه ، إلى أسماء [يقول له :] « أنّ قبيحا مع بلاء أمير المؤمنين عندى ، أن أقيم بموضع فيه ابنا أخيه بشر ، لا أضمّهما إلىّ ، فأتولى منهما مثل ما أتولى من ولدى ، فاسْأل هندا أن تطيب نفسا عنهما . وأعلِمْهما أنه لابد من التفرقة بينها وبينهما حتى أؤدبهما » . قال أبو بردة : فاستأذنتُ فأذن لى وهو يأكل وهند معه ، فما رأيت وجها قط ولا كفا ولا ذراعا أحسن من كفها وذراعها ووجهها ، وجعلت تُتْحِفنى وتضع بين يدىّ . فدعانى إلى الطعام ، فلم أفعل وجعلت تعبث بى وتضحك . فقلت : « أَمَ والله ، لو علمت فيم جئت لبكيت » . فأمسكت يدها عن الطعام . فقال أسماء : « قد منعتَها الأكل ، فقلْ ما جئت له » . فأبلغت أسماء ما أرسلت به .

(١) ديوانه ٢٦٨ .

فبكت هند ، فلم أر والله دموعا قط سائلة من محاجر أحسن من دموعها فى محاجرها . ثم قالت : « نعم ، أرسِلْ بهما إليه ، فما أحد أحق بتأديبهما منه » . وقال أسماء : « أما عبد الملك فثمرة قلوبنا (يعنى عبد الملك بن بشر)، وقد أَنِسْنا به ، ولكن أمر الأمير طاعة » . فأتيت الحجاج فأعلمتُه بردودها، ومارأيته من جمالها وهيئتها. فقال: « ارجع فاخطِبْها علىّ » . فرجعت وهما على حالهما . فلما دخلت قلت : « إنى قد جئت بغير الرسالة الأولى» . قال : « اذكر ما أحببت » . قلت : « جئت خاطبا » . قال : « أعلى نفسك ، فما بها عنك رغبة ؟ » قلت : « لا ، بل على من هو خير منى » . وأعلمته ماأمرنى به الحجاج. فقال : «هاهى ذه تسمع ماأديت». فسكتت . فقال أسماء: قدرضيتْ ، وقد زوجتُها إياه » . فلما زوَّجها أبوها ، قامت مُبادِرة عليها مُطرَّف خز أسود ، فرأيته دخل بين ظهرها وعجيزتها . ولم تستقلّ قائمة حتى انثنت ومالت لأحد شقيها من شحمها . فانصرفت بذلك إلى الحجاج . فبعث إليها بمائة ألف درهم وعشرين تختا من ثياب . وقال : « يا أبا بردة ، أحب أن تسلمه إليها » . ففعلت ذلك وأرسلت من سلمه إليها، فأرسلت إلىّ: «جئتناقاضيا، ثم جئت دلالا » وأرسلت إلىّ من المال بعشرين ألف درهم ، ومن الثياب تختين : فقلت : « ماأقبل شيئا حتى أستطلع رأى الأمير » . ثم انصرفت إليه فأعلمته . فأمرنى بقبضه ، ووصلنى بمثله .

وقيل: أرسل إليها بثلاثين غلاما مع كل غلام عشرة آلاف درهم ، وثلاثين جارية مع كل جارية تخت ثياب . وأمرلى بثلاثين ألف درهم وثياب . فلما وصلت إلى هند، أمرت لى بمثل ما أمر لى به الحجاج . فأبيت قبوله وقلت : « ليس الحجاج ممن يُتعرَّض له بمثل هذا » . فأتيت الحجاج فأخبرته . فقال : « قد أحسنت وقد أضعف الله ذلك لك » . وأمر لى بستين ألفا وبضعف تلك الثياب . فكان ذلك أول ما أصبته مع الحجاج .

وأرسل الحجاج إليها : « إنى أكره أن أبيت خِلْوًا ولى زوجة » . فقالت :

« وما احتباس امرأة عن زوجها وقدملكها، وأنبتها كرامته وصَداقها » . وأصلحت من شأنها . وأتته ليلا ، فدخلت عليه ، وهو فى بيت عظيم فى أقصاه ستارة ، وهو على فراشه . فلما أن دخلت سلمت . فأومأ إليها بقضيب معه . فجلست عند رجليه ساعة . ومكثت ساعة لا تتكلم ، ونحن وقوف. فضربت بيدها على فخذه ثم قالت : « ألم تبعُد[1] من سوء الخلق » . فتبسم وأقبل عليها واستوى جالسا . فدعونا له، وخرجنا وأُرخيت الستور .

ثم قدم الحجاج البصرة ، فحملها معه . فلما بنى قصره الذى دون المحدثة ، الذى يقال له « قصر الحجاج » . قال لها : « هل رأيت قط أحسن من هذا القصر ؟ » قالت : « ما أحسنه ! » قال : « لَتَصْدُقِنِّى » . قالت : « أما إذا أبيت ، فوالله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر وفيه عُبيد الله بن زياد » . قال : « والقصر الأحمر كان دار الإمارة بالبصرة ، وكان عبيد الله بن زياد بناه بطين أحمر . فطلّقهندا غضبامما قالته . وبعث إلى البصرة فهدمه وبناه بلَبِن . ثم تعهد صالح بن عبد الرحمن[2] فى خلافة سليمان بن عبد الملك ، فبناه بالآجُرّ بعد ذلك. ثم هُدم بعد وأدخل فى المسجد الجامع .

قال محمد بن عمرو بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومىّ : فخرجنا يوما مع الحجاج نعود عبد الملك بن بشر، فسلمنا عليه وعدناه معه . ثم خرجنا وتخلف الحجاج فوقفنا ننتظره . فلما خرج التفت فرآنى . فقال : « يا محمد ، ويحك ! رأيت الساعةهندا فمارأيت قط أجمل منها، ولا أشبّ منها حين رأيتها ، وما أنا بمُمْسٍ حتى

---

(١) كذا فى غ . وفى ص : تعهد .

(٢) كذا فى غ ، وهو الصحيح . وفى ص : ثم بعث بصالح . . . وذلك خطأ لأن الحجاج لم يدرك خلافة سليمان .

أراجعها » : فقلت : أصلح الله الأمير، امرأة طلقها على عَتْب[1] تُرِى الناس أن نفسك تتبعها ويكون لها الحجة عليك » . قال : « صدقت . لَلصَّبْرُ أحْجَى » . قال محمد : « والله ما كان منى ما كان نظرا لها ولا نصيحة له ، ولكنى أنفت لرجل من قريش أن تُداس أُمُّه فى كل وقت» .

(١) كذا فى ى . وفى ب ، س : عنت . ونقطت ص الباء وحدها .

هُدْبَة بن خَشْرَم*

هوهُدْبة بن خشرم بن كُرْز بن أبى حيّة بن الكاهِن ـ وهو سَلَمة ـ بن أَسْحَم ابن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذُبْيان بن الحارث بن سعد بن هُذيم بن أَسْلَمَ . وسعد ابن هذيم شاعر . وهُذيم عبد لأبيه رباه فقيل : سعد بن هذيم .

هُدْبة شاعر فصيح متقدّم من بادية الحجاز .

وكان شاعراً راوية ، يروى للحطيئة ، والحطيئة يروى لكَعْب بن زهَير ، وكعب بن زهير يروى لأبيه زهير . وكان جميل راوية هُدْبة ، وكُثيِّر راوية جميل . فلذلك قيل : إن آخر فحل اجتمعت له الرواية إلى الشعر كُثَيِّرٌ .

وكان لهدبة ثلاثة إخوة كلهم شاعر : حَوط ، وسَيْحان ، والواسع ، أمهم حية بنت أبى حُرّ[1] بن أبى حية ، من رهطهم الأدنَيْن . وكانت شاعرة أيضا .

كان هدبة بن خشرم وأبو المِسْوَر زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرَّة ابن خِنْبِس[2] بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم قد اصطحبا ، وهما مقبلان من الشام فى رَكْب من قومهما . فكانا يتعاقبان السَّوق بالإبل . ومع هُدْبة أخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز وقال[3] :

عُوجى علينا واربَعى يا فاطما ... ما دون ما يُرَى البعيرُ قائما[4]

---

* أخباره فى بر ٢١ : ٢٦٤ ، س ٢١ : ١٦٩ ، ى ٢١ : ٢٧٧ ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٣٤ .

(١) كذا فى ص . وفى س ، ى ، بر : أبى بكر . وفى نسخة مما اعتمدت عليه بر : أبى جبر ، وفى أخرى : أبى حريث .

(٢) ى : حنش .

(٣) ابن قتيبة ٤٣٤ . العينى : المقاصد النحوية ٢ : ٤٢٧ . اللسان (فعم) .

(٤) غ وابن قتيبة : أن يرى . وعوجى : عرجى وميلى . واربعى : قفى . وفى هامش حاشية لشرح الشطر الثانى ، تقول : « أى ما بين مناخ البعير إلى قيامه » .

أَلَا تَرَيْنَ الدمعَ منى ساجما حِذارَ دارٍ منك أنْ تُلَائما[1]
فأَطْرَدتْ مُطَّرِداً عُراهِما فَعْما يَبُذُّ القُطُف الرّواسِما[2]

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته . فنزل فرجز بأخت زيادة وكانت تدعى أم حازم[3] :

لقد أرانى والغلامَ الحازما نُزْجى المَطِىَّ ضُمَّرا سَواهِما[4]
متى تظنُّ القُلُصَ الرّواسِما والجِلَّةَ النّاجيةَ العَياهِما[5]
يَبْلُغْنَ أُمَّ حازمٍ وحازما إذا هَبَطْنَ مُسْتَحِيرا قاتما[6]
ورَفَّع الحادى لها الهَماهِما ألا تَرَين الحزنَ منى دائما[7]
حذارَ دارٍ منك أنْ تلائما والله لا يَشْفِى الفؤادَ الهائما

---

(١) كذا فى س ، وابن قتيبة ، واللسان (فعم) . وفى غ : لن تلائما .

(٢) غ : فعرجت مطردا . والمطرد : متتابع السير . والعرائم : الشديد . والفعم : الضخم . والقطف : جمع قطوف ، وهى الضيقة المشى . والرواسم : التى تسير الرسيم ، وهو سير سريع .

(٣) أو أم قاسم .

(٤) نزجى : نسوق . المطى : الإبل . الضمر : جمع ضامر ، وهو المهزول من كثرة الأسفار والسواهم : المتغيرة من السفر .

(٥) اللسان والعينى : متى تقول . والقلص : جمع قلوص ، وهى الشابة من الإبل . والجلة : جمع جليل ، وهى الكبار من الإبل . والناجية : السريعة تنجو بمن يركبها . والعياهم : جمع عيهم وهو الشديد أو السريع أو الحسن الخلق .

(٦) اللسان : يدنين أم قاسم وقاسما . ابن قتيبة: يبلغن أم قاسم وقاسما . غ: يبلغن أم خازم وخازما . والمستحير : الطريق الذى يأخذ فى عرض مفازة ولا يدرى أين منفذه أو القفر الذى يحار فيه القوم . والقاتم : الكثير القتام ، أى الغبار .

(٧) غ والعينى : ورجم الحادى . ورفع : أعلى . والهماهم : جمع همهمة ، وهى الصوت .

تَمْساحُكَ اللَّبَّاتِ والمآكما ولا اللِّمامُ دونَ أنْ تُلازما(١)
ولا اللِّثام دون أن تُفاقما وتملوَ القوائمُ القوائما(٢)

قال : فشتمه زيادة وشتمه هدبة ، وتسابّا طويلا . فصاح بهما القوم : « اركبا ، لا حمّلكما الله ! فإنا قوم حجاج » . وخشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما حتى أمسك كل واحد منهما على ما فى نفسه ، وهدبة أشدهما حنقاً ، لأنه يرى أن زيادة رجز بأخته وهى تسمع قوله ، ورجز هو بأخت زيادة وهى غائبة لا تسمع قوله . ومَضيا فلم يتحاورا بكلمة حتى قضيا حجهما ورجعا إلى عشيرتيهما .

ثم جعلا يتهاديان الأشعار ويتفاخران ، ويطلب كل واحد منهما العلو على صاحبه فى شعره . فمن مختار ما قال زيادة :

أراكَ خليلا قد عزمتَ التَّجنُّبا وقطَّعتَ حاجاتِ الفؤادِ فأصْحَبا(٣)
وإنك لَلنّاسِي الخليلَ إذا دَنَتْ به الدارُ ، والباكِى إذا ما تغيَّبا(٤)
إذا خفتَ شكَّ الأمرِ فارم بعزْمةٍ غَيابتَه يركبِ الدهرُ مَرْكبا(٥)
وإنْ وِجهةٌ سُدَّتْ عليك فُروجُها فإنّك لاقٍ لا محالةَ مَذْهبا
يُلام رجالٌ قبلَ تَجْربِبِ غَيْبِهم وكيفَ يُلام المرءُ حتى يُجرَّبا

(١) ابن قتيبة : اللبات والمعاصما . التمساح : المسح . واللبات : جمع لبة ، وهى موضع القلادة من الصدر . والمآكم : جمع مأكم ومأكمة ، وهى اللحمة التى على رأس الورك أو اللحمتان اللتان تصلان بين العجز والمتنين . واللمام : الزيارة .

(٢) جمع الشطر الأول بين شطرين رواهما ابن قتيبة والعينى وابن منظور وأبو الفرج ، وهما:
ولا اللزام دون أن تفاقما ولا الفقام دون أن تفاغما
والفقام : النكاح . والفغام : التقبيل والشم . بر ، س ، واللسان ، والعينى : وتركب القوائم . وابن قتيبة : وتعلق القوائم .

(٣) أصحب : ذل وانقاد بعد صعوبة .

(٤) بر ، س : وإنك كالناس .

(٥) بر ، س : يركب بك الحزم ، وهى أحسن .

وإنى لَمِعْراضٌ قليلٌ تَمرُّضى ... لوجهِ امرئ يوماً إذا ما تجنَّبـا
قليلٌ عِثارِى حين أُذْعَر ، سا كِنٌ ... جَنانى إذاما الحربُ هَرَّت لتَكْلَبا(١)
أنا ابنُ رَقاشٍ وابن ثَعْلبةَ الذى ... بنى هادِيا يعلُو الهَوادِىَ أغْلَبــا
بنى العزَّ بنياناً لقومى فأَصْعَبـوا ... بأسيافهم عنه فأصبح مُصْعَبـا(٢)
فمـا إنْ ترى فى الناسِ أمًّا كأمِّنا ... ولا كأَبينا حين نَنْسُبه أبا
أتَمَّ وأنْمَى باليَمين إلى العُـلا ... وأكرمَ منا فى المَناسِب مَنْسَبا(٣)
مَلَكْنا ولم نُملَك ، وقُدْنا ولم نُقَد ... كأنّ لنـا حقا على الناس تُرْتَبا(٤)
بآيةِ أنّا لا نرى مُتتـــوِّجا ... من الناس يَعْلونا إذا ما تَعَصَّبا(٥)
ولا مَلِـكا إلا اتَّقانا بمُلْـكِه ... ولا سُوقةً إلا على الخَرْج أتْعبا(٦)
مَلَكْنا الملوكَ واسْتَبحنا حِماهُمُ ... وكنا لهم فى الجاهلية مَوْكِبا(٧)
نَدامى وأَرْدافا ولم تَكُ سُـوقةٌ ... تُوازِنُنا فاسأل إياداً وتَغْلِبا(٨)

فأجابه هدبة بأبيات لم أقف منها إلا على غزلها .

ولم يزل هدبة يطلب غرة زيادة حتى أصابها فقتله ، وتنحى مخافةَ السلطان .

---

(١) هر الكلب : أخرج صوتا دون النباح من البرد أو سوء الخلق ، كنى بذلك للحرب . وتكلب : تصاب بالجنون .

(٢) غ : لقومى فا صعوا . وأصعبوا : جعلوه صعبا .

(٣) باليمين : كذا فى س وإن كانت غير واضحة . وفى غ : بالبنين ، وفيه أيضا : فى المناصب منصبا .

(٤) ترتب : لازم ثابت .

(٥) بر ، س : متوجها . وتعصب : تتوج .

(٦) الخرج : الإتاوة والضريبة والخراج .

(٧) ى : ملكنا ملوكا .

(٨) غ : فلم ترسوقة . والأرداف : جمع ردف ، وهو نائب الملك .

وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص[1] ، فأرسل إلى عم هدبة وأهله فحبسهم بالمدينة . فلما سمع هدبة ذلك ، أقبل حتى أمْـكَن من نفسه ، وتخلص عمه وأهله فلم يزل محبوساً حتى شخَص عبد الرحمن بن زيد ، أخو زيادة ، إلى معاوية بن أبى سفيان . فأورد كتابا إلى سعيد بن العاص بأن يُقيد منه ، إذا قامت البينة . فأقامها . فمشت عُذْرة إلى عبد الرحمن فسألوه قبول الدية . فامتنع من ذلك وقال[2] :

أَنَخْتُم علينا كَلْكَلَ الحربِ مرةً فنحن مُنيخُوها عليكم بكَلْكَلِ
فلا يَدْعُنى قومى لزيدِ بن مالكٍ لئنْ لم أُعجِّل ضربةً أو أُعجَّل
أبعدَ الذى بالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ رَهِينةِ رمسٍ ذى تراب وجَنْدل[3]
أُذكَّر بالبُقْيا على من أصابنى وبُقيايَ أنّى جاهدٌ غيرُ مُؤْتَلِ

فكره سعيد بن العاص الحكم بينهما فحملهما إلى معاوية . فلما صاروا بين يدى معاوية ، قال عبد الرحمن أخو زيادة : « يا أمير المؤمنين ، أشكو إليك مظلمتى ، وقتل أخى ، وترويع نسوتى » . فقال معاوية : « يا هدبة ، قل » . فقال : « إن هذا رجل سَجَّاعة ، فإن شئتَ أن أقص عليك قصتنا كلاما أو شعرا فعلت » . قال : « بل شعرا » . فقال عند ذلك ارتجالا :

ألا يا لقَوْمِى لِلنوائبِ والدهرِ وللمرء يُرْدِى نفسَه وهو لا يدرى
وللأرضِ كم من صالحٍ قد تأكَّمتْ عليـــه فوارَتْه بلمَّاعةٍ قَفْرِ[4]
فلا تَتَّــقِى ذا هيبـــةٍ لجلالِه ولا ذا ضَياع هنّ يترُكْنَ للفقْرِ

---

(١) وليها من ٤٩ ـ ٥٦ هـ

(٢) نسبها المرزوقى فى شرح الحماسة ٢٤٥ إلى المسور بن زيادة .

(٣) النعف : ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الجبل . وكويكب : موضع فى ديار سعد بن هذيم .

(٤) تأكمت: صارت أكمة ، أى تلا من الحجارة . واللماعة: الفلاة يلمع فيها السراب .

إلى أن قال :

رُمِينا فرامَيْنا فصادفَ رَمْيُنا ... مَنايا رجالٍ فى كتابٍ وفى قَدْرِ (١)

وأنت أميرُ المؤمنين فما لَنا ... وراءك من مَعْدًى ولا عَنْكَ من قَصْر

فإنْ تكُ فى أموالنا لم نَضِقْ بها ... ذِراعا ، وإنْ صَبْرا فنَصْبِرُ للصَّبْرْ (٢)

فقال معاوية : « أراكَ قد أقررتَ بقتل صاحبهم » . ثم قال لعبد الرحمن : « هل لزيادة من ولد ؟ » فقال : « نعم ، المِسْور وهو غلام جَفْر (٣) لم يبلغ ، وأنا عمه ولىُّ دم أبيه » . فقال : « إنك لا تُؤمَن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق ، والمسور أحق بدم أبيه » . فردهم إلى المدينة . فحُبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور .

دخل جميل بن مَعْمَر العُذْرى على هدبة السجن، وهو محبوس بدم زيادة بن زيد. وأهدى له بُرْدَيْن من ثياب كساه إياها سعيد بن العاص، وجاءه بنفقة . فلما دخل إليه، عرض ذلك عليه وسأله أن يقبله منه . فقال : « أنت الذى يقول (٤) :

بنى عامرٍ ، أنَّى انتجعْتُم وكنتم ... إذا عُدِّد الأقوامُ كالُخصْيةِ الفَرْدِ (٥)

أمَا والله لئِنْ خَلُص لى ساق لأمدَّنَّ لك مِضْمارك . فخذ برديك ونفقتك » . وخرج جميل. فلما بلغ باب السجن خارجا قال: « اللهم ، أغْنِ عنى أَجْدع بنى عامر ! »

ولما حُبس هدبة بالمدينة ، قالت أم هدبة فيه :

أيا إخوتى أهلَ المدينةِ أَكْرِموا ... أسيرَكم إنّ الأسيرَ كريمُ

---

(١) الكامل ١٢٤٦ : فصادف سهمنا منية نفس .

(٢) الكامل : لا نضق . و غ والكامل : وإن صبر .

(٣) جفر : عظيم البطن . وفى غ : صغير .

(٤) ديوانه ٧٣ .

(٥) الديوان : حصل الأقوام .

وأرسل هدبة المشيرة إلى عبد الرحمن فى أول سنة فكلموه . فامتنع منهم وقال تلك الأبيات التى أولها :

* أبعد الذى بالنّعْف نعف كويكب *

فلما سمع هدبة الأبيات قال : « لم يُوئِسْنى بعد » .

فلما كانت السنة الثالثة ، بلغ المسور . فأرسل هدبة إلى عبد الرحمن من كلمه . فأنصت حتى فرغوا ثم قام مغضَبا وأنشأ يقول :

سأُكذِبُ أقواما يقولون : إننى سآخُذ مالا من دمٍ أنا ثائِرُه[(١)]

فباسْتِ امرئٍ واسْتِ التى زَحَرتْ به يَسوم سُواما من أخٍ هو واتِره[(٢)]

فأخبر هدبة الخبر ، فقال : « الآن يئست منه » . وذهب عبد الرحمن بالمسور إلى سعيد بن العاص — وقيل : مروان بن الحكم[(٣)] — والى المدينة ، فأخرج هدبة .

ولما كان فى الليلة التى قُتل فى صَبِيحتها ، أرسل إلى امرأته — وكان يحبها — : « إيتِينى الليلةَ أستمتع بك وأودعك » . فأتته فى اللباس والطيب . فصارت إلى رجل قد طال حبسه ، وأنتنتْ من الحديد رائحته . فحادثها وبكى وبكت . ثم راودها عن نفسها فطاوعته . فلما علاها ، سمعتْ قعقعة الحديد فاضطربت تحته . فتنحى عنها وأنشأ يقول :

أأدنَيْتِنى حتى إذا ما جعلتِنى لَدَى الخصْرِ أوأدْنَى، استقلّكِ راجِفُ[(٤)]

فإن شئتِ واللهِ انتهيتُ وإننى لأَنْ لا تَرَيْنى آخرَ الدهرِ خائف

(١) بر ، س : أنا واتره .

(٢) زحرت به : كذا فى بر ، س ، أى ولدته . وفى س : رحرت به ، وفى ى : زجرت به ، تحريف . ويسوم سواما : كذا فى بر ، س ، أى يكلفه عذابا وشرا . وفى ص ، ى : يسوق سواما . وفى بر ، س : هو ثائره .

(٣) ولى بعد سعيد من ٥٦ — ٥٧ هـ .

(٤) غ : وأدنيتنى .

ولما خرج من السجن للقتل التفت فرأى امرأته ـ وكانت من أجمل النساء ـ فقال[1] :

أَقِلِّى علىّ اللومَ يا أمَّ بَوْزَعا ... ولا تجزعى مما أصابَ وأَوْجَعا[2]
ولا تَنْكِحى إذ فرّق الدهرُ بيننا ... أغمّ القفا والوجهِ ليس بأَنْزَعا[3]
كَليلا سوى ما كان من حَدِّ ضِرْسِه ... أُكَيْبِد مِبْطانَ العَشِيَّات أَرْوَعا[4]
ضَروبا بلَحْيَيه على عَظْم زَوْرِه ... إذا الناسُ هَشُّوا للفَعال تَقَنَّعا
وحُلِّى بذى أُكرومةٍ وَحَمِيَّةٍ ... وصبرٍ إذا ما الدهرُ عَضَّ وأَسْرَعا[5]
وكُونى حَبيسا أو لأَرْوَعَ ماجدٍ ... إذا ضَنَّ أعشاشُ الرجال تَبرَّعا[6]

وجعل الناس يتعرضون له ويَخْبُرونه فى صبره وجَلَده ، ويستنشدونه الأشعار . فأدركه عبد الرحمن بن حسان فقال : « ياهدبة ، أتأمرنى أن أتزوج هذه بعدك ؟ » يعنى زوجته وهى تمشى خلفه . فقال : « نعم ، إن كنت من شرطها » . قال : « وما شرطها ؟ » قال : « قد قلته فى الأبيات :

ولا تنكحى إذ فرق الدهر بيننا ... أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

ثم إن زوجته قالت لمروان : « إن لهدبة عندى وديعة ، فأَمْهِله حتى آتيه بها » .

(١) المبرد : الكامل ٢٧٠ . ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٤٣٧ .

(٢) بر : ولا تعجبى . غ : فأوجعا .

(٣) غ مرة والمبرد وابن قتيبة : فلا تنكحى إن فرق . والأغم : كثير شعر الوجه والقفا ، وذلك مكروه عند العرب . والأنزع : ما انحسر شعره عن جانبى جبهته ، وذلك محبوب عندهم .

(٤) أكيبد : كذا فى غ ، أى يشكو كبده من كثرة الأكل . وفى س : أعيبد . ومبطان العشيات : عظيم البطن من كثرة الأكل فى العشيات . وأروع : جبان كثير الارتياع .

(٥) غ : فأسرعا .

(٦) الأروع : من يروعك بشجاعته . والأعشاش : جمع عش ، وهو الطويل القليل اللحم أو دقيق عظام اليد والرجل .

فقال : « أسرعى فإن الناس قد كثروا » . وكان جلس لهم بارزا عن داره . فمضت إلى السوق إلى قصّاب فقالت : « أعطنى شَفْرتك » وخذ هذين الدرهمين ، وأنا أردها عليك » . فقال : « أسرعى » . فأخذتها وقربت من حائط ، فأرسلت ملحفتها على وجهها ثم جدعت أنفها من أصله وقطعت شفتيها ، وردت الشفرة . ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس فقالت : « يا هدبة » أترانى متزوجة بعد ما ترى ؟ » فقال : « الآن طابت نفسى بالموت » .

وخرج يرسُف فى قيوده ، فإذا هو بأبويه يتوقعان الثُّكْل وهما بسوء حال . فأقبل عليهما وقال :

أَبْلِيانِى اليومَ صَبْرا منكما إنّ حُزْنا إنْ بَدا بادِ بشَرّ (1)
لا أرى ذا اليومَ إلا هَيِّنا إنّ بعدَ الموتِ دار المستقرّ (2)
اصْبِرا اليومَ فإنّى صابرٌ كلُّ حىٍّ لقضاء وقَدَر

ثم سأل سعيد بن العاص أخا زيادة أن يقبل الدية منه فقال : « أعطيك مالم يعطِه أحد من العرب : أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جَدّاء(3) ولا ذات داء » . قال : « والله ، لو نقبت لى قبتك هذه ثم ملأتها ذهبا مارضيت بها من دم هذا الأجدع » . فلم يزل سعيد يسأله ويعرض عليه وهو يأبى . ثم قال : « والله لو أردتُ قبول الدية منه لمنعنى من ذلك قولُه :

لَنَجْدِ عنَّ بأَيْدِينا أُنوفَكُم ويَذهبُ القتلُ فيما بيننا هَدَرا

فدفعه إليه حينئذ ليقتله . فاستأذن هدبة فى أن يصلى ركعتين . فأذن له . فصلاها وخفف . ثم التفت فقال : « لولا أن يُظنّ بى الجزع لأطَلْتها ، فقد كنت محتاجا إلى

(1) غ : بدا بادىء شر .
(2) غ : لا أرانى اليوم إلا ميتا .
(3) الجداء : الضامرة الثدى .

إطالتهما » . ثم قال : بلغنى أن القتيل يَعْقِل ساعة بعد سقوط رأسه ، فإن عقلت فإنى قابض على رجلى ثلاثا وباسطها ثلاثا » . ففعل ذلك حين قتل .

وقال قبل أن يقتل :

إنْ تقتلونى فى الحديدِ فإنّنى ‏ ‏ ‏ قتلتُ أخاكم مُطْلَقا لم يُقيَّدِ

فقال عبد الرحمن أخو زيادة : « والله لا أقتله إلا مطلقا من وثاقه » . فقام إليه وقد أُطلق ، فهز السيف وقال :

قــد علمتْ نفسى وأنت تعلمُهْ ‏ ‏ ‏ لأقتلنَّ اليومَ من لا أرحمُهْ

ثم قتله .

ويقال : إن الذى قتله المسور ابنه ؛ دفع إليه عمه السيف وقال له : « قم فاقتل قاتل أبيك » . فقام فضربه ضربتين قتله فيهما .

وقيل : إن هدبة أول من أُقيد منه فى الإسلام .

مرت كاهنة بأم هدبة ، وهو وإخوته قيام[1] بين يديها ، فقالت : « يا هذه ، إن الذى معى يخبرنى عن بنيك هؤلاء بأمر » . فقالت : « وما هو ؟ » قالت : « أما هدبة وحــوط فيُقتلان صبرا ، وأما الواسع وسيحان فيموتان كمدا » . فــكذلك كان .

وقال واسع يرثى أخاه هدبه :

يا هُدْبَ يا خيرَ فتيانِ العَشيرةِ من ‏ ‏ ‏ يُفجَع بمثلِكَ فى الدنيا فقــد فُجِعا

اللهُ يعـــلمُ أنى لو خَشيتُهُمُ ‏ ‏ ‏ أوأوجسَ القلبُ منخوفٍ لهمجَزَعا[2]

لم يقتلوه ولم يُسْــلَمَ أخى لهمُ ‏ ‏ ‏ حتى نعيشَ جميعـا أو نموتَ معا[3]

---

(١) غ : نيام .

(٢) غ : فزعا .

(٣) غ : أسلم أخى .

قال رجل من عُذْرة : « إنى لَببلادِنا يوما فى بعض المياه ، إذا أنا بامرأة تمشى أمامى وهى مُدبِرة ، ولها خَلْق عظيم من عَجُز وهيئة وتمام وجسم وكمال وقامة[1] ، وإذا صَبِيّان قد اكْتَنفاها يمشيان قد ترعرعا فتقدمتُها والتفتّ إليها ، فإذا هى أقبح منظر ، وإذا هى مقطوعة الأنف ، مقطوعة الشفتين . فسألت عنها فقيل لى : «هذه امرأة هدبة ، تزوجت بعده[2] رجلا أَوْلَدها هذين الصبيين » .

بعث هدبة إلى عائشة رضى الله عنها : « استغفِرى لى » . فقالت : « إنْ قُتِلتَ استغفرتُ لك » .

(١) غ : وتمام جسم وكمال قامة .

(٢) بعده : كذا فى غ ، وفى س : بعدها ، تحريف .

حرف الواو

وَرَقة بن نَوْفَل*

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَى . وأمه هند بنت أبي كَثير ابن عبد بن قصى .

هو أحد من اعتزل عبادة الأوثان فى الجاهلية ، وطلب الدِّين ، وقرأ الكتب ، وامتنع من أكل ذبائح الأوثان .

قال عروة بن الزبير[1] : سُئل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن ورقة بن نوفل ، كما بلَغَنا . فقال : « لقد رأيته فى المنام كأن عليه ثيابا بيضا ، فقد أظن أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض » .

روت عائشة أن خديجة انطلقتْ بالنبى — صلى الله عليه وسلم — حتى أتت ورقة ابن نوفل ، وهو ابن عم خديجة أخى أبيها — وكان امرأً تنصَّر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربى ، فيكتب بالعربية[2] من الإنجيل ما شاء أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمِّر[3] . فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك » قال ورقة: « يا ابن أخى، ماذا ترى؟ » فأخبره رسول‌الله — صلى الله عليه وسلم — بما رأى.

---

* أخباره فى ب٣: ١٣ ، س ٣: ١٤ ، د ٣ : ١١٩ ، ى ٣ : ١١٣ ، ت ١ : ٦٣٧ وخزانة الأدب للخطيب ٣ : ٣٧ ، ٣ : ٢٤٧ .

(١) ورد الحديث فى أسد الغابة ٥: ٨٨ ، والأغانى (د) ٦ : ٣١٩ .

(٢) كذا فى س . وفى غ : العبرانى ... بالعبرانية .

(٣) غ : قد عمى .

فقال ورقة بن نوفل : « هـذا الناموس(١) الذى أنزله الله ـ تعالى ـ على موسى ابن عمران ، ياليتنى فيها جَذَع(٢) ، أكون معـك حيث يُخرجك قومك » . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أوَ مُخرِجىّ هم ؟ » قال ورقة : « نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عُودىَ ، وإنْ يدركْنى يومُك أنصرك نصرا مُؤزَّرا » . ثم لم يَنْشَب ورقة أن مات .

قال عروة : كان بلال لجارية من بنى جُمَح بن عمرو، وكانوا يعذبونه برَمْضاء(٣) مكة: يُلصقون ظهره بالرمضاء ليُشرك بالله ، فيقول : « أَحَد ! أَحَد ! » فيقول ورقة : « أحد ! أحد ! والله ، يابلال. لئن قتلتموه لأتخذنه حَنانا »(٤). يقول: لأتمسحن به .

وقال ورقة بن نوفل فى ذلك :

لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم : أنا النَّـذيرُ فلا يَغْرُرْكُمُ أَحَـدُ
لا تَعْبُدُنَّ إلهـا غيرَ خالقِـكم فإنْ دعَوْكم فقُولوا بيننا حَدَد(٥)
سبحانَ ذى العرشِ سُبْحانا نعوذُ به وقبلُ قد سَبَّح الجودِىُّ والجُمُدُ(٦)

(١) الناموس : صاحب السر ، والمراد به جبريل .
(٢) الجذع : الشاب الحدث .
(٣) الرمضاء : الأرض الحامية من شدة الشمس .
(٤) الحنان : الرحمة والعطف والحنان : الرزق والبركة . أراد لأجعلن قبره موضع حنان أى مظنة من رحمة الله تعالى فأتمسح به متبركا كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا فى سبيل الله من الأمم الماضية (اللسان) .
(٥) الخزانة : فإن دعيتم فقولوا دونه حدد . والحدد : المنع .
(٦) يبدو أن هذا البيت ملفق من اثنين ، لأن رواية الخزانة كما يلى :

سبحان ذى العرش لاشىء يعادله رب البرية فرد واحد صمد
سبحانه ثم سبحانا نعوذ به وقبلنا سبح الجودى والجمد

وفى اللسان (جود وجمد) : سبحانا يعود له . وفى معجم البلدان : سبحانا يدوم له . والجودى : جبل بالجزيرة بشمال العراق استوت عليه سفينة نوح عليه السلام . والجمد . جبل بنجد. واختلف الرواة فى نسبة هذا البيت فأكثر شراح شواهد سيبويه قال إنه لأمية بن أبى الصلت، وقال بعضهم إنه لزيد بن عمرو بن نفيل ، وصوب الخطيب نسبته إلى ورقة .

مُسخَّرٌ كلُّ ما تحت السماء له ... لا ينبغى أنْ يُناوِى مُلكَه أحد[1]
لا شيء مما ترى تبقى بَشاشَتُه ... يبقَى الإلهُ ويُودى المالُ والولد[2]
لم تُغْنِ عن هُرْمُزٍ يوما خَزائنُه ... والخُلْد قد حاولَتْ عادٌ فما خَلَدوا
ولا سليمانَ إذ دانَ الشعوبُ له ... الجن والإنس تجرى بينها البُرُد[3]

روى هشام بن عروة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال لأخى ورقة بن نوفل أو لابن أخيه : « شَعرتُ أنى قد رأيت لورقة جنة أو جنتين » . شك هشام .

قال عروة : ونهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم عن سَبّ ورقة .

كانت خديجة ـ رضى الله عنها ـ تأتى ورقة بما يُخبرها به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه يأتيه . فيقول ورقة : « لئن كان مايقول حقاً إنه ليأتيه الناموس الأكبر : ناموس عيسى بن مريم الذى لا يُجيزه أهل الكتاب إلا بثمن . ولئن نطق وأنا حى لأُبْلِيَنّ لله فيه بلاء حسناً » .

(١) الخزانة . كل من .
(٢) س : ترى .
(٣) غ : والجن . س : يجرى . والبرد : جمع بريد ، وهو الرسول .

الوَليد بن عقبة

هو الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط . كنيته أبو وَهْب . وهو أخو عثمان بن عَفّان لأمه . أمهما أَرْوَى بنت كُرَيْز . وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب .

وكان من فتيان قريش وشجعانهم وشعرائهم وجُوَدائهم .

وكان فاسقاً .

وولى لعثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص[1] . وشرب الخمر . وشُهد عليه بذلك . فحدّه وعزله :

ومن شعره رثى أخاه عثمان[2] :

أَلَا مَنْ لليلٍ لا تَغور كَواكبُهْ ... إذا لاح نجمٌ غاب نجمٌ يُراقبُهْ[3]

بني هاشمٍ ، رُدُّوا سلاحَ ابنِ أُختكم ... ولا تَنْهَبوه ، لا تَحِلُّ مَناهبه

بني هاشم ، لا تُعْجلونا فإنّــــا ... سواء علينــا قاتلوه وسالبه[4]

فقد يُجبَرُ العظمُ الكسير ويَنْبَري ... لذى الحقِّ يوما حَقُّه فيُطالبــه

بني هاشم ، كيف التّعاذُر بيننــا ... وعند عليٍّ سَيْفُــه ونَجائبــه[5]

---

* أخباره في ب ٤ : ١٧٧ . س ٤ : ١٧٥ ، د ٥ : ١٢٢ ، ى ٥ : ١١٢ .

(١) يقصد ولاية سعد الثانية ، التي كانت من ٢٤ ـ ٢٥ هـ ، وكانت ولاية الوليد من ٢٥ ـ ٣٠ هـ .

(٢) كامل المبرد ٧٣٥ . الاستيعاب لابن عبد البر ٦٢٢ .

(٣) غ : لاح نجم يراقبه . الاستيعاب :

ألا يا لليل لا تغور نجومه ... إلا لاح نجم غار نجم يراقبه

(٤) غ : لا تعجلوا بإفادة . الاستيعاب : فإنه .

(٥) غ والاستيعاب :

بني هاشم كيف التعاقد بيننا ... وعند عليّ سيفه وحرائبه

والكامل :

بني هاشم كيف الهوادة بيننا ... وعند عليّ درعه ونجائبه

لَعَمْرُكَ لا أنسى ابن أَرْوَى وقَتْلَه ... وهل ينسيَنَّ المــــاءَ ما عاش شاربه
هُمُ قتلوه كَيْ يــكونوا مكانَه ... كما فعلتْ يوماً بكِسْرى مَرازِبه(١)
وإنى لمُجتابٌ إليــكم بجَحْفلٍ ... يُصِمُّ السميعَ جَرْسُه وحَلائبه(٢)

فى أبيات وجوابٍ للفَضْل بن عباس لم أكتبه . منها :

فإلا تَجَلَّلْهـــا يُعَالُوكَ فوقها ... وكيف تَوَقَّى ظهرَ ما أنت راكبُه(٣)

والوليد بن عقبة هذا هو القائل لمعاوية يحرضه :

واللهِ ما هندٌ بأُمِّك إنْ مَضَى النَّـ ... ـهار ولم يثــأرْ بعثمانَ ثائرُ
أيَقْتُل عبدُ القوم سيــدَ أهلِه ... ولم تقتلوه ، ليت أُمَّك عاقر
وإنَّا متى نقتلْهمُ لا يُقِدْ بهم ... مُقيدٌ وقد دارتْ عليك الدوائر(٤)

قيل : لم يكن يجلس مع عثمان على سريره إلا العباس بن عبد المطلب ، وأبو سفيان ابن حَرْب ، والحَــكَم بن أبى العاصى ، والوليد بن عقبة . فأقبل الوليد يوماً فجلس ثم جاء الحــكم . فلما رآه عثمان زَحَل له عن مجلسه(٥) . فلما قام الحــكم ، قال الوليد : « والله — يا أمير المؤمنين — لقد تلجلج فى صدرى بيتان قلتُهما حين رأيتك آثرت عمك على ابن أمك » . فقال عثمان : « إنه شيــخ قريش . فــا البيتان اللذان قلت ؟ » قال : « هما :

رأيت لعَمِّ المــرء زُلْفَى قرابةٍ ... دُوَيْن أخيــه حادِثاً لم يكن قِدْما
فأمَّلتُ عَمْــــرا أن يَشِبَّ وخالدا ... لــكى يَدْعُوانى يومَ مَزْحمةٍ عمَّا(٦)

---

(١) غ والــكامل : كما غدرت . والمرازب : جمع مرزبان ، وهم أشراف الفرس ورؤساؤهم
(٢) غ : وجلائبه . والحلائب : جمع حلبة ، وهى الخيل فى الرهان أو السباق .
(٣) تجللها : مخففة من تتجللها ، أى تعلوها . ويعالوك : يرفعوك .
(٤) د : فقد .
(٥) كذا فى غ . وفى س : فلما رآه الوليد زحل الحــكم عن مجلسه . ويأباه السياق . وزحل : تنحى .
(٦) فأملت : كذا فى غ . وفى س : وأملت .

يعني عمراً وخالداً ، ابني عثمان قال: فرق عثمان وقال له : « قد وليتك العراق » . يعني الكوفة .

ولما ولي المدينة(١) قدمها ، وعليها سعد بن أبي وقاص . فأُخبر بقدومه . فقال : « وما صنع ؟ » قيل : « وقف في السوق يحدّث الناس هناك . ولسنا ننكر من شأنه شيئاً . فلم يلبث أن جاءه نصفَ النهار . فاستأذن على سعد ، فأذن له . فسلّم عليه بالإمرة وجلس معه . فقال له سعد : « ما أقدمك ، أبا وهب ؟ » قال : « أحببت زيارتك » . قال : « وعلى ذلك أجئتَ بريداً ؟ » قال : « أنا أرزَنُ من ذلك . ولكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرّحوني إليه . وقد استعملني أمير المؤمنين على الكوفة » . فمكث طويلا ثم قال له « ما أدري : أ كِستَ بعدنا أم حَمُقنا بعدك ؟ » فقال : « لا تجزعن — أبا إسحاق — فإنما هو المُلْك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون » . فقال سعد : « أراكم — والله — ستجعلونه ملكاً :

خُذيني فجُرِّيني ضِباعُ وأبْشِري ... بلحمِ امرئٍ لم يَشهد اليومَ ناصرُه

فقال : « أما — والله — لأنا أقوَل للشعر منك ، وأروَى له منك . ولو شئت لأجبتُك ، ولكني أدَع ذلك لما لا تعلم(٢) . لعَمْرُ الله ، وقد أُمرت بمحاسبتك والنظر في أمر عمالك » ، ثم حبس عماله وضيّق عليهم . فكتبوا إلى سعد يستغيثون فكلمه فيهم . فقال له : « وللمعروف عندك موضع ؟ » قال : « نعم ، والله » . فخلّى سبيلهم .

وكان الوليد بن عقبة زانياً شِرِّيب خمر . فشرب الخمر بالكوفة ، وقام يصلي بهم الصبح في المسجد الجامع . فصلى بهم أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال : «أأزيدكم؟» وقاء في المحراب . وقرأ بهم في المحراب رافعاً صوته :

عَلِق القلبُ الرَّبابا ... بعد ما شابتْ وشابا

(١) يريد مدينة الكوفة .

(٢) س ، د : لما تعلم .

فشَخَص أهل الكوفة إلى عثمان ـ رضى الله عنه ـ فأخبروه بخبره، وشهدوا عليه بشربه الخمر . فأتى به . وأمر رجلا فضربه الحد . فلما دنا منه، قال له : « نشدْتُك الله وقرابتى، يا أمير المؤمنين ! » فتركه . وخاف على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أن يُعطِّل الحد فقام إليه فحدّه . فقال له الوليد : « نشدتك بالله وبالقرابة ! » فقال له على : « اسكت ـ أبا وهب ! فإنما هلكتْ بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود » . فضربه أربعين سوطاً وقال : « لتَدْعُوَنِّى قريش بعد هذا جلادها » .

وقيل : إن الوليد قال بعد جلده : « اللهم، إنهم قد شهدوا علىّ بزور، فلا تُرْضِهم عن أمير، ولا تُرْضِ عنهم أميراً ! » .

وقال الحطيئة يكذّب عنه[1] :

شهد الحطيئةُ يومَ يَلْقَى رَبَّه ... أنّ الوليد أحقُّ بالعذر
خَلَعوا عِنانك إذ جريْتَ ولو ... خَلَّوا عنانك لم تزل تجرى[2]
ورأوا شمائلَ ماجدٍ أَنِفٍ ... يُعطى على المَيْسور والعُسْر
فنُزِعتَ مكذوبا عليك ولم ... تَنْزِع إلى طمع ولا فقر

فقال رجل من بنى عِجْل يرد عليه :

نادى وقد تمتْ صلاتُهمُ ... أأَزيدكم سُكْرا ولم يَدْرِ[3]
ليَزيدهم خيرا، ولو قبلوا ... لقَرَنْتَ بين الشَّفْع والوتْر
فأَبَوا ـ أبا وهب ـ ولو فعلوا ... وصلَتْ صلاتُهمُ إلى العَشْر

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٦٢١ . ديوان الحطيئة (طبع الحلبى ١٩٥٨م) ٢٣٣-٢٣٧.

(٢) غ مرة والاستيعاب : كفوا عنانك . وغ والديوان مرة والاستيعاب : ولو تركوا عنانك .

(٣) غ وديوان الحطيئة : ثملا وما يدرى . الاستيعاب : سكرا وما يدرى . وخلط هذا الشعر بشعر الحطيئة .

وقال الحطيئة[1] :

تَكَلَّمَ فى الصلاةِ وزاد فيها ... عَلانيـــةً وظاهَرَ بالنِّفاقِ[2]

ومَجَّ الخمر فى سَنَنِ المُصَلَّى ... ونادى والجميعُ إلى افتراق :[3]

أزيدكُمُ على أن تَحمَدُونى ... وما لكمُ وما لى من خَلاق[4]

شهد رجل عند أبى العَجّاج ، وهو على البصرة ، على رجل من المُعَيْطِيِّين بشهادة ، وكان الشاهد سكران . فقال المعيطى المشهود عليه : « أعزك الله ! إنه لا يُحسن أن يقرأ من السكر » . فقال الشاهد : « إنى لأحسن » ، فقال : « اقرأ » . فقال :

علق القلب الربابا ... بعد ما شابت وشابا

وإنما تماجَن بذلك على المعيطى ، يعرِّض بما صنع الوليد بن عقبة فى محراب الكوفة لما أنشد هذا الشعر . وكان أبو العجاج محمَّقا ، فظن أن هذا قرآن . فقال : « صدق الله ورسوله . ويلكم ! فلِمَ تعلمون ولا تعملون ! » .

والشهود الذين شهدوا على الوليد بشرب الخمر أبو زينب ، وأبو مورِّع ، وجندب الأَزْدى ، وسعيد بن مالك الأشعرى .

وكان أبو زينب وأبو مورِّع يطلبان عَثْرة الوليد . فجاءا يوما ولم يحضُر للصلاة . فسألا عنه وتلطفّا حتى علما أنه يشرب فاقتحما الدار فوجداه يَقِىء . فاحتملاه — وهو سكران — فوضعاه على سريره ، وأخذا خاتَمه من يده . فأفاق فافتقد خاتمه فسأل عنه . فقالوا : « لا ندرى . وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك » . فقال : « صِفهما » . فقيل : « أحدهما آدَم[5] طوال حسن الوجه ، والآخر عريض

---

(١) الاستيعاب ٦٢١ . ديوان الحطيئة ٢٣٦ .

(٢) غ والديوان والاستيعاب : وجاهر بالنفاق .

(٣) السنن : الطريق .

(٤) الاستيعاب : فما لكم .

(٥) آدم : أسمر .

مَرْبوع عليه خَميصة[1] » . فقال : « هما أبو زينب وأبو مورع » . ثم إن أبا زينب وأبامورع لقيا عبد الله بن حُبَيش الأسدى وعَلْقمة بن يزيد البكرى وغيرها فأخبروهم . فقالوا : « اشخَصوا إلى أمير المؤمنين فأعْلِموه » . وقال بعضهم : إنه لا يقبل قولكم فى أخيه » . فشخصوا إليه وقالوا : « إنا جئناك فى أمر ، ونحن مُخرجوه إليك من أعناقنا وقلنا إنك لا تقبله » . قال : « وما هو ؟ » قالوا : « رأينا الوليد وهو سكران من خمر ، وهذا خاتمه أخذناه وهو لا يَعْقِل » . فأرسل إلى على ــ عليه السلام ــ فشاوره . فقال : « أرى أن تُشْخِصه ، فإن شهدوا عليه بحضرٍ منه حَدَدْته » . فكتب إليه فقدم. فشهد عليه أبو زينب وأبو مورع وجندب الأزدى وسعد بن مالك الأشعرى . فقال عثمان لعلى : « قم فاضربه » . فقال على للحسن : « قم فاضربه » . فقال الحسن لعلى : « ما لك ولهذا ؟ يكفيك غيرك » . فقال على لعبد الله بن جعفر : « قم فاضربه » . فضربه بِمِخْصَرة[2] فيها سَيْر له رأسان . فلما بلغ أربعين قال له على : « حَسْبُك ، أمسك ، جلد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم أربعين ، وجلد أبو بكر ــ رضى الله عنه ــ أربعين ، وكملها عمر ثمانين ، وكلٌّ سُنَّة » .

قال الزُّهْرى : خرج رهطٌ من الكوفة إلى عثمان فى أمر الوليد . فقال : « أكلّما غضب رجل على أميره رماه بالباطل ! لئن أصبحتُ لكم لأُنَكِّلن بكم » فاستجاروا بعائشة ، رضى الله عنها ، وأصبح عثمان فسمع فى حجرتها صوتا وكلاما فيه بعض الغلظة فقال: «أما يجد مُرّاق العراق وفُسّاقهم ملجأ إلا بيت عائشة ! » فسمعت فرفعت نعل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقالت : « تركتَ سُنَّة صاحب هذه النعل »[3] . فتسامع الناس فأتوا حتى ملئوا المسجد . فمن قائل : « أحْسَنَتْ » . ومن قائل :

---

(١) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .

(٢) المخصرة : ما اختصره الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو مقرعة وما أشبههما .

(٣) فى ص ، ب ، س : هذا النعل . وغيرتها د إلى : هذه النعل ، لأنها مؤنثة .

« ما للنساء ولهذا ! » حتى تخاصموا وتحاصَبُوا[1] وتضاربوا بالنعال . ودخل رهط من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على عثمان فقالوا له : « اتَّقِ الله ، ولا تعطل الحدود ، واعزل أخاك عنهم » . ففعل.

ولما ضرب عثمان أخاه الوليد الحد ، قال له : « إنك لتضربني اليوم بشهادةِ قومٍ لَيَقْتُلُنَّك عاما قابلا ».

ومما احتج به أهل الكوفة على الوليد بن عقبة أنه أنزل أبا زُبيد الطائى دار عَقيل بن أبى طالب ، على باب المسجد . وكان يخرج إليه من داره ، يخترق المسجد — وهو نصرانى — فيجعله طريقا .

وكان أبو زُبيد ينادم الوليد ويخرج من عنده وهو سكران نصرانى فيشق المسجد.

وكان الوليد قد أباح أبا زبيد الطائى ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الجزيرة ، وجعله له حِمَى — فلما عُزل الوليد عن الكوفة،وولى سعيد ، انتزعها من يده ، وقال فى ذلك أشعارا .

قال الوليد بن عقبة لعلى بن أبى طالب ، عليه السلام : « أنا أحَدّ منك سِنانا ، وأبسط منك لسانا ، وأملأ للكتيبة » . فقال له على ، عليه السلام : « اسكت ، فإنما أنت فاسق » . فنزل القرآن : « أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ »[2] .

وقال قتادة فى قوله — عز وجل — : « إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ »[3] ، قال : «هو الوليد بن عقبة بن أبى معيط . بعثه النبي — صلى الله عليه وسلم » إلى بنى المُصْطَلِق مصدِّقا[4] فلما رأوه أقبلوا نحوه . فهابهم فرجع إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم . فأخبره

(١) تحاصبوا : رمى بعضهم بعضا بالحصباء .

(٢) الآية ١٨ من سورة السجدة . وانظر تفسير الطبرى ٢١ : ٦٨ (طبع بولاق ١٣٢٨ هـ).

(٣) الآية ٦ من سورة الحجرات . وانظر تفسير الطبرى ٢٦ : ٧٨ .

(٤) المصدق : جامع الصدقات .

أنهم قد ارتدوا عن الإسلام . فبعث النبي — صلى الله عليه وسلم — خالد بن الوليد ، وأمره أن يتثبت . فأتاهم ليلا فأنفذ عيونه. فلما جاءوه أخبروه أنهم متمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم . فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يعجبه . فرجع إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — فأخبره.

جاءت امرأة الوليد إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — تشتكى الوليد ، وقالت : إنه يضربها . فقال لها : « ارجعى وقولى : «إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أجارنى » . فانطلقت . فمكثت ساعة ثم قالت : « ما أقلع عنى » . فقطع رسول الله — صلى عليه وسلم — هُدْبة من ثوبه ، وقال : «اذهبى وقولى: إن رسول الله — صلى الله عليه — قد أجارنى » . فانطلقت — فمكثت ساعة ثم رجعت فقالت : يا رسول الله ، ما زادنى إلا ضربا » . فرفع يده ثم قال : « اللهم عليك الوليد ! » مرتين أو ثلاثا .

روى الزُّهْرى وغيره قالوا : لما انصرف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من غزوة بنى المُصْطَلق ، نزل رجل فساق بالقوم ورجز. ثم آخر فساق ورجز . ثم بدا لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يواسى أصحابه . فنزل وساق القوم ورجز . وجعل يقول :

جُنْدَبٌ وما جندبُ والأَقْطَعُ الخيرَ زيدُ

فدنا منه أصحابه وقالوا : « يا رسول الله ، ما ينفعنا مسيرنا مخافةَ أن تلسعك ذبابة »(١) . فركب . ودنوا منه وقالوا : « قلتَ قولًا ما ندرى ما هو ؟ »(٢) قال : « وما ذاك ؟ » قالوا : « قولك :

جندب وما جندب والأقطع الخير زيد

---

(١) كذا فى ص . وفى غ : ما ينفعنا مشيك مخافة أن تلسعك دابة الأرض . وهى أوضح .
(٢) كذا فى غ . وفى ص : أتدرى ما هو ؟ .

قال : « رجلان يكونان فى هذه الأمة : يَضرب أحدهما ضربة يفرُق بين الحق والباطل ، وتُقطَع يد الآخر فى سبيل الله ، فيتبع آخر جسده أوله » . فكان زيد ابن صوحان : قُطعت يده فى سبيل الله يوم جَاولاء[1] ، وقُتل يوم الجمل مع على ، عليه السلام . وأما جندب فدخل على الوليد بن عقبة ، وعنده ساحر يقال له أبو شَيْبان يأخذ أعْيُن الناس فيُخرج مصارين بطنه ثم يردها فيه . فجاء من خَلْفه وقتله وقال :

إلْعَنْ وَليــدا وأبا شيبانِ وابنَ حُبَيش راكبَ الشيطانِ
رسولَ فِرْعَوْنَ إلى هامانِ

ولما قدم سعيد بن العاص الكوفة قال : « اغسلوا هذا المنبر ، فإن الوليد كان رجسا نجسا » . فلم يصعده حتى غُسل . وكان الوليد أسنَّ منه ، وأسْخَى نفسا ، وألْيَنَ جانبا ، وأرضى عندهم .

وقال بعض شعرائهم :

يا وَيْلَنَا ، قد ذهب الوليدُ وجاءنا من بعــده سعيدُ[2]
ينقُص فى الصّاع ولا يَزيد

ولما قُتل عثمان ، أرسل علىّ — عليه السلام — فأخذ ما كان فى داره من سلاح ومن إبل الصدقة . فلذلك قال الوليد بن عقبة :

بنى هاشمٍ ، رُدُّوا سلاحَ ابن أختكم ولا تَنْهَبوه لا تحِلُّ مَنَاهِبُه[3]
بنى هاشم ، كيف الهَوادة بيننا وعنــد علىٍّ سيفُه ونجائبُه
قتلتُم أخى كَيْما تكونوا مكانَه كما فعلتْ يوما بكسرى مَرازبه

ومات الوليد بن عقبة فُوَيق الرَّقّة .

---

(١) إحدى المواقع المشهورة بين المسلمين والفرس .
(٢) الطبرى ١ : ٢٨٥٠ :
يا ويلنا قد عزل الوليد وجاءنا مجوعا سعيد
(٣) غ : ويروى : ولا تهبوه لا تحل مواهبه .

قال إبراهيم بن المهدى : أرسل إلىّ محمد بن زُبَيدة فى ليلة من ليالى الصيف ، مُقْمرة : يا عمّ ، إن الحرب بينى وبين طاهر قد سكنتْ ، فصِرْ إلىّ فإننى لك مشتاق . فجئته وقد بُسط له على سطح ، وعنده سليمان بن جعفر عليه كساء رُوذَبارِىّ وقلنسية طويلة ، وجواريه بين يديه ، وضَعْفُ جاريته عنده . فقال لها : « غَنِّينى فإننى قد سُررت بعمومتى » . فاندفعتْ فغنته :

هُمُ قَتلوه كى يكونوا مكانَه   كما فعلتْ يومًا بكسرى مَرازبه

بنى هاشم ، كيف التواصل بيننا   وعند على سيفُه ونَجائبه

وغنته : * وعند أخيه سيفه ونَجائبه * . فغضب وتطيّر وقال لها : « ماقصتك؟ ويحك ، انتبهى ، وغنينى ما يسرنى » . فاندفعت فغنت :

هـذا مَقـام مُطرِّدٍ   هُدمَتْ مَنازلُه ودورُهْ

فازداد تطيراً وقال : « ويحك ! انتبهى وغنى غير هذا الصوت » . فغنت :

كليبٌ ـ لعَمْرِى ـ كان أكثرَناصِرا   وأيْسَرَ جُرْما منك ضُرِّج بالدَّمِ

فقال لها : « قُومى إلى لعنة الله » . فوثبتْ ـ وكان بين يديه قدح بلّور ، وكان لحبه إياه يسميه محمداً باسمه ـ فأصابه طرف ذيلها . فسقط على بعض الصوّانى فانكسر وتفتّت . فأقبل علىّ وقال : « أرى ـ والله ، يا عم ـ أن هذا آخر أمرنا » . فقلت : « كلا ، بل يُبْقيك الله ـ يا أمير المؤمنين ـ ويسرّك » . قال : ودجلة هادئة ما فيها صوت مجذاف ولا أحد يتحرك . فسمعت هاتفا يهتف : « قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ »[1] فقال لى : « سمعتَ ـ ياعم ماسمعت؟ » فقلت : «وما هو؟» قال : « والله ، قد سمعته » . فإذا الصوت قد عاد . قال : « انصرف ـ يا عم ـ أباتَكَ الله بخير ، فمحال ألا تكون سمعت ما سمعت » . فانصرفت . وكان آخر عهدى به .

(١) الآية ٤١ من سورة يوسف .

ولما وفد الوليد بن عقبة إلى معاوية — وكان الوليد جوادا — قيل له : « هذا الوليد بالباب » . فقال : « لَيَرْجِعَنَّ مَغيظا[1] غير مُعْطًى ، فإنه قد أتانا يقول : علىّ دين ، وعلىّ مئونة . يا غلام ، إيذن له » . فساءله وتحدث معه . ثم قال : « أما — والله — إنا كنا لنحب إتيانَ مالِك بالوادى . وقد أعجب أمير المؤمنين ، فإنْ رأيتَ أن تَهَبه ليزيد فافعل » . قال : « هو ليزيد » . ثم خرج . وجعل يختلف إلى معاوية . فقال له يوما : « انظر — يا أمير المؤمنين — فى شأنى ، فإنى علىّ مؤونة ، وقد أرهقنى دين » . فقال له معاوية : « ألا تستحى لنسبك وحَسَبك ، تأخذ ما تأخذ فتُبذّره ثم لا تنفكّ تشكو دينا ؟ » فقال له الوليد : « أفعل » . ثم قام لساعته وانطلق إلى الجزيرة وقال :

فإذا سُئلتَ تقول : لا وإذا سألتَ تقول : هاتِ
تأبَى فِعالَ الخــيرِ لا تُرْوِى وأنتَ على الفُرات
أفَلا تَميلُ إلى نَعَمْ أو تَرْكِ لا حتى المَمات

وبلغ معاوية مَقْدَمه الجزيرة ، نخافه ، فكتب إليه : أن أقبِل . فكتب إليه :

أعفْ واستغنى كما قد أمرتَنى فأعطِ سِواى ما بدا لك وانْحَلِ[2]
سأحْدُو ركابى عنك إنّ عَزيمتى — إذا نابَنى أمرٌ — كسَلّة مُنْصُلِ[3]
وإنى امرؤٌ للرَّأي منى تطرُّبٌ وليس شَبا قُفلٍ علىّ بمُقْفَلِ[4]

ورحل إلى الحجاز . فبعث إليه معاوية بجائزته .

(١) غ : معطيا .
(٢) د ، ى : أعف وأستحي ، وهى أوضح . وانحل : أعط .
(٣) المنصل : السيف .
(٤) غ : منى تطرف .

الوَليد بن يَزيد*

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مَرْوَان بن الحَكَم بن أبى العاص بن أُمَيَّة ابن عبد شمس بن عبد مَناف . كنيته أبو العباس . وأمه أم الحجّاج بنت محمد بن يوسف بن الحَكَم بن أبى عَقيل الثَّقَفى ، وهى بنت أخى الحجاج . وفيه يقول أبو نُخيلة :

بين أبى العاصِى وبين الحجّاجْ ... يالَكُما نورا سراجٍ وَهّاجْ

* عليه بعد عَمِّه عُقد التّاجْ *

وأم أبيه يزيد بن عبد الملك : عاتِكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان . وأمها أم كُلْثوم بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيز . وأم [عبد الله بن][1] عامر بن كريز أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم . فلذلك قال الوليد[2] :

نبيُّ الهُدَى خالِى:ومن يَكُ خالُه ... نبيَّ الهدى يَقْهَرْ بـه من يُفاخرُ

وكان الوليد من فتيان بنى أمية وظرفائهم وشعرائهم وأَجْوادهم وأشِدّائهم . وكان خليعا منهمكا فى الشرب واللهو وسماع الغناء . وشاع ذلك وظهر حتى أنكره الناس وقُتل .

كان يزيد بن عبد الملك لما وَجّه الجيوش إلى يزيد بن المهلّب ، وعقد لَمسْلَمة بن عبد الملك على الجيش ، وبعث العباس بن الوليد بن عبد الملك وعقد له على أهل دمشق ، قال له العباس : « يا أمير المؤمنين ، إن أهل العراق أهل غدر وإرْجاف . وقد وجّهتَنا محاربين . والأحداثُ تحدث . ولا آمَن أن يُرْجِف أهل العراق

---

* أخباره فى ب ٦ : ١٠١ ، س ٦ : ٩٨ ، د ٧ : ١ ، ى ٧ : ٣ .

(١) زيادة عن غ .

(٢) ديوانه (طبع المجمع العلمى العربى بدمشق ١٩٣٧) ٤٣ . كامل ابن الأثير ٥ : ٢١٨

ويقولون : مات أمير المؤمنين ولم يَعْهَد ، فيفُتّ ذلك فى أعْضاد أهل الشام . فلو عَهِدت عهدا لعبد العزيز بن الوليد » . قال : « غدا » وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك ، فأتى يزيد فقال له : « أيُّما أحبُّ إليك وأقرب : ولد عبد الملك أو ولد الوليد ؟ » فقال : « بل ولد عبد الملك » . قال : « فأخوك أحقّ بالخلافة أم ابن أخيك ؟ » قال : « إذا لم تكن فى ولدى فأخى أحق بها من ابن أخى » . قال : « فابنُك لم يبلغ ، فبايعْ لهشام ثم لابنك بعد هشام » . قال : والوليد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة . قال : « غدا أبايع [له] » . فلما أصبح فعل ذلك . وبايع لهشام ، وأخذ العهد عليه ألا يخلع الوليد بعده ولا يغيّر عهده ولا يحتال عليه . فلما أدرك الوليد ، ندم أبوه ، وكان يقول : « اللهُ بينى وبين من جعل هشاما بينى وبينك » .

وتوفى يزيد سنة خمس ومائة ، وابنه الوليد ابن خمسَ عشرةَ سنة . فلم يزل الوليد مكرّما عند هشام رفيع المنزلة . ثم طمع فى خلعه وعَقْد العهد بعده لابنه مَسْلمة بن هشام . فجعل يذكر الوليد بن يزيد وتهتُّكه وإدمانه على الشراب ، ويُظهر ذلك فى مجلسه ، ويقوم به ويقعد . وولاه الحج ليظهر ذلك منه فى الحرمَيْن ، فيسقط[1] . فحج وظهر منه فعل كثير مذموم ، وتشاغل بالمغنين والشراب . وأمر مولى له فحج بالناس . فلما رجع ، طالبَه هشام بأن يخلع نفسه . فأبى ذلك . فحرمه العطاء ، وحرم سائر مواليه وأسبابه . وجفاه جفاء شديدا . فخرج مُتبدّيا[2] ، وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّبه ، وكان يُرمَى بالزندقة . ودعا هشام الناس إلى خلعه والبيعة لمسلمة بن هشام ، وأمه أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبى العاص ، وكنيته أبو شاكر ، وكان ذا رأى وفضل . فأجابه إلى ذلك محمد وإبراهيم ابنا هشام بن

(١) كان ذلك سنة ١١٦ هـ (كامل ابن الأثير ٥ : ١٣٧ ، ١٩٨) والطبرى ٢ : ١٥٧٢ ، ١٧٤١ .

(٢) متبديا : مقيما فى البادية .

إسماعيل المخزومى ، والوليد وعبد العزيز وخالد بنو القعقاع بن خُلَيد[١] العَبْسى ، وغيرهم من خاصة هشام . فكتب إلى الوليد : « ما تَدَع شيئا من المنكر إلا أتيته وارتكبته غير مُتحاشٍ ولا مُتَستّر . فليت شعرى ، ما دِينُك ؟ فما أدرى على الإسلام أنت أم لا » . فكتب إليه الوليد بن يزيد — ويقال : بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونَحَله إياه[٢] :

يا أيُّها السائلُ عن دِينِنا　　نحنُ على دينِ أبى شاكرِ
نشربُها صِرْفا وممزوجةً　　بالسُّخْنِ أحيانا وبالفاتر

فغضب هشام على ابنه مسلمة وقال: « يُعيِّرنى بك الوليد ، وأنا أرشِّحك للخلافة! فالزم الأدب ، واحضُر الصلوات » . وولاه الموسم سنة تسعَ عشرةَ[٣] ومائة . فأظهر النُّسْك ، وقسَم بمكة والمدينة أموالا . فقال رجل من موالى أهل المدينة :

يا أيها السائل عن ديننا　　نحن على دين أبى شاكر
الواهبِ البُزْلَ بأرْسانِها　　ليس بزنديقٍ ولا كافر[٤]

وبلغ خالدا القسرى ما عزم عليه هشام ، فأباه وقال : « أنا برىء من خليفة يكنى أبا شاكر » . فبلغ ذلك هشاما فكان سببَ إيقاعه به .

ولما قَوِى عزمُ هشام على خلع الوليد ، قال الوليد[٥] :

كفرتَ يدًا من مُنْعِمٍ ، لو شكرْتَها　　جَزاك بها الرحمنُ ذو الفضْل والمَنِّ

---

(١) وكذا فى الطبرى ٢ : ١٧٤٢ ، وكامل ابن الأثير ٥ : ١٩٨ . وفى غ : خويلد .
(٢) ديوانه ٤٣ . الطبرى ٢ : ١٧٤٢ . كامل ابن الأثير ٥ : ١٩٨ .
(٣) كذا فى الطبرى ٢ : ١٦٣٥ ، ١٧٤٢ ، وكامل ابن الأثير ٥ : ١٦٠ ، ١٩٨ . وفى ص ، غ : سبع عشرة ، تحريف .
(٤) البزل : جمع بازل ، وهو الذى استكمل السنة الثامنة ودخل فى التاسعة من الإبل . وفى الطبرى : الواهب الجرد .
(٥) ديوانه ٥٦ . الطبرى ٢ : ١٧٤٩ . كامل ابن الأثير ٥ : ١٩٩

رأيتك تَبْنى دائمـا فى قَطيعتى   فلو كنتَ ذا حزمٍ لهَدَّمت ما تبنى[١]
أراك على الباقين تَجْنى ضَغينةً   فياوَيْحَهم إنْ متَّ من شرِّ ما تجنى[٢]
كأنى بهم يوما وأكثرُ قِيلِهم   أيَا ليتَ أنَّا، حينَ «يا ليت» لا تُغنى[٣]

ولما توفى مَسْلمة بن عبد الملك ، طلع الوليد بن يزيد على الناس وهو نشوان يجر مِطْرَف خَزٍّ عليه . فوقف على هشام وقال : « يا أمير المؤمنين ، إن عُقْبى من بقى لُحوق من مضى . وقد أقفر بعد مسلمة الصيدُ لمن رمى ، واختلّ الثغر فوَهَى . وعلى أثرِ من سَلَف يمضى من خَلَف. فتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى» . فأعرض عنه هشام ، فلم يحر جوابا . ووجَم الناس فما همس أحد بشىء.

وكان هشام كلما تنقَّص الوليد ، يعاتبه مسلمة ويكفّه . فلما مات مسلمة ، غُمّ الوليد ووجد عليه ، ورثاه[٤] :

أتانا بَريدان من واسطٍ   يَخُبّانِ بالكُتُب المُعْجَمَهْ
أقول وما البُعْد إلا الرَّدَى   أمَسْلَمُ لا تَبْعَدَنْ مَسْلَمه
وقد كنتَ نورا لأهل البلادِ   تضىء ، فقد أصبحتْ مُظلمه[٥]
كتَمْنا نَعِيَّك نَبْغِى اليقين   فَجلَّى اليقينُ عن الجَمْجَمَه[٦]
فكم من يتيمٍ تلافيْتَه   بأرضِ العدوِّ وكم أيِّمه[٧]

(١) غ والديوان والطبرى : تبنى جاهدا . غ والكامل : ولو . الديوان : كنت ذا إرب
(٢) الديوان والطبرى والكامل :
تثير على الباقين مجنى ضغينة   فويل لهم إن مت من شر ما تجنى
(٣) غ : وأكثر قولهم . الديوان والطبرى والكامل :
كأنى بهم والليت أفضل قولهم   ألا ليتنا والليت إذ ذاك لا يغنى
(٤) ديوانه ٥٤ .
(٥) غ والديوان : فقد كنت نورا لنا فى البلاد .
(٦) د ، ى : نخشى اليقين . ب ، س ، والديوان : لنعيك نخشى اليقين . والجمجمة : إخفاء الكلام .
(٧) غ والديوان : وكم .

وكنتَ إذا الحرب دَرّت دما نصبتَ لها رايةً مُعْلَمه

وكان الوليد لما عنت هشام به وبخاصته ـ نخرج ومعه قوم من خاصته ومواليه . فنزل بالأزرق[1] على ماء يقال له الأَغْدَف . وخلّف بالرُّصافة كاتبه عِياض بن مُسْلِم مولى عبد الملك ، ليكاتبه بما يحدث . وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى . فشربوا يوما فقال له الوليد : « يا أبا وَهْب ، قُلْ أبياتا يغنى فيها عُمر الوادى » . فقال :

أَلَم تَرَ للنجمِ إذ سَبَّعا يُبادِرُ فى بُرجِهِ المَرْجِعا[2]
تَحيّر فى قصد مجراتِهِ أتى الغَوْر والتمس المَطْلَما[3]
فقلتُ ، وأعجبنى شأنُه وقد لاح ـ إذ لاح لى مُطمِعا :
لعلّ الوليد دنا ملكُه فأمسَى إليه قد استَجْمعا[4]
وكنا نُؤمّل فى مُلكه كتأْميل ذى الجَدْب أن يُمْرعا[5]
عَقدنا له مُحْكَمات الأمو ر طَوْعا ، وكان لها مَوْضِعا[6]

فبلغ هذا الشعر هشاما . فقطع عن الوليد ما كان يُجْرِى عليه ، ومحا أصحابه وحَرَمهم . وكتب إليه : « بلغَنى أنك قد اتخذت عبد الصمد خِدْنا ومحدِّثا ونديما . وقد حقق ذلك ما بلغنى عنك . ولن أبرئك من سوء . فأخرِج عبد الصمد مذموما مدحورا » . فأخرجه الوليد . وكتب إليه أنه أخرجه ، واعتذر إليه من منادمته ، وسأله أن يأذن لابن سُهَيل فى الخروج إليه ، وكان من خاصة الوليد . فضربه هشام ونفاه ، وكان ابن سهيل من أهل الشرف والنبل ، وقد ولى الولايات ، وولى دمشق

---

(١) غ : الأبرق . والأزرق : ماء فى طريق حاج الشام دون تيماء .
(٢) سبع : أقام سبعة أيام . وفى الطبرى ٢ : ١٧٤٤ : إذ شيعا .
(٣) غ : والطبرى : عن قصد . د ، ى : إلى الغور .
(٤) س : فأمسى عليه .
(٥) يمرع : يأتى الخصب .
(٦) الطبرى : فكان لها .

مرارا وغيرها . وأخذ هشام عياضا كاتب الوليد ، فضربه ضربا مبرِّحا ، وألبسه المُسوح ، وقَيَّده وحبسه . فغَمّ ذلك الوليد وقال : « من يثق بالناس ، ويصطنع المعروف . وهذا الأحول المشئوم قَدّمه أبي على ولده وأهل بيته ، وولاه ، وهو يصنع ما ترون ، ولا يعلم أن لي في أحد هَوًى إلا ضربه وأضرّ به ؟ كتب إليّ أن أخرج عبد الصمد فأخرجته . وكتبت إليه أن يأذن لابن سهيل في الخروج إليّ ، فضربه وطرده وقد علم رأيي فيه ، وعرف مكان عياض مني وانقطاعه إليّ ، فضربه وحبسه ؛ يُضادّني بذلك . اللهم أجِرْني منه » .

ثم قال الوليد(١) :

أنا النذيرُ لمُسْدِي نعمةٍ أبدا ... إلى المَقاريفِ ما لم يَخْبُرِ الدَّخَلا(٢)
إن أنت أكرمْتَهم ألفيْتَهم بُطُرا ... وإنْ أهنْتَهم ألفيْتَهم ذُلُلا(٣)
أتشمَخون ومنا رأسُ نعمتكم ! ... ستعلمون إذا أبصرتُمُ الدُّوَلا(٤)
انظُر فإنْ أنت لم تَقْدِر على مَثَلٍ ... لهم سوى الكلبِ فاضْرِبْه لهم مَثلا(٥)
بينا يُسمِّنه للصيدِ صاحبُه ... حتى إذا ما استَوى من بعد ما هُزِلا(٦)
عَدا عليه ، فلم تضرُرْه عَدْوتُه ... ولو أطاق له أكْلا لقد أكَلا

وقال الوليد أيضا يفتخر على هشام(٧) :

أنا الوليــدُ أبو العباسِ قد علمَتْ ... عُلْيا مَعَدٍّ مَدَى كَرِّي وإقْدامِي

---

(١) ديوانه ٥٠ . الطبرى ٢ : ١٧٤٥ .
(٢) غ : لما يخبر . والمقاريف : الأنذال .
(٣) غ : بطروا .
(٤) الديوان والطبرى : إذا كانت لنا دولا .
(٥) الديوان والطبرى :
انظر فإن كنت لم تقدر على مثل ... له سوى الكلب فاضربه له مثلا
(٦) الديوان والطبرى : إذا ما نوى .
(٧) ديوانه ٥٣ .

إنى لفى الذروة العليا إذا انتسبوا   مقابل بين أخوال وأعمام[1]

فلما بلغ ذلك هشاماً قال : « ما أعلمتُ له معدَ كرًّا ولا إقداماً ، إلا أنه شرب مرة مع عمه بكار بن عبد الملك فعَرْبَدَ عليه وعلى جواريه ، فإن كان يعنى ذلك كرَّه وإقدامه فعَسَى » .

قال أبو الزُّبَير المُنْذِر بن عمرو ـ وكان كاتباً للوليد بن يزيد ـ قال : أرسل إلىّ الوليد بُكْرة اليوم الذى أتته فيه الخلافة ، فأتيتُه . فقال : « يا أبا الزبير ، ما أتتْ علىّ ليلةٌ أطولُ من هذه الليلة : عرضتْ لى أمور وحدثتنى نفسى فيها بأمور ، وهذا الرجل قد أُولع بى . فاركبْ بنا نتنفس » . فركب وسرنا قدر ميلين . ووقف على تل فجعل يشكو هشاماً ، إذ نظر إلى رَهْج[2] قد أقبل وسمع قعقعة البريد . فتعوَّذ بالله من شر هشام وقال : « إن هذا البريد قد أقبل بموت وَحِىّ[3] أو مُلْك عاجل » . فقلت : « لا يسوءكَ اللهُ ـ أيها الأمير ـ بل يسرك ويُبقيك » إذ بدا رجلان على البريد مُقبلان ، أحدهما مولى لأبى محمد السفيانى والآخر جَرْدَبة[4] . فلما قَرُبا أتيا الوليد ونزلا يَعْدُوان حتى دنَوا منه فسلما عليه بالخلافة . فوجَم . وجعلا يكرران عليه السلام بالخلافة . فقال : « وَيحَكما ! ما الخبر ؟ أمات هشام ؟ » قالا : « نعم » . فقال : « مرحباً بكما . ما معكما ؟ » قالا : « كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن » . فقرأ الكتاب وانصرفنا . وسأل عن عياض بن مسلم كاتبه الذى كان هشام ضربه وحبسه . فقالا : « يا أمير المؤمنين ، لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمرُ الله . فلما صار إلى حالٍ لا تُرْجَى له الحياة معها ، أرسل عياض الخُزّان : احتفظوا بما فى أيديكم

(١) الديوان : ذروة العليا . غ والديوان : أخوالى وأعمامى . ومقابل : كريم النسب من جهة أبويه .

(٢) الرهج : الغبار .

(٣) الوحى : السريع .

(٤) كذا فى الطبرى ٢ : ١٧٥٠ والكامل ٥ : ١٩٩ . وفى س : لأبى سفيان بن حرب . وفى غ : لآل أبى سفيان بن حرب .

ولا يصل أحد إلى شيء وأفاق هشام إفاقةً فطلب شيئاً ، فمُنِعَه . فقال : « أرانا كنا خُزّانا للوليد » . وقضى من ساعته . فخرج عياض من السجن ساعةَ قضى هشام . فختم الأبواب والخزائن . وأمر بهشام فأُنزل عن فراشه . ومنعهم أن يكفّنوه من الخزائن ، فكفّنه غالب مولاه . ولم يجدوا قُمْقُماً حتى استعاروه . وأمر الوليد بأخذ ابني هشام بن إسماعيل المخزومى . فأُخذا بعد أن عاذ إبراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك . فقال الوليد : « ما أراه إلا قد نجا » . فقال له يحيى بن عُرْوة بن الزُّبير وأخوه عبد الله : « إن الله — عز وجل — لم يجعل قبر أبيك مَعاذاً للظالمين . فخُذْه بردِّ ما فى يده من مال الله ، عز وجل » . قال : « صدقت » . وأخذهما فبعث بهما إلى يوسف بن عمر ، وكتب إليه أن يبْسُط العذاب عليهما حتى يتلفا ، ففعل ذلك ، وماتا فى العذاب بعد أن أُقيم إبراهيم بن هشام للناس حتى اقتصّوا منه المظالم .

ولما أتى الوليدَ نعيُ هشام قال : « والله ، لأتَلَقّينّ هذه النعمة بسَكْرةٍ قبل الظهر » . ثم أنشأ يقول[1] :

طاب يومى ولَذّ شُرْب السُّلافَهْ ... إذ أتانا نَعِيُّ من بالرُّصافَهْ[2]

وأتانا البريدُ يَنْعَى هِشـاما ... وأتانا بخاتَمٍ للخلافه

فاصْطَبَحْنـا من خمرِ عانةَ صِرْفا ... ولَهَوْنا بقَيْنةٍ عَزّافه[3]

ثم حلف ألا يبرح من موضعه حتى يُغنَّى . فغُنِّى فيه . وشرب حتى سكر . ثم دخل فبُويع له .

وسمع صراخاً ، فسأل عنه فقيل : « هذا من دار هشام ، وبناته تبكينه » . فقال[4] :

(١) ديوانه ٤٨ . كامل ابن الأثير ٥ : ٢٠١ .
(٢) غ : أتانى . الكامل : وأتانا .
(٣) عانة : بلدة على الفرات اشتهرت بالخمر الجيدة .
(٤) ديوانه ٥٧ .

إنى سمعتُ بليلٍ وَرَا المصلَّى بِرنَّهْ[1]
إذا بناتُ هشامٍ يَنْدُبْنَ والدَهُنَّهْ
يندُبن قَرْما جَليلا قد كان يَعضُدُهُنَّه[2]
أنا المُخَنَّثُ حقًّا إنْ لَم أَنِيكَهُنَّه

ولما شرب الوليد يوماً وطابت نفسه ، أمر عمر الوادى فغنى فى هذا الشعر ، وشرب عليه . ثم قال له : « إنْ سمعه منك أحد أبداً لأقتلَنَّك » . فما سُمع منه بَعدَها ولا عرف .

ولما ولى الوليد صعد المنبر وقال فى أثناء قوله[3] :

ضَمِنْتُ لكم إن لم تُعُقْنى مَنيّتى بأنّ سماءَ الضُرِّ عنكم سَتُقْلِعُ[4]

ولما ولى الوليد الخلافة ، بعث إلى جماعة من أهله فقال : « أتدرون لم دعوتكم ؟ » قالوا : « لا » . قال : « ليَقُلْ قائلكم » . فقال رجل منهم : « أردتَ أن تُريَنا ما جدّد الله لك من نعمه وإحسانه » . قال[5] : « نعم ، ولكنى :

أُشهِدُ اللهَ والملائكةَ الأبـ ـرار والعابدين أهلَ الصلاحِ

---

(١) الديوان :

إنى سمعت خليلى نحو الرصافة رنه

(٢) الديوان :

يندبن شيخا كريما وكان يكرمهنه

القرم : السيد الفحل .

(٣) ديوانه ٤٦ . الطبرى ٢ : ١٧٥٤ . كامل ابن الأثير ٥ : ٢٠١ .

(٤) الديوان والطبرى : تعقنى عوائق . غ مرة : تصابوا بمهجتى ، وأخرى : ترعنى منيتى ، والكامل : يعقنى عائق .

(٥) ديوانه ٣٨ .

أنى أشتهى السّماع وشرب الـ ـكأس والعضّ فى الخدود المِلاح(١)
والنديمَ الكريم والخادمَ الفا ره يسعى إلىّ بالأقداح(٢)

قوموا إذا شئتم » .

خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام إلى بعض الدّيارات . فنزل فيه هو ومن معه ، وهو والى الرّملة . فسأل صاحب الدير : « هل نزل بك أحد من بنى أمية ؟ » قال : « نعم . نزل بى الوليد بن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك » . قال : « فما صنعا ؟ » قال : « شربا » . قال : « أين شربا ؟ » قال : « فى ذلك المكان . ولقد رأيتهما شربا فى آنيتهما . ثم قال أحدهما لصاحبه : هلم نشرب بهذا الجُرْن(٣) . وأومأ إلى جرن عظيم من رخام . فقال : « افعل » . فلم يزالا يتعاطيانه بينهما ويشربان به حتى ثملا » . فقال عبد الوهاب لمولى له أسود يوصف بالشدة : « هاتِه » . فذهب يحركه فلم يقدر . فقال له الراهب : « لقد رأيتهما يتعاطيانه ، وكل واحد يملؤه لصاحبه ، فيرفعه ويشربه غيرَ مكترث » .

وكانت سَعْدة بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان تحت الوليد . فرض سعيد ، فجاءه الوليد عائدا . فلما دخل لمح سلمى بنت سعيد ، أخت زوجته فسترها حواضنُها وأختها . وقامت ففرَعَتهن(٤) طولا . ووقعت بقلب الوليد . فلما مات أبوه ، طلّق زوجته سعدة . وخطب أختها سلمى ، وكانت أختها أم عثمان تحت هشام بن عبد الملك . فبعث إلى أبيها : « أتريد أن تَسْتفحل الوليد لبناتك : يطلّق هذه ، وينكح هذه ! » فلم يزوجه سعيد وردّه أقبح رد . وهَوِيها الوليد ، ورام السلوّ فلم يَسْلُ . وكان يقول :

(١) غ والديوان : والعض للخدود .
(٢) غ والديوان : يسعى على .
(٣) الجرن : حجر منقور يصب فيه الماء .
(٤) فرعتهن : علتهن.

« العجب لسعيد : خطبت إليه فردني ، ولئن مات هشام ووليتُ لَزوَّجني ! وهي طالق ثلاثا إن تزوجتُها حينئذ ، وإن كنت أهواها » .

وقيل : إنه راسل سعدة فوجدها قد تزوجت .

وبعث الوليد إلى أشْعَب بعد أن طلق سعدة ، فقال : « يا أشعب ، لك عندي عشرة آلاف درهم ، على أن تبلّغ رسالتي سعدة » . فقال : « أَحضِر العشرة الآلاف الدرهم حتى أنظر إليها » . فأحضرها . فوضعها أشعب على عنقه وقال : « هات رسالتك » . فقال له ما أراد . فتوجه أشعب إلى بابها . فأُخبِرت بمكانه . فأمرت بفُرش ففُرِشت وجلست وأذنت له . فلما دخل قال لها : « يقول لك أمير المؤمنين »[1] :

أسَعْدةُ هل إليكِ لنا سبيلٌ وهل حتى القيامةِ من تَلاقِ

فقالت : « لا والله ، لا يكون ذلك أبدا » . فقال :

بَلَى ، ولعل دهرًا أنْ يُؤاتي بموتٍ من حَليلك أو طَلاق

فقالت : « كلا ، كلا ، بل يفعل الله ذلك به » . فقال :

فأُصبح شامِتا وتَقَرّ عَيْني ويُجمَع شَمْلُنا بعدَ افتراق

فقالت : « بل تكون الشماتة به ، إن شاء الله عز وجل » . ثم قالت لخدمها : « خذوا الفاسق » . فقال : « ياسيدتي ، إنها بعشرة آلاف درهم » . فقالت : والله لا أفلتك أو تبلغه كما بلغتني » . قال : « وما تهبينني ؟ » قالت: « بساطي الذي تحتي » . قال : « قومي عنه » . فقامت . فطواه ثم قال : « هاتي رسالتك » . قالت « قل له : تقول لك :

---

(١) ديوانه ٤٨ .

أتبكى على ليلى وأنت تركتَها   فقد ذهبتْ ليلى ، فما أنت صانع؟!(١)

فأقبل أشعب فدخل على الوليد. فقال : « إيه! » فأنشده البيت . فقال: « أوّاه ، قتلتَنى يا ابن الزانية ! ما أنا صانع ! اختر : إما أن أُدلّيك على رأسك منكّسا فى بئر، أو أرمى بك منكسا من فوق القصر ، أو أضربك على رأسك بهذا العمود ضربة هذا الذى أنا صانع . فاختر أنت ما أنت صانع » . قال : « ما كنت لتفعلَ شيئا من ذلك» . قال : « ولِمَ ، يا ابن الزانية ؟ » قال : « لم تكن لتعذب عينين نظرتا إلى سُعدَى » . قال : « صدقت . والله ، أراه أفلت منى بهذا . اخرج عنى » .

خرج الوليد بن سعيد ليرى سلمى . فلقيه زيات معه حمار عليه زيت . فقال : «هل لك أن تأخذ فرسى هذا وتعطينى حمارك وما عليه، وتأخذ ثيابى وتعطينى ثيابك؟» ففعل الزيات ذلك . وجاء الوليد حتى دخل القصر . وعليه الثياب ، وبين يديه الحمار يسوقه متنكّرا ، وهو ينادى : « من يشترى الزيت ؟ » فاطّلع بعض الجوارى فرأينَه . فدخلن إلى سلمى فقلن لها : « بالباب زيات أشبه الناس بالوليد . فاخرجى فانظرى إليه » . فخرجت فرأته ورآها . فرجعت القهقرى وقالت : « هو — والله — الفاسق . وقد رآنى » . فقلن له : « لا حاجة بنا إلى الزيت » . فانصرف .

ولما زاد بالوليد الأمر ، كتب إلى أبيها سعيد(٢) :

أبا عثمانَ ، هل لك فى صَنيعٍ   تُصيب الرُّشد فى صِلَتى ، هُديتا !
فأشكر منك ما تُسْدِى وتُحيي   أبا عثمان ، مَيّتة ومَيْتا(٣)

---

(١) غ : لبنى . وكذا روى الشطر الثانى فى هامش س مبينا أنه عدل به عن الرواية المثبتة فى المتن ، وهى : وأنت عليها بالحرا كنت أقدر وكلام الوليد الآتى يؤكد ذلك فى العدول . والبيت بروايتيه ينسب إلى قيس بن ذريح . انظر ديوانه ٨٦ ، ١٠٣ .

(٢) ديوانه ٣٧ .

(٣) فأشكر منك ما تسدى : كذا فى غ والديوان ، أى تعطى . وفى س : فأشكر منك

فلم يُجبه إلى ذلك . فلما ولى الخلافة ، زَوَّجه إياها ، فيقال : إنها أقامت عنده أربعين يوما وماتت .

وقيل : إن الوليد لقى سعيد بن خالد والوليد ثَمِـل ، فقال له : « يا أبا عثمان ، تردنى عن سلمى ! وكأنى بك وقد وليتُ الخلافة قد خطبْتَنى فلم أُجبك . وإن تزوجتُها حينئذ فهى طالق ثلاثا » . فقال سعيد : « إن المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيق بأكثر مما قلت » . فأمَضّه الوليد وشتمه . وتسامعا وانصرفا . فبلغ ذلك سلمى ، فجزعت وبكت ، وسَبَّت الوليد ونالت منه . فقال الوليد[١] :

عَتَبَتْ سلمى علينا سَفاهـا ... أنْ سَببْتُ اليومَ فيها أباها[٢]
كان حَقُّ العَتْب ـ ياقوم ـ منى ... ليس منها ، كان قلبى فِداها
فلئن كنت أردتُ بقـولى ... لأبى سلمى خلافَ هواها[٣]
فثَكِلتُ اليومَ سلمى ، فسلمى ... ملأتْ أرضى معـا وسماهـا

قال المأمون يوما لجلسائه : « أنشِدونى بيتا لملك ، يدل البيت أنـه لملك وإن لم يُعرَف قائله أنه ملك . « فأنشده بعضهم لامرئ القيس[٤] :

أمِنْ أجلِ أعرابيةٍ حَلَّ أهلُها ... جَنوبَ الغَضا عيناكَ تبْتدران[٥]

فقال : « وما فى هذا مما يدل على ملـكه . قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحضَر يُعاتب نفسه على التعلّق بأعرابية » . ثم قال : « إن الشعر الذى يدل على أن قائله ملك قول الوليد[٦] :

(١) ديوانه ٣٣ .
(٢) الديوان : غضبت سلمى . غ مرة : أن هجوت .
(٣) غ والديوان : أردت بقلبى .
(٤) ديوانه ٨٨ .
(٥) غ : جنوب الملا. الديوان:
أمن ذكر نبهانية حل أهلها ... بجزع الملا عيناك تبتدران
(٦) ديوانه ٤٤ .

اسقِنى من سُلافِ ريقِ سليمى واسْقِ هذا النديمَ كأسا عُقارا

وقبل هذا البيت :

اسقنى يا ابن سالم قد أتانا كوكبُ الصبح وانْجَلَى واستنارا(١)

ثم قال المأمون : « أما ترى إلى إشارته فى قوله : هذا النديم ، وإنما هى إشارة مَلِك . ومثل قوله(٢) :

سقيتُ أبا كاملٍ من الأصفرِ البابَلِى

وسقَّيتها مَعْبدا وكلَّ فتًى فاضلِ(٣)

لىَ المحضُ من وُدِّهم ويغمُرُهم نائِلى

فما لا مَنى منهمُ سوى حاسدٍ جاهلِ(٤)

وهذا قول من يقدِر بالملك على طَوِيّات الرجال ببذل المعروف لهم وباستخلاصهم لنفسه » .

ومما قال فى سلمى(٥) :

أرانى اللهُ ــ يا سلمى ــ حياتى وفى يوم الحساب كما أراكِ

أثيبِى عاشقا كَلِفا مُعنًّى إذا خَدرت له رِجْلٌ دَعاكِ

كانت العرب تقول : إن الإنسان إذا خدرت رجله فدعا باسم أحبِّ الناس إليه سكنت :

وفى الخبر أن رِجْل عبد الله بن عمر خَدِرت ، فقيل له : « ادعُ باسم أحبِّ الناس إليك » . فقال : « يا رسول الله ! » .

(١) غ والديوان : قد أنارا .

(٢) ديوانه ٥٢ .

(٣) غ : فتى بازل .

(٤) غ والديوان : لا منى فيهم .

(٥) ديوانه ٤٨ .

وكان الوليد مدمنا للشرب والغناء ، فأمر بإحضار أشعب من الحجاز . فحُمل إليه على البريد . فلما وصل ، أمر بأن يلبس سراويل من جلد قردٍ له ذَنَب . ورقَّصه وألبَسه أَجْرَاسا فى رجليه وفى عنقه . ففعل ذلك . فدخل عليه وهو عَجَب من العجائب . فلما رآه ضحك منه . وكشف له عن أيره وهو مُنْعِظ . قال أشعب : فرأيتُه كأنه ناى مدهون . فقال : « رأيتَ مثله قط؟ » . قلت : « لا » . فقال : « اسجد للأَصمّ ، ويلك ! » يعنى أيره . فسجدت ثم رفعت رأسى وسجدت سجدة أخرى . فقال لى : « ما هـذا ، ويحك ؟ » قلت : « الأولى للأصم والثانية لخصْيتيك » . فضحك . وأمر بنزع ما كان ألبسنى ووصلنى . ولم يزل أشعب من ندمائه حتى قُتل .

وتـكلم بعض جلسائه ، والمغنية تغنى . فـكره ذلك وأضجَره . فقال لبعض من حضر : « قم فنِـكْه » . فقام فناكه ، والناس حضور ، وهو يضحك .

وذكرت جاريةٌ أنه واقعَها يوما وهو وهى سَكْرانان . فلما تنحَّى ، أذَّن المؤذن بالصلاة . فحلف ألا يصلِّىَ بالناس غيرها . فخرجت ــ وهى متلثِّمة ــ فصلَّت بالناس .

ونزل على غدير ماء فاستحسنه . فلما سكِر حلف ألا يبرح أو يشرب ماء ذلك الغدير كله . ونام . فأمر العلاء بن البُنْدار بالقِرَب والرَّوايا ، فأُحضِرت . وجعل ينزحه ويصب على الـكُثُب التى حولهم حتى لم يبق فيه شىء . فلما أصبح رآه وقد نضب ، فطرب وقال : « أنا أبو العباس ! ارتحِلوا » . فرحلوا .

بعث الوليد إلى شُراعة بن الزَّنْدَ بوذ ، فلما قدم عليه ، قال : « يا شراعة ، إنى لم أستحضِرك لأسألك عن العلم ولا لأستفتيك فى الفقه ولا لتقرِئنى القرآن ولا لتحدِّثنى » . قال : « لو سألتَنى عن هـذا لوجدتَنى فيه حمارا » . قال : « فـكيف علْمُك بالفتوة ؟ » قال : « أنا ابنُ بجْدَتها ، وعلى الخبيرِ سقطتَ ،

فسَلْ عما شئت » . قال : « كيف علْمُك بالأشْربة ؟» قال : « يسألني أمير المؤمنين عما أحَبّ » . قال : « كيف علمك بالماء ؟ » قال : « هو الحياة ، ويَشْرَكُني فيه الحمار » . قال : « فاللبن ! » قال : « ما رأيته قط إلا ذكرت أمي واستحييْتُ » . قال : « فالخمر ؟ » قال : « تلك السارّة البارّة ، وشراب أهل الجنة » . قال : « لِلّه دَرُّكَ ! » قال : « فأيّ شيء أحسن ما يُشرَب عليه ؟ » قال : « عجبتُ لمن قَدَر أن يشرب على وجه السماء فى كِنٍّ من القُرّ والحر ، كيف يختار عليها شيئا ! »

دعا الوليد ذات يوم بمصحف . فلما فتحه وافق ورقة فيها : « وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ »[١] . فقال : « سحقا ! سحقا ! علقوه »[٢] . ثم أخذ القوس والنّبْل فرماه حتى مزقه . وقال[٣] :

تُهدِّدُنى بجبـــارٍ عنيـــدٍ ... فها أنا ذاكَ جَبّارٌ عَنيدُ[٤]

إذا ما جئتَ ربّك يومَ حَشْرٍ ... فقُلْ : يا ربِّ ، مَزّقنى الوَليدُ[٥]

فما لبث بعد ذلك إلا قليلا حتى قُتل .

كان الوليد قد حُمل إليه عدة جوار ، وعنده أخوه عبد الجبار وكان حسن الوجه والشعر وَفِيَّه . فأمر الوليد جارية منهن أن تغنى :

لو كنتَ من هاشمٍ أو من بنى أَسَدٍ ... أو عبد شمسٍ أَوَ أَصحابَ اللِّوا الصِّيدِ[٦]

(١) الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة إبراهيم .

(٢) غ : أسجعا ، سجعا .

(٣) ديوانه ٣٩ ، أمالى المرتضى ١ : ١٣٠ ، خزانة الأدب ١ : ٣٢٨ .

(٤) غ والديوان والأمالى : أتوعد كل جبار عنيد .

(٥) غ والديوان :

إذا لاقيت ربك يوم حشر ... فقـل لله مزقـنى الوليـد

الأمالى :

فإن لاقيت ربك يوم حشر ... فقـل يا رب خرقنى الوليد

(٦) غ : أو اصحاب . والصيد : جمع أصيد وهو المتكبر . والشعر لحسان بن ثابت ، انظر ديوانه ١٦٢ ، وكامل المبرد ٢١٣ .

وأمرها أخوه أن تغنى فى شعر جميل(١) :

أتعجَبُ أنْ طَرِبتُ لصَوت حادٍ ... حَدا بُزْلا يَسِرْنَ بكلِّ وادِ

فلا تعجبْ فإنَّ الحب أمسَى ... لبَثْنةَ فى السَّوادِ من الفؤاد

فغنت ما أمرها به أخوه . فغضب الوليد واحمر وجهه ، وظن أنها فعلت ذلك ميلا إلى أخيه . وعرفت الشر فى وجهه فغنت فى شعر عمر(٢) :

أيها العاتبُ الذى خاف هَجْرى ... وبِعادى ، وما عَمَدْتُ لذاكا(٣)

أتُرَى أنَّنى بغيرِك صَبٌّ ... جَعَل الله من تظنُّ فِداكا(٤)

فارْضَ عنى جُعلتُ نَعْليك إنى ... والعظيمِ الجليلِ أهْوَى رِضاكا(٥)

قال : فسُرِّى عن الوليد وقال لها : « ما منعكِ أن تغنِّى ما أمرتُكِ به ؟ » قالت : « لم أكن أحْسنه ، وكنت أحسن الصوت الذى سألتنيه . فلما تبيّنت غضبك غنيت هذا الصوت » .

كان عبيد الله بن مَعْمَر وعبد الله بن عامر بن كُرَيز اشتريا من عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ رقيقا مما سُبِى . ففضَل عليهما ثمانون ألف درهم . فأمر بهما عمر أن يُلزَما . فمر بهما طَلْحة بن عبيد الله وهو يريد الصلاة فى مسجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فقال : « ما لابن معمر يُلازَم ؟ » فأخبر خبره فأمر له بإطلاق الأربعين ألف درهم التى عليه ليَقْضيها عنه . فقال ابن معمر لابن عامر : « إنها إنْ قُضيت عنى بقيتَ ملازَما ، وإن قُضيتْ عنك لم يتركْنى طلحة حتى يقضِى عنى » .

(١) ديوانه ٧١ .

(٢) ديوانه (طبع ليبزج ١٩٠١ م) ١٦٢ .

(٣) الديوان : رام هجرى . . وماعلمت بذاكا .

(٤) الديوان : زعموا أننى . . من أحب فداكا .

(٥) الديوان :

وارض عنى جعلت أفديك إنى ... والعزيز الجليل أهوى رضاكا

فدفع إليه الأربعين الألف درهم. فقضاها عن نفسه . وخُلِّيت سبيل ابن عامر . فمر طلحة منصرِفا من الصلاة فوجد ابن معمر ملازما . فقال : « ما لابن معمر ؟ ألم آمر بالقضاء عنه ؟ » فأُخبر بما صنع . فقال : « أما ابن معمر فقد علم أن له ابن عم لا يُسْلِمه . احملوا إليه أربعين ألف درهم ، فاقضوها عنه » . ففعل ، وخُلِّيت سبيله .

فقال حسان بن ثابت لمُسافع بن عِياض بن صَخْر بن عامر بن كعب بن سعد ابن تَيْم بن مُرَّة(١) :

يا آلَ تَيْمٍ ألَا تَنْهَون جاهِلَكم ... قبل القِذافِ بصُمٍّ كالجلاميدِ(٢)

لو كنتَ من هاشم أو من بنى أسدٍ ... أو عبد شمس وأصحاب ألِّلوا الصيد(٣)

أو من بنى نوفلٍ أو وُلْد مُطَّلِب ... أو من بنى جُمَحَ الُخضْرِ الجلاعيد(٤)

أو من بنى زُهْرَة الأبطال قد عُلِموا ... لله دَرُّك لم تَهْمُم بتَهْديدى(٥)

أو فى الذُّؤابة من تَيْم إذا انتسَبُوا ... أو من بنى الحارثِ البيضِ الأَماجيدِ(٦)

لكن سأصْرِفُها عنكم وأعْدِلُها ... بطلحةَ بن عبيدِ الله ذى الجود(٧)

---

(١) ديوانه ٧٩ .

(٢) الديوان: ألا ينهى سفيهكم . . بأمثال الجلاميد .

(٣) غ : أو اصحاب . الصيد : المتكبرون .

(٤) ع : آل مطلب . والجلاعيد : الغلاظ الأشداد . والشطر الثانى فى الديوان : لله درك لم تهمم بتهديدى .

(٥) غ : قد عرفوا . وفى الديوان :

أو كنت من زهرة الأبطال قد عُلموا ... أو من بنى خلف الزهر الأماجيد

(٦) الديوان :

أو فى الذؤابة من تيم رضيت بهم ... أو من بنى جمح الخضر الجلاعيد

(٧) غ : لطلحة . والديوان :

لكن سأصرفها جهدى وأعدلها ... عنكم بقول رصين غير تهديد

دخل أبو الأَقْرَع[1] على الوليد . فقال له : « أنشدنى قولك فى الخمرة » . فأنشده :

كُميتٌ إذا شُجَّت، وفى الكأس وردةٌ   لها فى عظام الشاربين دَبيبُ[2]
تُريك القَذَى من دُونِها وهى دُونَه   لوَجْهِ أخيها فى الإناء قُطوبُ[3]

فقال له الوليد : « شربتَها يا أبا الأقرع ، وربِّ الكعبة » . فقال : « يا أمير المؤمنين ، لئن كان نَعْتى لها أرابك لقد رابَنى معرفتُك بها » .

لما ظهرت المُسوِّدة[4] بخراسان ، كتب نَصْر بن سَيّار إلى الوليد يستمده . فتشاغَل عنه . فكتب إليه كتابا آخر فى آخره :

أرَى خَلَل الرَّماد وميض جَمْر   ويوشك أَنْ يكونَ له ضِرامُ[5]
فإنّ النار بالعُودَين تُذْكَى   وإنّ الحرب مَبْدؤُها الكلام
فقلتُ من التعجُّب لَيت شِعْرى   أأيقاظٌ أُمَيّة أم نِيام !

فكتب إليه الوليد : « قد أقطعْتُك خراسان . فاعمل لنفسك أو دَعْ ، فإنى مشغول عنك بابن سُريج ومَعْبَد والغَرِيض » .

خرج الوليد يوما ، وكان مع أصحابه على شراب . فقيل له : « إن اليوم يوم الجمعة » . فقال : « والله لأَخْطبنّهم اليوم بشعر » . فصعد المنبر يخطب وقال[6] :

(١) كذا فى د ، ى عن الأغانى (ب ١٢ : ٢٥) حيث ترجم له ، فهو عبد الله بن الحجاج الثعلبي . وفى ص ، ب ، س : ابن الأقرع ، تحريف . ونسب المرتضى : الأمالى ١ : ٣٧٧ الشعر لعدى بن الرقاع العاملى .

(٢) ب ١٢ : ٣٢ : إذا صبت . ب ١٢ : ٢٥ : فبت أسقاها سلافا مدامة . . لها . .

(٣) الشطر الأول فى ب ١٢ : ٣٢ : تمر وتستحلى على ذاك شربها .

(٤) المسودة : دعاة العباسيين الذين اتخذوا السواد شعارا لهم .

(٥) غ : وأحر بأن يكون له ضرام .

(٦) ديوانه ٤١ .

الحمدُ للهِ وَلِيِّ الحمدِ أحمَدُه في يُسْرِنا والجُهْدِ
وهو الذى فى الكَرْب أستعينُ وهو الذى ليس قرين
أشهد فى الدنيا وفى سِواها أنْ لا إلٰهَ غيره إلٰها(١)
ما إنْ له فى خَلْقه شَريك قد خضَعت لِمُلْكه الملوك
أشهد أنّ الدينَ دينُ أحمدِ وليس مَنْ خالَفَه بمُهْتدى(٢)
وأنه رسولُ ربٍّ العرشِ القاهرِ الفَرْدِ الشديد البَطْش(٣)
أرسله فى خَلْقه نَذيرا وبالكتابِ واعِظا بَشيرا(٤)
ليُظهرَ اللهُ بذاك الدِّينا وقد جُعِلْنا قبْلُ مشركينا
مَنْ يُطع الله فقد أصابا أو يَعْصِه أو الرسولَ خابا
ثم القُرآنُ والهدى السبيلُ قد بَقيا لمّا مَضى الرسول
كأنّه لما بَقى لديكمُ حىٌّ صحيحٌ لا يزال فيكم(٥)
إنكم من بعدُ إنْ تَزِلُّوا عن نَهْجه وقَصْده تَضِلُّوا(٦)
لا تتركوا نُصْحى فإنى ناصح إنّ الطريقَ فاعلمُنّ واضح(٧)
من يَتّقِ اللهَ يَجدْ غِبَّ التُّقى يومَ الحسابِ صائرا إلى الهدى
إنّ التقى أفضلُ شىء فى العَمَلْ أرى جماع البرّ فيه قد دخلْ
خافُوا الجحيم إخْوَتى لعلكم يومَ اللقاء تعرفوا ما سَرّكم

(١) غ والديوان : وما سواها .
(٢) غ والديوان : فليس .
(٣) غ والديوان : القادر .
(٤) الديوان : وفى الكتاب .
(٥) الديوان : لما مضى .
(٦) غ والديوان : عن قصده أو نهجه .
(٧) غ والديوان : لا تتركن .

قد قيل فى الأمثال ، لو علمتمُ   فانتفعوا بذاك إن عقلتمُ
ما يَزْرع الزارعُ يوما يَحْصُده   وما يقدِّم من صلاحٍ يَحْمَدُهْ
فاستغفِروا ربكم وتوبُوا   فالموتُ منكم فاعلموا قَريبُ

قال البندار : حججتُ مع الوليد . فقلت له ، لما أراد أن يخطب الناس : « أيها الأمير ، إن اليوم يومٌ يَشهدُه الناسُ من سائر الآفاق ، وأريد أن تشرّفنى بشىء » . قال : « ما هو ؟ » فقلت : « إذا علوتَ المنبر دعوت بى، فيتحدّث بالناس بذلك وبأنك أسْرَرْت إلىّ بشىء » . فقال : « أفعل » . فلما جلس على المنبر قال : « أيها البندار ؟ » فقمتُ . فقال : « ادْنُ منى » . فدنوت . فأخذ بأذنى وقال : البندار ولدُ زنا ، والوليد بن يزيد ولد زنا، وكل من ترى حولنا من الناس أولاد زنا . أفهمتَ ؟ » قلت : « نعم » . قال : « انزل الآن » . فنزلت .

قال أشعب : دخلت على الوليد ، وقد نال نبيذا . فقال لى : « تَمَنّ » . فقلت : « يتمنى أمير المؤمنين وأتمنى » . فقال : « أردت أن تغلبنى . فإنى أتمنى ضعفى ماتتمنى كائنا ما كان » . فقلت : « إنما أتمنى كِفْلَيْن[1] من العذاب » . فضحك وقال : « إذن نُوفِّرها عليك » .

قال عبد الصمد الهاشمى : إنما أغْلَى الجوهرَ بنو أمية . ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقود ، ويُغالى فى ثمنها ويغيِّرها فى اليوم مرارا كثيرة كما تُغيَّر الثياب شغفا به . وكان يجمعه من كل وجه .

وكان يوما بين دوره على فرس له ، وجاريةٌ تضرب بطبل قدّامَه . فأخذ الطبل فوضعه فى رقبته وضرب به . فنفَر الفرس من صوت الطبل . وخرج به على أصحابه فى هذه الهيئة . وكان خليعا .

(١) الكفل : النصيب .

كان الوليد ـ إذا أصبح يوم الاثنين ـ تغدّى وشرب رِطْلين ثم جلس للناس .

فحدث عمر الوادى قال: دخلت عليه ، وقد تغدى وهو يشرب . فقال لى: «اشرب». فشرب وطرب ، وغنى صوتا واحدا . وأخذ دفّافة فدفّف بها . وأخذ كل واحد منا دفّافة دفّافة فدفّف بها . وقام وقمنا حتى بلغنا إلى الحاجب . فلما رآنا صاح بالناس : « الحُرَم ! الحُرَم ! اخرجوا » . ودخل الحاجب فقال : « جعلنى الله فداءك ! اليوم يحضُر الناس فيه » . فقال : « اجلس فاشرب » . فقال : « إنما أنا حاجب فلا تحمِلْنى على الشراب ، فما شربته قط » . قال : « اجلس فاشرب » . فامتنع فما فارقناه حتى صببنا فى حلقه بالقِمَع وهو سكران .

خرج الوليد بن يزيد من مقصورة إلى مقصورة ، فإذا هو بابنة له معها حاضنتُها . فوثب عليها فافترعها . فقالت له الحاضنة : « إنها المجوسيّة » . فقال : « اسكتى :

من راقَبَ الناسَ مات غَمّا وفاز باللذة الجسورُ

وقيل : إن هذا الخبر باطل لأن الشعر لسَلْم(١) ولم يُدرِك زمن الوليد .

وكان الوليد بن يزيد يقول : « ودِدْتُ أن كل كأس من خمر تُشْرَب بدينار ، وأن كل حِرٍ فى جبهة أسد ، حتى لا يشرب إلا سخى ، ولا ينكح إلا شجاع » .

أهديت إلى الوليد جَفْنة قَوارير فرعونية لم يُرَ مثلها قط . فلما أمسى هُيِّئَ فيها الشراب . وكانت ليلة أربعَ عشرة . وشرب هو وندماؤه حتى استوى القمر على رءوسهم وصار القمر فى الجفنة . فقال الوليد : « فى أى بُرْج القمر الليلة ؟ » فقال بعض ندمائه : « فى الحَمَل » . وقال بعضهم : « فى البُطين » . وقال آخر : « القمر فى الجفنة » فقال : « قاتلَكَ الله ! أصبت ما فى نفسى . لنشرب الهَفْتَجَنّة » فسئل بعض الفضلاء عن الهفتجنة فقال : « شيء كانت الفرس تشربه سبعةَ أسابيع فشرب تسعة وأربعين يوما .

---

(١) أى سلم الخاسر . وانظر غرنباوم : شعراء عباسيون ١٠٤ .

ولما زاد الوليد فى انهماكه فى الشرب ولذاته ورفض الآخرة وراء ظهره وأقبل على القَصْف والعَزْف والمغنين ، كان نديمه القاسم بن الطويل العِبادى ، وكان أديبا ظريفا شاعرا . وكان لا يصبر عنه . فغناه معبد ذات يوم بشعر عدى بن زيد العبادى:

بكَر العاذلون فى وَضَح الصبـ ـح يقولون لى : ألا تَسْتفيقُ

لست أدرى ، وقد جفانى حبيبى أعدوٌّ يَلومُنى أم صـديق(١)

ثم قالوا : ألَا اصْبحونا ، فقامت قينـةٌ فى يَمينها إبريقُ

فاستحسنه الوليد وأُعجب به وطرب عليه . وجعل يشرب إلى أن غلب عليه السكر . فنام فى موضعه . وانصرف ابن الطويل . فلما أفاق الوليد سأل عنه . فأُخبر بانصرافه . فغضب وقال لغلام كان على رأسه يقال له سَبْرة : « ائتِنى برأسه » . فمضى الغلام فضرب رقبته وأتاه برأسه ، فجعله فى طَسْت بين يديه . فلما رآه أنكره ، وسأله عن الخبر فعرَّفه . فاسترجع وندم على ما فرط منه . وجعل يقلب الرأس ويبكى . ثم قال يرثيه(٢) :

عيْنىَّ للحدَث الجليـلِ جُـودَا بأرْبعةٍ هُمُولِ

جُودَا بدَمعٍ إنـه يَشفِى الفؤادَ من الغَليل(٣)

لله قـبر ضُمِّنتْ فيـه عظامُ ابن الطويل

ماذا تَضمَّن إذ ثَـوَى فيـه من اللُّبِّ الأصيل

قد كنتُ آوِى من هـوا ه إلى ذَرَى كهفٍ ظَليل(٤)

ثم دخل على جواريه وقال : « ماأبالى : متى جاءنى الموت بعد الخليل بن الطويل» فلم يعش بعده إلا قليلا حتى قُتِل .

---

(١) غ : جفانى خليلى .

(٢) ديوانه ٥١ .

(٣) ب ، س ، والديوان : بدمعى .

(٤) غ والديوان : هواك . والذرى : الجانب .

كان الوليد يقول : « يا بنى أمية ، إياكم والغناء ، فإنه يَنقُص الحياء ويَزيد فى الشهوة ، ويهدم المروءة ، وينوب عن الخمر ، ويفعل ما يفعله السكر . فإن كنتم لابُدَّ فاعلين ، فجَنِّبوه النساء ، فإن الغناء رُقْية الزنا . وإنى لأقول ذلك فيه ، على أنه أحبُّ إلىَّ من كل لذة ، وأشهى إلى نفسى من الماء الزُّلال إلى ذى الغُلَّة . ولكنَّ الحق أحق أن يقال .

لما عقد الوليد لابنه عثمان ، دخل إليه بعض مواليه فقال : « يا أمير المؤمنين ، أقول قول الموثوق بصحبته ونصيحته أم يسعنى السكوت ؟ » قال : « بل قُلْ قول الموثوق بصحبته ونصيحته » . فقلت : « إن الناس قد أنكروا ما فعلت وقالوا : نبايع من لم يَحْتَلم ، وقد سمعتُ ما أكره » . قال : « يعضّون ببظور أمهاتهم ، أفأُدخِل بينى وبين ابنى غيرى ، فيَلْقَى كما لقيت من هشام الأحول ! » ثم أنشد من أبيات[1] :

نؤمِّل عثمانَ بعد الوليـــدِ للعَهْدِ فينا ونرجو سعيدا[2]
كما كان إذ كان فى دهره يزيد يُرجَّى لذاك الوليــدا[3]

وقيل : كان الوليد قد بايع لابنيه الحكم وعثمان . وهو أول من بايع لابن سُرِّية[4] من الخلفاء ، ولم يكونوا يفعلون ذلك . فأخذهما يزيد الناقص فحبسهما ثم قتلهما . ففيهما يقول ابن أبى عَقِب :

إذا قُتل الخلفُ المديمُ لسُكْره بقَفْرٍ من البَخْراء أُسِّسَ فى الرَّمل[5]

(١) ديوانه ٤١ . تاريخ الطبرى ٢ : ١٧٥٦
(٢) الطبرى : ونرجو يزيدا .
(٣) غ والديوان : يرجى لتلك . والطبرى : كما كان إذ ذاك فى ملكه .
(٤) السرية : الجارية .
(٥) غ : قتل الخلف . والبخراء : أرض بالشام سميت بذلك لعفونة تربتها .

وَسِيْق بلا جُرم إلى الحتف والرَّدَى ... بُنَيَّاه حتى يُذبحا مَذْبحَ السَّخْل[1]
فَوَيْحَ بنى مَروانَ، ماذا أصابهُم ... بأيدى بنى العَباسِ م الأَسْرِ والقتل[2]

حكى العلاء البندار قال : كان الوليد زنديقا ، وكل رجل من كَلْب من أهل الشام يقول مقالة الثَّنَوية[3] . فدخلت على الوليد يوما ، وذلك الكلبى عنده ، وإذا بينهما سَفَط قد رُفع رأسه عنه ، وإذا ما يبدو لى منه حرير أخضر . فقال : « ادْنُ يا علاء » . فدنوت . فرفع الحريرة فإذا فى السفط صورة إنسان ، وإذا الزئبق والنوشادر قد جُعلا فى جفنه ، فجفنه يَطْرِف كأنه يتحرك . فقال : « ياعلاء ، هذا مَانِى[4] . لم يبعث الله نبيا قبله ولا يبعث نبيا بعده » . فقلت : « يا أمير المؤمنين ، اتّقِ الله ، ولا يغرّنّك هذا الذى ترى عن دينك » . فقال الكلبى : « قد قلت لك ـ يا أمير المؤمنين ـ إن العلاء لا يحتمل هذا الحديث » .

قال العلاء : ومكثتُ أياما ثم جلست مع الوليد على بناء كان بناه فى عَسْكره يُشرف منه ، والكلبى عنده . إذ نزل من عنده ، وقد كان الوليد حَمَله على بِرْذَون هِمْلاج[5] أشقر من أفخر ما سُخِّر فخرج على برذونه فمضى فى الصحراء حتى غاب عن العسكر . فما شعر إلا والأعراب قد جاءوا به يحملونه مُنفسِخة عنقه ميتا ، وبرذونه يُقاد ، حتى أسلمُوه فبلغنى ذلك فخرجت متعمدًا حتى أتيت أولئك الأعراب ، وكانت لهم أبيات بالقرب من أرض البخراء لا حجر فيها ولا مَدَر . فقلت لهم : « كيف كانت قصة هذا الرجل ؟ » فقالوا : « أقبل على برذون كأنه

(١) السخل : ولد الشاة .
(٢) غ : فويل بنى مروان . . بالأسر والقتل .
(٣) الثنوية : الذين يزعمون بوجود قوتين أزليتين فى العالم ، هما النور والظلمة .
(٤) مانى : أحد أنبياء الفرس .
(٥) الهملاج : الحسن السير فى سرعة وتبختر .

دُهْن يسيل على صَفاة من قَراهته . فعجبنا لذلك . إذ انقض رجل من السماء عليه ثياب بيض . فأخذ بضَبُعه فاحتمله ثم نكسه وضرب برأسه الأرض فدق عنقه . ثم غاب عن عيوننا . فاحتملناه فجئنا به » .

ولما أكثر الوليد التهتك بالشرب والانهماك باللذات ، وبسَط المكروه على ولد هشام ، وأفرط فى أمره وغَيِّه ؛ مَلّ الناس أيامه وكرهوه — وكان قد عقد لابنيه بعده ، ولم يكونا بلغا . فمشى الناس بعضهم إلى بعض فى خلعه . وكان أقواهم فى ذلك يزيد الناقص بن الوليد بن عبد الملك بن مروان . فمشى إلى أخيه العباس — وكان امرأ صدقٍ ، لم يكن فى بنى أمية مثله ، وكان أشبه بعمر بن عبد العزيز . فشكا إليه ما يجرى على الناس من الوليد . فقال له : « يا أخى ، إن الناس قد ملوا بنى مروان. فإن مشى بعضكم إلى بعض أُكِلتم . وللرجل أَجَل لابد أن يبلغه ، فانتظره » . فخرج من عنده . ومشى إلى غيره . فبايعه جماعة من اليمانية الوجوه . فعاد إلى أخيه وأعاد عليه القول ، وعرّض له بأنه قد دُعى إلى الخلافة . فقال : « والله ، لولا أنى لا آمَنُه عليك — لِما أعلم من تَخْليطه — لوجهت بك إليه الساعة مشدودا . فنشدتك الله أن تسعى فى شىء من هذا ! » فانصرف من عنده . وجعل يدعو الناس إلى نفسه. وبلغ ذلك الوليد ، فلم يقصر وزاد انهماكه . فدخل بِشْر بن الوليد على أخيه العباس فكلمه فى خلع الوليد بن يزيد ، وكان يزيد بن الوليد حاضرا . فكان العباس ينهاه، وبشر بن الوليد يرد عليه . فقال العباس : « يا بنى مروان ، أظن الله — عز وجل — قد أذن فى هلاككم » . ثم قال :

إنى أُعيذكم بالله من فِتَنٍ ... مثلِ الجبال تَسامَى ثم تندفعُ
إنّ البَرِيّةَ قد مَلّتْ سياستكُم ... فاستمسكوا بعمودالدين وارْتَدِعُوا
لا تُلْحِمُنّ ذئاب الناس أنفسَكُم ... إنّ الذئاب إذا ما أُلْحِمَت رَتَعوا[1]

(١) غ : الناس أنفسكم . ورتعوا : كذا فى غ والطبرى ٢ : ١٧٨٨ وفى ص : وقع .

لا تَبْقُرُنَّ بأيديكم بطونكُم   فثَمَّ لا فديةٌ تُغْنى ولا جَزع[١]

ولما استجمع ليزيد أمره ـ وهو متبدّ ـ أقبل إلى دمشق، وكان بينه وبين مكانه الذى هو متبد فيه أربع ليال. فأقبل متنكّرا فى سبعة أنفس على حُمُر، وقد بايع له أكثر أهل دمشق، وبايع له أهل المِزّة. فاجتاز على جَرود [على] مرحلة من دمشق، وبها مولى لعبّاد بن زياد، فنزل عليه. فحكى ذلك المولى قال: نزل علىّ سبعة نفر مُعتمِّين على حُمُر، وفيهم رجل طويل جسيم. فرمى بنفسه فنام. وألقوا عليه ثوبا وقالوا لى: «هل عندك شيء نشتريه من الطعام؟» فقلت: «أما بيْعا فلا، ولكن عندى من قِراكم ما يُشبعكم». فقالوا: «عَجِّله». فذبحت لهم دجاجا وفراخا، وأتيتهم بما حضر من عسل ولبن. وقلت: «أيقظوا صاحبكم للغداء». فقالوا: «هو محموم لا يأكل». فسَفَروا للغداء فعرفت بعضهم. وسَفَر النائم فإذا هو يزيد بن الوليد، فعرفته فلم يكلمنى.

ومضوا ليدخلوا دمشق ليلا فى نفر من أصحابهم مُشاةٍ إلى معاوية بن مَصَاد، وهو بالمزة ـ وبينها وبين دمشق ميل. فأصابهم مطر شديد. فأتوا منزل معاوية فضربوا بابه، وقالوا: «يزيد بن الوليد». فدخلوا. فقال معاوية: «الفراشَ، أصلحك الله!» قال: «فى رجلى طين وأكره أن أفسد عليك بساطك». فقال: «ما تريدنى عليه أفسد». فمشى على البساط وجلس على الفراش. ثم كلم معاوية فبايعه. فخرج إلى دمشق فنزل دار ثابت بن سليمان الخَشَنى[٢] مستخفيا، وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف. وكان قد خاف الوباء فخرج فنزل قَطَنا، واستخلف ابنه على دمشق، وعلى شرطته أبو العاج كَثير بن عبد الله السُّلَمى.

(١) الطبرى ٢ : ١٧٨٨ وكامل ابن الأثير ٥ : ٢١٤ : لا حسرة تغنى.
(٢) الطبرى ٢ : ٧٨٩ : الخشنى. ولعل الصواب: الخشى، لاشتراك الخشبية فى الأمر.

وتم ليزيد أمره فأجمع على الظهور . وقيل لعامل دمشق : « إن يزيد خارج » . فلم يصدق . فأرسل يزيد إلى أصحابه بين العشاءين فى ليلة الجمعة من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة[١] . فمكثوا[٢] فى مِيضَأة عند باب الفَراديس حتى إذا أذنوا العَتَمة دخلوا المسجد مع الناس فصلوا . وللمسجد حرس قد وُكِّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل . فإذا خرج الناس خرج الحرسُ وأُغلقت الأبواب ، ودخل [صاحب المسجد] الدار من باب المقصورة . فدفع المفاتيح إلى من يحفظها ويخرج. فلما صلى الناس العتمة ، صاح الحرس بالناس فخرجوا . وتباطأ أصحاب يزيد الناقص ، فجعلوا يُخرجونهم من باب ويدخلون من باب ، حتى لم يبق فى المسجد إلا الحرس وأصحاب يزيد. فأخذوا الحرس . ومضى [يزيد بن][٣] عَنْبَسة إلى يزيد فأخبره وأخذه بيده وقال : « قم ــ يا أمير المؤمنين ــ وأبشِرْ بعون الله تعالى ونصره » .

قال : « فأقبل وأقبلْنا ونحن اثنا عشر رجلا . فلما كنا عند سوق القمح ، لحقهم فيه مائتا رجل من أصحابهم . فمَضَوا حتى دخلوا المسجد وأتوا باب المقصورة . فقالوا: « نحن رسل الوليد » . ففتح لهم الخادم . فدخلوا وأخذوا الخادم ، فإذا أبو العاج سكران فأخذوه ، وأخذوا خُزّان بيت المال وصاحب البريد . وأرسل إلى كل من كان يحذَرُه فأخذه . وأرسل من ليلته إلى محمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص ، وهو على بَعْلَبكّ ، وإلى محمد بن عبد الملك بن محمد بن الحجاج[٤] ، فأخذهما . وبعث إلى أصحابه إلى الخَشَبيّة[٥] فأتوه، وقالوا ، للبوابين : « لاتفتحوا الأبواب غُدْوة إلا لمن أخبركم

---

(١) صوابه سنة ١٢٦ كما تذكر كتب التاريخ .

(٢) غ والطبرى ٢: ٧٨٩ : فكمنوا

(٣) زيادة أضافتها د عن الطبرى وعن الأصول فيما سيأتى .

(٤) وكذا فى كامل ابن الأثير ٢ : ٢١٥ ، وهو يتفق مع قوله سابقا إن عبد الملك ترك ابنه على دمشق . وفى غ والطبرى : عبد الملك بن محمد بن الحجاج ، خطأ .

(٥) الخشبية : أنصار المختار بن أبى عبيد الثقفى وأتباعه .

بشمار كذا وكذا » . فتركوا الأبواب فى السلاسل ، وكان فى المسجد سلاح كثير قَدِم به سليمان بن هشام من الجزيرة ولم يكن الخُزان قبضوه ، فأخذوه . وأصبحوا ، فجاء أهل المِزّة مع حُرَيث بن أبى الجَهْم . فما انتصف النهار حتى بايع الناس يزيد ، وهو يتمثل قول النابغة[1] :

إذا استُنْزِلوا عنهنّ للطعن أرْقَلُوا إلى الموتِ إرقالَ الجمالِ المَصاعبِ[2]

فجعل أصحابه يتعجبون ويقولون : « انظروا إلى هذا ! هو وقبيل [الصبح][3] يسبِّح ، وهو الآن ينشد الشعر » .

ثم أمر يزيد عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان . فوقف بباب الجابية فنادى : « ألا مَنْ كان له عَطاء فَلْيَأتِ إلى عطائه ومعونة ألف درهم . ومن لم يكن له عطاء فله أربعون ألف دينار فى العطاء ومعونة ألف درهم[4] » . فبايعه الناس وأمر بالعطاء . ونَدَب يزيد الناس إلى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك . ونادى مناديه : « من سارع مع عبد العزيز فله ألفان » . فانتَدب ألفا رجل فأعطاهم وقال : « موعدكم ذَنَبة » . فوافى ذنبة ألف رجل ومائتا رجل . فقال : « ميعادكم ضَيْعَة[5] بالبرية » . وهى لبنى عبد العزيز بن الوليد . فوافاها ثمانمائة رجل . فسار فتلقاهم ثَقَل[6] الوليد فأخذوه . ونزلوا قريبا من الوليد . فقال الوليد : « أخرِجوا لى سريرا » . فأخرجوه فصعد عليه . وأتاه رسول العباس بن الوليد : « إنى أجيئك » . وأُتى الوليد بفرسين : الزائد والسِّنْدى . وقال : « أعلىّ تتوثّب

(١) مختار الشعر الجاهلى (١٩٤٨ م) ١٦١ . والطبرى ٢ : ١٧٩١ .

(٢) أرقلوا : أسرعوا . والمصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل لم يربط بحبل قط .

(٣) زيادة أضافتها د عن الطبرى ٢ : ١٧٩١ .

(٤) الطبرى : ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونة .

(٥) غ والطبرى : مصنعة .

(٦) الثقل : المتاع .

الرجال، وأنا أثب على الأسد وأعض الأفاعى!(١) » . وكان العباس أرسل إلى الوليد: « إنى أجيئك » فهو ينتظر العباس . ولم يكن بينهم كبير قتال حتى قتل عثمان الخشَبى(٢) ، وكان من أولاد الخشبية الذين كانوا مع المختار .

وبلغ عبدَ العزيز بن الحجاج أن العباس بن الوليد ، ومعه بنوه فى الشِّعْب ، يأتى الوليد . فأرسل منصور بن جُمْهور فى خيلٍ جَريدة(٣) . فأتوه فقالوا له : « اعْدِل إلى عبد العزيز » . فشتمهم . فقال له منصور : « والله، لئن تقدمتَ لأُنْفُذَنّ حِضْنيك بالرمح » . فقال : « إنا لله ! » فأقبلوا يسوقونه إلى عبد العزيز . فبايع ليزيد ووقف ونصب راية . ونادى منادى عبد العزيز : « من لحق بالعباس بن الوليد فهو آمِن » ؛ فقال العباس « خُدعة من خدع الشيطان : إنا لله ! هلك ـ والله ـ بنو مروان » . فتفرق الناس عن الوليد .

وظاهرَ الوليد بين درعين وقاتلهم . ونادى الوليد : « من جاء برأسٍ فله خمس مائة درهم » . فجاء جماعة بعدة رؤوس . فقال : « اكتبوا أسماءهم » . فقال له رجل من مواليه : « ليس هذا ـ يا أمير المؤمنين ـ يوما يُعْمَل فيه بنَسيئة » . وناداهم رجال: « اقتلوا اللُّوطى قِتْلَة قوم لوط » . فرموه بالحجارة . فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق بابه ، وقال(٤) :

دَعُوا لى سليمى والطِّلاء وقَيْنَةً ... وكأسا ، ألا حَسْبِى بذلك مالا(٥)

إذا ما صفا عيشٌ برملةِ عالِجٍ ... وعانقتُ سلمى لا أريد بِدالا(٦)

---

(١) غ والطبرى : وأتخضر الأفاعى

(٢) كذا فى د ، ى عن الطبرى ٢ : ١٧٩٨ . وفى ص ، ب ، س : يزيد بن عثمان الخشبي سبق قلم .

(٣) جريدة الخيل : الجماعة منها .

(٤) ديوانه ٤٩ ، كامل ابن الأثير ٥ : ٢١٦ .

(٥) ص : سلمى ، تحريف . ب ، س : والطلاء وقينة . والطلاء : الخمر .

(٦) الكامل : صفا عيشى . . ما أريد بدالا .

خذوا مُلكَكم، لا ثبّتَ اللهُ ملكَكم! تَباتا يُساوى ما حَييتُ عِقالا
وخلُّوا عِنانى قبل عَيْرٍ وما جرى ولا تحسُدونى أنْ أموتَ هُزالا[1]

ثم قال لعمر الوادى : « يا جامع لذّتى ، غَنِّنى بهذا الشعر » فغناه به .

فأحاط الجند بالقصر . فقال لهم الوليد من وراء الباب : « أمَا فيكم رجل شريف له حسب وحَياء أكلمه » . فقال له يزيد بن عَنْبَسَة السَّكْسَكى : « كلمنى » . فقال له الوليد : « يا أخا السَّكاسك ، ما تَنقِمون علىّ ؟ ألم أزِدْ فى أعْطِياتكم وأعطية فقرائكم ، وأخْدَمت زَمْناكم ، ورفعت عنكم المؤن ! » قال : « ما نَنقِم عليك فى أنفسنا شيئا ، ولكن ننقم عليك انتهاك حُرَم الله تعالى ، وشرب الخمر ، ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله عز وجل » . فقال : « حسبك ، يا أخا السكاسك ، فلعَمْرِى ، لقد أكثرتَ . وإن فيما أحل الله لَسَعَة عما ذكرت » . ورجع إلى الدار . وأخذ مصحفا وقال: « يومٌ كيوم عثمان » . ونشر المصحف يقرأ . فعَلَوا الحائط . وكان أول من علاه يزيد بن عنبسة . فنزل وسيفُ الوليد إلى جانبه . فقال له : « نَحِّ سيفك » . فقال له الوليد : « لو أردتُ السيف لكانتْ لى وللرجال حال غيرُ هذه » . فأخذ بيده وهو يريد أن يُدخله بيتا ويُؤامِر فيه . فنزل من الحائط عشرة ، منهم عبد الرحمن بن وجه القيسى[2] ومنصور بن جُمهور وغيرهما . فضربه عبد الرحمن على رأسه[3] . وضربه السَّرى بن زياد بن أبى كَبْشَة على وجهه .

---

(١) قبل عير وما جرى : قال أبو عبيد : إذا أخبر الرجل بالخبر من غير استحقاق ولا ذكر كان لذلك ، قيل : فعل كذا وكذا قبل عير وما جرى . قالوا : خص العير لأنه أحذر ما يقنص ، وإذا كان كذلك كان أسرع جريا من غيره ، فضرب به المثل فى السرعة . وقيل : العير إنسان العين ، فمعناه قبل لحظة العين (مجمع الأمثال الميدانى ٢ : ٣٦ . واللسان : عير) .

(٢) كذا فى س . وفى غ : عبد الرحمن وقيس مولى يزيد . وفى الطبرى : عبد الرحمن بن عجلان مولى يزيد .

(٣) الطبرى والكامل : فضربه عبد السلام [اللخمى] على رأسه .

وجروه بين خمسة ليُخرجوه . فصاحت امرأة فى الدار . فكفوا عنه ولم يخرجوه .
واحتز رأسه أبو عِلاقة القضاعى ، وخَيّط الضربة التى فى وجهه بالعَقَب[1] . وقُدِم بالرأس على يزيد ، قدم به رَوْح بن مُقْبِل وقال : « أبشر — يا أمير المؤمنين — بقتل الفاسق وأسر من كان معه[2] » . فاستتبّ الأمر له .

ولما قُتل الوليد ، جعل أبو مِحْجَن مولى خالد القَسْرى يُدخل سيفه فى است الوليد وهو مقتول . وجاء يزيد بن خالد القسرى فضربه سبع ضربات وهو مقتول . فقال الأصبغ بن ذُؤالة الكَلْبى فى قتل الوليد وأخذ ابنيه :

مَنْ مُبلغٌ قيسا وخِندِفَ كُلَّها ... وساداتِهم من عبد شمس وهاشم
قتَلْنا أمير المؤمنين بخالدٍ ... وبِعْنا ولِيَّ عهده بالدراهم[3]

وقال أبو مِحْجَن مولى خالد :

لو يشهدوا حَدَّ سيفى يومَ أُدْخِلُه ... فى استِ الوَليد لماتوا عنده كَمَدا[4]

قال عمر الوادى : كنت أغنى الوليد :

كَذَبَتْك عينُك أم رأيتَ بواسطٍ ... غَلَس الظلامِ من الوليد خَيالا[5]

فما أتممت الصوت حتى رأيت رأسه فارق جسده وهو يتشحّط فى دمه .

ولما قُتل الوليد ، تغيَّب ولداه عثمان والحكم وليا عهده . فأخذهما يزيد فحبسهما فى الخضراء . ودخل عليهما يزيد الأفقم بن هشام . فجعل يشتم أباهما الوليد ، وكان قد ضربه وحَلَقه[6] . فبكى الحكم . فقال أخوه عثمان : « اسكت ، يا أخى » .

---

(١) العقب : العصب الذى تعمل منه الأوتار .

(٢) كذا فى الطبرى . وفى س : وأسر الفاسق . وليست العبارة فى غ .

(٣) يريد خالد بن عبد الله القسرى ، وكان الوليد سلمه ليوسف بن عمر فعذبه حتى مات .

(٤) ب ، س : شهدوا . د : شاهدوا .

(٥) غ : كذبتك نفسك . . من الرباب .

(٦) كذا فى د ، وهو الصحيح . وفى الأصول : وخلعه ، تحريف .

وأقبل على يزيد فقال : « أتشتم أبي ؟ » قال : « نعم » . قال : « لكني أنا لا أشتم عمي هشاما . ولو كنتَ من بني مروان ما شتمت أحدا منهم . فانظر إلى وجهك : فإن كنت رأيت حَكَميا[1] يُشبهك أو له مثل وجهك فأنت منهم . لا والله ، ما في الأرض حَكَميٌّ يُشبهك » .

كان الوليد يوما جالسا ، وعنده عمر الوادي وأبو رُقَيَّة ، وكان أبو رقية ضعيف العقل ، وكان يُمسك المصحف على أم الوليد . فقال الوليد لعمر الوادي وقد غناه صوتا : « أحسنتَ ، والله . أنت جامع لذتي » . وأبو رقية مضطجع ، وهم يحسبونه نائما . فرفع رأسه إلى الوليد وقال له : « وأنا جامع لذات أمك » . فغضب الوليد وهَمَّ به . فقال له عمر : « والله ، إن أبا رقية ما يَعْقِل وهو صاحٍ ، فكيف وهو سكران ! » فأمسك عنه .

قال شَبيب بن شَيْبة : كنا جلوسا عند المهدي . فذكروا الوليد ، فقال : « إني لأحسبه زنديقا » . فقال ابن عُلاثة الفقيه : « يا أمير المؤمنين ، الله أعظمُ وأجلّ من أن يولي خلافة النبوة وأمر الأمة من لا يُؤْمن به . ولقد أخبرني من كان يشهده في مَلاعبه وشُربه عنه بمروءة في طَهارته وصلاته ، وأنه كان إذا حضرت الصلاة يطرح ثيابا كانت عليه من مُطيَّبه ومُصبَّغه ثم يتوضأ فيُحسن الوضوء ، ويُؤْتَى بثياب بيض نِظاف من ثياب الخلافة فيصلي فيها أحسن صلاة بأحسنِ قراءة وأحسن سكون وركوع وسجود ، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب التي كانت عليه قبل ذلك ، ثم يعود إلى شربه ولهوه . أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله ؟ » فقال المهدي: « صدقت . بارك الله عليك ، يا أبا علاثة » .

وللوليد أغانٍ وألحان . وكان يضرِب بالدُّف والطبل والعود .

---

(١) حكمي : أي من ينسب إلى الحكم بن أبي العاص والد مروان جد المروانيين .

وَهْب أبو دَهْبل الْجُمَحِىّ*

هو وهب بن زَمْعة بن أُسَيْد بن أُحَيْحَة بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ابن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى بن غالب .

ولخَلف بن وَهْب يقول ابن الزِّبَعْرَى أو غيره :

خَلَفُ بن وهب كلَّ آخرِ ليلةٍ أبدا يكثِّر أهلَه بِعِيالِ

سَقْياً لوهْبٍ كَهْلِها ووَليدها ما دام فى أبياتها الذّيال[1]

نِعْمَ الشبابُ شبابُهم وكُهولُهم صُيّابة ليسوا من الُجهّال[2]

وأم أبى دهبل امرأة من هذيل . وإياها يَعْنِى بقوله :

أنا ابن الفروعِ الكِرامِ التى هُذَيلٌ لأبياتها سائِلَه[3]

همُ وَلدونى وأشبَهْتُهم كما تُشبِه الليلةُ القابِله

واسمها هُزَيلة[4] بنت سَلَمة .

كان أبو دهبل جميلا شاعرا . وكانت له جُمّة[5] تضرب منكبيه . وكان عفيفا . وقال الشعر فى آخر خلافة علىّ بن أبى طالب ، عليه السلام . ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير ، وكان ابن الزبير ولّاه بعض أعمال اليمن .

---

* أخباره فى ب ٦ : ١٥٤ ، س ٦ : ١٤٩ ، د ٧ : ١١٤ ، ى ٧ : ١١٢ ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٨٩ .

(١) ب : الذيالى . والكلمة غير منقوطة فى س . والشعر فى ديوان أبى دهبل ٢ .

(٢) الصيابة : الخيار من كل شىء .

(٣) ب ، س : سابلة . والشعر ليس فى ديوانه ، وألحقه به محققه ٣٣ .

(٤) غ : هذيلة . ديوان أبى دهبل (مجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن ، سنة ١٩١٠) ص ٢ : هزيل .

(٥) الجمة : مجتمع شعر الرأس .

وكان أبو دهبل يهوى امرأة من قومه يقال لهـا « عَمْرة » ، وكانت امرأة جَزْلة(١) يجتمع الرجال إليها والنساء للمحادثة وإنشاد الشعر والأخبـار . وكان أبو دهبل لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها . وكانت هى أيضا تحبه . وكان أبو دهبل سيدا من سادات بنى جمح وأشرافهم ، يحمـل الحَمالات(٢) ، ويعطى الفقراء ، ويَقْرى الضيف . فزعم بنو جمح أنه تزوج عمرة هذه . وزعم غيرهم أنه لم يصل إليها . وكانت عمرة توصيه بحفظ ما بينهما وكتمانه . فضمن لها ذلك . واتصل ما بينهما فوقفت عليه زوجته . فدست إليها امرأة داهية من عجائز أهلها . فجاءتها فحادثتها طويلا . ثم قالت لهـا فى عُرْض حديثها : « إنى لأَعْجَب لك كيف لا تتزوجين أبا دهبل مع ما بينكما ؟ » فقالت : « وأىُّ شىء يكون بين مثلى ومثل أبى دهبل ؟ » فتضاحكت وقالت : « أتُسِرِّين(٣) عنى شيئا تحدثتْ بـه أشراف قريش فى مجالسها ، وسُوقة أهل الحجاز فى أسواقها ، والسُّقاة فى مواردها ؟ فما يتدافع اثنان فى أنه يهواكِ وتَهْوِينه » . فوثبت عن مجلسها واحتجبتْ ومنعت كلَّ من كان يصير إليها من الوصول إليها . وجاء أبو دهبل على عادته . فحجبته وأرسلت إليـه بما يكره . ففى ذلك يقول(٤) :

تَطاوَلَ هـذا الليـلُ ما يَتبلَّجُ ... وأعيَتْ غَواشِى عَبْرتى ما تَفرَّجُ(٥)
وبِتُّ كئيبا ما أنامُ كأنمـا ... خِلالَ ضُلوعى جمـرةٌ تتوهَّجُ(٦)

---

(١) جزلة : أصيلة الرأى .
(٢) الحمالة : الدية والغرامة يحملها قوم عن قوم .
(٣) أسر : أخفى .
(٤) ابن قتيبة ٢٩٠ . المرتضى : الأمالى ١ : ١١٩ . الخطيب : الخزانة ٤ : ٧٩ . ديوان أبى دهبل ٢٣ .
(٥) ابن قتيبة : غواشى الهم . وتبلج الصبح : أضاء وأشرق .
(٦) ابن قتيبة : وبت مبيتاً . الديوان : أبيت كئيباً للهموم كأنما .

فطَوْرا أُمَنِّي النفسَ من عَمْرَةَ المُنَى ... وطَوْرا إذا ما لَجَّ بي الشوقُ أَنْشِجُ(١)
لقــد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن إلى أنْ يُوصلَ الحبلُ أَحْوَجُ(٢)
رأوا غِــرَّةً فاستقبَلُوها بأَلْبِهِم ... فراحوا على مالا نحب وأَدْلَجوا(٣)
وكانوا أُناسا كنتُ آمَنُ غَيْبَهم ... فلم يَنْهَهَم حــلمٌ ولم يتحرَّجوا(٤)
همُ منعونا ما نحــب وأَوْقَدوا ... علينا وشَبُّوا نار صُرْمٍ تَأَجَّجُ(٥)
ولو تَركونا ـ لاهَدَى اللهُ أمرهم ـ ... ولم يُلْحِموا قولا من الشرِّ يُنْسَجُ(٦)
لَأَوْشكَ صَرْفُ الدهرِ يَفرُق بيننا ... وهل يستقيم الدهرُ، والدهرُ أَعْوجُ؟(٧)

منها:

عسى كُرْبةٌ أمسيت فيهــا مقيمةً ... يكون لنــا منها نجــاءٌ ومَخْرَجُ(٨)
فيُكْبَتَ أعــداءٌ ويَجْذَل آلِفٌ ... له كَبِدٌ من لوعــة الحب تَنْضَجُ(٩)
وإني لمحزونٌ عشيةَ زُرْتُهــــا ... وكنتُ إذا ماجئتُها لا أُعــرِّجُ(١٠)

---

(١) غ والديوان وابن قتيبة: لج بي الحزن وأنشج: أبكى بصوت مسموع فيه توجع. والديوان: من تكتم المنى.

(٢) ابن قتيبة: وقد قطع. الديوان: يوصل الوصل.

(٣) ابن قتيبة والديوان: رأوا عورة. ب، س: لا يحب. والألب: الجمع، والألب: القوم يجتمعون على عداوة إنسان. وأدلجوا: ساروا من أول الليل.

(٤) غ: حلمى. الديوان: آمن عيبهم.

(٥) ابن قتيبة: فهم منعونا. والصرم: الهجر. الديوان: ما نلذ ونشتهى.. وأذكوا علينا نار صرم تؤجج.

(٦) غ: لا هدى الله سعيهم. المرتضى: فلم يلحموا. وألحم: أحكم. الديوان: ولم يبرموا قولا من النقر ينسج.

(٧) الديوان وابن قتيبة والمرتضى والخزانة: تفريق بيننا. غ، والديوان وابن قتيبة والخزانة ولا يستقيم.

(٨) الديوان وابن قتيبة: عست كربة. غ: نجاة ومخرج. الديوان وابن قتيبة: رخاء ومخرج.

(٩) غ وابن قتيبة: لوعة الحب تلعج. الديوان: لوعة الحزن تلعج.

(١٠) ابن قتيبة: عشية جئتها.. مازرتها. غ مرة: وإني لمحجوب. الديوان: إذا مازرتها.

وأعْيا عليّ القولُ والقولُ واسع — وفى القول مُسْتَنٌّ كثير ومَخْرَجُ[(١)]

منها :

وأشفقَ قلبي من فراقِ خريدةٍ — لها نَسبٌ فى فرعِ فِهْرٍ مُتوَّجُ[(٢)]

وكَفٌّ كهُدّابِ الدِّمَقْسِ لطيفةٌ — بها دَوْسُ حِنّاءٍ حديثٌ مُضَرَّجُ[(٣)]

يجول وشاحاها ويَغْتَصُّ حَجْلُها — ويشبع منها وَقْفُ عاجٍ ودُمْلُجُ[(٤)]

فلما التقَينا لَجْلَجَتْ فى حديثها — ومن آية الصُّرْم الحديثُ المُلَجْلَجُ[(٥)]

ومما قال فيها[(٦)] :

يلومونني فى غير ذنبٍ جَنيْتُه — وغيريَ فى الذنب الذى كان أَلْوَمُ

أَمِنّا أُناساً كنتِ تأْتَمِنينهم — فزادوا علينا فى الحديثِ وأَوْهَموا

وقالوا لنا ما لم يُقَل ثم كَثَّروا — علينا، وباحوا بالذى كنت أكتُمُ[(٧)]

وقد مُنِحت عيني القَذَى لفراقكم — وعاد لها تَهْتانُها فهي تَسْجُمُ[(٨)]

وأنكرتُ طيب النفس منى ، وكدَّرتْ — علىّ حياتى ، والهوى متقسّم

(١) المستن : الطريق المسلوك . الديوان : وأعيا .

(٢) غ : فراق خليلة .

(٣) دوس : كذا فى غ . وفى س والديوان : درس ، تحريف . والدوس : المراد به التزيين ومضرج : مصبوغ .

(٤) يغتص : كذا فى د ، ى ، أى يمتلىء . وفى س : يغرث ، ومعناها يجوع ، ولا يصف العرب الساق بالنحافة بل بالامتلاء . وفى الديوان : ويعرب . والوقف : السوار . والدملج : حلى تلبس فى المعصم .

(٥) الديوان : ولما التقينا لجلجت فى كلامها .

(٦) ليست فى ديوانه وألحقها به محققه ٣٤ .

(٧) ب ، س : لم نقل .

(٨) غ : لفراقهم . وتهتانها : كذا فى غ ، وفى س : تهيامها ، تحريف . والتهتان : تتابع السقوط . وتسجم : تسيل وتصب .

وصافيْتُ نسوانا فـلم أرَ فيهمُ هوايَ ولا الوُدَّ الذى كنتُ أعلم
أليس عظيما أنْ نـكونَ ببـلدةٍ كلانا بهـا ثاوٍ ولا نتـكلم(١)
فلا تَصْرِميني أن تَرَيْني أحبكم أبوء بـذنبٍ ، إننى أنا أظْـلَم

قال أحمد بن عبيدالله بن عمار: كنا ونحن أَحْداثٌ نختلف إلى مجالس العلم فنكتب ما يرويه لنا الرواة من النكت والأخبار. وكان يَصحبُنا فتى من أحسن الناس وجها، وأجملهم زِيّا ، وأنظفهم ثوبا ، ولا نعرف باطن أمره. فانصرفنا يوما من مجلس أبي العباس المبرد وجلسنا فى مسجد نتقابل على ما كتبناه وإذا بجارية قد طلعت فطرحت فى حجر الفتى رقعة ما رأيت أحسن من شكلها ، مختومة بعنبر . فقرأها منفردا ثم أجاب عنها ورمى بها إلى الجارية . ثم لم يلبث أن خرج خادم من الدار وفى يده كَرِش(٢) . فصفع به الفتى حتى رحمناه وخلصناه من يده . ولما تباعدنا سألناه عن الرقعة . فإذا فيها مكتوب :

كفَى حَزَنا أنّا جميعـا ببلدةٍ كلانا بها ثـاوٍ ولا نتـكلم

فقلنا له : « هذا ابتداء ظريف فبماذا أجبت ؟ » قال : « هذا صوت سمعته يُغنَّى به . فلما قرأت الرقعة أجبت عنه بصوت آخر مثله سمعته » . فسألناه : « ما هو ؟ » فقال :

* أراعك بالخابُورِ نُوقٌ وأجْمالُ ؟ *(٣)

فقلنا له : « ما وافاك القوم حقك . وكان ينبغي لهم أن يُدخلونا معك لدخولك فى جملتنا . ولكنا نحن نوفيك حقك » . ثم تناولناه فصفعناه صفعا جيدا حتى لم نَدْرِ أىَّ طريق أخذ . وكان آخر عهده بالاجتماع معنا .

(١) ثاو : مقيم .
(٢) الكرش : لعله يريد وعاء الطيب .
(٣) الخابور : نهر كبير بين رأس العين والفرات من أرض الجزيرة . ونسب ياقوت الشطر للأخطل ، وعجزه عنده : « ورسم عفته الريح بعدى بأذيال » . ولم أجده فى ديوانه .

حجَّت عاتكة بنت معاوية بن أبى سفيان فنزلت من مكة بذى طُوًى . فبينا هى ذات يوم جالسة فى مجلسها عليها شُفوفٌ (١) لها تنظر إلى الطريق، وقد اشتد الحر وانقطع الطريق فى وقت الهاجرة ، وقد أمرت جواريها فرفعن ستورها وهى جالسة فى مجلسها، إذ مرّ بها أبو دهبل الجمحى ، وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظرا . فوقف طويلا ينظر إليها وإلى حسنها وجمالها وهى غافلة عنه ، فلما فطِنت له، سترت وجهها وأمرت بطرح الستر وشتمته . فقال أبو دهبل (٢) :

إنى دعانى الحَيْنُ فاقتادَنِى ... حتى إذا رأيتُ الظبيَ بالبابِ
يا حُسْنَه أن أنْ سَبَّنى مُدبِرا ... مستتِرا عنى بجِلْبــــاب
سبحان من وقَّفها حسرةً ... صُبَّت على القلب بأوْصاب
يــذود عنهــا إن تطلَّبْتُهــا ... أبٌ لهـــا ليس بوَهّاب
أحَلَّها قصرا منيعَ الذُّرَى ... يُحْمَى ببَواب وحُجـاب (٣)

فشاعت هذه الأبيات بمكة وشُهرت ، وغنى فيها المغنون ، حتى سمعتها عاتكة إنشادا وغناء . فضحكت وأعجبتها وبعثت إليه بكُسًى وجرت الرسل بينهما .

فلما صدَرت عن مكة ، خرج معها إلى الشام . فنزل قريبا منها. فكانت تتعمَّده بالبر واللَّطَف (٤) . حتى وردتْ دمشق وورد معها . فانقطعت عن لقائه . وعجز عن أن يراها فمرض بدمشق مرضا طويلا . فقال فى ذلك (٥) :

---

(١) الشفوف : جمع شف ، وهو الثوب الرقيق .

(٢) ليست فى ديوانه ، وألحقها به محققه ٣٤ .

(٣) غ : بأبواب .

(٤) اللطف : الهدايا .

(٥) اختلف الرواة فى قائل هذا الشعر بين أبى دهبل وعبد الرحمن بن حسان . وانظر ديوان أبى دهبل ١٠ والمبرد : الكامل ٢٥٤ ، ٢٥٥ والبكرى : النوادر ١٨٨ ، والعينى : المقاصد النحوية ١ : ١٤١ ، والخطيب : خزانة الأدب ٣ : ٢٨٠ . ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٣٠٣ .

طال لَيْــلِى وبِتُّ كالمحزونِ ومَلِلتُ الثَّــواء فى جَــيْرونِ(١)
وأطلتُ المُقام بالشام حتى ظنّ أهلى مُرجَّمات الظنون(٢)
فبكتْ خشيةَ التفرُّق جُمْلٌ كبُـكاء القَرِين إثْرَ القَرِين(٣)
وهى زَهْراء مثلُ لؤلؤة الغَوْ وَاص مِيزَتْ من جوهرٍ مكنون
وإذا ما نسَبْتَها لم تجدها فى سَناء من المـكارم دُون
تجعل المِسْك واليَلَنْجُوجَ والنَّدْ دَ صِلاءً لها على الـكانون(٤)
ثم خاصرْتُها إلى القبة الخضـ ـراء تمشى فى مَرْمرٍ مَسْنون(٥)
قُبّةٌ من مَراجِلَ ضربوها عند برد الشتاء فى قَيْطون(٦)
عن يَسارى إذا دخلتُ من البا ب وإن كنتُ خارجا عن يمينى(٧)

(١) الديوان كالمجنون العينى : بالمجنون . والشطر الثانى عنـد الديوان والعينى والخطيب : واعترتنى الهموم بالماطرون . وجيرون : حصن بدمشق أو دمشق نفسها . والثواء : الإقامة .

(٢) الشطر الأول عند المبرد : فبتلك ارتهنت بالشام حتى. وعند البـكرى والديوان: فبتلك اغتربت بالشام حتى ، وعند العينى والخطيب : فبتلك اغتربت بالشام حتى .

(٣) يبدو أن أبا الفرج لفق هذا البيت من اثنين ، فالرواية فى الديوان :

ثم فارقتهـا على خـير مـا كا ت قرينٌ مفـارقـا لقـرين
فبكـت خشـية التفرق للبيـ ن بكاء الحزين نحـو الحزين

ومثلها عند العينى والخطيب والبـكرى ، غير أن الأول قال: خير من كان، والثانى قال : قرين مقارنا لقرين ، والثالث قال : فبـكت . . إثر الحزين .

(٤) اليلنجوج : العود الذى يتبخر به . والديوان :

تجعل الند والألوة والمسـ ـك صـــلاء لهـا

(٥) البـكرى : ثم ماشيتها. الديوان : ثم دافعتها . . تمشى : وفى مرمر : أى على مرمر . ومسنون : مصبوب على استواء .

(٦) الديوان والمبرد والبكرى والعينى والخطيب : ضربتها. البكرى : قبل حد الشتاء. الديوان والعينى والخطيب : عند حد الشتاء . الديوان : فى القيطون والمراجل : ثياب يمنية . والقيطون : البيت فى جوف البيت .

(٧) الديوان : عن يسار . المبرد : فيمينى البكرى والعينى والخطيب : دخلت إلى الدار . فيمينى

ولقد قلتُ إذ تطاول سُقْمى وتَقَلّبتُ ليلتى فى فنون
ليت شِعْرى أمِنْ هَوًى طار نومى أم بَرانى ربِّى قصيرَ الجفون[1]

فشاع هذا الشعر حتى بلغ معاوية . فأمسك عنه حتى إذا كان فى يوم الجمعة دخل عليه الناس فيهم أبو دهبل . فقال معاوية لحاجبه : « إذا انصرف الناس فامنع أبا دهبل واردُدْه » . فجعل الناس يسلمون وينصرفون . فقام أبو دهبل لينصرف . فناداه معاوية : « أبا دهبل ، هلُمَّ إلىّ ! » فلما دنا إليه ، أجلسه حتى خلا . ثم قال له : « ما ظننتُ أن فى قريش أشعر منك حيث تقول :

ولقد قلت إذ تطاول سقمى وتقلبتُ ليلتى فى فنون
ليت شعرى ، أمن هوى طار نومى أم برانى ربى قصير الجفون

[غير أنك قلت][2] .

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغـ ـواص ميزت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبتها لم تجدها فى سناء من المكارم دون

والله ، إن فتاة أبوها معاوية ، وجدها أبو سفيان . وجدتها هند بنت عتبة ، لكما ذكرت . فأى شىء زدتَ فى قَدْرها . ولقد أسأت فى قولك :

ثم خاصرتها إلى القبة الخضـ ـراء تمشى فى مرمر مكنون

فقال : « والله ، يا أمير المؤمنين ، ما قلت هذا وإنما قيل على لسانى » . فقال له : « أما من جهتى فلا خوف عليك ، لأنى أعلم صيانة ابنتى ، وأعرف أن فتيان الشعر لم يتركوا أن يقولوا فى النسيب فى كل من جاز أن يقولوا فيه وكل من لم يَجُز . وإنما أكره لك جوار يزيد ، وأخاف عليك وَثَباته؛ فإن له سَوْرة الشبان وأَنَفة الملوك » .

(١) غ : والديوان : برانى البارى ، أى خلقنى الخالق .
(٢) زيادة عن غ .

وإنما أراد معاوية أن يهرب أبو دهبل ، فتنقضى المقالة عن ابنته . فَحذِر أبو دهبل وخرج إلى مكة هارباً على وجهه .

وكان يكاتب عاتكة . فبينا معاوية يوماً فى مجلسه ، إذ جاءه خَصِىّ له فقال : « يا أمير المؤمنين ، قد سقط اليوم إلى عاتكة كتاب . فلما قرأتْه بكت ثم أخذته فوضعته تحت مُصلّاها . وما زالت خاثرة النفس منذ اليوم » . فقال له : « اذهب فالطُف لهذا الكتاب حتى تأتينى به . فانطلق الخصى . فلم يزل حتى أصاب منها غرة . فأتى بالكتاب إلى معاوية . فإذا فيه :

أعاتِكُ ، هلّا إذ بخلتِ فلم تَرَى ... لذى صَبْوةٍ زُلْفَى لديكِ ولا حَقّا[(١)]
رددتِ فؤادا قد تولَّى به الهوى ... وسكّنْتِ عينا لا تَمَلُّ ولا تَرْقا ؟[(٢)]
ولكن خلعتِ القلب بالوعد والمُنَى ... ولم أرَ يوماً منك جُوداً ولا صدقا
أتنسَيْن أيامى بِرَبْعِك مُدْنَفــا ... صَريعا بأرض الشام ذا سَقَم مُلْـقَى ؟
وليس صديقٌ يُرتضَى لوصيــةٍ ... وأدعو لأُوتَى بالشراب فلا أُسْقَى[(٣)]
وأكبرُ هَمِّى أن أَرَى لك مُرْسَلا ... وطولَ نهارى جالساً أرقُب الطُّرْقا[(٤)]
فوا كبدى إذ ليس لى منك مجلسٌ ... فأشكو الذى بى من هواكِ وما أَلْقَى
رأيتُك تزدادين للصبِّ غِلْظَةً ... فيزداد قلبى كلَّ يوم لك عشقا[(٥)]

فلما قرأ معاوية ذلك بعث إلى يزيد بن معاوية . فأتاه فوجده مغتما مطرِقاً ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، ما هذا الأمر الذى شجاكَ ؟ » قال : « أمر أرْمَضَنى وأقلقنى منذ اليوم ، وما أدرى ما آتمر فى شأنه » . فقال : « ما هو ؟ » قال : « هذا الفاسق

(١) الشعر ليس فى الديوان، وألحقه بهمحققه ٣٥ . غ والديوان : فلا ترى الديوان: ولا رقى .
(٢) ترقأ : يجف دمعها .
(٣) غ : وأدعو لدائى بالشراب فلا أسقى . الديوان : وأدعو لدائى بالشراب فما أسقى .
(٤) غ : فطول . الديوان : فطول نهارى جالس .
(٥) غ والديوان : ويزداد قلبى كل يوم لكم عشقا .

أبو دهبل كتب بهذه الأبيات إلى أختك عاتكة ، فلم تزل باكية منذ اليوم ، وقد أفسدها ، فما ترى فيه ؟ » فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن الشأن فى أمره لهين » . قال : « وما هو ؟ » قال : « عبد من عبيدك يكمُن له فى أزقة مكة فيريحنا منه » . فقال معاوية : « أفٍّ لك ! والله ، إن امرأً يريد بك ما يريد ويسمو بك إلى مايسمو لَغيرُ ذى رأى ، وأنت قد ضاق ذَرْعُك بكلمة وقَصُر فيها باعك حتى أردت أن تقتل فيها رجلا مسلماً من قريش . أوَما تعلم أنك إذا فعلتَ ذلك صدقت قوله فينا وجعلتَنا أحدوثةأبدا؟ » قال «ياأمير المؤمنين إنه قال قصيدة أخرى تَناشدَها أهل مكة حتى بلغتْنى فأوجعتْنى وحملتنى على ماأشرتُ به فيه» . قال : «وماهى ؟ » قال : « قال :

أَلَا لا تَقُلْ : مهلا . فقد ذهب المَهْلُ ... وما كلُّ من يَلْحَى مُحِبًّا له عَقْلُ[1]
لقد كان فى حَوْلَيْن حالَا ولم أزر ... هواى وإنْ خُوِّفْتُ عن حبها شُغْل
حمى الملك الجبـــار عنى لقاءها ... فمن دونها تُخشَى المَتالفُ والقتل
فلا خيرَ فى حُبٍّ يُخـــافُ وَبالُه ... ولا فى حبيبٍ لا يكون له وصل
فوا كبدا إنى شُهِرْتُ بحبهــــا ... ولم يك فيهمـــا بيننا ساعةً بَذْل[2]
ويا عجبًا إنى أُكاتم حُبَّهـــا ... وقد شاع حتى قُطِّعت دونَها السُّبْل[3]

فقال معاوية : « والله . لقد رَفَّهت عنى . فما كنتُ آمَن أن يكون قد وصل إليها . أما الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل ولا بَذْل[4] ، فالخَطب يسير . قم عنى » . فقام يزيد وانصرف .

وحج معاوية فى تلك السنة . فلما انقضت أيام الحج ، كتب أسماء وجوه قريش

---

(١) الشعر ليس فى الديوان ، وألحقه به محققه ٣٥ . يلحى : يلوم .

(٢) غ : فوا كبدى .

(٣) الديوان : إنى لكاتم .

(٤) كذا على من أن القصيدة القافية السابقة تذكر أنه لم ير منها يوما جودا ولا صدقا .

وأشرافهم وشعرائهم ، وكتب فيهم اسم أبى دهبل . ثم دعاهم ففرّق فى جميعهم صِلات سنيّة وأجازهم جوائز كثيرة . فلما قبض أبو دهبل جائزته وقام لينصرف ، دعا به معاوية وقال له : « يا أبا دهبل ، ما بالى رأيت أبا خالد يزيد ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً فى قَوارصَ[1] تأتيه عنك وشعرٍ قد نطقت به وأنفذْتَه إلى حَصاننا[2] وموالينا . فلا تعرض لأبى خالد » . فجعل يعتذر ويحلف أنه مكذوب عليه . فقال له معاوية : « لا بأس عليك، ومايضرّ هذاعندنا : هل تأهّلتَ؟» قال: لا. قال: «فأى بنات عمك أحب إليك ؟ » قال : « فلانة » . قال : « قد زوّجكها أمير المؤمنين ، وأصْدَقها عنك ألفى دينار ، وأمرت لك بألف دينار » . فلما قبضها قال : « إنْ رأى أمير المؤمنين أن يعفو لى عما مضى . فإن نطقتُ ببيتٍ فى معنى ما بلغه عنى فقد أبحتُ دمى ، وفلانة التى زوجْتَنيها طالقٌ البتّةَ » . فسُرّ معاوية بذلك ، وضمِن له رضا يزيد عنه ، ووعده بإدْرار ما وصله به فى كل سنة . وانصرف إلى دمشق . ولم يحج معاوية فى تلك السنة إلا من أجل أبى دهبل .

خرج أبو دهبل غازيا ، وكان جميلا . فلما كان بجَيْرون ، جاءته امرأة فأعطته كتاباً وقالت : « اقرأ هذا الكتاب » . فقرأه . ثم دخلت قصراً ثم خرجتْ إليه فقالت له : « لو بلغتَ القصر فقرأتَ الكتاب على امرأة كان لك فيه أجر ، فإنه من غائب لهـا يَعْنيها أمرُه » . فبلغ معها القصر . فلما دخل ، إذا فيه جوارٍ كثيرة . فأغلقْن القصر عليه . وإذا امرأة وَضيئة فدَعَتْه إلى نفسها ، فأبى . فأمرت به فحُبِس فى بيت فى القصر . وأُطعم وسُقِى قليلا قليلا حتى ضعف وكاد يموت . ثم دعته فقال : « أما حراماً فلا يكون ذلك أبداً ، ولكن أتزوجك » . قالت : « نعم » . فتزوجها . فأمرت به فأُحسن إليه حتى رجعت نفسُه إليه . فأقام معها زماناً طويلا لا تدَعُه يخرج

(١) القوارس : الكلمات المؤلمة .

(٢) الحصان : العفيفة . وفى غ : خصائنا .

حتى أُيِس أهله منه وولده . وتزوج بنوه واقتسموا ماله ، وأقامت زوجته تبكى عليه حتى عَمِشت ، ولم تقاسمهم فى ماله . ثم قال لامرأته هذه الجيرونية يوماً : « قد أثمت فى أهلى وولدى ، فأْذَنى لى أُطالعهم وأعود إليك » . فأخذتْ عليه أيمانا ألا يقيم إلا سنة حتى يعود إليها . فخرج من عندها يقطع البلاد حتى قدم على أهله . فرأى حال زوجته وما صار إليه ولده . وجاء ولده فقال : « لا والله ، ما بينى وبينكم عمل ، أنتم قد ورثتمونى وأنا حىّ ، والله ، لا يَشْرَكُ زوجتى فيما قدِمت به أحد » . وقال لها : « شأنَك به ، فهو كله لك » وقال فيها[1] :

صاحِ حَيَّــا الإلهُ أهلا ودُورا عنــد أصلِ القَناة من جَيْرون[2]

وهى قصيدة أكثرها هى الأبيات النونية المقدَّم ذكرُها :

* وإذا ما نسبتَها لم تجدها *

فلما حل الأجل ، أراد الخروج إليها ، فجاءه موتُها ، فأقام .

ولأبى دهبل فى عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد ، وقد عزله ابن الزبير عن بعض أعمال اليمن[3] :

فمن يكُ شانَ العَزْلُ أو هَدَّ رُكْنَه لأعدائه يوماً ، فما شانَك العَزْلُ[4]

وما أصبحتْ من نعمةٍ مُستفادَةٍ ولا رَحِمٍ إلا عليهـــا لك الفضــل

قدم سليمان بن عبد الملك مكة فى حر شديد ، فكان يُنقَل سريره بفناء الكعبة . وأعطى الناسَ المطايا . فلما بلغ بنى جُمَح نودى بأبى دهبل . فقال سليمان : « من ؟ أبو دهبل الشاعر ؟ علىَّ به » . فأُتى به ، فقال له سليمان : « أنتَ أبو دهبل الشاعر ؟ »

---

(١) يريد فى الشامية لا الحجازية .

(٢) المبرد : أهلا ودارا . والبكرى والعينى والخطيب : حيا ودورا .

(٣) ديوانه ١٦ .

(٤) الديوان : فمن كان شان .

قال: « نعم » . قال: « فأنت القائل[١] :

فتنةٌ يُشعِلُها وُرّادُها حطبَ النار فدَعْها تشتعلْ
فإذا ما كان أمْنٌ فأتِهم وإذا ما كان خوف فاعتزل

قال: « نعم » . قال: وأنت القائل[٢] :

يدعون مروانَ كَيْما يَستجيبَ لهم وعند مروان خارَ القومُ أو رَقَدوا
قد كان فى قوم موسى قَبْلَهم جسدٌ عِجْلٌ إذا خار فيهم خَوْرةً سجدوا

قال: «نعم» . قال: « فأنت القائل هذا ثم تطلب ماعندنا ؟ لا والله ولا كرامة » فقال: « يا أمير المؤمنين ، إن قوما فُتِنوا فكافحوكم بأسيافهم وأجْلبوا عليكم بخَيْلهم ورَجْلهم ، ثم أداكم الله عز وجل منهم فعفوتم عنهم . وإنما فُتنت فقلت بلسانى ، فلم لايُعفَى عنى؟ » فقال سليمان: « قد عفونا عنك » . وأقطعه قَطيعة بجازان[٣] اليمن. فقيل لسليمان: « كيف أقطعته هذه القَطيعة ؟ » قال: « أردت أن أميتَه وأميت ذكره بها »

وقال أبو دهبل فى قتل الحسين بن علىّ عليهما السلام[٤] :

تَبيتُ سُكارى من أُميَّةَ نُوَّما وبالطَّفِّ قتلى ما ينامُ حَميمُها[٥]
وما أفسد الإسلامَ إلا عصابةٌ تأمَّر نَوكاها ودام نَعيمها[٦]
فصارت قناةُ الدِّين فى كفِّ ظالمٍ إذا اعْوَجَّ منها جانبٌ لا يُقيمها[٧]

(١) ليست فى الديوان وألحقها به محققه ٣٦ .

(٢) .

(٣) جازان : موضع فى طريق حجاج صنعاء .

(٤) المرتضى : الأمالى ١ : ١١٨ . ياقوت : معجم البلدان ٣ : ٥٤٠ . وليست فى ديوانه وألحقها به محققه ٣٧ .

(٥) المرتضى : تبيت النشاوى . والطف : من ضواحى الكوفة فى طريق البرية .

(٦) المرتضى : وما ضيع الإسلام . والنواكى : الحمقى . ياقوت : تؤمر نوكاها فدام .

(٧) المرتضى : وصارت . . إذا مال منها .

ولأبي دهبل[1] :

عفا الله عن ليلى الغَداةَ فإنها ... إذا وَليَتْ حُكْما علىّ تجورُ[2]
أأتْرُكُ سلمى ليس بيني وبينها ... سوى ليلةٍ ، إني إذن لَصبور[3]
هَبُوني امرأً منكم أضلَّ بَعيرَه ... له ذمّةٌ إنّ الذِّمامَ كثير[4]
ولَلصَّاحبُ المتروكُ أفضلُ ذمةً ... على صاحبٍ من أنْ يَضِلَّ بعير[5]

لما مات ابن الأزرق[6] ، رثاه أبو دهبل . فدُفن بعُلَيْب . ولما احتُضر أبو دهبل أوصى أن يدفن عنده بعُلَيْب[7] . وفي ابن الأزرق يقول أبو دهبل[8] :

لقد غال هذا اللحدُ من بطن عُلَيْبٍ ... فتًى كان من أهلِ النَّدى والتَّكرُّمِ
فتى كان فيما ناب يوما هو الفتى ... ونِعْمَ الفتى للطارقِ المتيمِّمِ[9]
أالحقَّ أني لا أراكَ على مِنًى ... إذا صَدَرَ الحجاجُ عن كل موسِمِ[10]
سقَى الله أرضا أنت ساكِنُ قبرِها ... سِجالَ الغَوادِي من أجَشَّ مُزَمْزِمِ[11]

---

(١) ديوانه ٢٩ . المرتضى : الأمالي ١:١١٨ وديوان مجنون ليلى ١٣٩ ، إذ تنسب الأبيات له .

(٢) الديوان : إذا حكمت حكما .

(٣) في سائر المصادر : أأترك ليلى .

(٤) في سائر المصادر : إن الذمام كبير .

(٥) ديوان أبي دهبل والمرتضى وديوان مجنون ليلى : أعظم حرمة .

(٦) هو عبد الله بن عبد الرحمن المذكور قبلا .

(٧) عليب : قرية بين مكة وتبالة .

(٨) ديوانه ١٩ .

(٩) الديوان : ونعم محل الطارق المتيمم .

(١٠) الديوان : إذا نزل الحجاج في كل موسم .

(١١) الغوادي : جمع غادية ، وهي السحابة تنشأ أو تمطر في البكرة . والأجش : السحاب ذو الرعد الداوي . والمزمزم ذو الرعد المدوي المتتابع . وفي غ : من سحيل ومبرم . الديوان : أنت ساكن بطنها .. من سحيل مزمزم .

ومن شعر أبى دهبل فى عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد[١] :

عَقِم النساء فلم يَلِدْنَ شَبيهَه   إن النساء بِمِثْلِه عُقْمُ[٢]

متهلل بنعم بِلَا مُتباعِدٌ   سِيّان منـه الوَفْر والعُـدْم[٣]

نَزْرُ الـكلام من الحياء تَخَالُه   ضَمِنا وليس بجسمه سُقْمُ[٤]

وقع لأبى دهبل ميراث بمصر . فخرج يريده ثم رجع من الطريق ، فقال[٥] :

إسْلَمِى أمَّ دهبلٍ بعـد هَجْرِ   وتَقَضٍّ من الزمان وعُمْرِ[٦]

واذكُرِى كَرِّىَ المَطِىَّ إليـكمُ   بعد ما قد توجّهتْ نحوَ مِصْر

لا تخالى أنى نسيتك لمـا   حال بِيشٌ ومن به خلفَ ظهرى[٧]

إنْ تـكونى أنت المُقَدَّم قَبْلى   وأُطَعْ يَثْوِ عند قبرِك قبرى

قال إبراهيم بن أبى عبيد[٨] : فوقفت على قبره إلى جانب قبرها بمُلَيْب .

(١) الحصرى : زهر الآداب ١٨٠ . ديوانه ١٨

(٢) الحصرى والديوان : فما يلدن .

(٣) س : متهلل بنعم وغير متباعد ، تحريف . الديوان : متعود بنعم .

(٤) الضمن : المريض . الديوان : غض الـكلام .

(٥) ديوانه ١٣ .

(٦) الديوان : قبل هجر . . . الزمان وعصر .

(٧) بيش : من بلاد اليمن قرب دهلك . وقال ياقوت بعد هذا البيت : « وهذا الشعر يدل على أن بيشا موضع بين مكة ومصر أو تـكون صاحبته المذكورة كانت باليمن . . » .

(٨) غ والديوان : إبراهيم بن أبى عبد الله .

وَرْقاء بن زُهَيْر*

هو ورقاء بن زهير بن جَذِيمة بن رَواحة بن رَبيعة بن مازِن بن الحارث بن قُطَيعة ابن عَبْس ابن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان .

كان رياح بن الأَسَلّ(١) أحد بنى رباع قد قتل شَأْس بن زهير بن جذيمة ، وذلك أن شأسا أقبل من عند النعمان بن المنذر(٢) ، وقد أعطاه وحَباه قطيفة حمراء ذات هُدْب وطيبا . فورد ماء(٣) وعليه خِباء فى الظهيرة لرياح . فقعد يُهَرِيق الماء ، وامرأة رياح قريبة منه ، فإذا مثل الثور الأبيض . فناداه رياح : « استتِر » . فلم يحفل به . فقال رياح لامرأته : « أَنْطِينى(٤) قوسى » . فمدت إليه قوسه وسهما ، ونزعت المرأة نَصْله لئلا يقتله . فأهوى عجلان إليه فوضع السهم فى مُسْتَدَقِّ الصُّلْب بين فَقارتين ففصلهما . وخر ساقطا : فحفر له حفَرا وهدمه عليه . ونحر جمله فأكله . وأَوْلج متاعه بيته .

ولما فُقِد شأس ، قُصّ أثره ونُشِد ، وركبوا إلى الملك فسألوه عن حاله . فقال : « سَرَّحْته بعد أن حَبَوته » . فقالوا : « وما حبوته ؟ » قال : « مِسْك وكُسًى وقُطُف » . فقصوا أثره فلم يتضح لهم سبيله . فمكثوا كذلك ماشاء الله لا أدرى كم . حتى رأوا امرأة رياح باعت بعكاظ قطيفة حمراء . وتيقّنوا أن رياحا ثأرُهم . وأتى

---

* أخباره فى ب ١٠ : ٨ ، س ١٠ : ٨ ، د ١١ : ٧٥ ، ى ١١ : ٧٠ ، ت ١ : ١٢٥٥

(١) وكذا فى كامل ابن الأثير ١ : ٤١١ ، ومعجم ماااستعجم ١٢٧١ ، وفى غ : رياح بن الأسك . وفى العقد الفريد ٥ : ١٣٣ : رياح بن الأسل .

(٢) كامل ابن الأثير ١ : ٤١١ : النعمان بن امرئ القيس جد النعمان بن المنذر .

(٣) غ وبقية المصادر : منعجا .

(٤) أنطينى : أعطينى .

زهير غَنِيًّا ، فقالوا : « نعم ، قتله رياح بن الأشل ، ونحن بُرآء ، وقد لحق بخاله من بنى الطَّمّاح من بنى أسد بن خُزيمة » . فكان يكون الليل عنده ، ويظهر إلى أبان[1] إذا أحسّ الصبح برمى الأَرْوَى[2] ، إلى أن أصبح ذات يوم وهو عنده ، وعَبْسٌ تُرِيغه[3] . فركب خاله جملا وجعله على كِفْل[4] وراءه . فبينا هو كذلك ، إذ دَنَتْ خيل عبس . وكان بنو عبس غَزَوا غَنيا قبل أن يطلبوا قَوَدا أو دية ، مع أخى شأس الحُصَين بن زهير بن جذيمة . فقالوا : « هذه خيل عبس تطلبك » . قال : فطَمَرَ[5] فى قاع شجر فحفر فى أصل سُوقه . ولقيت الخيل خاله فقالوا : « هل كان معك أحد ؟ » قال : « لا » . فقالوا : « ما هذا المركب وراءك ؟ لتُخْبِرنّا أو لَنقتلنَّك » . قال : « لا كَذِب . هو رياح فى ذلك القاع » . فلما دَنَوا ، قال الحُصَينان : « يا بنى عبس ، دَعُونا وثأرنا » . فخنَسوا عنهما[6] . وأخذ رياح نَعْلين من سِبْت[7] فصيّرهما على صدره حِيالَ كبده . ونادى : « هذا غزالكما الذى تبغيان » . فحمل عليه أحدهما وطعنه . فأزالت النعلُ الرمحَ حيث شاكِلَته[8] فشكّه . ورماه رياح مُولّيا فجَذَم[9] صُلْبه . ثم جاء الآخر فطعنه فلم يُغْنِ شيئا . ورماه [رياح] موليا فصرعه . فقالت عبس : « أين تذهبون إلى هذا ؟ ليَقتلنّ منكم

---

(١) أبان : جبل .

(٢) الأروى : جمع الأروية ، وهى أنثى الوعل .

(٣) تريغه : تطلبه .

(٤) الكفل : شىء مستدير يتخذ من الخرق ونحوها ويوضع على سنام البعير .

(٥) طمر : وثب إلى أسفل واختفى .

(٦) خنس : تأخر وتنحى .

(٧) السبت : الجلد المدبوغ .

(٨) الشاكلة : الخاصرة .

(٩) جذم : قطع .

عدد قوائمه[١] ، وقد جرحاه وسيموت » . قال : وأخذ رياح رمحيهما وسَلَبهما . وخرج حتى سَنَدَ[٢] فى أبان . فأتته عجوز ، وهو يَسْتَدْمِى على الحوض . فقالت : استأسِرْ بخير »[٣] . فقال : « حتى أشرب » . فأبت . فلما غلبته ، أخذ مِشْقَصا[٤] فجذم به كُرْسوعَى[٥] يديها فماتت . وعَبَّ فى الماء فشرب ثم توجه إلى قومه .

وقال زهير يرثى شأسا :

بكيتُ لشأسٍ حين خُبِّرتُ أنـه ... بمـاء غَـنِىٍّ آخرَ الليلِ يُسْلَبُ
لقـد كان مَأْتاه الرِّداءَ لَحتْفِه ... وما كان لولا غِرَّةُ الليلِ يُغلَب
قتيلُ غَـنِىٍّ ليس شَـكْلٌ كشكله ... كذاكَ لَعَمْرِى الحَيْنُ للمرء يُجْلَب
سأبكى عليـه ما بقيتُ بِعَـبْرةٍ ... وحُقَّ لشأسٍ عبرةٌ حين تُسْكَب[٦]
وحزنٍ عليـه ما حييتُ وعَوْلةٍ ... على مثل ضوء البدرِ أو هو أعْجَبُ
إذا سِيمَ ضَيْما كان للضيم مُنكِرا ... وكان لدى الهَيْجاء يُخشَى ويُرهَب[٧]

وكان زهير يقول حين قتل شأس : « شأس ، ما شأس ؟ والبأس ، ماالبأس ؟ لولا مقتل شأس ، لم يكن بيننا بأس »[٨] .

وقال رياح فيها وفى الحُصَيْنين :

قالت لىَ : استأسِرْ ، لتَكْتِفَنى ... حِينـا ويعـلو قولُهـا قولى

---

(١) وكذا فى ت . وفى غ : مراميه .
(٢) سند : صعد .
(٣) غ : استأسر تحى .
(٤) المشقص : نصل عريض .
(٥) الكرسوع : طرف الزند الذى يلى الخنصر الناتىء عند الرسغ .
(٦) غ : سأبكى عليه إن بكيت بعبرة .
(٧) سيم الضيم : كلفه .
(٨) س : الناس ، فى كل مكان هنا وردت فيه كلمة البأس ، والتصحيح عن غ .

ولأنت أجْرَأُ من أسـامةَ أو منى غداةَ وقفتُ للخيـل[1]
إذِ الُحصَيْنُ لدى الحصينِ كما عَدَل الرِّجازةُ جانبَ المَيْل

الرجازة : شيء يكون مع المرأة فى هودجها ، فإذا مال أحد الجانبين وضعته فى الجانب الآخر ليعتدل .

وانصرف زهير ، وكان لا يظفر بغنوى إلا قتله . والحصينان : حصين بن زهير ، خو شأس ؛ والحصين بن أُسيد بن جَذيمة ، ابن أخى زهير .

وضرب الدهر ضربه . فالتقى خالد بن جعفر بن كِلاب وزهير بن جذيمة العبسى بعكاظ ، فقال خالد لزهير : « أمَا آنَ لك أن تشتفى وتَـكُفّ » . يعنى عن قتله بشأس . فاغلَظ له زهير وحَقَّره وسَبَّه ، فقال له خالد : « عسى » كأنه يتهدده . ثم قال : « اللهم ، مَكِّن يدى هذه الشَّقْراء[2] القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعِنِّى عليه » . فقال زهير . « اللهم . مكن يدى هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خَلِّ بيننا » . فقالت قريش : « هلكتَ ـ والله ـ يا زهير » . فقال : « إنكم ـ والله ـ الذين لا عِلْمَ لهم » .

وكان زهير إذا كان أيامُ عكاظ ، يأتيها ، ويأتى الناس من كل جانب . فتأتيه هوازن بالإتاوة التى كانت له فى أعناقهم ، فيأتونه بالسمن والأَقِط والغنم ، فأتته عجوز رَهِيش[3] من بنى نَصْر بن معاوية بن بكر بن هوازن بسمن فى نِحْى . واعتذرت إليه وشكَت السنين اللواتى تتابعن على الناس . فذاقه فلم يرض طعمه ، فدفعها بقوس فى يده عُطُل[4] فى صدرها . فاستلقت لحلاوة القفا[5] ، فبدت عورتها

(١) غ مرة : ولأنت أشجع . وأسامة : اسم علم للأسد .
(٢) غ : الشقراء . والشعراء : كثيرة الشعر .
(٣) رهيش : ضعيفة أو مهزولة . وفى س : من رهيش ، تحريف .
(٤) عطل : لا وتر عليها .
(٥) حلاوة القفا : وسطه .

فغضبت من ذلك هوازن ، وحقدت عليه إلى ما كان فى صدرها من الغيظ والدَّمَن [١] ، وأَوْحَرِها [٢] من الحسد . وقد آمَرت [٣] عامر بن صعصعة يومئذ فآلَى [٤] خالد ابن جعفر ، فقال : « والله لأجعلن ذراعي وراء عنقه حتى أقتل أو يقتل » . وفى ذلك يقول خالد بن جعفر [٥] :

أَديرونى إدارتَكم فإنى ... وحَذْفَةَ كالشَّجا تحت الوريدِ [٦]
مُقَرَّبَةٌ أُسوِّيها بجَزْءٍ ... وأُلْحِفُها ردائى فى الجَليدِ [٧]
وأُوصِى الرّاعِيَيْن لِيُؤْثِراها ... لها لبنُ الخَليَّةِ والصَّعود [٨]
تَراها فى الغَزاة وهن شُعْثٌ ... كقُلْب العاج فى الرُّسْغ الجديد [٩]
يَبيت رِباطُها بالليلِ كَفِّى ... على عُود الحشيش وغير عود
لعل الله يُمْكِننى عليها ... جِهارا من زهيرٍ أو أَسيد [١٠]
فإمّا تَثْقَفونى فاقتلونى ... فمَنْ أَثْقَفْ فليس إلى خلود [١١]

---

(١) الدمن : الأحقاد .

(٢) أوحرها : من الوحر ، وهو الحقد .

(٣) آمرت : تشاورت .

(٤) آلى : أقسم .

(٥) المرتضى : الأمالى ١ : ٢١٢ . الخطيب : خزانة الأدب ٤ : ٣٧٧ وسقط الشعر من ص .

(٦) المرتضى والخطيب : أريغونى إراغتكم فإنى . وحذفة : فرسه .

(٧) ب ، س : أسويها بجز . المرتضى والخطيب : أواسيها بنفسى . وجزء : ابنه . وألحفها ردائى : أجعله ملحفة لها .

(٨) الخلية : الناقة تنتج وهى غزيرة ، فيجر ولدها من تحتها فيجعل تحت أخرى وتخلى هى للحلب والصعود : الناقة التى تسقط ولدها لغير تمام فتعطف على ولد عام أول أو ولد غيرها فتدر عليه .

(٩) القلب : السوار .

(١٠) الخطيب : لعل الله يقدرنى .

(١١) تثقفونى : تصادفونى .

وقيسٌ في المعارك غادرتْه قَنانَى في فوارس كالأسود[1]
ويَرْبوع بن غَيْظٍ يومَ ساقٍ تركناهم لجارية وَئيد[2]
تركتُ بها نساء بنى عُصَيم أراملَ ما نحنُّ إلى وَليد[3]
يَلُذْن بحارثٍ جزَعاً عليه يقُلْن لحارثٍ لولا تَسود[4]
ومنى بالطُّوَيلِم قارعاتٌ تَبيد الُمخزِيات ولا تَبيد[5]
وحَكَّت بَرْكَها ببنى جحاشٍ وقد أجْرَوْا إليها من بعيد[6]
تركت ابنى جَذيمة فى مَكَرٍّ ونَصْرا قد تركت لها شُهودى[7]

ثم إن إخوة فاطمة بنت الشَّريد السُّلَمية ــ امرأة زهير ، وهى أم قيس بن زهير ــ جاءوا إلى بنى عامر ، فقالوا : « هل لكم فى زهير بن جَذيمة يَنْتِج إبله ليس معه غير أخيه أُسيد بن جذيمة وعبدٍ راعٍ لإبله ؟ وجئتكم من عنده . وهذا لبن حلبوه لى » فذاقوه فإذا هو ليس بحازر[8] ، فعلموا أنه قريب . وكان زهير قد أساء إلى إخوة

---

(١) غ مرة : وقيس ابن المعارك غادرته .
(٢) غ : وبيد . غ مرة : وحى بنى سبيع يوم ساق . ووئيد : مدفونة حية .
(٣) غ مرة :
تركت نساء يربوع بن غيظ رامل يشتكين إلى وليد
(٤) غ مرة :
يقلن لحارث جزعا عليه لك الخيرات مالك لا تسود
وفيه والذى بعده إقواء .
(٥) غ مرة : ومنى سوف تأتى قارعات .
(٦) غ مرة :
وحلت بركها ببنى جحاش وقد مدوا إليها من بعيد
والبرك : جماعة الإبل الباركة ، والصدر .
(٧) غ مرة : تركت بنى جذيمة . . . لدى الشهود .
(٨) حاذر : حامض .

زوجته فى شيء فخرج خالد بن جعفر وحُنْدُج بن البَكّاء[1] ومعاوية بن عُبادة بن عُقَيل[2] فارس الهَرّار ، وهو الأَخْيَل جد ليلى الأخيلية ، وهو يومئذ غلام له ذؤابتان ، وثلاثةُ فوارس من بنى عامر ليس على أحد منهم درع غير خالد كانت عليه درع أعارَها له عمرو بن يربوع الغنوى . وكانت درع ابن الأَجْلح المرادى ، قتله وأخذها ، وكان يقال لها ذات الأزمة ، سُمِّيت بذلك لأنها كانت لها عُرًا تُعلَّق فُضولها بها إذا أراد أن يُشمِّرها .

فطلعوا على زهير . فقال أسيد بن جذيمة ، وكان شيخاً كبيراً كثير الشعر فى الوجه والجسد : « أُتيت ، ورب الكعبة » . فقال زهير « كُلُّ أَزَبَّ نَفورٌ[3] » فذهبت مثلا . فلم يشعر بهم زهير إلا فى سواد الليل . فركب فرسه القَعْساء ثم وجّهها . فلحقه أحدهم — إما حندج أو العُقَيلى — فطعن فخذ الفرس طعنة خفيفة فى نَساها[4] . ثم أراد أن يطعن الرِّجل الأخرى الصحيحة . فناداه خالد : « لا تفعل فيستويا . أَقْبِلْ على السقيمة » . قال : فطعنها وانخذلت الفرس . فأدركوه فرمى بنفسه . وعانقه خالد فقال : « اقتُلونى وُمجدِّعا » . فجاء حندج — وكان أعجم اللسان — فقال لخالد وهو فوق زهير : « نَحِّ رأسك ، يا أبا جزء » . فنحى رأسه . وضرب حندج زهيرا ضربة على دَهَش . ثم ركبوا وتركوه . فقال خالد : « ويحك ، ياحندج ! ماصنعت ؟ » فقال : « ساعدى شديد ، والسيف حديد ، وضربته ضربة فقال السيف : قَبْ ،

---

(١) ابن الأثير ١ : ٤١٤ : جندح .

(٢) كذا فى د ، ى ، وخزانة الأدب ، والعقد ٥ : ١٣٦ ، وتاج العروس (هر) . وفى س ، ب ، س : عمرو بن عبادة بن عقيل .

(٣) الأزب : البعير الذى يكثر شعر حاجبيه ، ويكون نفورا لأن الريح تضربه فينفر . وهذا مثل يضرب فى عيب الجبان .

(٤) النسا : عرق من الورك إلى الكعب .

وخرجت عليه مثل ثمرة المرار ، فَلَطَعَتُه[١] فوجدته حلوا » يعنى دماغه . قال : « إن كنت صادقا فقد قتلتِه » . قال : ثم جاء قوم زهير فاحتملوه . ومنعوه الماء كراهة أن يبتل دماغه فيموت . فقال : « يا آل غطفان ، أأموت عطشاً ! » . فسُقى فمات بعد أيام .

فنى ذلك يقول ورقاء بن زهير ، وكان قد ضرب خالداً ضربة فلم يصنع شيئاً[٢] :

رأيتُ زهيراً تحت كَلْكَلِ خالدٍ فأقبلتُ أسْعَى كالعَجول أُبادر[٣]
فشَلَّتْ يمينى يومَ أضرِب خالدا ويمنعُه منى الحديدُ المُظاهَر[٤]
إلى بطلين يَنْهضان كلاهما يُريغانِ نَصْلَ السيفِ ، والسيفُ نادِر[٥]
وشلت يمينى يوم أضرب خالدا وشلّ بناناها وشَلّ الخناصِر
فيا ليتنى من قبلِ أيامِ خالدٍ ويوم زهيرٍ لم تلدنى تُماضر[٦]

هى تماضر بنت عمرو بن الشَّريد بن رياح بن يَقَظة بن عُصَيَّة بن خُفاف السُّلَمى . وهى زوجة زهير بن جذيمة وأم ولده .

---

(١) غ : فطعمته . ولطعته : لحسته .

(٢) المرتضى : الأمالى ١ : ٢١٣ . الحصرى : زهر الآداب ٦٠٩ . الخطيب : خزانة الأدب ٤ : ٣٧٨ . شرح النقائض ٣٨٤ . الطبرى ٢ : ١٣٣٩ ، كامل ابن الأثير ١ : ٢١٤ . العقد الفريد ٥ : ١٣٦ .

(٣) الحصرى : أبادره . والعجول : الواله التى فقدت ولدها .

(٤) المرتضى والخطيب : ويستره منى الطبرى : ويحصنه منى . غ ، ت :

فشلت يمينى إذا ضربت ابن جعفر وأحرزه منى الحديد المظاهر

والمظاهر : الملائم بعضه فوق بعض .

(٥) غ مرة والعقد الفريد : يريدان نصل السيف . المرتضى والخطيب : والسيف داثر . ويريغان : يريدان . ونادر : ساقط . والكامل : يعتركان ، كلاهما . يريد رياش السيف .

(٦) المرتضى والخطيب : فياليت أنى قبل ضربة خالد . العقد والكامل : فياليت أنى قبل أيام خالد . الكامل : وقبل زهير .

ويقال : إن أخاها الحارث بن عمرو مر بها . فقال زهير لبنيه : « إن هذا الحمار لَطليعةٌ عليكم ، فأَوْثقوه » . فقالت أخته تماضر لبنيها : « أيزوركم خالكم فتوثِقوه وتحرموه ! » فخَلَّوه . وقالت تماضر لأخيها الحارث : « إنه لَيَريبنى أمرك » . ثم حلبوا له وَطْبا وأخذوا منه يميناً لا يُنْذِر بهم ولا يخبر عليهم أحداً . فخرج يطير حتى أتى بنى عامر . فأتى شجرة فألقى الوطب تحتها ، والقوم ينظرون . وقال : « أيتها الشجرة الذابلة[1] ، اشربى من هذا اللبن وانظرى ما طعمه » . فقال أهل المجلس : « هذا رجلٌ مأخوذ عليه عهد ، وهو يُخبركم خبرا » . فأتوه فإذا هو الحارث بن عمرو . فذاقوا اللبن فإذا هو حلو لم يقرُص . فقالوا: « إنه ليخبرنا أن مَطْلبنا قريب » . وخرج معه الفوارس : خالد ورفقته . وجرى ما جرى .

وقيل : إنه كان لزهير رَبيئة[2] من الجن فحدّثه ببعض أمرهم حتى أصبح . وكانت له مِظلّة دَوحة يربط فيها أفراسه ولا تَريمه[3] حذراً من الحوادث فلما أصبحوا وإذا بالخيل . وكانت الوقعة .

وإلى هـذا أشار الفرزدق لما نبا السيف من يده بين يدى سليمان بن عبد الملك ، فقال[4] :

لَـئِنْ يك سيفٌ خان أو قدَرٌ أبى ... لتأخير نفسٍ حتفُها غيرُ شاهدِ[5]
فسيفُ بنى عبسٍ وقد ضربوا به ... نَبَا بيدَىْ ورقاءَ عن رأس خالد
كذاك سيوفُ الهندِ تَنْبو ظُباتُها ... وتقطع أحيانا مَنَـــاطَ القَلائد
ولو شئتُ قدَّ السيف ما بين عُنْقِه ... إلى عَلَقٍ تحت الشَّراسيفِ جامد

(١) غ : الذليلة .
(٢) الربيئة : الطليعة يستطلع له الأشياء ويخبره بها .
(٣) تريمه : تبرحه .
(٤) انظر ترجمة الفرزدق فى هذا الجزاء .
(٥) د ، ى ، ت : إن يك . ب ، س : فإن يك . ب ، س ، ت : قدر أتى .

وضرب الدهر ضربه إلى أن التقى خالد بن جعفر بن كلاب والحارث بن ظالم ، فقتله الحارث . وذلك أن خالدا كان أغار على رهط الحارث بن ظالم من بنى يربوع ابن غَيْظ بن مُرَّة وهم فى واد يقال له حُراض . فقتل الرجالَ ، والحارث يومئذ غلام. وقيل : إن ظالما جُرح فى تلك الموقعة ومات . وكانت نساء بنى ذبيان لا يحلُبْن النَّعَم. فلما بقين بغير رجال ، طفقن يدعون الحارث ، فيَشُدّ عصاب الناقة ويحلبها ، ويبكين رجالهن ، ويبكى الحارث معهن. فنشأ على بغض خالد . وأردف ذلك قتل خالد زهيرا، فاستحق العداوة فى غَطَفان . فقال خالد بن جعفر من أبيات :

تركت نساء يربوع بن غيظ أرامل يشتكين إلى وليدِ

وصار خالد رأس هوازن . فلما استحق عداوة عَبس وذبيان أتى النعمان ابن المنذر[1] صاحب الحيرة لينظر ما قَدْرُه عنده ، وأتاه بفرس . فألفى عنده الحارث ابن ظالم قد أهدى له فرسا . فجاء الحارث بن ظالم بفرسه فقال : « أَبَيْتَ اللَّعْن ! نَعِمَ صباحُك ، وأهلِى فِداؤك . هذا فرس من خيل بنى مُرَّة لم تُؤْتَ بفرس يشُقُّ غُبارَه ، إن لم تَنْسُبْه انْتَسَب . كنت ارتبطتُه لغزو بنى عامر بن صَعْصَعة . فلما أكرمتَ خالدا ، أهديتُه إليك » . وقام الربيع بن زياد العبسى فقال : « أبيت اللعن ! نعم صباحُك ، وأهلى فداؤك . هذا فرس من خيل بنى عامر ارتبطتُ أباه عشرين سنة. لم يُخْفِق فى غَزاة . وفضْلُه على هذين الفرسين كفضل بنى عبس[2] على غيرهم » . قال : فغضب النعمان عند ذلك وقال : « يا معشر قيس ، أرى خيلكم أشْباها . أين اللواتى كأنّ آذانها شِقاق[3] أعلام ، وكأن مَناخِرَها وِجار[4] الضِّباع ،

(١) العقد الفريد ٥ : ١٣٧ : الأسود بن المنذر .

(٢) غ : بنى عامر .

(٣) الشقاق : جمع شقة ، وهى السبيبة المستطيلة من الثياب .

(٤) الوجار . جحر الضبع

وكأن عيونها عيون بَغايا النساء ، رِقاق المُسْتَطْعَم ، تُمالِك اللُّجُم فى أَشْداقها ، تدور على مَذاوِدها كأنها تَقْضم حَصًى ؟ » فقال خالد : « يزعم الحارث بن ظالم أن تلك الخيل خيله وخيل آبائه » . فغضب النعمان على الحارث .

فلما أمسوا اجتمعوا عند قينة من أهل الحيرة يقال لها [بنت] عَفْزَر يشربون . فقال لها خالد : « تَغَنَّى :

دارٌ لهندٍ والرَّباب وفَرْتَنَى ولَميسَ قبل حوادثِ الأيامِ

وهن خالات الحارث بن ظالم . فغضب الحارث حتى امتلأ غضبا وقال : « ماتزال تُتبع أولى بأخرى » .

ثم دعاهم النعمان بن المنذر[1] وقدم لهم تمرا . فطفِق خالد بن جعفر يأكل ويلقى نوى ما يأكل بين يدى الحارث ابن ظالم . فلما فرغوا من الأكل . قال خالد بن جعفر : « أبيت اللعن ! انظر إلى ما بين يدى الحارث من النوى الذى أكله . ما ترك لنا تمرا إلا أكله » . فقال الحارث : « أما أنا فأكلت التمر وألقيتُ النوى ، وأما أنت ـ ياخالد ـ فأكلتَه بنواه » . فغضب خالد وكان لا يُنازَع . فقال : « أتُنازعنى ـ يا حارث ـ وقد قتلتُ حاضِرتك ، وتركتُك يتيما فى حجور النساء ! » فقال الحارث : « ذلك يومٌ لم أشهده وأنا مُغنٍ اليومَ بمكانى » . قال خالد ، « هلا تشكر لى وقد قتلتُ زهير ابن جذيمة وجعلتُك سيد غطفان » . فقال الحارث : « بلى ، سأشكرك على ذلك » .

فخرج الحارث بن ظالم إلى بنت عفزر يشرب عندها . ثم تغنى فقال :

تَعَلَّمْ أبيتَ اللعن أَنِّىَ قاتلٌ منَ اليوم أو مِنْ بعده لابن جعفرِ[2]
أخالدَ ، قد نَبَّهْتَنِى غيرَ نائمٍ فلا تأمَنَنْ فتكى يدَ الدهرِ واحْذَرِ

(١) ذكر ابن الأثير أن الأحداث كانت فى عهد النعمان بن امرئ القيس ومعه ، وذكر أيضا أن الملك الذى قتل الحارث ابنه هو الأسود بن المنذر .

(٢) غ : أنى فاتك . . . بابن جعفر .

أعيَّرْتَـنِي أنْ نلتَ مني فوارسا ... غداةَ حُراضٍ مثلَ جِنَّانِ عَبْقَرِ (١)
أصابهمُ الدهرُ الخثون بعَثْرةٍ ... ومَنْ لا يَقِ اللهُ الحوادثَ يَعْثُرِ (٢)
فمَالَك يوما أن تَبوءَ بضربةٍ ... بكفِّ فتًى من قومه غيرِ جَيْدَرِ (٣)
يُغِصُّ بها عُلْيا هوازنَ ، والمُنَى ... لقاءُ أبي جَزْءٍ بأبيضَ مِبْتَرِ (٤)

فبلغ خالدا قوله فلم يحفل به . فقال عبد الله بن جَعْدة . وكان رجلَ قيسٍ رأيا . وهو ابن أخت خالد لابنه: «يا بنى، ائت أبا جزء فأخبِرْه أن الحارث بن ظالم سفيه موتور فأَخْفِ مبيتَك الليلة فإنه غلبه الشراب . وإن أبَيْتَ فاجعل بينك وبينه رجلا يحرسك » . فوضعوا رجلا بإزائه . ونام ابن جعدة دون الرجل ، وخالد من خلف الرجل ، وعُرف أن ابن عتبة وابن جعفر يحرسان خالدا(٥) . فأقبل الحارث فانتهى إلى ابن جعدة فتمدّاه . ومضى إلى الرجل – وهو يحسبه خالدا – فمَجَنه بكَلْكَله حتى قتله وكَسَره ، وطفق يَكْدُمه(٦) لا يعقِل ، والرجل تحته . ومضى إلى خالد وهو نائم ، فضربه بالسيف حتى قتله . وقال لعروة : « أخبر الناس أنى قتلت خالدا » . وقال فى ذلك :

ألَا سائلِ النعمانَ إن كنتَ سائلا ... وحَيَّ كِلابٍ : هل فتكتُ بخالدِ ؟
عَشَوْتُ إليه وابنُ جَعْدةَ دونَه ... وعُروة يَكْلَا عَمَّه غيرَ راقدِ (٧)
وقد نصَبا رجلا فباشَرْتُ جَوْزَه ... بكلكلِ مَخْشِيِّ العداوةِ حاردِ (٨)

---

(١) غ : ت : نلت منا . والجنان : الجن .
(٢) ت : الدهر الختور . غ : الدهر الختور بختره .
(٣) غ : أن تنوء . وجيدر : قصير .
(٤) ب ، س : يعض بها .
(٥) كذا فى غ . وفى ص : وعوف بن عتبة بن جعفر يحرس خالدا ، تحريف .
(٦) الكدم : العض بحديدة ونحوها .
(٧) غ : عشوت عليه . ومعناها قصدته عشاء . ويكلأ : يحرس ، وخفف همزته .
(٨) كذا فى غ . وفى س : رجلا ما بين ابن جعدة ، تحريف . والجوز : الوسط . والحارد: المعتزل المتنحى الغاضب .

فأضربه بالسيف فى أُمِّ رأسه فصمم حتى نال نُوطَ القَلائد(١)
وأفلت عبدُ الله منى بذُعرِه وعروةُ من بعد ابن جعدةَ شاهِدى

فلما أبت غطفان أن تُجيره، غضبتْ لذلك بنو عبس. وبعث إليه قيس بن زهير ابن جذيمة العبسى بهذه الأبيات:

جزاكَ اللهُ خيراً من خليلٍ شفَى من ذى عداوته الخليلا(٢)
أزحتَ بها جوًى ودَخيلَ حُزنٍ تَمَخَّخ أعظُمِى زَمَناً طويلا(٣)
كسوتَ الجَمْفرىَّ أبا جُزَىْءٍ ولم تَحْفِل به سيفا صَقيلا
أَبَأْتَ به زهير بنى بَغيضٍ وكنتَ لمثلها ولها حَمولا(٤)
كشفتَ بها القناعَ وكنت ممن يُجلِّى العار والأمرَ الجليلا(٥)

فأجابه الحارث بن ظالم:

أتانى عن قُيَيْسٍ بنى زهير مقالةَ كاذبٍ ذكر التُّبولا(٦)
فلو كنتم كما قلتم لكنتم لقاتلِ ثأْرِكم حِرْزا أصيلا
ولكن قلتمُ: جاوِرْ سِوانا فقد جَلَّلْتَنا حَدَثا جليلا
ولو كانوا همُ قتلوا أخاكم لَمَا طردوا الذى قَتل القتيلا

فلما نفته(٧) غَطَفان لحق بحاجب بن زرارة. فأجاره ووعده أن يمنعه من بنى عامر.

---

(١) غ، ت: فأضرب بالسيف يافوخ رأسه. وفى ص: نيط القلائد. والنوط: المعلق. وصمم: مضى.
(٢) غ: ذى تبولته.
(٣) تمخخ أعظمى: بلغ مخ عظامى.
(٤) أبأت القاتل بالقتيل: قتلته به.
(٥) غ: كشفت له.
(٦) التبول: جمع تبل، وهو الثأر.
(٧) غ: منعته.

وبلغ بنى عامر مكانُه فى بنى تميم ، فساروا فى عُلْيا هوازن . فلما كانوا قريبا من القوم فى أول وادٍ من أوديتهم ، خرج رجل من غَـنِىّ فإذا هو بامرأة من بنى تميم من بنى حَنْظلة تجنى الـكَمْأة . فسألها عن الخبر . فأخبرتْه بمـكان الحارث بن ظالم عند حاجب بن زرارة وما وعده من نُصْرته ومَنْعه . فانطلق بهـا الغنوى إلى رَحْله . فانسَلَّتْ فى وسط الليل. فأتى الغنوى الأحوص بن جعفر ، فأخبره أن المرأة قد ذهبت وقال : « هى مُنْذِرة عليك » . فقال له الأحوص : « ومتى عَهْدُك بهـا ؟ » قال : « عهدى والمَـنِىُّ يقطُر من فرجها » . قال : « وأبيك ، إن عهدك بها لقريب » . واتبع المرأة عامر بن مالك يَقْفو أثرها حتى انتهى إلى بنى زُرارة ، والمرأة عند حاجب وهو يستخبِرها ، وهى لا تستطيـع أن تنطق . فقال بعضهم : « اسْقوها ماء حارا فإن قلبها قد برد من الفَرَق(١) » . ففعلوا . وتركوها حتى اطمأنت ، وهو يقول : « أخبرينى من أخذك ؟ » فقالت : « أخذنى قوم يُقبلون بوجوه الظِّباء ويُدبرون بأعْجاز النساء » . قال : « أولئك بنو عامر . فحدِّثينى ما سِيما القوم(٢) ؟ » قالت : « رأيتهم يَغْدُون على شيخ كبير لا ينظر بمَأْقَيْه(٣) حتى يرفعوا من حاجبيه ، عن أمره يَصْدُرون » . قال : « ذلك الأحْوَص بن جعفر » . قالت : « ورأيت شابا شديدا الخَلْق كأن شعرساعده حَلَق الدرع ، يَعْذِم(٤) القوم بلسانه عَذْمَ الفرس العَضوض » . قال : « ذاك عُتْبة بن بَشير بن خالد » . قالت : « ورأيت رجلا قليـل المَنْطِـق ، إذا تكلّم اجتمع القوم لمنطقه كما تجتمع الإبل لفَحْلِها ، وهو من أحسن الناس وجها . ومعه ابنان له لا يُدْبر أبدا(٥) إلا كانا معه يَتْبعانه ولا يُقبل إلا كانا بين يديه » .

---

(١) الفرق : الخوف .

(٢) غ ، ت : فحدثينى من فى القوم .

(٣) مأق العين : طرفها ، مؤخرها أو مقدمها .

(٤) العذم : العض ، ويريد اللوم والتعنيف .

(٥) كذا فى غ . وفى ص : لا يدبر أمرا ، والسياق يأباه .

قال : « ذلك مالك بن جعفر وابناه عامر وطُفَيل » . قالت : « ورأيت رجلا أبيض هِلقّامة جَسيما » . والهلقامة : الأَفْوَه[1] . قال : « ذلك رَبيعة بن عبد الله بن عبد ابن كلاب[2]. قالت: « ورأيت رجلا أَخْنَس[3] أسود قصيرا ، إذا تكلم عَذم القوم عَذْم الشَّموس[4] » . والعذم : العض على اللسان . قال : « ذلك رَبيعة بن قُرْط ابن عبد الله[5] بن أبى بكر بن كلاب » . قالت : « ورأيت رجلا صغير العينين ، أَقْرَن الحاجبين ، أَشْعَر السَّبَلة[6] ، يَسيل لُعابه على لحيته إذا تكلم » . قال : « ذلك حُنْدج بن البَكّار » . قالت : « ورأيت رجلا صغير العينين ، ضيّق الجبهة ، طويلا ، يقود فرسا له ، معه جَفْر[7] لا يجاوز يده » . قال : « ذلك ربيعة بن عُقَيل » . قالت : « ورأيت رجلا آدَم[8] يَشْرَئب القوم إليه ، معه ابنان له حسنا الوجه أصْهبان[9] ، إذا أقبلا نظر القوم إليهما حتى ينتهيا ، وإذا أدبرا نظر القوم لهما » . قال: «ذلك عمرو بن خُوَيْلد بن نُفَيل بن عمرو بن كلاب[10] ، وابناه يَزيد وزُرْعة ». قالت : « ورأيت فيهم رجلين أحمرين جسيمين ذوى غدائر لا يفترقان فى ممشى ولا مجلس » . قال : « هما خالد وخويلد ابنا نُفَيل » . قالت : « ورأيت رجلا كأن

---

(١) الأفوه : العظيم الفم .

(٢) غ وكامل ابن الأثير ١ : ٤١٦ . ربيعة بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب .

(٣) الأخنس : المتأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة .

(٤) غ : المنخوس .

(٥) غ : عبد .

(٦) السبلة : ما على الشارب من الشعر ، أو طرفه ، أو مجتمع الشاربين ، أوما على الذقن إلى طرف اللحية كلها أو مقدمها خاصة .

(٧) غ والكامل : جفير .

(٨) آدم : أسمر .

(٩) الصهبة : حمرة أو شقرة فى الشعر .

(١٠) الكامل ١ : ٤١٧ : ذلك الصعق بن عمرو بن خويلد . .

شعر بخذيه حَلَق الدرع » . قال : « ذلك شُرَيح بن الأحوص » . قالت : « ورأيت رجلا أسمر طويلا يجول فى القوم كأنه غريب » . قال : « ذلك عبد الله بن جَعْدَة ابن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صعصعة » .

فدعا حاجب الحارثَ بن ظالم . فأخبره بخَبَر القوم وقال : « يا ابن ظالم ، هؤلاء بنو عامر قد أتوْك ، فما أنت صانع ؟ » قال الحارث : « ذلك إليك : إن شئتَ أقمتُ فقاتلتُ ، وإن شئتَ تَنحّيْتُ » . قال حاجب : « تَنَحَّ غيرَ ملوم » . فغضب الحارث من ذلك وقال :

لَعَمْرِى، لقد جاورتُ فى حَىٍّ وائلٍ ... ومن وائلٍ جاورتُ فى حَىِّ تَغْلِبِ
فأصبحتُ فى حَىِّ الأَراقمِ لم يَقُل ... لىَ القومُ : ياحارِ بن ظالم ، اذْهَب
وقد كان ظَنِّى إذ عدلتُ إليكم ... بنى عُدُسٍ ظَنِّى بأصحاب يَثْرِب(١)
غداةَ أتاهُم تُبَّعٌ فى جنوده ... فلم يُسْلِموا المُرِّىَّ من حَىِّ يَحْصُب(٢)
فإنْ تكُ فى عُلْيا هوازنَ شوكَةٌ ... تُخاف ففيكم حَدُّ نابٍ ومِخْلَبِ
فإنْ يَمْنع المرء الزُّرارىُّ جارَهُ ... فما حاجبٌ من خِندفٍ بمُسَيَّبِ(٣)
وإنْ يُسْلِمِ المرء الزُّرارىُّ جارَه ... فأَعْجِب بها من حاجبٍ ثم أَعْجِب

فغضب حاجب وقال :

لَعَمْرُ أبيك الخيْرِ ، يا حارِ ، إننى ... لأَمْنعُ جارا من كُلَيب بن وائلِ
وقد علم الحىُّ المَعَدِّىُّ أننا ... على ذاك كنا فى الخطوب الأوائل(٤)
وأنّا إذا ما خاف جارٌ ظُلامةً ... لبِسْنا له ثوبَىْ وفاء ونائل
وأنّ تميما لم تُحارب قبيلةً ... من الناسِ إلا أولعتْ بالكَواهل

(١) غ : إذ عقلت إليكم . ت : إذ علقت إليكم .
(٢) غ : يسلموا المرئ . ت : يسلموا المرار .
(٣) كذا فى ت . وفى س: فلم يمنع ، تحريف
(٤) ت : المرء المعدى .

ولو حاربتْنا عامرٌ يا ابنَ ظالمٍ لعَضّتْ علينا عامرٌ بالأنامل
ولاستيقنتْ عُليا هوازنَ أننا سنُوطئُها فى دارها بالقنابل[١]
ولكنّنى لا أبعثُ الحربَ ظالما ولو هجْتُها لم ألفَ طُعْمةَ آكل[٢]

فتنحى الحارث بن ظالم عن زرارة ولحق بعَروض اليمامة . ودعا حاجب مَعْبدا ولَقيطا ابنى زرارة فقال : « سيرا فى الظُّعُن ، فموعدكُما رَحْرَحان ، فإنا مُقيمون فى حامية الخيل حتى يأتيَنا بنو عامر » . وخرج عامر بن مالك إلى قومه بالخبر . فقالوا : « ماترى ؟ » قال : « أرى أن ندَعهم بمكانهم ونَسْبِقَهم إلى الظعن » . قال : فلقوها برحرحان ، فاقتتلوا قتالا شديدا، فأصابوها . وأُسِر معبد . وجُرح لقيط . فبعثوا بمعبد إلى رجل بالطائف من أهلها ، وكان يُعذّب الأسارى ، فقطَّعه إرْبا إربا حتى قتله .

وخرج الحارث بن ظالم من فَوْره حتى أتى سَلْمى بنت ظالم ، وفى حِجْرها ابن النعمان . فقال لها : « لن يُجيرنى من النعمان إلا تَحرُّمى بابنه ، فادْفَعيه إلىّ » . وقد كان النعمان بعث إلى جاراتٍ للحارث بن ظالم فسَباهن . فدعاه ذلك إلى قتل الغلام فقتله . فوثب النعمان على عم الحارث بن ظالم ، فقال له : « لأقتلنَّك أو لتأتينِّى بابن أخيك » . فاعتذر إليه نخلى عنه . فقال عم الحارث من أبيات :

ياحارِ ، إنك أَحْيا من مُخبَّأةٍ وأنت أَجْرأُ من ذى لِبْدةٍ ضارِى[٣]
وقد عدوتَ على النعمانِ ظالمه فى قتل طفلٍ كمِثْل البدرِ مِعْطار[٤]
فاعلم بأنك منه غيرُ مُنفلِت وقد عَدوْتَ على ضِرْغامةٍ ضارى[٥]

(١) بالقنابل : كذا فى د ، ى ، ت ، أى الجماعات من الخيل والناس . وفى ص ، ب ، س : القبائل .

(٢) غ ، ت : شحمة آكل .

(٣) د ، ى : إنك أحيا .

(٤) غ : فقد عدوت .

(٥) غ : ضرغامة شارى . والضرغامة : الأسد ، والرجل الشجاع .

فقال الحارث بن ظالم فى ذلك(١) :

قِفا فاسمعا أُخبِرْكُما إذ سألتما ... مُحارِبُ مولاه وثَكْلانُ نادمُ(٢)

حسِبتَ أبا قابوسَ أنك ظالِمى ... ولمّا تَذُقْ فتكى وأنفُك راغم(٣)

أخُصْيَيْ حمارٍ بات يَكْدُم نَجْمة ... أتُؤكَلُ جاراتى وجارُك سالم(٤)

تَعنيتَ جهلا على غيرِ ريبةٍ ... أحاديثُ طَسْمٍ إنما أنت حالم(٥)

فإنْ تَكُ أَذْوادا أصبْتَ ونسوةً ... فهذا ابنُ سلمى رأسُه مُتفاقِم(٦)

علوْتُ بذى الحيّاتِ مَفرِقَ رأسه ... وكان سِلاحى تَجتويه الجماجم(٧)

---

(١) المبرد : الكامل ٦١٣ . شرح ابن الأنبارى للمفضليات ٦١٥ . ابن الأثير : الكامل ١ : ٤١٨ . العقد الفريد ٥ : ١٤٨ .

(٢) ثكلان نادم : يعنى الأسود لأن ابنه شرحبيل قد قتل . محارب مولاه : الحارث نفسه . مولاه : سنان (الأغانى) .

(٣) غ مرة : أنك سابقى، وأخرى أنك فائت. المفضليات : أنك سالم. ابن الأثير : أنك مخفرى غ مرة وابن الأثير : ولما تذوق ثكلا. المفضليات : ولما تصب ذلا . وشك الأصمعى فى هذا البيت لأنه ذهب إلى أن المقتول ابن عمرو بن الحارث ، جد النعمان الذى كان يكنى أبا قابوس .

(٤) المفضليات : أتأكل. يكدم: يعض بأدنى الفم. والنجم من النبات : مالا ساق له ، ومن الشجر : ماله ساق طال أو قصر .

(٥) د ، ى : تعنيته جهرا . وطسم : إحدى قبائل العرب البائدة ، وأحاديث طسم : مثل يقال لما لا أصل له .

(٦) ب ، س: فإن تك أذواد أصبن ونسوة. شرح المفضليات: فإن تك أذواد أصبن وصبية ت: ذودا قد أصبت . غ مرة ، ت : أمره متفاقم. والذود : القطيع من الإبل اختلف فى عدده، ولا يكون إلا من الإناث .

(٧) شرح المفضليات والعقد :

علوت بذى الحيات مفرق رأسه ... وهل يركب المكروه إلا الأكارم

ذو الحيات : اسم سيفه ، إذ كان محلى بصور حيات . وتجتويه : لا يوافقها .

فتكتُ به فتكا كفتكى بخالدٍ ... وهل يركب المكروهَ إلا الأكارم (١)
بدأتُ بهذى ثم أثْنِى بمثلها ... وثالثةٍ تَبْيَضُّ منها القَوادم (٢)
شَفيْتُ غليلَ الصدرِ منه بضربةٍ ... كذلك يأبى المُغْضَبون القَماقم (٣)

فلما سمع النعمان بهذه الأبيات قال: «مايعنى بثالثة غيرى». وقال سنان بن أبى حارثة المرى، وهو يومئذ رأس غطفان: «أبيت اللعن، والله ماذمةُ الحارث لنا بذمة، وما جارُه لنا بجار. ولو أمَّنتَه ما أمَّنّاه». فبلغ الحارث بن ظالم قول سنان. فقال فى ذلك من أبيات:

ألَا أبْلِغِ النعمانَ عنى رسالةً ... فكيف تَخطّا فى الأمور الأعاظم (٤)
وأنت طويلُ البَغْى أبْلَخُ مُعْوِرٌ ... فَزوعٌ إذا ما خِيفَ إحدى العَظائم (٥)
فما غَرَّه ـ والمرء يُدرِكُ وِتْرَه ـ ... بأرْوَعَ ماضِى الهمِّ من آل ظالم

منها:

تمنَّى سِنانٌ ضَلّةً أن يُخيفنى ... ويأْمَنَ، ما هذا بفعل المُسالم
تمنيتَ جهلا أن تَضيع ظُلامتى ... كذبتَ وربِّ الرّاقصاتِ الرَّواسم (٦)

---

(١) غ مرة وابن الأثير:

فتكت به كما فتكت بخالد ... ولا يركب المكروه إلا الأكارم

وشرح المفضليات والعقد:

فتكت به كما فتكت بخالد ... وكأن سلاحى تجتويه الجماجم

(٢) غ مرة: بدأت بتلك وانثنيت بهذه. شرح المفضليات: ثم أثنى بمثلها. العقد: بدأت بذاك وثنيت بهذه.

(٣) ب، س: شفيت عليك. والقماقم: جمع قمقام، وهو السيد الكثير الخير.

(٤) غ: فكيف بخطاب الخطوب. وتخطا: مخففة من تخطأ، أى أخطأ.

(٥) أبلخ: كذا فى د، ى، أى متكبر جرىء. وفى ب، س: أبلج، وهو مدح لا ذم وفى س بدون نقط. والمعور. قبيح السريرة أو المريب.

(٦) غ: تمنيت جهدا. ورقص الإبل: ضرب من سيرها السريع، وكذلك الرسيم.

يمينُ امرئٍ لم يَرْضَعِ اللؤمُ ثَدْيَه ولم تَتَكَنَّفْه عروق الألائم

فأمّنه النعمان وأقام حينا .

ثم إن مصدِّقا[1] للنعمان أخذ إبلا لامرأة من بنى مُرَّة يقال لها دَلْهَب[2] . فأتت الحارث فعلّقت دلوها بدلوه ، ومعها بُنَىّ لها . فقالت : « أبا ليلى ، إنى أتيتك مُضامة »[3] . فقال الحارث : « إذا أورد القوم النَّعَم فنادِى بأعلى صوتك :

دَعَوْتِ بالله ولم تُراعِى ذلك داعيك فنِعْمَ الداعى[4]
وتلك ذَوْدُ الحارث الكُساعى يمشى لها بصارمٍ قطّاع[5]
* يَشْفى به مَجامع الصُّداع[6] *

وخرج الحارث فى أثرها وهو يقول :

أنا أبو ليلى وسيف المَعْلوبْ كم قد أَجَرْنا من حَرِيبٍ مَحْروبْ[7]
وكم رَدَدْنا من سليبٍ مَسْلوب وطعنةٍ طعنتُها بالمَصْبوب[8]
* ذاك جَهيزُ الموتِ عند المَكْروب *

ثم قال لها : « لا تَرِدَنَّ عليك ناقة ولا بعير تعرفينه إلا أخذْتِه » . ففعلتْ .

---

(١) المصدق : جامع الصدقات والزكاة .

(٢) غ وشرح المفضليات ٦١٥ ، وخزانة الأدب ٣ : ١٨٥ : ديهث ت: ذاهب .

(٣) غ ، ت : مضافة .

(٤) د ، ى ، ت ، غ مرة : ذلك راعيك فنعم الراعى . وكامل ابن الأثير ١ : ١٩ : فادعى أبا ليلى فنعم الداعى .

(٥) غ ، ت : الكساع . والكسع : الضرب على الدبر . غ مرة : منطقا بصارم قطاع . والكامل : يمشى بعضب صارم قطاع .

(٦) الكامل : يفرى به مجامع الصداع .

(٧) المعلوب : كذا فى غ ، ت ، والخزانة ، وهو اسم سيفه . وفى ص : المسلوب ، سبق قلم من الشطار الآتى . والحريب : المسلوب .

(٨) غ ، ت : بالمنصوب . ت : بالمضبوب .

فأتت على لَقُوح لها يحلبها حَبَشى فقالت : « يا أبا ليلى ، هذه لى » . فقال الحبشى : « كذبتِ » . فقال الحارث : « أرسِلْها ، لا أمَّ لك ! » فضرط الحبشي فقال الحارث « اسْتُ الحالبِ أعلم » . فصارت مثلا(١) .

ثم إن الحارث لحق ببلاد قومه مختفيا . وكانت أخته سلمى بنت ظالم عند سِنان ابن أبى حارثة المرِّى . فدفع الأسودُ إليها ابنه شُرَحْبِيل بن الأسود تَكْفُلُه . وكانت سلمى بنت كَثير بن ربيعة من بنى غَنْم بن دُودان امرأة سنان تُرْضعه ، وهى أمُّ هَرِم ، ممن كان غَنيا يقدِر على ما يُعطى سائليه . فجاء الحارث ـ وقد كان اندسَّ فى بلاد غطَفان ـ فاستعار سرج سنان ، ولا يعلم سنان ، وهم نزول بالشَّرَبَّة . فأتى به سلمى فقال : « يقول لك بعلُك : ابعثى بابن الملك مع الحارث حتى أستأمن له منه ويتخفَّر به . وهذا سَرْجه آية لك » . فزيّنته ثم دفعته إلى الحارث بن ظالم . فأتى بالغلام ناحيةً من الشربّة فقتله . ثم أنشأ يقول :

قفا فاسمعا أخبرْ كما إن سألتما　　　محارب مولاه وثكلان نادم(٢)

ثكلان : يعنى الأسود لأنه قُتل ابنه شُرَحبيل . محارب يعنى الحارث نَفْسَه . مولاه : يعنى سنانا . وبقية الأبيات قد ذُكرت متقدما . ثم هرب الحارث . فغزا الأسود بنى ذُبْيان ؛ إذ نقضوا العهد وبنى أسد بشَطِّ أَريك . وهما أريكان : الأسود والأبيض ، لم يَعْرف بأيهما كانت الوقعة . ويقال : إن سلمى امرأة سنان التى أخذ الحارث شرحبيل من عندها من بنى أسد فغزا الأسود بنى أسد لدفع سلمى الأسدية ابنه إلى الحارث . فقتل فيهم قتلا ذريعا ، وسبى ، واستحفَّ أموالهم(٣) .

---

(١) غ : فسارت مثلا ، وهو التعبير المشهور .

(٢) غ : إذ سألتما .

(٣) استحف أموالهم : أخذها بأسرها . وفى غ : استاق .

وفى ذلك يقول أعشى بنى قيس بن ثَعْلبة يمدح الأسود[١] :

وشيوخٍ صَرْعَى بشَطٍّ أَريك ... ونساء كأنهنّ السّعالى[٢]
من نَواصِي دودان إذ نقضوا العهـ ... ـدَ وذُبْيانَ والهِجانِ الغَوالى[٣]
رب رَفْدٍ هَرقْته ذلك اليو ... مَ وأسرى من معشرٍ أَقْيال[٤]
هؤلاء ثم هؤلاء كُلاً أَعْطيـ ... ـتَ نِعالا مَحْذُوّةً بِمِثال[٥]
فأرى مَنْ عَصاكَ أصبح مخذو ... لا وكَعْبُ الذى يُطيعك عالى[٦]

ووجدت نعلا شرحبيل عند أُضاخ وهى من الشَّرَبَّة ، فى بنى مُحارب بن خَصَفة ابن قيس عَيْلان فأَحْمى لهم الأسود الصَّفا بصحراء أضاخ وقال لهم « إنى أحذيتكم نعالا » . فأمشاهم على ذلك الصفا المحمى . فتساقط لحم أقدامهم .

فلما كان الإسلام ، قتل جَوْشَن الكِنْدى رجلا من بنى محارب . فأُقيد به جوشن بالمدينة[٧] . وكان الكندى من رهط عباس بن زيد[٨] الكندى. فهجا بنى محارب فعيَّرهم بتحريق الأسود أقدامهم فقال :

على عهدِ كِسْرى نَعَّلتكم ملوكُنا ... صَفاً من أُضاخٍ حاميـا يتلهَّبُ

وصار ذلك مثلا يتوعد به الشعراء من هَجَوا ، ويحذّرونهم مثل ذلك .

---

(١) ديوان الأعشى الكبير (الطبعة النموذجية) ١٣ . خزانة الأدب ٤ : ١٨٣ .

(٢) الديوان : وشيوخ حربى بشطى. والسعالى : جمع سعلاة ، وهى الغول أو ساحرة الجن .

(٣) الديوان : إذ كرهوا البأس .

(٤) غ والخزانة والديوان: أقتال . والرفد: القدح الكبير . والعرب تقول : هريق رفد فلان، أى قتل ، فالمعنى رب قتلى قتلتهم ، وقيل : المعنى : رب رجل له إبل يحلبها فغنمتها فذهب ما كان يحلبه فى الرفد . وأقيال : جمع قيل ، وهو الملك ، أو الملك من حمير خاصة .

(٥) غ والخزانة : كلا أحذيت .

(٦) غ والخزانة : وأرى .

(٧) كذا فى غ . وفى س : فأقبل به جوشن إلى المدينة ، تحريف .

(٨) غ : يزيد .

ومن ذلك أن ابن عَبّاد الكلابى[1] ورد على بنى النوس[2] من جَديلة طَيِّء . فسرقوا سهاما له . فقال يحذرهم :

بنى النوس، رُدُّوا أَسْهُمى، إن أسهمى كنعلِ شُرَحْبِيلَ التى فى محاربِ

وقال فى الجاهلية ابن أم كَهْف الطائى فى مدحه لمالك بن حمار الشَّمْخى ، فذكر نعل الحارث فقال :

ومولاكَ الذى قتل ابنَ سلمى عَلانيةً شُرَحْبِيلَ بنِ نَعْلِ

لأنه لولا النعل لم يُعرف ، وإنما عرف بما[3] صنع أبوه ببنى محارب .

قال أبو عبيدة : أخذ الأسود سنان بن أبى حارثة . فأتاه الحارث بن سفيان ، أخو سَيّار بن عمرو بن جابر الفَزارى لأمه . فاعتذر إلى الأسود أن يكون سنان بن أبى حارثة عَلِم ذلك أو اطّلع عليه . ولقد كان أَطْرَد الحارثَ من بلاد غطفان وقال : « إن دية ابنك ألفُ بعيرٍ دية الملوك » . فحمّلها إياه وخَلّى عن سنان ، فأدى إلى الأسود منها ثمانى مائة بعير ثم مات . فقام سيار بن عمرو أخوه لأمه فيما بقى مقام الحارث ابن سفيان . فلم يرض به الأسود . فرهنه سيّار قوسه . فأدّى البقية . فلما مدح قُراد ابن حَنَش الصّارِدىّ بنى فَزارة ، جعل الحمالة كلها ليسار بن عمرو فقال[4] :

ونحن رَهَنّا القوسَ ثُمّتَ فُودِيتْ بألفٍ على ظهر الفَزارىِّ أَقْرَعا[5]
بعشرِ دياتِ الملوكِ سعَى بهـــا ليُوفِىَ سيارُ بن عمرو فأَسْرَعا[6]

---

(١) وكذا فى الخزانة ٤ : ١٨٣ . وفى غ : ابن عتاب الكلابى .

(٢) الخزانة : البوس ، ولم يعثر الباحثون على الاسمين بين القبائل العربية ، وفى جديلة بنو الأوس ، فلعلهم المرادون .

(٣) كذا فى غ . وفى ص : ما .

(٤) الخطيب : خزانة الأدب ٣ : ٣٠٤ . العقد الفريد ٥ : ١٤٩ .

(٥) ألف أقرع : تام العدد .

(٦) د ، ى ، والخزانة : بعشر مئين . العقد : بعشر مئين الملوك وفى بها . . ليحمد . . .

رمَيْنا صَفاهُ بالمِئِينَ فأصبحتْ ... ثَناياهُ للساعين فى المجدِ مَهْيَما(١)

ويقال : قالها رَبيع بن قَعْنَب ، فرد عليه قراد قوله فقال :

ما كان ثعلبُ ذى عاجٍ لِيَحْمِلَها ... ولا الفَزارىُّ جُوفانُ بن جوفانا(٢)

لكنْ تَضمَّنها ألفــا فأخرجها ... على تَكاليفها حارُ بن سُفْيانا(٣)

وقال عُوَيف القوافى بن عُقْبة بن عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدر فى الإسلام ، يفخر على [أبى] مَنْظور الوَبْرى(٤) حين هاجاه أحد بنى وَبْر بن كِلاب :

فهل وجدتم حامِلا كحامِلى ... إذ رَهَن القوسَ بألفٍ كاملِ(٥)

بدية ابنِ الملكِ الحُلاحِلِ ... فافتكَّها من فتكِ عامٍ قابلِ(٦)

سَيّـارُ المُوفِى بها ذو النّائلِ

ولما قتل الحارث شرحبيل بن الأسود لحق ببنى دارم . فلجأ إلى بنى ضَمْرة بن ضمرة وبنو عبد الله بن دارم يقولون : بل جاور مَعْبَد بن زُرارة ، فأجاره . فجَرّ جِوارُه يومَ رحْرَحان ويوم جَبَلة. وطلبه الأسود بن المنذر بخُفْرته . فلما بلغه نزوله ببنى دارم أرسل فيه أن يُسلموه . فأبوا . فقال الأسود يَمُنّ على بنى قَطَن بن نَهْشَل بن دارم بما كان من النعمان بن المنـذر فى أمر بنى رشيّة ــ وهى رُمَيلة ــ حين طلبهم من بنى لَقيط(٧) بن زُرارة حتى استنقذهم . قال : ورشية أَمَة كانت لزُرارة بن عُدُس

---

(١) الثنايا : جمع ثنية ، وهى طريق العقبة . والمهيع : الطريق الواسع الواضح . يريد أننا حملناه من التكاليف ما حملناه فاحتملها ، حتى أصبحت سبيله سبيلا لمبتغى المجد .

(٢) غ : بن جوفان ، والروى فى البيتين مكسور . والجوفان : أير الحمار .

(٣) يريد حارث بن سفيان ، فرخمه ، وذلك فى غير النداء قليل .

(٤) كذا فى غ . وفى س : منظور الوزيرى ، وفوقها : الوترى .

(٥) العقد الفريد ٥ : ١٤٩ : وهل وجدتم .

(٦) غ والعقد : من قبل عام . والحلاحل : السيد الشجاع أو الضخم الكثير المروءة .

(٧) غ : طلبهم من لقيط .

ابن زيد المجاشعي[١]، فوطئها رجل من بني نهشل فأولدها. وكان زرارة يأتي بني نهشل يطلب الغلمة التي ولدتْ. وولدت الأشهب بن رميلة وغيره. وكانوا يُسْمِعونه ما يكره فيرجع إلى ولده فيقول. « أسمعني بنو عمي خيراً[٢] ، وقالوا : سنبعث بهم إليك عاجلا ». حتى مات زرارة وقام ابنه لقيط بأمرهم. فلما أتاهم، أسمعوه ما كره. ووقع بينهم شر. فذهب النَّهْشَلي إلى الملك فقال: « أبَيْتَ اللعن! لا تَصِلني وتصل قومي بأفضلَ من طِلْبَتك إلى لقيط الغِلْمة ليكفَّ عني ». فدعاه فشرب معه. ثم استوْهَبهم منه فوهبهم له. فقال الأسود بن المنذر في ذلك:

كأيِّن لنا من نعمةٍ في رقابكم ... بني قَطَنٍ فَضْلا عليكم وأنعُما
وكم مِنَّةٍ كانت لنا في بيوتكم ... وقتلِ كريمٍ لم تَعُدُّوه مَغْرَما
فإنكُمُ لا تمنعون ابنَ ظالم ... ولم يُمْسِ بالأيدي الوَشيجِ المُقوَّما[٣]

فأجابه ضَمْرة بن ضمرة:

سنمنع جاراً عائذا في بيوتكم ... بأسيافنا حتى يَؤوب مُسلَّما[٤]
إذا ما دَعَونا دارِما حالَ دونَه ... عَوابسُ يَعْلُكْنَ الشَّكيم المُعجَّما[٥]
ولو كنتَ حَزْبا ما وردْتَ طُوَيلِعا ... ولا حَوْفَهُ إلا خَميسا عرَمْرما[٦]

(١) ذكر أبو الفرج في ترجمة الأشهب بن رميلة (٩: ٢٦٩) أنها كانت لخالد بن مالك بن ربعي.
(٢) كذا في غ. وفي س: أسمعتم بني عمي خيرا.
(٣) الوشيج: شجر الرماح. والمقوم: الذي أزيل عوجه.
(٤) بأسيافنا: كذا في غ. وفي س: بأسيافكم. ورجح محققو «د» أن تكون: بيوتكم، محرفة عن: بيوتنا. ويؤوب: يعود.
(٥) علك: لاك وحرك في فمه. الشكيم: الحديدة المعترضة في الفم من اللجام. والمعجم: المعضوض.
(٦) كذا في د، ي عن معجم البلدان لياقوت (طويلع) واللسان (حوف). وفي س: ولو كنت حزا .. ولا حومه، تحريف. وفي معجم البلدان: مابلغت طويلعا. وفي اللسان: ماطلعت طويلعا. وحوف الوادي: حرفه وناحيته، وفي اللسان أن البيت يروى: جوفه، وجوه أيضا. والخميس: الجيش. والعرمرم الكثير.

تَركتَ بنى ماء السماء وفِعْلَهم   وأشبهتَ تَيْسًا بالحجازِ مُزَنَّمـا[١]
ولن أذكُرَ النعمانَ إلا بصالحٍ   فإنّ له فضلا علينـا وأنْعُمـا[٢]

وبلغ ذلك بنى عامر ، فخرج الأحوص غازيا لبنى دارم ، طالبا بدم أخيه خالد ابن جعفر ، حين انطوَوا على الحارث وأقاموا دونه . فغزاهم فالتقوا برَحْرَحان . فهُزمت بنو دارم . وأُسر معبد بن زرارة ، فانطلقوا به ، ومات فى أيديهم . ثم أسر بنو هِزّان الحارث بن ظالم .

قال أبو عبيدة : إن الحارث ــ لما قتل خالد بن جعفر ــ خرج هارباً حتى أتى صديقاً له فى كِندَة يحلّ شُعَبَى[٣] : فلما زاد الأسود فى طلب الحارث ، قال له الكندى : « ما أرى لك نجاةً إلا أن أُلحقك بحضرَموتَ بلاد اليمن، فلا يوصل إليك » . فسار معه يوما وليلة . فلما غرّبه[٤] قال له : « إنى أنقطع ببلاد اليمن فأغترب بها . وقد برئتْ منك خفارتى » . فرجع حتى أتى أرض بكر بن وائل فلجأ إلى بنى عِجْل بن لُجَيم . فنزل على زَبّان[٥] فأجاره وضرب عليه قبة . وفى ذلك يقول العِجْلى :

ونحن منعْنا بالرماحِ ابنَ ظالمٍ   وظلّ يُغنّى آمِنـا فى خِبائنـا[٦]

فجاءته بنو ذُهْل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شَيْبان فقالوا : « أخرِج هذا المشئوم من بين أظْهُرنا ، لايَعرُّنا بشر ، فإنا لا طاقة لنا بمن يطلبه » فأبى إلا أن يُجيره . فقاتلوهم فامتنعتْ بنو عِجل . فقال لهم الحارث : « إنى قد شُهِر أمرى فيكم ومكانى ، وأنا راحل عنكم » . فرحل فلحق بطيئ . وقال الحارث فى ذلك :

(١) المزنم : ماله هنة معلقة فى حلقة تحت لحيته ، وخص بعضهم به العنز . وهو أيضا ما تقطع أذنه وتترك له زنمة .

(٢) اللسان (زنم) : فإن له عندى يديا وأنعما .

(٣) كذا فى غ . وفى س : بجبل شمشاء ، تحريف .

(٤) كذا فى غ . وفى س : فلما أصحر به البلاد ، وهى غير واضحة .

(٥) العقد ٥ : ١٤٧ : زياد .

(٦) د ، ى : فظل .

لَعَمْرِي ، لقد حَلَّتْ بِيَ اليومَ ناقتي إلى ناصرٍ من طَيِّئٍ غيرِ خاذلِ
فأصبحتُ جاراً للمَجَرَّةِ منهمُ على باذخٍ يعلو على المُتطاولِ[1]

وكان سبب أسر بنى هِزّان للحارث بن ظالم أنه خرج يطوف فى البلاد حتى سقط فى ناحية من بلاد ربيعة . ووضع سلاحه وهو فى فَلاةٍ ليس بها أثر ونام . فمرّ به نفر من بنى قيس بن ثعلبة ، ومعهم قوم من بنى هزان من عَنَزَة ، وهو نائم . فأخذوا فرسه وسلاحه ثم أوثقوه فانتبه وقد شدوه فلا يملك من نفسه شيئاً . فسألوه : « من أنت ؟ » فلم يخبرهم من هو ، وطوى عنهم خبره فضربوه حتى كادوا يقتلونه على أن يخبرهم فلم يفعل .

فاشتراه القيسيون من الهِزّانيين بزِقٍّ من خمر وشاة وانطلقوا به . ويقال : اشتراه رجل من بنى سعد بإغلاق بَكْرةٍ وَعَيْبَة[2] وعشرين من الشاء . فلما انطلقوا به قالوا : « من أنت ! وما حالُك ؟ » فلم يخبرهم . فضربوه ليموت فأبى . فبينا هو على تلك الحال ، وهو قريب من اليمامة ، وهم يضربونه مرة ويهددونه أخرى ، مَلّوه ، وتركوه فى قِدِّه ولهوا عنه . فلم يزل يحتال ويبول على قده حتى أفلت . وتوجه إلى اليمامة فلقى غِلْمة يلعبون . فنظر إلى غلام هو أَخْيَلُهم للخير عنده ، فقال له : « من أنت ؟ » فقال : « بُجَير بن أَبْجَر العِجْلى » . وله ذُؤابة يومئذ . وأمه امرأة قَتادة[3] بن مَسْلمة الحَنَفى . فأتاه وأخذ بحَقْوَيْه[4] فالتزمه ، وقال : « أنا جار لك » . فأتى الغلام أباه فأخبره فأجاره . وقيل : إنه ــ لما أفلت وأتى اليمامة ــ اتبعه بنو قيس حتى انتهى إلى نادى بنى حنيفة ، وفيهم قتادة بن مسلمة .

---

(١) العقد ٥ : ١٤٧ : للمجرة فيهم .

(٢) إغلاق الرهن : إيجابه للمرتهن إذا لم يفك . والمراد هنا إعطاء من باعه بكرة وعشرين شاة . والعيبة : ما يجعل فيه الثياب . وهى غير موجودة فى غ .

(٣) كذا فى غ . وفى س : أم قتادة . وذكر أبو الفرج بعد أن قتادة عم ذلك الصبى .

(٤) الحقو : الخصر .

فلما رآه يهوِى نحوهم قال : « إن هذا لخائف » . وبَصُر بالقوم خلفه فصاح به : « الحصنَ الحصن ! » فولج الحصن . وحال بينه وبين بنى قيس ، وقال : « لو أخذتموه قبل دخول الحصن سلمتُه إليكم . وأما إذ تحرَّم بى فلا سبيل إليه » . فقالوا له : « أسيرنا اشتريناه بأموالنا ، وما هو لك بجار ولا تعرفه . وإنما أتاك هاربا من أيدينا ، ونحن قومُك وجيرتك » . قال : « أما أنْ أسلمه فلا يكون ذلك أبدا . ولكن اختاروا منى : إما أنْ تنظروا ما اشتريتموه به تأخذوه منى ، وإما أن أعطيه سلاحا كاملا وأحمله على فرس ، وتدَعوه حتى يقطع الوادى ثم دُونكموه » . قالوا : « قد رضينا » . فقال للحارث ذلك فقال : « نعم » . فألبسه سلاحا كاملا وحمله على فرس ، وقال له : « إن أفلتَّهم فرُدَّ الفرس والسلاح »[1] . فخرج وتركوه حتى جاز الوادى ثم اتبعوه ليأخذوه . فلم يزل يقاتلهم ويطاردهم حتى ورد بلاد بنى قُشير ، وهى قريب من اليمامة ، بينهما أقلُّ من يوم . فيئسوا منه ورجعوا عنه . وعرفه بنو قشير فانطوَوا عليه وأكرموه . ورد على قتادة بن مسلمة فرسه وسلاحه . وأرسل إليه بمائة من الإبل مع ذلك ، لا أدرى أعطاه إياها بنو قشير من أموالهم ليكافىء بها قتادة أم كانت له .

ولما كانت هزيمة يوم رَحْرحان ، مر الحارث برجل من بنى أسد بن خُزَيمة . فقال : « يا حارِ . إنك رجل مشئوم ، وقد فعلتَ ما فعلتَ . فانظر إذا كنت بمكان كذا وكذا من بُرْقة رحرحان . فإن لى به جملا أحمر فلا تَعرَّض له » . وإنما يعرِّض لديه ويكره أن يصرِّح ، فيبلغ الأسود فيأخذه . فلما كان الحارث بذلك المكان ، أخذ الجمل فنجا عليه ، وإذا هو لا يُسايَر من أمامه ولا يسبَق من ورائه . فبلغ ذلك الأسود ، فأخذ الأسود الأسديَّ وناسا من قومه وبلغ ذلك الحارث بن ظالم ، فقال كأنه يهجوهم لئلا يتهمهم الأسود :

---

(١) غ : فرد الفرس والسلاح لك .

أراني اللهُ بالنَّعَمِ المُنَدَّى ... بِبُرْقةِ رَحْرَحانَ وقد أَرَانِ[1]
بِحَيِّ الأَنْكَدِينَ وحَيِّ عَبْسٍ ... وحي نعامةٍ وبني غُدانِ[2]

فلما بلغ قوله الأسود ، خلى عنهم .

ولحق الحارث وانتمى إلى قريش فذلك قوله[3] :

وما قَوْمِي بثَعْلبةَ بن سعدٍ ... ولا بفَزارةَ الشُّعْرِ الرِّقابا[4]
وقَوْمِي - إن سألتَ - بنو لُؤَيٍّ ... بمكَّةَ عَلَّموا مُضَرَ الضِّرابا[5]

فزَوَّده رَواحةُ الجُمَحي وحمله على ناقة . فذلك قوله :

وهَشَّ رواحةُ الجمحيُّ رَحْلِي ... بناجيةٍ ولم يطلب ثَوابا[6]

ولحق الحارث بالشام بملك من ملوك غسان يقال له النعمان ، ويقال : بل هو يزيد ابن عمرو الغَسَّانى ، فأجاره . وكان للملك ناقة مُحْماةٌ فى عنقها مُدْية وزِناد وصُرَّة فيها ملح ، وهو يختبر رعيته هل يجترئُ عليه منهم أحد . ومع الحارث امرأتان ، فوَحِمَتْ إحدى امرأتيه . وأصابت الناسَ سَنةٌ شديدة ، فطلبت الشحم . فقال : « وَيْحك ، أَنَّى لى بالشحم والوَدَك ! » فألحت عليه . فعمد إلى الناقة فأدخلها بطن واد فنحرها وأخذ سنامها فأكلت المرأة ورفعت ما بقى من الشحم فى عِكْمها . وفُقِدت الناقة

---

(١) أوردت الخزانة ١ : ٢٣٦ هـذا البيت فى شعر منسوب لمالك بن نويرة . وفى ب : المبدى . وتندية الإبل : أن يوردها الرجل الماء حتى تشرب قليلا ثم يأتى بها المرعى ساعة ثم يردها إلى الماء .

(٢) غ : لحى .

(٣) العينى : المقاصد النحوية ٣ : ٦٠٩ . شرح ابن الأنبارى للمفضليات ٦١٧ .

(٤) غ مرة ، والعينى ، والمفضليات : فما قومى . والشعر : جمع أشعر ، وهو كثير شعر الجسد والمفضليات : الشعرى رقابا .

(٥) شرح المفضليات : علموا الناس الضرابا .

(٦) الناجية : الناقة السريعة تنجو براكبها . وفى شرح المفضليات :

وحسن رواحة القرشى رحلى ... بناقته ولم ينظر ثوابا

وطُلبت ، فوُجدت نَحيرا لم يأخذ منها غير السنام. فأعلموا الملك بذلك . وخَفِى عليهم مَنْ فعله . فأرسل إلى الخِمْس[1] التَّغْلَبي الكاهن، فقال: « من نحر الناقة ؟ » فذكر أن الحارث نحرها . فتذمَّم الملك وكذَّب ذلك . فقال : « إن أردت أن تعلم عِلْم ذلك فدُسَّ امرأة تطلب من امرأته شحما » . ففعل . فدخل الحارث وقد أخرجت امرأته شحما إلى المرأة . فأخذ المرأة فقتلها ودفنها فى بيته . فلما فُقدت المرأة أيضا ، قال الخمس : « غالَها ما غال الناقة . فإن كره الملك أن يفتِّشه عن ذلك فليأمره بالرحيل ويبحث بيته » . ففعل فاستَثَار الخمس مكان بيته ، فوثب عليه الحارث فقتله . فأُخذ الحارث وحُبس وأُمر بقتله . فقال له : « إنك قد أجرْتَنى فلا تغدر بى » . فقال : « لا ضير إن غدرتُ بك مرة ، فقد غدرت بى مرارا » . وأمر مالك بن الخمس أن يقتله بأبيه. فقال له : « يا ابن شَرِّ الأَظْماء ، أتقتلنى ؟ » فقال : « نعم ، يا ابن شر الأَسْماء » فقتله .

قال : وأخذ ابن الخمس سيف الحارث . فأتى به سوق عكاظ ليبيعه . فجعل يعرضه على البيع ويقول : « هذا سيف الحارث بن ظالم » . فاستَرآه[2] إياه قيس بن زهير ابن جَذيمة فأراه إياه . فعلاه به فى الحرم فقتله فى الحرم . فقال قيس يرثى الحارث بن ظالم :

فما قَصَرتْ من حاضنٍ سِتْرَ بيتها أبَرَّ وأوْفَى منك حارِ بن ظالم[3]
أعَزَّ وأحْمَى عنــد جارٍ وذمــةٍ وأضْرَبَ فى كابٍ من النَّقْعِ قاتِم

ويقال : إن النعمان بن المنذر هو الذى قتله .

ولما بلغ عمرو بن الإطْنابة الخَزْرَجى ملك الحجاز أن الحارث بن ظالم قتل خالد ابن جعفر ـ وكان خالد مُصافيا له ـ غضب لذلك غضبا شديدا وقال : « والله ، لو لَقِى

(١) كذا فى غ والعقد ٥ : ١٥٠ وانظر ما بعد . وفى س : ابن الخِمْس .
(٢) استرآه : طلب أن يريه إياه .
(٣) قصر الستر : أرخاه . العقد ٥ : ١٥٠ : وما قصرت .

الحارث خالدا وهو يَقْظان لَمّا نظر إليه ، ولكنه قتله نائما . ولو أتانى لقد عرف قدره » . فبلغ ذلك الحارث [فغضب] غضبا شديدا وقال : « والله ، لآتِيَنّه » . فبلغ ذلك عمرو بن الإطنابة . فدعا بشرابه ، ووضع التاج على رأسه ، ودعا بقيانه فغنَّيْن له :

عَلِّلانى وعَلِّلا صاحِبيّا ... واسْقِيانى من المُرَوَّقِ رِيّا
إنّ فينا القيانَ يعزِفْن بالدّ ... فِّ لفِتْيانِنا وعَيْشا رَخِيّا
يتباريْن فى النعيمِ ويَصْبُبْـ ... ـن خلالَ القُرونِ مِسْكا ذَكِيا[1]
إنما هَمُّهن أنْ يتحلَّيْـ ... ـن سُموطا ومُسْبَلا فارسيا[2]
من سُموطِ المَرْجان فُصِّل بالشَّذْ ... رِ فأَحْسِنْ بحَلْيِهِنّ حُلِيا
وفتًى يضرب الكتيبةَ بالسيـ ... ـفِ إذا كانتِ السيوفُ عِصِيّا
إننا لا نُسَرُّ فى غيرِ نَجْرٍ ... إنّ فينا بها فتًى خَزْرَجيا[3]
يدفع الضَّيْمَ والظُّلامة عنا ... فتَجافَىْ عنه لنا يا مَنِيّا[4]
أَبْلِغِ الحارثَ بن ظالمٍ المو ... عِد والناذرَ النُّذور عَلَيّا[5]
إنما يقتل النِّيامَ ولا يقـ ... ـتلُ يَقْظانَ ذا سلاحٍ كَمِيّا[6]
ومعى شِكَّتى مَعابِلُ كالجمْـ ... ـرِ وأعددتُ صارما مَشْرَفيا[7]

(١) كذا فى غ . وفى ص : خلال الفروق ، تحريف . والقرون : جمع قرن ، وهو الخصلة من الشعر .

(٢) غ : وسنبلا فارسيا .

(٣) غ : غير نجد .

(٤) غ : والظلامة عنها ،

(٥) غ : الرعد يد والناذر .

(٦) الكمى : الشجاع المتكمى فى سلاحه ، أى المستترفيه . الكامل لابن الأثير ١ : ٤١٩ : تقتل .

(٧) الشكة : السلاح . والمعابل : النصال الطويلة العريضة . والشرفى من السيوف : المنسوب إلى المشارف من أرض اليمن .

لوهبطتَ الحجازَ أَنسَيْتُكَ الفتـ ـك كما يُنسِيء النسِيءُ النَّسِيّا(١)

فلما بلغ الحارثَ شعرُه اشتد غضبه وازداد حنقه . وسار حتى أتى ديار بنى الخزرج . ثم دنا من قبة عمرو بن الإطنابة ، ونادى : « أيها الملك ، أَغِثْنى فإنى جار مكثور(٢) ، وخُذْ سلاحك » . فأجابه وخرج معه حتى إذا برز له ، عطف عليه الحارث وقال : « أنا أبو ليلى » . فاعتركا مليا من الليل . وخشى عمرو أن يقتله الحارث فقال له : « يا جارِ ، إننى شيخ كبير ، وإنه تَعْترينى سِنة ، فهل لك فى تأخير هذا الأمر إلى غد ؟ » فقال : « هَيْهات ! ومن لى بك فى غد ؟ » فتجاوَلا ساعة . ثم ألقى عمرو رمحه من يده وقال : « يا حارِ ، ألم أخبرك أن النعاس يغلبنى ؟ قد سقط رمحى فا كففْ » . فكف . قال : « أَنظِرنى إلى غد » . قال : « لا أفعل » قال : « فدَعْنى آخذ رمحى » . قال : « خذه » قال : « أخشى أن تُعْجِلنى عنه أو تفتك بى إذا أردت أخذه » . فقال : « وذمةِ ظالم ، لا أعجلتُك ولا قاتلتُك ولا قتلتك حتى تأخذه » . فقال عمرو : « وذمة الإطنابة ، لا آخذُه ولا أقاتلك » . فانصرف الحارث إلى قومه وقال مجيبا له :

اعزِفا لى بـلذةٍ قَيْنتَيّا قبلَ أن تَكْثُرَ الهمومُ عَلَيّا(٣)

قبـل أن يُبْكِر العواذلُ إنى كنتُ قِدْما لأَمْرِهن عَصِيّا

لا أبالى إذا اصطبحتُ ثلاثا أَرَشيدا حَسِبْتَنى أم غَوِيا(٤)

---

(١) غ : لوهبطت البلاد أنسيتك القتل . وكذا ورد الشطر الثانى فى غ ، وفى س : كما قد ينسى . ويأباه الوزن ، والمعنى غامض على الروايتين .

(٢) مكثور : كثر عليه أعداؤه .

(٣) غ : قبل أن تبكر المنون عليا .

(٤) غ :

ما أبالى أراشدا فاصبحانى حسبتنى عـواذلى أم غويا

بعدَ ألّا أُسِرَّ لله إنمــــا في حياتي ولا أخونَ صَفِيًّا[1]
من سُلافٍ كأنها دَمُ ظبيٍ في زجاجٍ تَخالُه رازِقِيًّا[2]
بلغتْنا مقالةُ المــرءِ عمرٍو فأنِفْنا وكان ذاكَ بَدِيًّا[3]
قد هممْنا بقتلِه إذ برزْنا ولَقِيناه ذا سلاحٍ كَمِيّا
غيرَ ما نائمٍ يُعلَّل بالحلْـ ـمِ مُعِدًّا بكفه مَشْرَفيا[4]
فمَنَنَّا عليـــه بعد عُلُوٍّ بوفاءٍ وكنتُ قِدْما وَفِيًّا
ورجَعْنا بالصفحِ عنه وكان الْمَـ ـنُّ مِنَّا عليه بعدُ تَلِيًّا

وكانت وقعة رحرحان في رجب ، وكانت مُضَر تدعوه الأَصَمّ ، وإنما سمى الأصم لأنهم كانوا لا يتنادَوْن فيه : « يا آل فلان ! يا آل فلان ! » ولا يتغازَوْن[5] فيه ولا يتنادون فيه بالشِّعارات ، وهو أيضا مُنْصِل الأَلّ ، والأل : الأسنة ، كانوا إذا دخل رجب أنصلوا الأسنة من الرماح حتى يخرج الشهر .

وأُسر يومئذ مَعْبد بن زُرارة ، أسره عامر بن مالك . واشترك في أسره طُفيل ابن مالك ورجــل من غَنِى يُقال له عِصْمة بن وَهْب ، وكان أخا طفيل بن مالك من الرضاعة . وكان معبد بن زرارة كثير المال . ثم وفد لَقِيط بن زرارة على عامر فسأله أن يطلق له أخاه . فقال : « أما حِصَّتى فيه فقد وهبتُها لك ، ولكن أرْضِ أخى وحَليفى اللذين اشتركا فيه . فجعل لقيط لكل واحد مائة من الإبل . فرضيا وأتيا

(١) غ : ألا أصر . وأسر : أكتم وأظهر .

(٢) السلاف : الخمر ، شبهها بدم الظبي في طيب الرائحة لأن المسك يؤخذ منه. والرازقى : الكتان أو ثياب بيض تتخذ منه . وضرب من عنب الطائف أبيض طويل الحب . وفى س : كأنه تحريف .

(٣) غ : بديا . الكامل لابن الأثير ١ : ٤١٩ : فالتقينا وكان ذلك بديا .

(٤) كامل ابن الأثير :

غير مــا نائم يروع بالفتـ ـك ولكن مقلدا مشرفيــا

(٥) كذا في غ . وفى س : ولا يتعاورون .

عامرا فأخبراه . فقال عامر للقيط : « دُونَك أخاك » . فأطْلَق عنه . فلما أطلق ، فكر لقيط فى نفسه فقال : « أعطيهم مائتى بعير ثم تكون لهم النعمة علىّ بعد ذلك . لا والله لا أفعل ذلك » . ورجع إلى عامر فقال : « إن زُرارة نهانا عن أن نَزيد على مائةٍ : ديةِ مُضَر ، فإن أنتم رضيتم أعطيتكم مائة من الإبل » فقالوا : « لاحاجة لنا بها » . فانصرف لقيط . فقال له معبد : « مالى يُخرجنى من أيديهم » . فأبى ذلك عليه وقال : « إذن يقتسم العرب بنى زرارة » . فقال معبد لعامر بن مالك : « أنشدُكَ الله لَمَا خلَّيْت سبيلى ، فإنما يريد ابن الحمراء أن يأكل مالى — ولم تكن أمه أم لقيط — . فقال له عامر : « أبْعَدكَ الله ! إنْ لم يُشفِق عليك أخوك فأنا أَحَقُّ ألّا أُشفِق عليك » . وعمَدوا إلى معبد فشدوا عليه القِدّ ، وبعثوا به إلى الطائف . فلم يزل بها حتى مات . فذلك قول شُريح بن الأحوص :

لَقيطُ ، وأنت امرؤ ماجدٌ ولكنّ حِلْمَك لا يَهْتدى
ولما أَمِنْتَ وساغ الشرا بُ واحتل بيتُك فى ثَهْمَد[1]
رفعتَ برِجْليك فوق الفرا شِ تُهدى القصائد فى مَعْبَد
وأسْلمْتَه عند جِدّ القتال وتبخل بالمال أنْ تفتدى

وقيل فى ذلك أشعار .

وكان فى خلال ذلك يوم شِعْب جَبَلة ، وهو من أعظم أيامِ العرب . وأيام العرب العظام ثلاثة : يوم كُلاب رَبيعة[2] ، ويوم شِعْب جَبَلة ، ويوم ذى قار . وكان

(١) ثهمد : جبل أحمر فارد بديار غنى .

(٢) كذا فى الأصول . وفى النقائض ٦٥٤ : « وكانت عظام أيام العرب ثلاثة أيام : يوم الكلاب ، ويوم ذى قار لربيعة ، ويوم جبلة » . وهو الصواب ، لأن الكلاب شهد يومين : الأول بين أبناء الحارث بن عمرو آكل المرار ومعهم بكر والرباب ويربوع وتغلب والنمر وبهراء . والثانى بين تميم وبنى الحارث بن عبد المدان .

يوم شعب جبلة قبل الإسلام بسبع[1] وخمسين سنة ، قبل مولد النبي — صلى الله عليه وسلم — بسبع[1] عشرة سنة ، فإن النبي — صلى الله عليه وسلم — وُلد عام الفيل ، وأوحى الله تعالى إليه بعد أربعين سنة ، وقُبض وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقَدم إليه عامر بن الطفيل فى السنة التى قبض فيها — صلى الله عليه وسلم — وهو ابن ثمانين سنة .

وحديث يوم جبلة حديث مطول إلا أن خلاصته هى ذكر المكيدة التى فيه ، وهى أن بنى عامر — لما سمعوا بقصد تميم وذُبْيان وأسد فى لَفِّهم وجَمْعهم — اجتمعوا إلى الأحوص بن جعفر ، وهو شيخ كبير قد وقع حاجباه على عينيه ، وقد ترك الغزو ، غير أنه يدبر أمر الناس وكان مجرَّبا حازما ميمون النَّقيبة فأخبروه الخبر. فقال لهم الأحوص « قد كبرت فما أستطيع أن أجيء بالحزم . وقد ذهب الرأىُ منى ، ولكن إذا سمعتُ عرفتُ . فأَجْمِعوا آراءكم ثم بِيتوا ليلتكم واغدوا علىَّ فاعرِضوا آراءكم » . ففعلوا . فلما أصبحوا غدوا عليه . فوُضعت عباءة بفنائه فجلس عليها . ورُفع حاجباه عن عينيه بعصابة . ثم قال : « هاتوا ما عندكم » . فقال قيس بن زهير العبسى : « بات فى كِنانتى هذه مائة رأى » . فقال الأحوص : « يكفينى منها رأى واحد حازم صَليب[2] مُصيب . هات فانْثُر كِنانتك » . فجعل يعرض عليه كل رأى رآه حتى أنْفَدَ . فقال الأحوص : « ما أرى بات فى كنانتك الليلة رأى واحد حازم صليب » . وعرض القوم عليه آراءهم حتى أنْفدوا . فقال : « ما أسمع شيئاً وقد صِرْتم إلىّ . احملوا أثقالكم وضعفاءكم » . ففعلوا . ثم قال : « احملوا ظُعُنكم » . فحملوها .

---

(١) كذا فى النقائض ٦٧٦ ، وهو الصواب بمقارنة التواريخ جميعا . وفى ص : كتبت تسع ثم كتبت عليها سبع فصار المراد غير واضح . وفى غ ، ت : سبع ، خطأ . وفى العقد ٥ : ١٤١ : قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو خطأ .

(٢) كذا فى غ ، والنقائض ٦٥٧ وفى ص : صائب ، ومصيب تغنى عنها .

ثم قال : « اركبوا » . فركبوا وجعلوه فى مِحَفَّة . وقال : « انطلقوا حتى تُمْلوا فى اليمن . فإن أدرككم أحد كررتم عليه ، وإن أعجزتموهم مضيتم » .

فسار الناس حتى أصبحوا بوادى بِحار ، فإذا الناس يرجع بعضهم على بعض . فقال الأحوص : « ما هـذا ؟ » قيل : « عمرو بن عبد الله بن جَعْدة فى فتيان من بنى عامر يَعْقِرون من جاز بهم ويقطعون بالنساء حَواياهن[1] . فقال الأحوص : « قدِّمونى » . فقدموه حتى وقف عليهم . فقال : « ما هـذا الذى تصنعون ؟ » قال عمرو : « أردتَ أن تفضَحَنا وتُخرجنا هاربين من بلادنا ، ونحن أعزُّ العرب وأكثرها عددا وجَلَدا وأحدّ [ها] شَوْكة ! تريد أن تجعلنا موالى العرب » . قال : « فكيف أفعل ، فقد جاء ما لا طاقة لنا به ؟ فما الرأى ؟ » قال : « نرجع إلى شعب جبلة فنُحرز النساء والذَّرارى والضَّعَفة والأموال فى رأسه ، ونكونُ فى وسطه ، ففيه ثَمَد[2]. فإن أقام من جاءك أسفل، أقاموا على غير ماء ولا مُقامَلهم. وإن صعدوا إليك قاتلتَهم من فوق رءوسهم بالحجارة ، وكنتَ فى حِرْز وهم فى غير حرز ، وكنت على قتالهم أقوى منهم على قتالك » . قال : « هذا — والله — الرأى . فأين كان هـذا عنك حين استشرتُ الناس ؟ » قال : « إنما جاءنى الآن » . فقال الأحوص للناس : « ارجعوا » . فرجعوا . فذلك قول نابغة بنى جعدة :

ونحن حَبَسْنا الحىَّ عَبْسا وعامرا … لحسّانَ وابنِ الجَوْنِ إذ قيل أَقْبِلا
وقد صَعِدتْ وادى بِحارٍ نساؤهم … كإصْعادِ نَسْرٍ لا يرومون منزلا[3]
عَطَفْنا عليهم كالضَّرُوسِ فصادفوا … من الهَضْبة الحمراء عِزّا ومَعْقِلا[4]

(١) الحوايا : مراكب النساء .

(٢) غ : والنقائض ثمل ، أى خصب وماء ، وهى أحسن ، لأن الثمد الماء القليل لا مادة له

(٣) كذا فى د ، ى عن النقائض ومعجم البلدان . وفى ص ، ب ، س : لإصعاد سير . وفى النقائض : عن ذى بحار .

(٤) الضروس : الناقة العضوض .

الهضبة الحمراء : فى شعب جبلة . وجبلة : هضبة حمراء بين الشُّريف والشَّرَف . [والشريف] : ماء لبنى نُمير . والشرف : ماء لبنى كلاب . وجبلة : جبل عظيم له شِعْب واسع لا يؤتى(١) الجبل إلا من قبل الشعب . والشعب متقارب ، وداخله متسع .

فدخلت بنو عامر شِعْبا منه يقال له مُسلِّح . فحصنوا النساء والذرارى والأموال فى رأس الجبل ، وحَلَّئوا(٢) الإبل عن الماء ، واقتسموا الشعب بالقِداح ، وأُقْرِع بين القبائل فى شَظاياه(٣) . فخرجت بنو نُمير(٤) ومعهم بارق — حى من الأزد حلفاء يومئذ لبنى نمير ، وبارق هو سَعْد بن عَدِيّ بن حارثة بن عمرو مُزَيْقِياء(٥) بن ماء السماء ، وسمى مزيقياء لأنه كان يمزق عليه فى كل يوم حلة — فولجوا الخَلِيف . والخليف : الطريق بين الشُّعْبين شبه الزُّقاق .

وكانت كَبْشَة بنت عُرْوة الرَّحَّال بن عُتْبة بن جعفر بن كِلاب يومئذ حاملا بعامر بن الطُّفَيل . فقالت : « ويلكم ، يا بنى عامر ! ارْفَعونى فإن فى بطنى عز بنى عامر » . فصَفُّوا القِسِىَّ على عَواتقهم ثم حملوها حتى أثْوَوْها القُنَّة . فقيل : إنها ولدت عامرا يومَ فرغ الناس من القتال .

وعُمِّىَ على بنى عامر الخبر فلا يدرون ما بُعْد القـوم من قُرْبهم . وأقبلت تميم وذُبْيان وأسد ولِفُّهم نحو جبلة . ولقوا كَرِب بن صَفْوان بن شِجْنة بن عُطارد بن عوف ابن كعب بن سعد بن زيد مَناة(٦) . فقالوا له : « أين تذهب ؟ أتريد أن تُنْذر بنـا

---

(١) كذا فى د ، ى عن النقائض . وفى ب ، س ، ص : لا يرى .
(٢) حلئوا : منعوا .
(٣) الشظايا : جمع شظية ، وهى القطعة من رءوس الجبال .
(٤) غ : بنو تميم .
(٥) ص : عمرو بن مزيقياء . خطأ ، فزيقياء لقب عمرو . (التاج : مزق) .
(٦) كامل ابن الأثير ١ : ٤٣٥ : كرب بن صفوان بن الحباب السعدى .

بنى عامر ؟ » قال : « لا » . قالوا : « فأَعْطِنا عهداً ومَوْثِقا أنك لا تفعل » . فأعطاهم فخلَّوا سبيله . فمضى مسرعا على فرس له عُرْيٍ[1] حتى إذا نظر إلى مجلس بنى عامر ، وفيهم الأحوص ، نزل تحت شجرة بحيث يرونه . فأرسلوا إليه يدعونه . فقال: «استُ فاعلا ولكنى إذا رحلت فأتوا منزلى ففيه الخبر » . فلما جاءوا منزله ، إذا فيه تراب فى صُرّة وشوك قد كُسر رؤوسه وفرّق جِهَته ، وإذا حَنْظلة موضوعة ، وإذا وَطْب مُعلّق فيه لبن . فقال الأحوص : « هذا رجل قد أُخذ عليه المواثيق ألا يتكلم . وهو يخبركم أن القوم مثل التراب كثرة ، وأن شوكتهم قليلة ، وهم متفرقون ، وجاءتكم بنو حنظلة . وانظروا مافى الوطب » ، فإذا فيه لبن حَزَر : (قَرَص) . فقال : « القوم منكم على قَدْرِ حِلاب اللبن إلى أن يَحْزُر » . فلما تيقن بنو عامر بإقبالهم صمدوا الشعب . وأمر الأحوص بالإبل التى قد عطشت قبل ذلك فقال : « اعقِلوها كل بعير بعقالين [فى] يديه جميعاً » .

وأصبح النــاس ولقيط نزولا به . وكانت مشورتهم إلى لقيط . فقالوا له : « ما ترى؟ » قال: « أرى أن تصمدوا إليهم » . فقال لهم شأس : « لا تدخلوا على بنى عامر فإنى أعلم الناس بهم : قد قاتلتهم وقاتلونى وهزمتُم وهزمونى . فما رأيت قوماً أقلَق بمنزل من بنى عامر . وما وجدت لهم مثلا إلا الشُّجاع[2] ، فإنه لا يَقَرُّ فى جُحْره قلقا . وسيخرجون إليكم ، والله — لئن بِتُّم هذه الليلة لا تشعرون بهم إلا وهم منحدِرون عليكم » . فقال لقيط : « والله ، لندخلنّ عليهم » .

ثم استقبلهم جمل عَوْد أجرب أَحَذّ أَعْصَل كاشر عن أنيابه[3] . فقال الحُزاة من بنى أسد — والحازى : القائف : « اعقِروه » . فقال لقيط : « والله ، لا يُعْقَر حتى

(١) كذا فى غ . وفى س ، والنقائض : عربى . والعرى : مالا سرج عليه .

(٢) الشجاع : الحية أو الذكر من الحيات أو ضرب صغير فيها .

(٣) العود: المسن والأحذ: خفيف شعر الذنب أو قصير الذنب . والأعصل: الملتوى الذنب.

يكون فحل إبل غدا » . وكان البعير من عصافير المنذر التي أخذها قُرّة بن هُبَيرة ابن عامر بن سَلَمة . والعصافير : إبل كانت للملوك نجائب .

ثم استقبلهم معاوية بن عُبادة بن عُقيل ، وكان أعسَر ، وهو يقول :

أنا الغُـلامُ الأعسَرْ الخـيرُ فيَّ والشّرّ
والشَّرُّ فيّ أكثَرْ(١)

فتشاءمت بنو أسد وقالوا : « ارجعوا عنهم وأطيعوا » ، فرجعت بنو أسد إلا نفرا يسيرا .

ثم إنهم دخلوا عليهم وقد أخذوا حِذْرهم . وجعل الأحوص ابنه شريحاً على تعبئته . فأقبل لقيط وأصحابه مُدِلّين فأسْنَدوا إلى الجبل حين ذَرّت الشمس(٢) . فصمد لقيط في الناس وأخذ بحافتي الشِّعْب . فقالت بنو عامر للأحوص : « قد أتوك » . فقال : « دَعُوهم » . حتى إذا انتصفوا الجبل وانتشروا فيه ، قال الأحوص : « حُلّوا عُقُل الإبل ثم أحْدِروها واتبَعوا آثارها، وليتبع كلُّ رجل منكم بعيره حجرين أو ثلاثة » . ففعلوا . ثم صاحوا بها . فلم يَفْجأ الناسَ إلا الإبل تريد الماء والرعى . وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنَّبْل . فأقبلت الإبل تَحْطِم كل شيء مرت به . وجعل البعير يُدَهْدِي بصدره كذا وكذا حجراً . وكان لقيط وأصحابه سخروا منهم حين صنعوا بالإبل ما صنعوا . فانحطّ الناس منهزمين في الجبل حتى بلغوا السهل فلما بلغوا السهلَ لم يكن لأحدهم إلا إن يذهب على وجهه . وجعل بنو عامر يقتلونهم ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم . فانهزموا اشر هزيمة .

ووقف لقيط على بِرْذَونه . وجعل لا يمر به أحد من الجيش إلا قالوا له : « أنت

---

(١) د ، ى ، عن النقائض ، وفي ت والعقد ٥ : ١٤٣ أيضا : والشر في أكثر .

(٢) ذرت : طلعت .

قتلتنا وشامّتنا[1] » . وجعل لقيط يقول : « من يكرّ وله خمسون ناقة ؟ » ويرتجز ويقول :

عرفتكم والعينُ بالدمع تَكِفْ   لفارسٍ أتلفتموه ما خلف[2]
إن الشواء والنشيل والرُّغُف   والقينة الحسناء والكأس الأُنُف[3]
وصفوة القِدْر وتعجيل اللَّقَف   للطاعنين الخيلَ ، والخيلُ قُطُف[4]

ولما أكثروا لومه وعتابه ، قال :

يا قومِ . قد أحرقتُمونى باللوْمْ   ولم أُقاتِلْ عامرا قبلَ اليَوْمْ
فاليومَ إذ قاتلْتُمُ فلا لوم   تَقدّموا وقدّمونى للقوم[5]
شتّانَ هذا والعناقُ والنوم   والمَضْجَعُ البارد فى ظلّ الدّوم

فأجابه شريح — لما رآه يشجع الناس ويأمرهم بالإقدام، وكان بينهما جُرْف منكَر :

إن كنتَ ذا صِدْقٍ فأقْحِمْهُ الجُرُفْ   وقدّم الأشْقَر حتى تَعترِف[6]
وجوهَنا إنّا بنو البِيض العُطُف[7]

فضرب لقيط فرسه فاقتحم الجرف . فطعنه شريح فارْتُثّ . والارتثاث : أن يُحمل وهو مجروح ، فإنْ حُمل ميتاً فليس بمُرْتَثّ . فبقى يوماً ثم مات .

---

(١) ب ، س : وشاعتنا . د ، ى ، عن النقائض : وشتمتنا .

(٢) ب ، س : والدمع بالعين . د ، ى عن النقائض ٦٦٣ : والدمع من العين . ويكف : يسيل .

(٣) غ : إن النشيل والشواء والرغف . والنشيل : اللحم المطبوخ أو الذى ينشل من القدر قبل النضج ، واللبن ساعة يحلب . والأنف : التى لم يشرب بها قبل ذلك .

(٤) اللقف : كذا عن د ، ى . وفى ص : اللف . واللقف : ما يلقف ويتناول من الطعام وقطف : جمع قطوف ، وهى المتقاربة الخطو .

(٥) غ ، ت والنقائض : إذ قاتلتهم .

(٦) غ : والنقائض وقرب الأشقر . وتعترف : تعرف .

(٧) العطاف : جمع عطوف ، وهو وصف من عطف عليه إذا رجع عليه بما يكره أوله بما يحب

وجعل بنو عمرو يضربونه وهو ميت . فقالت ابنته دَخْتَنوس ، وكانت تحت عمرو بن [عمرو بن][1] عدس :

ألَا يا لَهَا الوَيْلاتُ وَيْلة من بكى ... لضَرْبِ بنى عبس لَقيطاً وقد قضَى[2]
لقد ضربوا وجهاً عليه مَهابةٌ ... وما تَحفِل الصُّمُّ الجنادل مَنْ رَدَى[3]
فلو أنكم كنتم غداةَ لَقيتُمُ ... لقيطاً صَبَرْتم للأسنَّةِ والقَنا[4]
غَدرْتُم . ولكن كنتمُ مثلَ خُضَّبٍ ... أصاب لها القَنّاصُ من جانب الشَّرى[5]
فما ثأرُه فيكم ولكنّ ثأرَه ... شُريحٌ إنِ اُرْدَتْه الأسنةُ أو هوَى[6]
فإن تُعقِبِ الأيامُ من عامر يَكُن ... عليهم حَريقاً لا يُرام إذا سَما
ليَجْزِيهم بالقتل قتلا مُضعَّفا ... وما فى دماء الحُمْسِ يامالِ من بَوا[7]
ولو قتلتْه غالبٌ كان قتلُها ... علينا من العار المُجدِّع للمُلا[8]
لقد صَبَرتْ للموت كعبٌ وحافظَتْ ... كِلاب ، وما أنتم هناك لمن رأى

وقيل . بل طعنه جَزْء بن خالد بن جعفر ، فحمل وبه طعنات ، فبقى يوماً ثم مات . وتمت الهزيمة وكثرت القتلى والأسرى .

---

(١) زيادة عن غ والنقائض ٦٦٥ .
(٢) د ، ى : ويلات من بكى .
(٣) ب ، س : الضيم الجنادل .
(٤) ب ، س : ضربتم بالأسنة . وجواب «لو» هنا محذف ، أى لأصابكم منا القتل الذريع .
(٥) الخضب ، جمع خاضب وهى النعام . وأصاب : سقط ونزل . والشرى : موضع . والنقائض :أصاب له .
(٦) د ، ى عن النقائض: شريح وأردته الأسنة إذ هوى . ب ، س : شريح أأردته الأسنة أو هوى .
(٧) ب ، س . ليجزيكم . والحمس : لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم فى الجاهلية . وبوا : سواء وتكافؤ .
(٨) غ والنقائض : ولو قتلتنا .

وشَهِدها لَبيد بن رَبيعة بن مالك بن جعفر ، وهو ابن تسع سنين . وقيل : ابن بضعَ عشرةَ سنة .

وأماحاجب بن زُرارة فخرج منْهزما . وخرج فى أثره الزَّهْدَمان : زَهْدم وقيس ابنا جَرْم بن وُهَيب[١] بن عُوَيْر[٢] بن رَواحة العَبْسيان ، يطرُدان حاجبا ويقولان: « استَأْسِر » ، وقد قدَرا عليه . فيقول : « من أنتما ؟ » فيقولان : « الزهدمان » . فيقول : « لا أستأسر لمولَيَيْن » . فبينا هم كذلك ، إذ أدركهم مالك ذو الرُّقَيبة ابن سلمةَ بن قُشَير ، فقال لحاجب : « استأسر » . قال : « من أنت ؟ » قال : « أنا مالك ذو الرقيبة » . قال : « أفعل . فلَعَمْرِى ، ما أدركتَنى حتى كدت أن أكون عبدا » . وألقى رمحه إليه . فاعتنقه زهدم وألقاه عن فرسه . وصاح حاجب: « يا غوثاه ! » وجعل زهدم يُراوغ[٣] قائم السيف . فنزل مالك فاقتلع زهدما عن حاجب . فمضى زهدم وأخوه حتى أتيا قيس بن زهير بن جَذيمة ، فقالا : « أخذ مالك أسيرنا من يدنا » . قال : « ومن أسرتما ؟ » قالا : « حاجب بن زرارة » . فخرج قيس يسبق الناس حتى وقف على بنى عامر ، فقال : « صاحبكم أخذ أسيرنا » . قالوا : « ومن صاحبنا ؟ » قال : « مالك بن سلمة ، أخذ من الزهدمين حاجبا » . فجاءهم مالك فقال : « لم آخُذه منهما ولكنه استأسر لى وتركهما » . فلم يبرحوا حتى حكّموا حاجبا وهو فى بيت ذى الرقيبة . فقالوا : « من أَسَرَكَ ، يا حاجب ؟ » قال : « أما من ردّنى عن قَصْدى ومنعنى أن أنجو ورأى منى عَوْرة فتركها ، فالزهدمان . وأما الذى استأسرتُ له فمالِك . فحكّمونى فى نفسى » . فقالوا له :

---

(١) غ والنقائض : حزن بن وهب .

(٢) غ : عويمر .

(٣) د ، ى عن النقائض : يريغ ، وهى أوضح .

« قد جعلنا لك الحكم فى نفسك » . فقال: « لمالك ألف ناقة، وللزهدمين مائة ناقة».
فكان بين قيس بن زهير وبين الزهدمين غضب بعد ذلك . فقال قيس :

جَزانى الزَّهدمان جزاء سوءٍ ... وكنتُ المرءَ يُجزَى بالكرامَهْ
وقد دافعتُ قد عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... بنى قُرْطٍ وعَمُّهُمُ قُدامه[1]
ركبتُ بهم طريقَ الحق حتى ... أَتَيْتُهُمُ بها مائةً ظُلامه[2]

وقال جرير فى ذلك[3] :

ويومَ الشِّعْبِ قد تركوا لَقيطا ... كأنّ عليه حُلَّةَ أُرْجُوانِ[4]
وكَبَّلَ حاجبٌ بشَمامِ حَوْلا ... فحَكَّم ذو الرُّقَيْبة وهو عانى[5]

وقال المُعقِّر بن أوس بن حِمار البارقى من قصيدة :

أمِنْ آلِ شَعْثاء الحُمولُ البواكرُ ... مع اللّيل أم زالتْ قُبَيْلُ الأباعرُ[6]
وحلَّت سليمى فى هِضابٍ وأَيْكَةٍ ... فليس عليها يومَ ذلك قادر[7]
وألقتْ عَصاها واستقرّتْ بها النَّوَى ... كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر

منها :

هوى زهدمٌ تحتَ الغبار لحاجبٍ ... كما انقضَّ أَقْنَى ذو جناحين ماهر[8]

---

(١) ب ، س : بنى قرظ .
(٢) كذا فى: د، ى عن النقائض . وفى ب ، س: أتيتهم بها . وفى س بدون نقط غير التاء الثانية.
(٣) ديوانه ٥٦٨ . والعقد ٥ : ١٤٣ ، والنقائض ٦٧٠ .
(٤) الديوان : فيوم الشعب . . . خلة أرجوان . النقائض : خلة أرجوان .
(٥) وشمام : موضع . غ ، والديوان . والنقائض والعقد : ذا الرقيبة .
(٦) ت : من الليل . العقد ٥ : ١٤٤ : مع الصبح .
(٧) كذا فى غ ، ت . وفى س : فلست عليها قبل ذلك قادر .
(٨) الأقنى : الصقر المعوج المنقار . العقد :

هوى زهدم تحت العجاج لحاجب ... كما انقض باز أقتم الريش كاسر

وآخرها :

لها ناهِضٌ فى المهد قد مَهَدَتْ له   كما مَهَدت للبَعْل ِ حَسْناء عاقرُ[1]

وبهذا البيت سمى معقرا ، واسمه سُفْيان بن أَوْس . وإنما خص العاقر لأنها أقل دالّة على الزوج من الوَلود ، فهى تُداريه ما استطاعت .

(١) ب ، س : نهدت . والناهض : الفرخ الذى وفر جناحاه حتى استقل للنهوض . والمهد : فى الوكر .

وَالبة بن الُحباب*

أَسَدىّ صَلِيبة ، كوفىّ ، شاعر من شعراء الدولة العباسية، كنيته أبو أسامة .

وهو أستاذ أبى نُواس ، وعنه أخذ أبو نواس ، ومنه اقتبس .

وكان والبة ظريفاً ، شاعراً ، غزلا ، وَصّافاً للشراب والغلمان والمُرْد[1] . وشعره فى غير ذلك مُقارِب ليس بالجيد . وهاجَى بشارا وأبا العتاهية ، فلم يصنع شيئاً ، وفضحاه فعاد إلى الكوفة كالهارب . وخَمَل ذكره بعد ذلك . قال المهدى لعُمارة بن حمزة : « من أرقّ الناس شعراً ؟ » قال : « والبة بن الحباب الأسدى الذى يقول[2] :

ولهـا ولا ذنبَ لهـا   حُبٌّ كأطراف الرماحِ
فى القلب يَقْدح والحشـا   فالقلبُ مجروح النواحى[3]

قال : « صدقتَ والله » . قال : « فما يمنعك من منادمته ، يا أمير المؤمنين ؟ » قال : « يمنعنى من منادمته قوله[4] :

قلتُ لسـاقينا على خَلوةٍ   أدْنِ كذا رأسَك من راسِى[5]
ونَمْ على صَدْرِكَ لى ساعةً   إنى امرؤٌ أنكحُ جُلّاسى[6]

أفتريد أن أكون من جلاسه على هذه الشريطة ؟ » .

---

* أخباره فى ب ١٦ : ١٤٨ ، س ١٦ : ١٤٢ ، ى ١٨ : ٤٣ ، طبقات الشعراء لابن المعتز ٨٧ .

(١) غ : والغلمان المرد .

(٢) ابن المعتز ٢٠٨ .

(٣) ابن المعتز : فى القلب يجرح دائما .

(٤) ابن المعتز ٨٩ .

(٥) الشعر فى غ يائى الروى لا سينيه ، فرويه فيه : راسيا جلاسيا .

(٦) ابن المعتز : وادن فضع صدرك .

ويحكى أن المنصور قال لوالبة : « ادخل إلى المهدى فجالسه وحادثه » . فدخل إليه. فكان أول ما أنشده :

قولا لعمرو لا تكُنْ ناسِيا — وسَقِّنِى لا تحبسَنْ كاسيا[1]
واردُدْ على الهيثمِ مثلَ الذى — هجتَ به ـ ويحك ـ وَسْواسِيا
وسَقِّ إبراهيم لا تُعْفِه — حتى تراه مِثْلَنا حاسِيا
كَرْخيَّةً يُحْسَب من ذاقَها — صاحب مُومٍ لم يجد آسِيا[2]
وقُلْ لمن لام على شربها — اعضض برغم حجرا قاسيا
وقل لساقينا على خَلْوة — أدنِ كذا رأسك من راسِيا
ونَمْ على جنبك لى ساعة — إنى امرؤٌ أنكح جلاسيا[3]

فبلغ المنصور ذلك ، فقال : « لا تعيدوه إليه، أردنا أن نصلحه فإذا هو مفسده» .

قال الدَّعْلَجى غلام أبى نواس : « أنشدت يوماً بين يدى أبو نواس قوله[4] :

يا شقيقَ النفسِ من حَكَمٍ — نمتَ عن ليلى ولم أنَمِ[5]

وكان قد سكر . فقال : « أخبرك بشىء على أن تكتمه ؟ » قلت : « نعم » . قال : « أتدرى من المَعْنِىّ بهذا :

* يا شقيق النفس من حكم * ؟ »

قلت : « لا » . قال : « أنا ـ والله ـ المعنى بذلك ، والشعر لوالبة بن الحباب قاله فىّ . ووالله ، ما علم بهذا غيرك ، وأنت أعلم » . فما حدثت بذلك حتى مات .

---

(١) الوزراء والكتاب للجهشيارى ١٤٩ : وسقنى الخمرة من كاسيا .
(٢) الكرخية : الخمر : المنسوبة إلى الخمر . والموم : الحمى . والآسى : الطبيب .
(٣) الجهشيارى : ونم على صدرك .
(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٥٠١ .
(٥) ب ، س : عن عينى .

قال الجاحظ(١) : كان والبة بن الحباب ومطيع بن إياس ومُنْقِذ بن عبد الرحمن الهلالى(٢) وحَفْص بن أبى وَرْدة(٣) وابن المقفع ويونس ابن أبى فَرْوة وحَمّاد عَجْرد وعلى بن الخليل وحَمّاد الراوية وحماد بن الزِّبْرِقان وعُمارة بن حمزة ويزيد بن الفَيْض وجميل بن محفوظ وبَشّار المُرَعَّث وأبان اللّاحِقى(٤) ، ندماء يجتمعون على الشراب وقول الشعر ، ولا يكادون يفترقون ، ويهجو بعضهم بعضا هزلا وجِدا ، وكلُّهم متّهم فى دينه .

كان والبة أتى بُجيرا(٥) الأسدى . وهو يتولى الأهواز للمنصور . فمدحه وأقام عنده . فألفى أبا نواس هناك وهو أمرد فصحبه . وكان أبو نواس حسن الوجه . فلم يزل معه . فيقال : إنه كشف ثوبه ليلة فرأى حمرة أَلْيتيه وبياضهما فأعجبته فقبّلها . فضرط عليه أبو نواس . فقال والبة : « لم فعلت هذا ، ويلك ؟ » قال : « كراهية أن يضيع قول القائل : ما جزاء من قبّل الاست إلا ضرطة » .

وكان والبة ماجنا مطبوعا خبيث الدِّين .

قال أبو سَلْهَب الشاعر : كان والبة صديق . فكنا يوما نشرب بغُمّى(٦) . فانتبه من سكره وقال : « يا أبا سلهب ، اسمع » . ثم أنشدَنى(٧) :

---

(١) لم أجد هذا النص عند الجاحظ ، وإن أورده عنه المرتضى فى الأمالى ١ : ١٣١ . ولكن فى الحيوان ٤ : ٤٤٧ ما يقرب منه ، إذ قال الجاحظ : « وكان حماد عجرد وحماد الراوية وحماد ابن الزبرقان ويونس بن هارون وعلى بن الخليل ويزيد بن الفيض وعبادة وجميل بن محفوظ وقاسم ومطيع ووالبة بن الحباب وأبان بن عبد الحميد وعمارة بن حربية يتواصلون وكأنهم نفس واحدة ، وكان بشار ينكر عليهم ثم أورد هجاء لأبى نواس فيهم بالزندقة .

(٣) المرتضى : حفص بن أبى ودة .

(٤) زاد عليهم المرتضى : يحيى بن زياد وقاسم بن زنقطة .

(٥) غ : أبا بجير .

(٦) غمى : قرية من نواحى بغداد قرب البردان وعكبرا .

(٧) ابن المعتز ٨٨ . ياقوت : معجم الأدباء ٣ : ٨٠٩ .

شربتُ وفاتكٌ مِثْلى جموحٌ ... بغُمَّى بالكؤوس وبالبَواطِى (١)
يُماطينى الزجاجةَ أَرْيَحِىٌّ ... رخيمُ الدَّلِّ، بُورِكَ من مُماطى! (٢)
أقول له على طَرَبٍ : أَلِطْنى ... ولو بمُؤاجَرٍ عِلْجٍ نُباطى (٣)
فما خيرُ الشراب بغير فِسْقٍ ... يُتابَع بالزِّناء وباللواط ؟ (٤)
جعلتُ الحج فى غُمَّى وبَنَّى ... وفى قُطْرُبُّلٍ أبدا رِباطى (٥)
فقُلْ للخَمْسِ : آخِرُ مُلْتقانا ... إذا ما كان ذاك على الصِّراط (٦)

يعنى الصلوات الخمس ، قبحه الله !

وحدث ليلة أنه كان نائما ، وأبو نواس غلامه إلى جنبه ، إذ أتاه آت فى منامه فقال له : « أتدرى من هـــذا النائم إلى جانبك ؟ » قال : قلت : « لا » . قال : « هذا أشعر منك ، وأشعر من الجن والإنس . أما والله ، لأفتِنَنَّ بشعره الثَّقَلَيْن ، ولأُغْوِيَنَّ بشعره أهل المشرقين » . قال : فعلمت أنه إبليس . فقلت له : « فما له عندك ؟ » قال : « عصيت الله فى سجدة فأهلكنى ، ولو أمرنى أن أسجد له ألف سجدة لسجدت » .

---

(١) ابن المعتز :

شبيه الفاتك العيار مثلى ... نعيم حين يشرب بالبواطى

والبواطى : جمع باطية ، وهى إناء الخمر .

(٢) ابن المعتز : يعاطينا .

(٣) العلج : الرجل الغليظ من كفار العجم . ياقوت : على طلب ... يناطى .

(٤) ب ، س : يتابعه زناء أو لواط . ابن المعتز :

فإن الخمر ليس تطيب إلا ... على وضر الجنابة باللواط

(٥) غمى : قرية من نواحى بغداد قرب البردان وعكبرا . وبنى : قرية على شاطئ دجلة من نواحى بغداد بينهما نحو فرسخين وهى تحت كلواذا . وقطربل : قرية بين بغداد وعكبرا تنسب إليها الخمر .

(٦) ياقوت : فقل للخمر .

الوليد البحتري*

هو الوليد بن عُبيد[1] بن يحيى بن عبيد بن شِمْلال بن جابر بن سَلَمة[2] بن مُسْهِر ابن الحارث بن خَيْثَم[3] بن أبى حارثة بن جُدَىّ بن تَدُول[4] بن [بُحْتُر بن][5] عِتُوَد بن عُنَين[6] بن سَلامان بن ثُعَل بن عمرو بن الغَوْث بن جُلْهُمة ، وهو طيىء بن أُدَد بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان . كنيته أبو عُبادة . وقيل : أبو الحسن ، فأُشير عليه فى أيام المتوكل أن يقتصر على أبى عبادة فإنها أشهر ، فاقتصر عليها .

شاعر فصيح ، فاضل ، حسن المذهب ، نقى الكلام . مطبوع . كان المشايخ ــ رحمهم الله ــ يختمون به الشعراء .

وله تصرُّف فى ضروب الشعر سوى الهجاء ، فإن بضاعته فيه نَزْرة ، وجَيِّده فيه قليل . وكان ابنه أبو الغوث يحيى يزعم أن السبب فى قلة بضاعته فى هذا الفن أنه لما حضَره الموت دعا به وقال : « اجمع كل شىء قلتُه فى الهجاء » . ففعل . فأمره فأحرقه . ثم قال له : « يا بنى ، هذا شىء قلتُه فى وقت فشفَيْتُ به غيظى وكافأت به

---

* أخباره فى ب ١٨ : ١٦٧ ، س ١٨ : ١٦٧ ، ى ٢١ : ٣٩ ، أخبار البحترى للصولى معجم الأدباء لياقوت ١٩ : ٢٤٨ ، تاريخ بغداد للخطيب ١٣ : ٤٧٦ .

(١) ب ، س ، وياقوت : عبيد الله .

(٢) ب ، س ، وياقوت : مسلمة .

(٣) كذا فى ب ، س . وفى ى وياقوت : جشم وفى س بدون نقط .

(٤) كذا فى س وصححها المعرى فى عبث الوليد ١٨ وفى ب ، س : نزول . وفى ى وياقوت بدول .

(٥) زيادة عن غ وياقوت والخطيب والنويرى ٢ : ٢٩٩ .

(٦) كذا فى الخطيب والاشتقاق لابن دريد ٣٨٧ . وفى س ، ى : عمير . وفى هامش س : عنبر . وفى س : عنمة . وفى نهاية الأرب : عنيز .

قبيحا فُعِل بى. وقد انقضى أَرَبى. وإن بقىَ رُوِى. وللناس أعقاب يورثونهم العداوة والمودة. وأخشى أن يعود عليك من هذا شىء فى نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولا لى فيه». فعلمت أنه قد نصحنى وأشفق على. فجمعته وأتيته به. فأحرقه.

وهذا الأمر إن كان كما روى أبو الغوث[1] ــ لا فائدة فيه، لأن الذى وجدناه وبقى فى أيدى الناس من هجائه أكثره ساقط، لا يشاكل شعره ولا يوافق طبعه ولا يَليق بمذهبه، وتنبئ بركتها، وغثاثة ألفاظها عن قلة حظه فى الهجاء. وما يُعْرف له هجاء جيد إلا قصيدتان: إحداهما قوله فى ابن أبى قماش[2]:

* مَرَّت على عزمها ولم تقف *

والثانية قوله فى يعقوب بن الفرج النصرانى[3]:

* تظنّ شجونىَ لم تَعْتَلِجْ *

وهى إن لم تكن فى أسلوب الأولى وطريقتها فإنها تجرى مجرى التهكم والطنز[4] الطيب الخبيث.

وكان البحترى يتشبه بأبى تمام الطائى فى شعره، ويحذو مذهبه، وينحو نحوه فى البديع الذى كان أبو تمام يستعمله، ويراه صاحبا وإماما، ويقدّمه على نفسه، ويقول فى الفرق بينه وبينه قولَ منصف: إن جَيِّد أبى تمام خير من جيده ووسطه، ورديئَه خير من وسط أبى تمام ورديئه. وكذا حكم هو لنفسه[5].

(١) كذا فى غ. وفى س: وهذا الأمر وإن كان أحر وهجاؤه لا فائدة فيه، تحريف.

(٢) ديوانه (طبع الجوائب ١٣٠٠ هـ) ٢: ١٥٩، وعجزه: «مبدية للشنان والشنف»

(٣) كذا فى غ وديوانه ٢: ١٠٠، وفى س: يعقوب بن أبى الفرج. وعجز البيت: «وقد خلج البين من قد خلج».

(٤) الطنز: السخرية.

(٥) ابن المعتز: طبقات الشعراء ٢٨٦، الصولى: أخبار البحترى ٥٧، وأخبار أبو تمام ٥٧. الآمدى: الموازنة ٨، ابن خلكان: الوفيات ٢: ١٧٦، ياقوت: معجم الأدباء ١٩٠: ٢٤٩ اليافعى: مرآة الجنان ٢: ٢٠٤ العباسى: معاهد التنصيص ١: ٢٣٤.

قيل للبحترى : « إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبى تمام » . فقال : « والله ، ما ينفعنى هذا القول ولا يضر أبا تمام . ووالله ما أكلتُ الخبز إلا به . ولوددْتُ أن الأمر كما قالوا . ولكنى — والله — تابعٌ له ، آخِذٌ منه ، لائذ به ، نَسيمى يركُد عند هوائه وأرضى تنخفض عند سمائه » .

وقال عبدالله بن الحسين[1] بن سعد للبحترى — وقد اجتمعا والمبرد معهما فى سنة ست وسبعين ومائتين ، وقد أنشد البحترى شعرا لنفسه ، وقد كان أبو تمام قال فى مثله — : « أنت — والله — أشعر من أبى تمام فى هذا الشعر » . فقال البحترى : « كلا والله . إن أبا تمام الرئيس والأستاذ . والله ، ما أكلتُ الخبز إلا به » . فقال المبرد : « لله دَرُّك يا أبا عبادة ! فإنك تأبى إلا شرفا من جميع جوانبك » .

قال البحترى[2] : « كان أول أمرى فى الشعر ونباهتى أنّى صرت إلى أبى تمام — وهو بحمص — فعرضت عليه شعرى ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم . فأقبل علىّ وترك سائر من حضر . فلما تفرقوا ، قال لى : « أنت أشعر من أنشدنى . فكيف حالك ؟ فشكوت إليه خَلة . فكتب إلى أهل مَعَرَّة النُّعْمان ، وشهد لى بالحذق فى الشعر ، وشفع لى إليهم ، وقال : « امتدِحْهم » . فصرت إليهم فأكرمونى بكتابه ووظّفوا لى أربعة آلاف درهم . فكانت أول مال أصبته . وكان نسخة كتابه : «يصل كتابى هذا على يدى الوليد أبى عبادة الطائى . وهوَ على بذاذته شاعر . فأكْرِموه» .

قال البحترى : أول ما رأيت أبا تمام أنى دخلت على أبى سعيد محمد بن يوسف ، وقد مدحته بقولى[3] :

---

(١) كذا فى س وأخبار البحترى للصولى ٥٧ . وفى ص ، ى : الحسن وانظر أخبار أبى تمام ٦٦ .

(٢) أخبار البحترى ٥٥ ، وأبى تمام ٦٦ ، وتاريخ بغداد ٩ : ٢١٢ ، ومعاهد التنصيص ١ : ٢٣٥ ، وهبة الأيام للبديعى ١٣ .

(٣) أخبار البحترى ٦٣ ، وأبى تمام ١٠٥ وديوان البحترى ٢ : ٢١٢ .

أأفاق صَبٌّ من جَوًى فأُفيقا أم خان عهدا أم أطاع شفيقا ؟(١)

فسُرّ بها أبو سعيد وقال : « أحسنت ، والله ، يا فتى ! » قال : وكان فى مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس نبيه فوق كل من حضر عنده ، تكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل علىّ ثم قال : « أما تستحى منى ؟ هذا شعرى تنتحله وتنشده بحضرتى ! » فقال له أبو سعيد : « أحقا تقول ؟ » قال : « نعم . وإنما عَلِقه منى وسبقنى إليك به وزاد فيه » . ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة حتى شككنى ــ علم الله ــ فى نفسى ، وبقيت متحيرا . فأقبل على أبو سعيد فقال لى : « يا فتى ، قد كان من قرابتك منا ووُدِّك لنا ما يغنيك عن هذا » . فجعلت أحلف بكل محرجة من الأيمان أن الشعر لى ما سبقنى إليه أحد ولا سمعته ولا انتحلته . فلم ينفع ذلك شيئا . وأطرق أبو سعيد . وقطع بى حتى تمنيت أنى سُخْت فى الأرض . فقمت منكسف البال أجر رجلىّ فخرجت . فما هو إلا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان فردونى . فأقبل علىّ الرجل وقال : الشعر لك ، يا بنى والله ، ما قلته قط ولا سمعته إلا منك . ولكننى ظننتَ أنك تهاونت بموضعى فأقدمت على الإنشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا ، تريد بذلك مضاهاتى ومكاثرتى ، حتى عرّفنى الأمير نسبك وموضعك ولوددت ألا تلد طائية إلا مثلك » . فجعل أبو سعيد يضحك . ودعانى أبو تمام إليه وعانقنى وأقبل يقرّظنى . ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه واقتديت به .

وقيل : إنه دخل على أبى سعيد فألفى عنده أبا تمام قد أنشده قصيدة له . فاستأذنه البحترى فى الإنشاد وهو يومئذ حديث السن . فقال له : « يا غلام ، أتنشد بحضرة أبى تمام ! » فقال : « تأذن ويسمع » . فأذن له . فقام وأنشده إياها ، وأبو تمام يسمع ويهتز من قرنه إلى قدمه استحسانا لها . فلما فرغ ، قال له : « أحسنت ، والله يا غلام ! فمن أنت ؟ » قال : « من طيء » . فطرب أبو تمام

(١) الديوان ، والأخبار ، غ : من هوى . وفى غ : أو خان عهدا أو أطاع شفيقا .

وقال : « من طيء ، والله ! الحمد لله على ذلك » . وقبّل بين عينيه وضمه إليه . وقال : « لوددت أن كل طائية تلد مثلك » . ثم قال لأبى سعيد : « قد جعلت جائزتى له » . فأمر بها له ، فضُمّت إلى مثلها ، ودُفعت للبحترى . وأعطى أبا تمام مثلها . وخَصّ به . وكان مدّاحا له طول أيامه ولابنه من بعده . ورثاهما بعد مَقاتلهما فأجاد . ومراثيه فيهما خير من مدائحه لهما . وروى أنه قيل له فى ذلك ، فقال : « من تمام الوفاء أن تفضُل المراثى المديح » لا كما قال الآخر[1] — وقد سُئل عن ضعف مراثيه فقال : « كنا نعمل للرجاء ونحن الآن نعمل للوفاء ، وبينهما بُعْد » .

وكان البحترى من أوسخ خلق الله ثوباً وآلة وأبخلهم على كل شىء . وكان له أخ وغلام معه فى داره . فكان يقتلهما جوعاً . فإذا بلغ منهما الجوع ، أتياه يبكيان . فيرمى إليهما بثمن أقواتهما مُضيَّقاً مقتّرا ، ويقول : « كُلا ، أجاع الله أكبادكما ، وأعرى أجسامكما ، وأطال إجهادكما » .

وكان له غلام رومى ليس بحسن الوجه يقال له نسيم . وكان قد جعله باباً من أبواب الحِيَل على الناس . فكان يبيعه ويعتمد أن يُصيّره فى مِلْك بعض أهل المروآت ومن يَنْفُق عنده الأدب . فإذا حصل فى ملكه ، شبّب به وتشوّقه ، ومدح مولاه حتى يَهَبَه له . فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم ، فكُفِى الناس أمره .

قال أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهانى : دخلت إلى البحترى يوماً فاحْتَبسنى عنده . وجاء بطعام له ودعانى إليه . فامتنعت من أكله . وعنده شيخ شامى لا أعرفه ، فدعاه إلى الطعام . فتقدم فأكل معه أكلا عنيفا . فغاظه ذلك . ثم التفت إلىّ فقال : «أتعرف هذا ؟ » قلت : « لا » . قال : « هذا شيخ من بنى الهُجَيم الذين يقول فيهم الشاعر :

وبنو الهُجَيمِ قبيـلةٌ ملعونةٌ   حُصُّ اللِّحَى متشابهو الألوانِ[2]

---

(١) هو أبو يعقوب الخريمى . (الوزراء والكتاب للجهشيارى ٢٦٨) .

(٢) الحص : جمع أحص ، وهو الساقط الشعر .

لو يسمعون بأكلةٍ أو شربةٍ بعُمانَ أضحى جَمْعُهم بعمــانِ

فجمل الشيخ يشتمه ونحن نضحك .

اجتــازت جارية بالمتوكل معها كوز ماء وهى أحسن من القمر . فقال لهــا : « ما اسمك ؟ » قالت : « برهان » . قال : « ولمن هذا الماء ؟ » قالت : « لستى قَبيحة[1] » . قال : « صُبِّيه فى حلق » . فشربه عن آخره . ثم قال للبحترى : « قُل فى هذا شيئاً » . فقال[2] :

ما قهوةٌ من رَحيقٍ كأسُها ذهبٌ جاءتْ به الحورُ من جَنّاتِ رضوانِ

يوما بأَطْيَبَ من ماء بلا عَطَشٍ شربتُه عَبَثا من كفِّ بُرْهانِ

بعث البحترى إلى محمد بن على بن القاسم القُمِّى يَسْتَهديه نبيذاً . فبعث إليه نبيذاً مع غلام له أَمْرَد . فجَمَّشه البحترى تجميشاً غضب منه الغلام غضباً شديداً[3] . وعلم البحترى أنه سيُخبر مولاه بما جرى . فكتب إليه[4] :

أبا جعفرٍ ، كان تَجْميشُنــا غلامَك إحدى الهَنَاتِ الدَّنِيَّه[5]

بعثتَ إلينــا بشمسِ المُدامِ تُضيء لنــا مع شمس البَرِيَّه

فليتَ الهديةَ كان الرسولُ وليت الرسولَ إلينــا الهديّه

فبعث محمد بن على إليه بالغلام هدية . فانقطع البحترى عنه بعد ذلك مدة خجلا مما جرى . فكتب إليه محمد بن على :

هجرتَ كأن البِرَّ أَعْقَبَ حِشْمةً ولم أر برا قبلَ ذا أعقبَ الهجرا[6]

---

(١) أحب زوجات المتوكل إليه وأم الخليفة المعتز ، سميت قبيحة لعظيم جمالها .

(٢) لم أجده فى ديوانه .

(٣) التجميش : الملاعبة والمغازلة .

(٤) ديوانه ٢ : ٩٣ . أخبار البحترى ١٢٩ . التحف والهدايا للخالدين ٤٩ .

(٥) أخبار البحترى : الرديه .

(٦) ن : ولم أر وصلا . وفى ديوان البحترى ٢ : ١٠٥ :

هجرت كأن الوصــل أعقب هجرة وما خلت وصلا قبلها يعقب الهجرا

فقال فيه قصيدته التى أولها[١] :

« * فتى مذحجٍ عَفْوا ، فتى مذحجٍ غَفْرا * »

وهى طويلة[٢] . وقال البحترى فيه أيضاً[٣] :

أَمواهِبٌ هاَتِيكَ أم أنواءُ هُطُلٌ ، وأَخْذٌ ذاكَ أم إعْطاءُ
إنْ دام ذا أو بعضُ ذا من فِعْلِ ذا فَنِيَ السخاءُ فلا يُعَدُّ سَخاء[٤]

منها :

أمحمدُ بن علىٍّ اسمعْ عُذْرةً فيها شفاءٌ للمُسِىءِ وداء[٥]
إنى هجرتُك إذ هجرتك حِشْمةً لا العَوْدُ يُذْهِبُها ولا الإِبْداء[٦]
أخجلتَنى بنَدَى يديْك فسَوَّدتْ ما بيننا تلك اليدُ البيضاء
وقطعتَنى بالبِرِّ حتى إننى متوهِّمٌ أنْ لا يكونَ لقاء[٧]
صِلةٌ غدتْ فى الناسِ وهْى قطيعةٌ عَجَبــا ، وبِرٌّ راح وهْو جَفاء[٨]
لَيُواصِلَنَّك رَكْبُ شعرٍ سائرٍ يَرْويه فيك لُحسْنِه الأعداء[٩]
حتى يَتِمَّ لك الثناءُ مخلَّدا أبدا كما تَمَّتْ لك النَّعْماء[١٠]

(١) ديوانه ٢ : ١٠٦ ، وعجزه : « لمعتذر جاءت إساءته تترى » .
(٢) ليس فى الديوان منها غير ١٤ بيتا .
(٣) ديوانه ٢ : ٢١٩ .
(٤) غ والديوان : ذهب السخاء . الديوان : فلا يحس سخاء .
(٥) الديوان : فيها دواء .
(٦) الديوان : إنى صرمتك إذ صرمتك وحشة .
(٧) الديوان . وقطعتنى بالجود . . متخوف ألا يكون لقاء .
(٨) الديوان : عجب .
(٩) ب ، س : لأوصلنك . غ : ركب شعرى . . تهدى به، ب ، س : فى مدحك الأعداء.
ى : من مدحك الأعداء .
(١٠) الديوان : تمت لى . غ : دامت لك النعماء .

فتَظلُّ يحسُدكَ الملوكُ الصيِّدُ بى ... وأظلُّ يحســـدنى بك الشعراء[1]

ومات البحترى بالسكتة . قال الأخفش : سألنى القاسم بن عبيد [الله][2] عن خبر البحترى ، فقلت : « إنه مات بالسكتة » . فقال : « ويحه ! رُمى فى أَحْسَنِه » .

قال البحترى : أنشدنى أبو تمام لنفسه يوما[3] :

وسابحٍ هَطِلِ التَّعْداء هتّانِ ... على الجراء أمينٍ غيرِ خوّان[4]

أَظْمَى الفُصوصِ ولم تَظْمأْ قوائمُه ... فجُلْ بعينيك فى ظمآنَ ريّان[5]

فلو تراه مُشيحا والحصى زِيَمٌ ... بين السَّنابكِ من مَثْنى ووُحْدان[6]

أيقنتَ إنْ لم تَثبَّتْ أنّ حافِرَه ... من صخرِ تَدْمُرَ أو من وجه عُثْمان[7]

ثم قال لى: « ما هذا الشعر؟ » قلت : « لا أدرى » . قال : « هذا هوالمستطرد» أو قال : « الاستطراد » . قلت : « وما معنى ذلك ؟ » قال : « يُريك أنه يريد صفة الفرس وهو يريد هجاء عثمان » .

وقد فعل البحترى ذلك . فقال فى صفة الفرس أيضا[8] :

ما إنْ يَعافُ قَذًى ولو أوردْتَه ... يوما خلائقَ حَمْدَوَيْهِ الأحولِ

(١) غ والديوان : تحسدك .

(٢) هو وزير المعتضد والمكتفى .

(٣) ديوانه (بيروت ١٨٨٩) ٤٦١ أخبار البحترى ٥٩ . الصناعتين للعسكرى ٣٩٩ . زهر الآداب للحصرى ١٠١٤ ، معجم الأدباء ٩ : ٢٥٠ . وهى فى هجاء .

(٤) عثمان بن إدريس السامى . السابح : الفرس التى تسبح بيديها فى سيرها . والتعداء : العدو والجرى والجراء .

(٥) الديوان والزهر والصناعتين والأخبار ، غ : فخل عينيك . الصناعتين : لظمأ عرائكه والفصوص : المفاصل ، وظمؤها : ضمورها .

(٦) الأخبار والديوان : والحصى رمض . وزيم : متفرق . الديوان : تحت السنابك .

(٧) ياقوت : إن تثبت . الديوان : حلفت إن لم تثبت .

(٨) ديوانه ٢ : ٢١٨ . زهر الآداب ١٠١٥ . أخبار البحترى ٥٩ . الصناعتين ٤٠٠ . معجم الأدباء ١٩ : ٢٥٠ .

وكان حمدويه الأحول عدوا لمحمد بن على الممدوح بهذه القصيدة ، فهجاه فى عُرْض مدحه لمحمد .

قال البحتري : قال أبو تمام : « بلغنى أن بنى حُميد أعطوك مالا جليلا فيما مدحتهم به ، فأنشدنى شيئا منه » فأنشدته بعض ما قلت فيهم . فقال لى : « كم أعطوك ؟ » فقلت : « كذا وكذا » . فقال لى « لقد ظلموك . ، والله ما وَفَوْك حقك(١) . فلِمَ استكثرتَ ما دفعوه إليك ؟ فوالله ، لَبَيْتٌ منها خير مما أخذت منهم » . ثم أطرق قليلا وقال: « لَعمرى لقد استكثرت ذلك واستُكثِر لك . لقد مات الناس وذهب الكرام وغاضت المكارم وكسدت سوق الأدب . أنت ـ والله يا بنى ـ أمير الشعراء بعدى غدا » . فقمت فقبلت رأسه ويديه ورجليه . وقلت له : « والله ، لهذا القول أسرُّ لقلبي وأقْوى لنفسى مما وصل إلىّ من القوم » .

قال البحترى : أنشدت أبا تمام يوما شيئا من شعرى . فتمثل بيت أَوْس ابن حَجَر(٢) :

إذا مُقْرَمٌ منّا ذَرا حــدُّ نابِه تَخَمَّط منا نابُ آخرَ مُقْــرَمِ(٣)

ثم قال لى : « نَعَيْتَ ـ والله ـ إلىّ نفسى » . فقلت : « أُعيذك بالله من هذا القول » . فقال : إن عمرى لن يطول وقد نشأ فى طيئٍ مثلك . أو ما علمت أن خالد ابن صفوان رأى شَبيب بن شَيْبة وهو من رهطه يتكلم ، فقال: « يا بنى ، لقد نعى إلىّ نفسى إحسانُك فى كلامك ، لأنا أهل بيت ما نشأ منا خطيب قط إلا مات من قبله» . فقلت له : « بل يُبقيك الله ويجعلنى فداءك » . قال : فمات أبو تمام بعد سنة .

(١) حقك : كذا فى غ . وفى س : حقهم .

(٢) ديوانه (طبع بيروت ١٩٦٠) ١٢٢ . الخطيب ١٣ : ٤٧٨ .

(٣) ب ، س والديوان : تخمط فينا . الديوان : وإن مقرم . وذرا : انكسر أو وقع . وتخمط : تكبر وأخذ قهرا . والمقرم : السيد المقدم .

قال أبو العَنْبَس الصَّيْمرى : كنتُ عند المتوكل والبحترى ينشده[١] :

عن أىّ ثغـــرٍ تبتسمْ ؟ وبأىِّ طَرْفٍ تحتـكمْ ؟

حتى بلغ إلى قوله فيها :

قُلْ للخليفةِ جعفر الـــ ـمتـــوكِّلِ بن المعتصمْ
المُبْتَدِى للمُجْتَـدى[٢] والمُنْعِـــم بن المنتقِمْ
اِسـلَمْ لدينِ محمَّـدٍ فإذا سلمْتَ فقـد سَلِمِ

وكان البحترى من أَبْغَض الناس إنشادا : يتشادق ويتزاور[٣] فى مشيته مرة جانبا ومرة القهقرى ، ويهز رأسه ومنكبيه أخرى ، ويشير بكمه ، ويقف عند كل بيت ويقول : « أحسنتُ والله ! » ثم يقبل على المستمعين فيقول : « ما لكم لا تقولون لى : أحسنتُ هذا — والله — لا يحسن أحد [أن] يقول مثله » . فضجر المتوكل من ذلك وأقبل علىّ ، وقال : « ألا تسمع — يا صيمرى — ما يقول هذا ! » فقلت : « يا سيدى ، مُرْنى فيه بما أحببت » . فقال : « بحياتى اهْجُه على هذا الرَّوِىّ الذى أنشدنيه » . فقلت : « تأمر ابن حمدويه أن يكتب ما أقول » . فدعا بدواة وقرطاس . وحضرنى على البديهة أن قلت من أبيات : —

فى أى سَلْحٍ تَلْتَقِمْ ؟ وبأى كَفٍّ تَلْتَطِمْ ؟[٤]
يا بُحتريُّ حَذارِ وَيْـ ـحَكَ من قضاقِضَة ضُغُمْ[٥]

---

(١) ديوانه ١ : ٥٣ . أخبار البحترى ٨٧ ، ٨٨ ، ١٧١ . معجم الأدباء ١٨ : ١٢ .

(٢) الديوان : للمرتضى بن المجتبى . ياقوت : والمجتدى بن المجتدى .

(٣) يتزاور : كذا فى غ أى ينحرف . وفى س : يتشاور .

(٤) الأخبار مرة : من أى سلح . وفيه وفى غ : فى أى سلح ترتطم . وياقوت : فى أى سلح تلتطم . وفى غ ومعجم الأدباء : وبأى كف تلتقم .

(٥) ياقوت : ويلك القضاقضة : جمع قضاقض، وهو الأسد . والضغم : جمع ضاغم ، وهو العاض بملء فيه .

فلقد أسَلْتَ بواديَبْـ ـك من الهجا سَيْلَ العَرِم[1]
وبأىِّ عِرْضٍ تعتصِمْ ؟ وبهَتْكِهِ جَفَّ القلم[2]
واللهِ ، حِلْفَةَ صادقٍ وبقبرِ أحمدَ والحَرَم
وَحَقِّ جعفرٍ الإمـا م بن الإمام المعتصم[3]
لأُصَـيِّرَنَّك شُهْرَةً بينَ المَسيل إلى العَلَم
حَيِّ الطُّلول بذى سَلَمْ بينَ الأَراكة والخِيَم[4]
يـا ابن الثقيلةِ والثقيـ ـلِ على قلوبِ ذوى النِّعَم
وعلى الصغيرِ مع الـكبيـ ـرِ من الموالى والخَدَم[5]
يا ابن المُباحةِ فى الورَى أمن العفافِ أم التُّهَم[6]
إذ رَحْلُ أختِـك للعجَم وفراشُ أُمِّك فى الظُّلَم
وبباب دارك حانــة فى بيتِه يُؤتَى الحَكَم[7]

فغضب البحترى وخرج يعدو . وجعلت أصيح به :

أدخلتَ رأسك فى الحِرَم وعلمتَ أنــك تنهزم[8]

فضحك المتوكل حتى غُلب. وأمر لأبى العنبس بالصلة التى أُعدت للبحترى .

---

(١) ب ، س : أسلت بوالديك . ياقوت : أسلت لوالديك .
(٢) غ وياقوت : فبأى .
(٣) غ وياقوت : وبحق .
(٤) غ وياقوت : حيث الأراكة .
(٥) ب . س : ابن الموالى . غ : الموالى والحشم . ياقوت : مع الموالى والحشم .
(٦) غ وياقوت : للورى .
(٧) كذا فى غ وياقوت. وفى س : وبنات دارك.
(٨) غ والأخبار مرة : فى الرحم . وفى الأخبار مرة منهزم .

قال أحمد بن يزيد : حدثنى أبى قال : جاءنى البحترى فقال لى : « يا أبا خالد ، أنت عشيرى وابن عم وصديق ، وقد رأيتَ ما جرى علىّ . أفترى أن أخرج إلى مَنْبِج[(١)] بغير إذن ، فقد ضاع العلم والأدب ؟ » فقلت له : « لا تفعل من هذا شيئا ، فإن الملوك تمزح بأكثر من هذا » . ومضيت معه إلى الفتح ، فشكا إليه فقال له نحواً من قولى ووصله وخلع عليه وسكّن منه . فسكَن إلى ذلك .

ولما قتل المتوكل قال أبو العنبس الصيمرى :

يا وحشةَ الدنيا علــى جعفرٍ عـلى الهُمامِ المَلِكِ الأزْهَرِ
على قتيلٍ من بنى هـاشمٍ بين سريرِ المُلْكِ والمِنْبَرِ
واللهِ ربِّ البيتِ والمَشْعَرِ واللهِ أنْ لو قُتِـل البُحْترى
لَثارَ بالشامِ لــه ثائرٌ فى ألفِ نَغْلٍ من بنى عَضْخَرِى[(٢)]
يَقْدُمُهم كلُّ أخى ذلةٍ على حمــارٍ دابرٍ أعورِ

فشاعت الأبيات حتى بلغت البحترى . فضحك وقال: « هذا الأحمق يرى أنى أجيبه على مثل هذا ! ولو عاش امرؤ القيس فقال مثلَ قوله لم أُجبه » .

---

(١) منبج : بلدة الشاعر فى شمال سورية قرية من حلب .

(٢) غ : نغل . وفى س بدون نقط . والنغل : ابن الزنا .

حرف الياء

يزيد حَوْراء*

رجل من أهل المدينة ، من موالى بنى لَيْث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة . كنيته أبو خالد .

مُغَنٍّ مُحسن . قدِم على المهدىّ فى خلافته وغنّاه . وكان حسن الصوت ، حلو الشمائل .

فحسده إبراهيم الموصلى على شمائله وإشاراته(1) فى الغناء . فاشترى عدة جَوارٍ وشاركه فيهن . وقال له : « عَلِّمهن . وما رَزَق الله من ربح فيهن فهو بيننا » . وأمرهن أن يجعلْنَ وَكْدَهنّ أخذ إشاراته(1) . ففعلن ذلك . فكان إبراهيم يأخذها عنهن هو وابنه ، ويأمرهن بتعليم كلٍّ من يعرفْنَه ذلك، حتى شَهرها فى الناس، فأبطل عليه ما كان منفردا به من ذلك .

وكان نظيفا ظريفا شَكِلا(2) حسن الوجه ، لم يقدم من الحجاز أنظف منه ولا أشكل .

وكان صديقا لأبى مالك الأعرج . فمرض مرضا شديدا واحتُضِر . فاغتم عليه الرشيد وبعث بمسرور مرات يسأل عنه . ثم مات . فقال أبو مالك فيه من أبيات :

لم يُمَتَّعْ من الشبابِ يزيدُ صار فى التُّرْبِ وهو غَضٌّ جَديدُ

---

*أخباره فى ب ٣ :٧٣ ، س ٣ : ٧٠ ، د ٣ : ٢٥١ ، ى ٣ : ٢٤٦ ، ت ١ : ٤٠٧ .

(1) غ : إشارته .

(2) الشكل : ذو الدل والغزل

فكأنْ لم يكنْ يزيدُ ولم يَشْـ ـجُ نَديما يَهزُّه التَّغريد

وكان يتعصب لإبراهيم على ابن جامع . فكان إبراهيم يرفع منه ويُشيع ذكره وينبه على مواضع تقدمه .

قال يزيد حوراء: « كَلَّمني أبو العتاهية فى أن أكلم المهدى فى أمر عتبة ، وأن أتنجَّز له ما كان وَعَده من تزويجها له . فقلت له : « إن الكلام لا يمكنني ولكن قلْ شعرا أغنيه فيه » . فقال[1] :

نفسِى بشيء من الدنيا مُعلَّقةٌ اللهُ والقائمُ المهدىُّ يَكْفِيها

إنى لآيَسُ منها ثم يُطمِعُنى فيها احتقارُكَ للدنيا وما فيها[2]

قال : فعملت فيه لحنا وغنيته . فقال : « ماهذا ؟ » فأخبرته خبرَ أبى العتاهية . فقال : « ننظر فيما سأل عنه » . فأخبرت بذلك أبا العتاهية » . ثم مضى شهر . فجاءنى فقال : « هل حدث خبر ؟ » فقلت : « لا » . قال : « فاذكرنى للمهدى » . فقلت : « إن أحببت ذلك فقل شعرا تحركه به وتذكِّره وعده حتى أغنيه به » . فقال[3] :

ليتَ شِعْرِى ماعندكم ؟ ليت شعرى فلقد أُخِّرَ الجوابُ لأمرِ[4]

ما جوابٌ أوْلَى بكل جميلٍ من جوابٍ يُرَدُّ من بعدِ شَهْرِ

قال يزيد : فغنيت المهدى فقال : « علىّ بعُتْبة » . فأُحضِرت . فقال : « إن أبا العتاهية كلّمنى فيك . فما تقولين ؟ ولك عندى وله كل ما تحبان مما لا تبلغه أمانيكما » . فقالت له : « قد علم أمير المؤمنين ما أوْجب الله علىّ من حق مولاتى ،

---

(١) القصة فى زهر الآداب ٣٢٦ . ديوانه ٣٢٤ .

(٢) غ ، ت ، والحصرى والديوان : إنى لأيأس .

(٣) ديوانه ٣٢٥ .

(٤) الحصرى : إنما أخر .

وأريد أن أذكر هذا لها » . قال : « فافعل » . قال : فأعلمتُ أبا العتاهية . ومضت أيام فسألني معاودة المهدى . فقلت : « قد عرفتَ الطريق فقل ما شئت حتى أغنيه به » . فقال[1] :

ولقد تَنَسَّمتُ النجاحَ لحاجتى فإذا لها من راحتَيْك نَسيمُ[2]

ولربما استيأستُ ثم أقول : لا إن الذى وَعَـد النجاحَ كَرِيمُ[3]

أعملتُ نفسى من رجائك ماله عَنَقٌ يَخُبُّ إليـك بى ورَسيمُ[4]

ورميتُ نحوَ سماءِ جُودك ناظِرى أرعى مَخايلَ بَرْقها وأَشيمُ[5]

قال يزيد : فغنيته فقال : « علىَّ بعُتبة » . فجاءت . فقال : « ما صَنَعْتِ » . فقالت : « ذكرت ذلك لمولاتى فكرهته وأبت أن تفعل . فليفعل أمير المؤمنين ما يريد » . فقال : « ما كنت لأفعل شيئا تكرهه » . فأعلمت أبا العتاهية بذلك . فقال من أبيات[6] :

ولئِنْ طمعتُ لَرُبَّ بَرْقَةِ خُلَّبٍ مالتْ بذى طمعٍ ولَمْعَةِ آلِ[7]

وقيل : إن المهدى دعا بأبى العتاهية وقال له : « أما عتبة فلا سبيل إليها لأن

---

(١) ديوانه ٣٢٧ .

(٢) غ : تنسمت الرياح حاجتى . ت ، والحصرى والديوان : تنسمت الرياح لحاجتى . والحصرى: وإذا .

(٣) غ مرة والحصرى والديوان : ضمن النجاح .

(٤) ت : أعلقت نفسى . غ : والحصرى والديوان : أشربت قلبى . والعنـق والرسيم : نوعان من السير . ويخب : يسرع .

(٥) غ مرة : وأملت نحو . . برقه . وفى زهر الآداب : وأملت نحو سماءصوبك . والجود بفتح الجيم : المطر الغزير ، وجائز أن تكون بضم الجيم بمعنى الجود . وأشيم : أتطلع .

(٦) ديوانه ١٩٤ .

(٧) الحصرى : برق خلب . والخلب : ما لامطر فيه . والآل : السراب . الديوان : ولئن يئست . . برقت لذى طمع وبرقة آل .

مولاتها منعت منها ، ولكن هذه خمسون ألف درهم فاشترِ ببعضها خيرا من عتبة » .

فحملت إليه .

قال يزيد حوراء : كنت أجلس بالمدينة على أبواب قريش . وكانت تمرّ بى جارية تختلف إلى الزّرقاء تتعلم منها الغناء . فقلت لها يوما : « افهمى قولى ، وردّى جوابى ، وكونى عند ظنى » . فقالت : « هاتِ ما عندك » . فقلت : « باللهِ ، ما اسمُكِ » . فقالت: « مُمنَّعة » . فأطرقت طِيَرَةً(١) من اسمها مع طمعى فيها . ثم قلت : « بل باذلة أو مبذولة ، إن شاء الله . فاسمعى منى » . فقالت وهى تبتسم : « إن كان عندك شىء فقُل » . فقلت :

لِيَهْنِكِ منى أننى لستُ مُفْشِيا هواكِ إلى غيرى ولو متُّ من كَرْبِ
ولا مانحا خَلْقا ســواكِ محبــةً
ولا قائلا — ما عشتُ — من حُبِّكم حَسْبى(٢)

فنظرت إلىّ طويلا ثم قالت : « أنشُدك الله : أعن فَرْط محبة أم اهتياج غُلْمة تكلمت ؟ » فقلت : « لا والله إلا عن فرط محبة » . فقالت :

فواللهِ رَبِّ الناس ، لا خُنْتُك الهوى ولا زلتَ مخصوصَ المحبةِ من قلبى
فثِقْ بى فإنى قد وثقتُ ولا تكن على غير ما أظهرتَ لى يا أخا الحب

فوالله ، لكأنّما أضرمت فى قلبى نارا . وكانت تلقانى فى الطريق التى كانت تسلكها وتحدثنى فأتفرّج بها ، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء ، فكانت تكاتبنى وتلاطفنى دهرا طويلا .

---

(١) تشاؤما .

(٢) غ ، ت : سواك مودتى .

يَزِيدُ بْنُ ضَبَّةَ*

مولى ثَقيف . واسم أبيه مِقْسَم . وضبة أمه ، غلبت على نسبه لأن أباه مات وخلّفه صغيرا . وكانت أمه تحضُن أولاد المغيرة بن شعبة ثم أولاد ابنه عُرْوة بن المغيرة . ووَلاؤهم لبنى مالك بن حُطَيط ثم لبنى عامر بن يَسار .

قال عبد العظيم بن عبد الله بن يزيد بن ضبة : كان جدى يزيد منقطعا إلى الوليد ابن يزيد فى حياة أبيه لا يفارقه . فلما أفضت الخلافة إلى هشام ، أتاه مهنّئا بالخلافة . فلما استقرّ به المجلس ووصلت الوفود فأثْنَت الخطباء عليه والشعراء تمدحه ، مَثَل جدى بين السِّماطين فاستأذن فى الإنشاد . فلم يأذن له وقال : « عليك بالوليد فامدحه وأنشِدْه » . وأمر بإخراجه . فبلغ الوليدَ خبرُه . فبعث إليه بخمس مائة دينار وقال له : « لو أمنتُ عليك هشاما لما فارقتَنى ، ولكن اخرج إلى الطائف ، وعليك بمالى هناك ، فقد سوّغتُك جميع غَلّته . ومهما احتجت إليه من شىء بعد ذلك فالتمسه منى » . فخرج إلى الطائف . فقال يذكر ما فعل به هشام :

أرى سلمى تَصُدُّ وما صَدَدْنا ... وغيرَ صُدودها كنا أرَدْنا(١)
ألَا مَنْ مُبلغٌ عنى هشاما ... فما منا البلاءُ وما بَعُدْنا
وما كنا عن الخلفاء نُقْصَى ... ولا كنا نؤخَّر إنْ شَهِدنا(٢)
ألم يك بالبلاء لنا جَزاءٌ ... فنُجْزَى بالمَحاسن أم حُسِدنا
وقد كان الملوك يَرَوْنَ حقا ... لوافدِنا فنُكْرَمُ إنْ وَفَدْنا

* أخباره فى ب ٦ : ١٤٦ ، س٦ : ١٤١ ، د ٧ : ٩٥ ، ى ٧ : ٩٣ ، ت ١ : ٨٣٧ .

(١) كذا فى غ . وفى س : ألا سلمى .

(٢) غ : وما كنا إلى الخلفاء نقصى .

وَلينا النـاسَ أزمانا طِوالا | وسُسْناهم ودُسْناهم وقُدْنا
ونـكْـوِى بالعداوة من بَغانا | ونُسعد بالمودة من وَدِدْنا
نرى حقا لسائلِنا عظيما | فنَحْبُوه ونُنْجِز إنْ وعَدْنا(١)
ونضمَن جارنا ونراه منـا | ونَرْفِدُه ونُجْزِل ما رفَدْنا(٢)
وكان أبوكَ قد أسْدَى إلينا | جسيمةَ أمرِه وبه سَعِدْنا

فلم يزل مقيما بالطائف إلى أنْ ولى الوليد الخلافة ، فوفَد عليه . فلما دخل الناس ، ومنهم جالس وواقف على مراتبهم ، سلّم وهنأه بالخلافة . فأدناه الوليد إليه وضمّه . وقبّل يزيد يديه ورجليه والأرض بين يديه . فقال الوليد لأصحابه :

« هذا طريد الأحول لصُحْبته إياى ولا نقطاعه إلى » فاستأذنه فى الإنشاد وقال له : « يا أمير المؤمنين ، هذا اليومُ الذى أمرنى(٣) عمُّـك بالإنشاد فيه ، وقد بلغتُه بعد يأس . والحمدُ لله على ذلك » . فأذن له فأنشده من أبيات :

سُلَيْمى تلك فى العِيـرِ | قِفِى إنْ شئْتِ أو سِيرِى(٤)

منها :

لقــد لاقيتُ من سَلْمى | تَبارِيحَ التَّنـاكِــير(٥)
دعتْ عيــنى لهـا قلبى | بأسبـاب المَقَـادير(٦)

---

(١) غ : ونجزل إن وعدنا .
(٢) غ : فنرفده فنجزل إن رفدنا . ونرفد : نعطى .
(٣) غ : نهانى .
(٤) غ : قفى أسألك . ت : قفى أخبرك . والعير : القافلة .
(٥) التباريح : الشدائد . والتناكير : الأمور المنكرة .
(٦) غ : وأسباب المقادير .

منها :

زجَرْنا العيسَ فارْقَدَّت بإعْصافٍ وتَشْمير(١)
تُقاسيها على أَيْنٍ بإدْلاجٍ وتَهْجير(٢)
إذا ما اعْصَوْصَبَ الآلُ ومال الظلُّ بالقور(٣)
وراحت تُنْتِج الشمس عُيونا كالقَوارير(٤)
إلى أنْ يُفصِحَ الصبحُ بأصوات العَصافير(٥)
لتَعْتامَ الوليدَ القَرْمَ أهلَ الجودِ والخير(٦)
كريمًا يَهَب البُزْلَ مع الخُور الجراجير(٧)
بَلَوْناهُ فأَحْمَدْنا هُ في عُسْرٍ ومَيْسُور(٨)

فأمر الوليدُ بعَدّ أبياتِ القصيدة ويُعْطَى بكل بيت ألفَ درهم . فكانت خمسين بيتا فأخذ خمسين ألف درهم . وهو أول خليفة عَدّ أبياتَ الشعراء وأعطى بكل بيت ألف درهم . ولم يفعل ذلك بعده أحد إلا هارون . فإنه أعطى مروان بن

---

(١) فارقدت : كذا في د ، ى . وفي س ، ب ، س : فارتدت . والعيس : الإبل البيض يخالطها شقرة . وارقدت : أسرعت. والإعصاف : الإسراع في السير .

(٢) الأين : الأعياء . والإدلاج : السير في الليل . والتهجير : السير في منتصف النهار .

(٣) اعصوصب : اشتد . الآل : السراب . والقور : جمع قارة ، وهى الجبل المنقطع عن الجبال أو الصخرة العظيمة .

(٤) غ :

وراحت تتقى الشمس مطايا القوم كالعور

(٥) غ : يفضح الصبح .

(٦) لتعتام : كذا في د ، ى . وفي ب ، س : لنعتام . وفي س : لتعتاد ، تحريف . وتعتام تقصد مختارة له . والقرم : السيد. والخير : الكرم والشرف .

(٧) غ : كريم . والبزل : جمع بازل ، وهو الجمل في التاسعة من عمره فما فوقها . والخور: النوق الغزيرة اللبن . والجراجير : الكرام من الإبل .

(٨) بلوناه : اختبرناه .

أبى حَفْصة ومنصورا النَّمرى ـ لما مدحاه وهَجَوَا آل أبى طالب عليهم السلام ـ بكل بيت ألف درهم .

وكان يزيد فصيحا ، يطلب القوافى المتعاصية والوَحْشىّ من الشعر[1] .

وقال مشايخ الطائف : إن يزيد قال ألف قصيدة ، فاقتسمتها شعراء العرب ، فذهبت بها ودخلت فى شعرها .

---

(١) غ : القوافى المعتاصة والحوشى من الشعر .

يَزِيد بن الطَّثْرِيَّة*

هو يزيد بن الصِّمَّة[1] ، أحد بنى سَلَمة الخير[2] بن قُشَير . وقال البصريون : إنه من ولد الأعور بن قشير .

وقيل[3] : هو يزيد بن سَلَمة بن سَمُرة بن سَلَمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صَعْصعة . وإنما قيل له سَلَمة الخير لأنه كان لقشير ابن آخر يقال له سلمة الشّر .

وقيل : إنه يزيد بن المُنْتشِر بن سلمة .

والطَّثْرية أمه امرأة من بنى طَثْر ، وهم حى من اليمن عِدادُهم فى جَرْم . وقيل : إن طَثْرا من عَنْز بن وائل ، أخى بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِىّ ابن جَديلة بن أسد بن رَبيعة بن نِزار .

وكان أبو جراد أحد بنى المُنتفِق بن عامر بن عُقيل أسر طَثْرا . فمكث عنده زمانا ثم خلاه وأخذ عليه إصْرا[4] ليَبْعَثَنّ إليه بفدائه أو ليأتِيَنَّه بنفسه وأهله . فلم يجد فِداء فاحتمل بأهله حتى دخل على أبى جراد . فوَسَمه سمة إبله . فهم حُلفاء لبنى المنتفق إلى الآن نحو خمس مائة رجل متفرقين فى بنى عُقيل يؤولون إلى بنى المنتفق .

---

* أخباره فى ب ٧ : ١١٠ ، س ٧ : ١٠٤ ، د ٨ : ١٥٥ ، ى ٨ : ١٥٧ ، ت ١ : ٩٥٣ وطبقات فحول الشعراء لابن سلام ٥٨٣ ، ٥٨٦ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٥٥ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ٢٩٩ ، ومعجم الأدباء لياقوت ٢٠ : ٤٦ .

(١) ذلك قول ابن الكلبى .

(٢) ابن سلام : أحد بنى عمرو بن سلمة .

(٣) ذلك قول أبى عمرو الشيبانى .

(٤) الإصر : العهد .

وهم يُمَيَّزون بذلك الوسم : وسم أبي جراد . وفيهم يقول يزيد بن الطثرية :

ألا بِئْس ما أنْ تَجْرِمُونى وتغضبوا عليّ إذا عاتبتُكم يا بنى طَثْرِ[١]

وفيهم يقول بعض من يهجوهم :

* عليه الوَسْمُ وسمُ أبي جَراد *

وقيل : إن الطثرية أم يزيد كانت مولعة بإخراج زُبْد اللبن ، فسميت الطثرية . وطَثْرة[٢] اللبن : زُبدته .

وكنية يزيد أبو المَكْشوح .

وكان يلقب مُودِّقا ، سُمِّى بذلك لحسن وجهه ، وحسن شعره ، وحلاوة حديثه . فكانوا يقولون : إنه إذا جلس بين النساء أَوْدَقْن[٣] .

وكان كثيراً ما يتحدّث إلى النساء . وكان يقال : إنه عِنِّين . وكانت النساء مفتونات به . ولا عَقِب له .

أَمْحَل الناسُ فى سنة حتى ذهبت الدَّقيقة من المال ونُهِكت الجليلة . فأقبل صِرْم[٤] من جَرْم ساقتْه السنة والجَدْب من بلاده إلى بلاد بنى قُشير . وكان بينهم وبين بنى قشير حرب عظيمة ، فلم يجدوا بُدّا من رمى قشير بأنفسهم ، لِما قد ساقهم من الجَدْب والمجاعة ورقة المال . ووقع الرَّبيع فى بلاد بنى قشير . فانتَجعها الناس وطلبوها . فلم يَعْدُ أن لقيتْ جرم قشيرا ، فنَصَبت قشير لها الحرب . فقالت جرم : « إنما جئْنا مستجيرين غير محاربين » . قالوا : « مماذا تستجيرون ؟ » قالوا :

---

(١) كذا فى غ . وفى س : أن تحرمونى ، وفى الهامش : تجزونى ، تحريف . وتجرمونى : تقطعونى .

(٢) كذا فى غ ، ت ، والمعاجم . وفى س : طثرية ، تحريف .

(٣) أودقن : ملن إلى الرجال ، أى فتنهن .

(٤) الصرم : الجماعة .

« من السَّنة والجدب والهَلَكة التي لا باقية لها » . فأجارتهم قشير وسالمْتهم وأرْعَتْهم طرفاً من بلادها .

وكان في جَرْم فتى يقال له مَيّاد . وكان غزِلا حسن الوجه ، تامّ القامة ، آخِذا بقلوب النساء . والغزل في جَرْم جائز حسن ، وهو في قُشير نائرة(١) . فلما نازلتْ جرم قشيرا وجاورتْها ، أصبح مَيّاد الجَرْمى فعدا إلى القُشَيريات . فطلب منهن الغزل والصِّبَي والحديث . واستْزار الفتيات عند غَيْبة الرجال واشتغالِهم بالسقى والرِّعية وما أشبه ذلك . فدفعْنَه عنهن وأسمْعَنه كل ما يكره .

وراح رجالُهن عليهن وهن مُغضَبات . فقال عجائز منهن : « والله ، ما ندرى : أأرعيتم جَرْما المراعى أم أرعيتُموهم بناتِكم ! » فاشتد ذلك عليهم فقالوا : « وماذلكنّه؟ » قلن : « رجل ظل منذ اليوم مُجْحِرا(٢) لنا ما يطلُع منا رأسُ واحدة يدور بين بيوتنا » . فقال بعضهم : « بيِّتوا جَرْما فاصْطَلِموها(٣) » . وقال بعضهم : « قبيح ! قومٌ قد سقيتُموهم مياهكم ، وأرعيتُموهم مَراعيكم ، وخلطتموهم بأنفسكم ، وأجرتُموهم من القحط والسنة ، تفتاتون عليهم هذا الافتيات ! لا تفعلوا ؛ وأصبحوا وتقدّموا إلى هؤلاء القوم في هذا الرجل ، فإنه سفيه من سفهائهم ، فيأخذوا على يده . فإن يفعلوا تُتِمّوا لهم إحسانكم ، وإن يمتنعوا أو يُقرّوا بما كان منه فذلك يُحِلّ لكم التبسُّط عليهم وتخرجوا من ذمّتهم » . فأجمعوا على ذلك .

فلما أصبحوا غدا نفرٌ منهم إلى جَرْم فقالوا : « ماهذه البِدْعة التي جاورتُمونا بها ! إن كانت لكم سَجيّة فليس لكم عندنا إرْعاء ولا إسْقاء . فبرِّزوا عنا أنفسكم

---

(١) ت : مكروه ، وهو المراد من نائرة ، التي تعني العداوة ، يريد يؤدى إلى العداوة .

(٢) كذا رجحت د ، ى ، أى ألجأهن إلى البقاء في جحورهن ، تريد منازلهن . وفى ب ، س ت : محجرا . وفى ص بدون نقط .

(٣) بيتوا : اهجموا عليها ليلا . واصطلموها : استأصلوها .

وائذَنوا بحرب . وإن كان افتتاناً فغَيِّروا على مَنْ فعله » . فقام نفر من جرم فقالوا :
« وما هذا الذى نالـكم ؟ » قالوا : « رجل منـكم أمس ظل يجرِّر أذياله بين بيوتنا ،
ماندرِى ما كان من أمره » . فقهقهت جرم من جَفاء قشير وعَجْرَفتهم . وقالوا :
« إنـكم لَتُحِسّون من نسائـكم ببلاء . ألّا فابعَثوا إلى بيوتنا رجلا ورجالا » . فقالوا:
« واللّه ، ما نحس من نسائنا ببلاء ، وما نعرف منهن إلا العفة والـكرم ، ولـكن
فيـكم الذى قلتم » . قالوا : « فإنا نبعث رجلا إلى بيوتـكم — يا بنى قشير — إذا غَدَت
الرجال وأُخليت النساء ، وتبعثون رجلا إلى بيوتنا . ونَتحالَفُ أنه لا يتقدم رجل منا
إلى زوجة ولا أخت ولا ابنة ، ولا يُعْلمها بشىء مما دار بين القوم . فَيظَلّ كل واحد
منهما فى بيوت أصحابه حتى يَرِدا علينا عشاء الماء . وتُخلَى لهما البيوت ولا تبْرز عليهما
امرأة ولا يُصادق منهما واحد واحدة ، فنَقبل منه صَرْفا ولا عَدْلا إلا بمَوْثِق يأخذه
عليها وعلامة تـكون معه منها » . قالوا : « اللهم ، نعم » . فظلوا يومهم ذلك وباتوا
ليلتهم . حتى إذا كان من الغد ، تواعَدوا الماء وتحالفوا أنه لا يعود منهم أحد إلى
البيوت دون الليل .

وغدا مياد الجرمى إلى القُشيريات . وغدا يزيد بن الطثرية القشيرى إلى الجَرْميات
فظل عندهن بأَكْرَم مَظَلّ ، لا يصير إلى واحدة منهن إلا فُتِنت به وتابعتْه إلى
المودة والإخاء ، وقبَض منها رَهْنا ، وسألته ألا يدخل من جرم إلا بيتَها . فيقول
لها : « وأىَّ شىء تخافين وقد أخذْتِ منى المواثيق والعهود ، وليس لأحد من قلبى بعدك
نصيب » . حتى صُلِّيت العصر . وانصرف بأشياء كثيرة من ذَبْل[1] وبَراقع . وانصرف
مكحولا مدهونا شبعان رَيّان ، مُرجَّل اللِّمَّـة ، حسن التوص[2] .

(١) الذبل : جلد السلحفاة ، وقيل : عظام ظهر دابة من دواب البحر تتخذ النساء منه الأسورة والأمشاط .

(٢) الـكلمة غير واضحة فى س ، والعبارة غير موجودة فى غ ، ت

وظل مياد الجرمى يدور بين بيوت القشيريات مرجوماً مُقْصًى لا يتقرّب إلى بيت إلا استقبلته الوَلائد بالعَمَد والجَنْدل . فتهالك لهن وظنّ أنه ازدراء منهن له حتى أخذه ضرب كثير ورمى بالجندل ، ورأى اليأس منهن[1] وجَهَده العطش . ثم انصرف حتى جاء إلى سَمُرة[2] قريباً من نصف النهار .

فتوسّد يده ونام نومة تحتها حتى أفرجتْ عنه الظَّهيرة وفاءتْ الأظلال وسكن بعض ما به من ألم الضرب وبَرَد عطشُه قليلا . ثم قرُب إلى الماء حتى ورد على القوم قبلَ يزيد . فوجد أَمَة تَذُود غنما فى العَطَن[3] . فأخذ برقعها فقال : « هذا برقع واحدة من نسائكم » . فطرَحه بين يدى القوم . وجاءت الأَمَة خَلْفه فتعلقتْ ببرقعها . فرُدَّ عليها . وخجل مياد خجلا شديدا .

وجاء يزيد مُمْسِيا ، وقد كاد القوم أن يتفرقوا . فنثر كُمَّه بين أيديهم ملآن براقع وذَبْلا ، وقد حلف القومُ ألا يعرف رجل شيئا إلا أخذه ورفعه . فلما نثر ما معه ، اسودّتْ وجوه جرم وأمسكوا بأيديهم إمساكة . فقالت قشير : « أنتم تعرفون ما كان أمسِ بيننا من العهود والمواثيق وتحريم الأهل والأموال . فمن شاء أن ينصرف إلى حَرامٍ فَلْيُمسك يده » . فبسط كل رجل يده إلى ما عرف فأخذه . وتفرقوا على حرب . فقالوا : « هذه مكيدة ، يا قشير » . فى ذلك يقول يزيد ابن الطثرية :

فإنْ شئتَ ــ يا مَيّادُ ــ زُرْنا وزُرْتمُ ... ولم نَنْفَس الدنيا على من يُصيبُها[4]
أيذهب مَيّاد بألباب نِسْوَتى ... ونسوةُ مَيّادٍ صِحاحٌ قلوبها

(١) كذا فى غ . وفى س : ورأى الناس مهينته .
(٢) السمرة : شجرة من العضاه .
(٣) العطن : المناخ حول الورد .
(٤) ت : درنا ودرتم . ب ، س : تنفس . نفس عليه الشيء : لم يره جديرا به .

وقال مَيّاد الجَرْمى :

لَعَمْرُكَ ، إنّ جَمْعَ بنى قُشَيرٍ لِجَرْمٍ فى يَزيدَ لَظَالمونا
أليس الظلمُ أنّ أباكَ منّا وأنّكَ فى كتيبةِ آخَرينا ؟
أحالفةٌ عليك بنو قشير يمينَ الصَّبْرِ أم مُتحرِّجونا[1]

قال : وبُلى يزيد بن الطثرية بعشق جارية من جَرْمٍ فى ذلك اليوم يقال لها وَحْشيّة[2] . وكانت من أحسن النساء . ونافرتهم جرم ، فلم يجد إليها سبيلا . وصار من العشق إلى أن أشْرَف على الموت . واشتد به الجهد . فجاء إليه ابن عم له يقال له خَليفة بن بَوْزَل[3] بعد يأس الأطباء منه . فقال له : « يابن عم ، قد تعلم أنه ليس لك إلى هذه المرأة سبيل، وأن التعزى أجمل . فما رأيك[4] فى أن تقتل نفسك وتَأْثَم بربك ؟ » فقال: « ما هَمِّى — يا ابن عم — بنفسى ، وما لى فيها أمر ولا نهى ، ولا همى إلا نفس الجَرْمية . فإن كنت تحب حياتى فأرنى وجهها » . قال : « كيف الحيلة ؟ » قال: « تحملنى إليها » . فحمله الآخر وهو لا يطمع له فى حيلة على الجرمية إلا أنه كان إذا قال له : « نذهب بك إلى الجرمية وحشية » أَبَلَّ قليلا وراجع وطَمِع . فإذا يئس منها اشتد به الوجع . فخرج به خليفة بن بوزل يحمله ويتخلل به إليهم ، إذا دخل فى قبيلة انتسب إلى أخرى ويخبر أنه طالب حاجة . فأبلّ حتى صلَح بعض الصلاح وطمع فيه ابن عمه . وصار بعد زمان إلى حى وحشية ، فلقى الرُّعْيان . وكَمَنَا فى الجبل . وجعل خليفة ينزل فيتعرض للرعيان ، فيسألهم عن راعى وحشية حتى لقى غنمها وغلامها . فواعدهم مَواعد . وسألهم ما حالُها . فقال غلامها : « هى

(١) يمين الصبر : التى يحبس المرء حتى يحلفها .
(٢) المبرد ٥٢٤ : حوشية بنت أبى فديك بن قرة .
(٣) ت : خليفة بن بورك .
(٤) غ ، ت : فما أربك ، وهى أوضح .

ـ والله ـ بشر ، لا حفِظ الله بنى قشير ولا يوما رأيناهم فيه ! فما زالت عَليلة منذ رأيناهم » . وكان بها طَرَف مما بابن الطثرية . فقال : « ويحك ! فهاهنا إنسان يُداويها ولا تقل لأحد غيرها » . قال : « نعم ، إن شاء الله » . فأعلمَها ما قال له الرجل حين صار إليها . فقالت له : « ويلك ! ِجْئ به » .

وخرج فلقيه الغد فأعلمه . فظل عنده يرعَى غنمه وتأخر عن الشاء حتى تقدمته الشاء . وجنَح الليلُ . وانحدر بيزيد بين غنمه حين راحُوا ومشى فيها يزيد على أربع . وتجلل شَمْلة سوداء بلون شاة من الغنم . فصار إلى وحشية . فسُرّت به سرورا شديدا . وأدخلتْه سِرّا لها[1] ، وجمعتْ عليه من الغد من تثق به من صَواحِباتها وأتْرابها . وقد عهِد إلى ابن عمه أن يقيم فى الجبل ثلاث ليال ، فإن لم يره فَلْينصرف . فأقام عندها ثلاث ليال . ورجع إلى أصحّ ما كان عليه . ثم انصرف إلى صاحبه . فقال : « ما وراءك ، يا يزيد » . لما رأى من سروره وطيب نفسه ما سرّه . فقال[2] :

لَوْ أنّكَ شاهدتَ الصِّبا ياابن بَوْزَلٍ ... بفَرْعِ الغَضا إذ راجعتْنى غَياطِلُه[3]
لَشاهدْتَ لهوا بعد شَحْطٍ من النّوَى ... على سَخَط الأعداء حُلْوًا شمائله[4]
ويوما كإبْهامِ القَطاة ، مُزَيَّنا ... لعينى ضُحاهُ غاليا لىَ باطِلُه[5]

---

(١) غ : سترا لها .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٣٥٦ . ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢ : ٣٠٠ . ياقوت معجم الأدباء ٢٠ : ٤٨ .

(٣) ت : يا ابن بورك . ياقوت . غ مرة بجزع الغضا : والغياطل: جمع غيطلة ، وهى الظلمة المتراكمة ، استعارها لجهالات الصبا . وروى : وغيم الصبا إذ راجعتنى غياطله .

(٤) غ مرة :

لشاهدت يوما بعد شحط من النوى ... وبعد تنائى الدار حلوا شمائله

(٥) ب ، س : عاليا لى باطله . ت : غالبا أصائله . ويضرب المثل بإبهام القطا فى القصر .

منها :

بنفسىَ مَنْ لو مَرّ بَرْدُ بَنانه   على كَبِدى كانتْ شفاء أناملُه

ومَنْ هابَنِى فى كلّ شىء وُهِبْتُه   فلا هو يُعطينى ولا أنا سائِلُه[1]

ونزلتْ سَيّارة[2] من بنى سِدْرة على قُشير بمالهم . فجعل فتيان قشير تَترجّل وتتزيّن وتزور بيوت بنى سدرة ، فاستنهَوْهُم[3] . فقال يزيد بن الطثرية : « وما فى هذا عليكم ؟ زوروا بيوتنا كما نزور بيوتكم » . وقال :

دَعوهنّ يَتْبَعْنَ الصِّبا وتَبادلوا   بنا، ليس بأسٌ بيننا فى التبادلِ[4]

ثم إن بنى سدرة قالوا لفتياتهم : « وَيْحَكُنَّ ! فضَحْتُنَّنا ! نأتى نساء هؤلاء ولا نقدِر عليهن ، ويأتونكنَّ فلا تحتجِبْنَ عنهم » . فقالت كَهْلة منهم : « مُروا نساءكم يجتمعْن إلى بيتى ، فإذا حاولوا لم يجدوا امرأة إلا عندى . فإن يزيد إنْ أتانى لم يَعُد إلى بيوتكم » . ففعلوا . فجاء يزيد فقال :

سلامٌ عليكنّ الغداةَ ، فما لنا   إليكنّ إلا أنْ تَشَأْنَ سبيلُ

فقالت الكهلة : « ومن أنت؟ » فقال :

أنا الهائمُ الصَّبُّ الذى قاده الهوى   إليكِ ، فأمسَى فى حِبالكِ مُسْلَما

بَرَتْه دَواعى الحب حتى تركْنَه   سَقيما ، ولم يترُكْنَ لحما ولا دما

فقالت : « اخترْ إحدى ثلاث خصال : إما أنْ تمضى ثم ترجعَ إلينا ، فإنا نرقُب عيون الرجال ، فإنهم قد سَبُّونا فيكم . وإما أن تختار أحَبَّنا إليك ، وأنْ تطلب امرأةً واحدة خيرٌ من أن يَشْهَرك الناسُ . ونسيت الثالثة » . فقال : « سآخذ

---

(١) غ وابن قتيبة : كل أمر .

(٢) غ : سارية . والسيارة : القافلة .

(٣) كذا فى د ، ى . وفى ص : فاستهووهم . وفى ب ، س : فاشتهوهم . ويأباها السياق .

(٤) غ : بالتبادل .

إحداكن . فاختاري أنتِ إحدى ثلاث خصال » قالت : « وما هن ؟ » قال « إماأن أحملك على مَوْصوفٍ[1] من أمري فتركبيه،وإماأن تحمليني على مَشْروجٍ[2] من أمرك فأركبَه . وإما تَلَزِّي بَكْرِي بين قَلُوصَيْك »[3]. قالت : « لو وقَ بكرك بين قلوصيّ لطَمَرتا[4] به طَمْرة تقطعان عنقه منها » . قال : « كلا ، إنه شديد الوَجيف[5] ، عارم الوَظيف »[6] . فعلمها . فلما أتاها القوم ، قالت : « إنه أتاني رجل لا تمتنع عليه امرأة . فإما أن تُغْمِضوا له ، وإما أن ترحلوا عن مكانكم هذا » فرحلوا .

وكان يزيد بن الطثرية رجلا شريفا مِتْلافا ، يَغْشاه الدين . فإذا أُخِذ به قضا عنه أخ له يقال له ثور .

وكان يزيد بن الطثرية يتحدث إلى نساء فُدَيك بن حَنْظلة الجَرْمى[7] ومنزله بالفَلَج[8] . فبلغ ذلك فُديكا ، فشقّ عليه وساءه ، وزجر نساءه عن ذلك . فأبَيْن إلا أن يدخل عليهن يزيد . فدخل عليهن فديك ذات يوم ، وقد جمع أَخَواته وبنات عمه وغيرهن من حَرِيمه ثم قال لهن : « قد بلغني أن يزيد يدخل عليكن ، وقد نهيتكُنّ عنه . وإنّ لله علىّ نَذْرا واجبا (واخْتَرط سيفه) أنْ أضرب أعناقكن » فلما ملأهن رعبا ، ضرب عنق غلام مولَّد له يقال له عصام فقتله . ثم أنشأ يقول :

---

(١) غ : مرضوف .

(٢) المشروج : المشقوق .

(٣) البكر : الفتى من الإبل . والقلوص : الشابة من النوق . والعبارة كنائية .

(٤) طمر : وثب إلى أسفل وخبأ . وفى غ : يتطا من عنقه منها .

(٥) الوجيف : سرعة السير .

(٦) العارم : القوى الشديد . والوظيف : ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق .

(٧) كذا فى غ . وفى ص : نساء من فديك . تحريف . وفى كامل المبرد ٥٢٤ : أبى فديك ابن قرة .

(٨) الفلج : مدينة باليمامة لبنى جعدة وقشير .

جملتُ عِصاما عِبْرةً حين رابني		أَناسِيُّ من أهلى مِراضٌ قلوبُها

ثم إن فديكا رأى يزيد قائما عند باب أهله . فظن أنه يريد بعض نسائه فارْتَصَده في طريقه . وأمر بزُبْيَـة(١) فحفرت على الطريق . ثم أوقد فيها نارا ليِّنة ثم إنـه اختبأ في مكان ومعه عبدان له . وقال لهما : « تبصَّرا هل تريان أحدا ؟ » فلم يلبث إلا قليلا حتى خرجت بنت أخي فديك ـ وكان يقال لهـا وحشية ـ تتهادى في بُرودها لميعاد يزيد . فأيقظه العبدان . ومضت حتى وقعت في الزبية فاحترق بعضها . وأمر بها فأُخرجت ، واحتملها العبدان ، وانطلق بها إلى داره . فقال فُديك :

شفى النفسَ من وحشيةَ اليومَ أنها		تَهادَى وقد كانتْ سَريعا عَنيقُها(٢)

فإلّا تدَعْ خَبْطَ الموارِدِ في الدُّجَى		تَـكُن قَمِناً من غَشْية لا تُفيقها(٣)

دواءُ طبيبٍ كان يعلم أنّـه		يُداوى المجانين المُخَلِّى طريقَهـا

فبلغ ذلك يزيد فقال :

ستَبْرَأ من بعد الضَّمانةِ رِجْلُها		وتأتى الذى تَهْوَى مُخَلًّى طريقُها(٤)

علىّ هدايا البُدْنِ إن لم أُلاقِها		وإن لم يكن إلا فُديكٌ يسوقها

يُحصِّنُها منى فديكٌ سَفاهـةً		وقد ذهبتْ فيها الـكُباسُ وحُوقها

تُذيقونها شيئا من النار كلمـا		رأت من بنى كعب غلاما يَروقها

وإنما كانت وضعت رجلها فأحرقتْها النار .

وكان ثَوْر أخو يزيد سيدا كثيرا المال والنخل والرقيق ، متنسِّكا كثير الحج والصدقة ، ملازما لإبله ونخله فلا يكاد يُلِمّ بالحى إلا الفَيْنة بعد الفينة . وكانت إبله

(١) الزبية : الحفرة يصاد بها الأسد والذئب .

(٢) العنيق : السير المنبسط .

(٣) الدجى : الظلام . القمن : الجدير .

(٤) الضمانة : العاهة ، أراد احتراق رجلها .

تَرِد مع الرِّعاء على أخيه ابن الطثرية فتُسْقَى على عينه . فبينا يزيد مارٌّ فى الإبل وقد صدرتْ عن الماء ، إذ مر بخباء فيه نسوة من الحاضر . فلما رأينه قلن : « يايزيد أطعِمْنا لحما » . فقال : « أَعْطِينَنى سكينا » فأعطينه . فنحر لهن ناقة من إبل أخيه . وبلغ الخبر أخاه . فأقبل فلما رآه أخذ بشعره وفَسَّقه وشتمه . فقال(١) :

يائورُ ، لاتشتُمَنْ عرضى ، فداكَ أبى ... فإنما الشتم للقـــوم العواويرِ(٢)

ما عَقْرُ نَابٍ لأَمثالِ الدُّمَى خُرُدٍ ... عِينٍ كرامٍ وأبكارٍ مَعاصـــيرِ(٣)

عطفْنَ حولىَ يسألْن القِرى أُصُلا ... وليس يَرْضَيْنَ مـــنى بالمعاذيرِ(٤)

هَبْهُنَّ ضَيْفا عَرَاكُم بعد هَجْعَتِكم ... فى قِطْقِطٍ من سوادِ الليل مَستورِ(٥)

وليس قُرْبَكُم شاءٌ ولا لـــبنٌ ... أيرحل الضيفُ عنكم غيرَ مجبورِ ؟

ما خيرُ واردةِ المـــاء صادرةٍ ... لا تَنْجلى عن عَقيرِ الرِّجْل مَنْحورِ !

واستعدتْ جرم على يزيد بن الطثرية فى وحشية ــ وهى امرأة منهم . فكتب صاحب اليمامة إلى ثور أخيـه وأمره أن يؤدبه . فجعل عقوبته حلق لِمَّته ، فحلقها فقال يزيد(٦) :

أقول لثَوْرٍ ، وهو يَحْلِق لِمَّتى ... بحَجْناءَ مردودٍ عليهـــا نِصابُها(٧)

وهذا البيت حجة الأصمعى فى تأنيث الموسى .

---

(١) ابن سلام ٥٨٧ .

(٢) العواوير : كذا فى غ والطبقات ، وهم الجبناء . وفى س : المغاوير ، تحريف .

(٣) الناب : الناقة المسنة . والخرد : جمع خريدة ، وهى الحيية والبكر من النساء . والعين الواسعة العيون ، وفى الطبقات : عون . والمعاصير : التى بلغت الشباب والإدراك .

(٤) ابن سلام : علقن حولى .

(٥) ب ، س : منشور . د ، ى والطبقات : من سقيط الليل منثور . وعراكم : أتى إليكم والقطقط : المطر الصغير ، وهو هنا صغار البرد .

(٦) كامل المبرد ٥٢٤ .

(٧) الكامل : بعقفاء : والحجناء والعقفاء بمعنى واحد ، وهى كل حديدة لوى طرفها .

تَرفَّقْ بها ـ يا ثور ـ ليس ثوابُها بهذا ، ولكنْ غيرُ هذا ثوابها[١]
ألَا ربما ـ يا ثور ـ قد غَلّ وَسْطَها أنامِلُ رَخْصاتٌ حديثٌ خِضابها[٢]
فراح بها ثور تَرِفُّ كأنها سلاسل درعٍ خِيرُها وانسكابها[٣]
مُنَعَّمة كالشَّرْيَة الفَرْدِ جادَها نِجاء الثُّرَيا هَطْلها وذِهابها[٤]
وأصبح رأسى كالصُّخيرة أشرفتْ عليها عُقابٌ ثم طارتْ عُقابها[٥]

وقُتل يزيد بن الطثْرية فى خلافة بنى العباس ، قتله بنو حَنيفة . فإن بنى حنيفة أغارتْ على طائفة من بنى عُقَيل ، ومعهم جار لهم من بنى قُشَير . فقُتل القُشيرى ورجلٌ من بنى عقيل . واطّردتْ[٦] إبل العقيليين . فأتى الصَّريخُ[٧] عقيلا . فلحِقوا القومَ وقاتلوهم . فقتلوهم . فقتلوا من بنى حنيفة رجلا ، وعَقَروا أفراساً ثلاثة من خيل حنيفة . فانصرفوا .

ولبثوا سنة ثم إن عُقيلا انحدرتْ من بلادها مُنتجِعة لبلاد بنى تميم . فذُكر لحنيفة أنهم بالكَوْكَبة والقَيْضاف[٨] . فغزتْهم حنيفة . وحَذِرهم العقيليون وأنتهم النذر من نُمير . فانكشفوا عنهم فلم يقدِروا عليهم . فبلغ ذلك من بنى عقيل وتلهّفوا

(١) الكامل : ولكن عند ربى ثوابها .

(٢) الكامل : يا ثور فرق بينها . وغل شعره بالطيب : أدخله فى أصوله .

(٣) الكامل : فجاء بها . . لينها وانسكابها . ب ، س ، ص : خبؤها وانسكابها ، وأثبت رواية د ، ى لوضوحها . والخير : الهيئة .

(٤) الكامل :

خدارية كالشرية الفرد جادها من الصيف أنواء مطير سحابها

والشرية : شجرة الحنظل ، تشبه اللمم بها لحسنها لجعودتها . والنجاء : السحاب الذى هراق ماءه . والذهاب : المطر الضعيف .

(٥) غ ، ت : فأصبح رأسى . الكامل : ورحت برأس .

(٦) طرد الإبل فاطردت : ساقها فانساقت .

(٧) الصريخ : الاستغاثة .

(٨) لم أعثر على تحديد لهذين المكانين .

على بنى حنيفة ، فجمعوا جَمْعا ليغْزوا حنيفة . ثم تشاوروا فقال بعضهم : « لا تغزوا قوماً فى منازلهم ودورهم ، فيَمْتنعوا منكم ويتحصّنوا دونكم ، ولا تأمنُ أن يفضحوكم » . فأقاموا بالعَقيق . وجاءت بنو حنيفة غازية كعبا لا تتمدّاها حتى وقعت بالفَلَج : فتطاير الناس . ورأسُ حنيفة يومئذ المُنْدَلِف . وجاء صريخ كعب إلى أبى لَطيفة بن مسلم العُقَيلى وهو بالعقيق أميرٌ عليها . فضاق بالرسول ذَرْعا وأتاه هولٌ شديد ، فأرسل فى عقيل يستمدّها . فأتته ربيعة بن عُقيل وقُشَير بن كعب والحَريش ابن كعب وأفْناء خَفاجة وجاش[١] إليه الناس . فقال : « إنى قد أرسلتُ طليعة فانتظِروها حتى تجىء ونعلَم ما تشير » . فأصبح صُبْحَ ثالثةٍ على فرس له يهتف : « أعز الله نصركم ، وأمتَعَنا بكم انصرفوا راشِدين فلم يكن بأس » . فانصرف الناس .

وسار فى بنى عمه ورهطه وأدانيه . وإنما فعل ذلك ليكون لهم السُّمْعة والذِّكر فكان فيمن سار معه القُحَيف بن خُمَير ويزيد بن الطثْرية الشاعران . فواجهوا القوم وأوْقعوهم . فقتلوا المندلف : رموه فى عينه ، وسَبَوا وأسروا وَمثَّلوا بهم ، فقطعوا أيدى اثنين منهم ثم أرسلوهما إلى اليمامة وصنعوا ما أرادوا . ولم يُقتل ممن كان مع أبى لطيفة غير يزيد بن الطثْرية : نَشِب ثوبه فى جِذْلٍ من عُشَرة[٢] وانقلب ، فخبطه القوم فقُتل . وقال القُحَيف يرثيه[٣] :

أَلَا تبكى سَراةُ بنى قشيرٍ ... على صِنْديدِها وعلى فَتاها
فإنْ يُقتَلْ يزيدُ فقد قتَلْنا ... سَراتَهم الكُهولَ على لحِاها
أبا المَكْشوحِ . بَعْدَك من يُحامِى ... ومن يُزْجى القَلوصَ على وَجاها ![٤]

(١) جاشوا إليه : : أتوه ليلا .

(٢) الجذل : أصل الشجرة . والعشرة : شجرة من العضاه .

(٣) وفيات الأعيان ٢ : ٣٠١ .

(٤) غ والوفيات يزجى المطى . ويزجى : يسوق . والقلوص . الشابة من النوق . والوجى : الحفا الذى يصيب الإبل من كثرة السير .

وقُتل يزيد بن حَمَل أيضاً يومئذ . فقال القحيف :

ياعينُ ، بَكِّى هَمَلا بعد هَمَلْ على يَزيدَ ويزيدَ بن حَمَلْ[1]
قَتّالِ أَبْطالٍ وجَرّار حُلَلْ

وقالت زينب بنت الطثْرية ترثى يزيد أخاها ـ وقيل : إنها لأمّ يزيد ، وهى من الأَزْد . وقيل : إنها لوحشية الجَرْمية[2] ـ :

أرى الأَثْلَ من بعدِ العَقيق مُجاوِرى مُقيما وقد غالتْ يزيدَ غَوائلُهْ[3]
فـتًى قُدَّ قَدَّ السيفِ لا مَتضائلٌ ولا رَهِلٌ لَبّـاتُه وبآدِلُه[4]
فتى لا ترى قَدَّ القميصِ بخَصْرِه ولـكنّما تُوهِى القميصَ كواهلُه
إذا نزل الضِّيفانُ كان عَذَوَّرا على الحىِّ حتى تَسْتقلَّ مَراجلُه[5]
يَسرُّكَ مظلوماً ويُرضيك ظالمـا وكلُّ الذى حَمَّلتَه فهو حامله[6]
إذا جَدَّ عند الجِدِّ أرضاكَ جِدُّه وذو باطلٍ إن شئتَ أَلْهاكَ باطله[7]

منهـا :

فـتًى ليس لابن العم كالذئبِ إنْ رأى بصاحبه يوماً دما فهو آكله
سيبكيـه مولاهُ إذا ما ترفّعتْ عن السّاق عند الرَّوْع يوماً ذَلاذِله[8]

---

(١) الهمل هنا : الدمع السائل لا مانع له .

(٢) القالى : الأمالى ٢ : ٨٥ . البكرى : التنبيه ٩٨ . ابن خلـكان : الوفيات ٢ : ٣٠٢ .

(٣) غ ، ت ، وابن خلـكان ، والبكرى : بطن العقيق . القالى : وادى العقيق . والأثل : شجر .

(٤) كذا فى المصادر . وفى ص : وأبا جله ، ولا تليق بالسياق . واللبة : النحر . والبآدل : جمع بأدلة ، وهى اللحم بين العنق والترقوة .

(٥) ت ، والقالى : الأضياف . ت : حتى تستقر . والعذور : السيء الخلق القليل الصبر عما يهم به ، وصفته بذلك لتشدده فى الأمر والنهى لتهيئة الأمور للضيوف . واستقلال المراجل : انتصابها على الأثافى .

(٦) اللسان : يعينك مظلوما وينجيك ظالما .

(٧) ب ، س : عند الظلم .

(٨) الذلاذل : جمع ذلذل ، وهو هدب الثوب وكان النساء يكشفن عن سيقانهن عند اشتداد المعركة ليثبت الرجال .

يزيد بن عبد المدّان*

اسم عبد المدان عمرو ، وكنيته أبو يزيد . وهو ابن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو .

كان الأعشى يُكثر مديح بنى عبد المدان . فمن قوله فيهم[1] :

وكعبةُ نجرانَ حَتْمٌ عليـ ... ـكِ حتى تُناخى بأبوابهـا[2]

نَزورُ يَزيدا وعبـد المسيح ... وقيْسا ، همُ خيرُ أربابهـا

وشاهِدُنا الجُلُّ والياسَمِيـ ... ـنُ والمُسْمِعات بقُصّابهـا[3]

وبربَطُنـا دائمًا مُعْمَلٌ ... وأىُّ الثلاثة أزرَى بهـا[4]

إذا الحِبَرات تَلوَّتْ بهم ... وجَرُّوا أسافل هُدّابهـا[5]

فلما التقيْنا على آيةٍ ... ومَدّتْ إلىّ بأسبابهـا[6]

---

* جمع ابن المكرم هذه الأخبار من مواضع متفرقة فى الأغانى ، فأخباره فى ب ٩ : ١٧ ، ١٠ : ١٤٣ ، ١٨ : ١٦٠ ، س ٩ : ١٦ ، ١٠ : ١٣٥ ، ١٨ : ١٦٠ ، د ١٠ : ٣٥ ، ١٢ : ٣ ، ى ٧ : ١٠ ، ٧ : ٣٥ ، ٢١ : ٢٢ .

(١) ديوان الأعشى الكبير (الطبعة النموذجية) ١٧٣ .

(٢) غ : فكعبة .

(٣) الديوان : وشاهدنا الورد . والجل : الورد ، أبيضه وأحمره وأصفره . والمسمعات : المغنيات . وقال ثعلب : القصاب : الزامرون . وفى هامش ص حاشية مأخوذة من متن الأغانى هى «القصاب : أوتار العيدان . قال الأصمعى : قلت : لبعض الأعراب : أنشدنى شيئا من شعرك . فقال : كنت أقول الشعر وتركته. قلت : ولم ذاك؟ قال : لأنى قلت شعرا وغنى فيه حكم الوادى، وسمعته فكاد يذهل عقلى ، فآليت ألا أقول شعرا ، وما حرك حكم بذلك الشعر قصابة إلا توهمت أن الله عز وجل يخلدنى فى النار » .

(٤) غ : وبربطنا دائم .. فأى . الديوان: وزهرنا معمل دائم .. فأى والبربط : العود .

(٥) الحبرات : ضرب من برود اليمن منمر .

(٦) على آية : كذا فى د ، ى وهى العلامة . وفى ص ، ب ، س : على آلة . وفى الديوان : على بابها .

تُنازِعنى إذ خلَتْ بُرْدَها مُعطَّرةً بعد جِلْبابِهـــا[١]

الـكعبة التى عناها الأعشى يقال إنها بِيعة بناها بنو عبد المدان على بناء الـكعبة ، وعَظَّموها مُضاهاة للـكعبة ، وسموها كعبة نجران . وكان فيها الأساقفة الذين وردوا للمُباهَلَة[٢] على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وقيل : بل كانت قبة من أَدَم وسموها الـكعبة . وكان إذا نزل بها مستجير أُجير ، أو خائف أَمِن ، أو جائع شَبِع ، أو طالب حاجة قُضيت ، أو مُسترفِد[٣] أُعطِى ما يريد . وكانت هذه القبة لعبد المسيح ابن دارس بن عَدِىّ[٤] . وكانت من ثلاث مائة جلد أَدَم وكانت على نهر بنَجْران يقال له النُّحَيْردان . وكان يستغل من ذلك النهر عشرةَ آلاف دينار . وكانت القبة تستغرق ذلك كله .

وكان أول من سكن نجران من بنى الحارث بن كعب يزيدَ بن عبد المدان . وذلك أن عبدالمسيح بن دارس زَوَّج يزيد بن عبد المدان ابنته رُهَيمة . فولدتْ له عبد الله ابن يزيد . فهم بالـكوفة . ومات عبد المسيح فانتقل ماله إلى يزيد . وكان أول حارثى حلّ فى نجران .

قال الـكلبى[٥] : اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطُّفَيل بموسم عُـكاظ . وقدم أمية بن الأَشْـكَر[٦] ومعه ابنة له من أجمل أهل زمانها . فخطبها يزيد وعامر .

(١) الديوان : مفضلة غير جلبابها .

(٢) المباهلة : الملاعنة .

(٣) المسترفد : طالب العطاء .

(٤) غ : عربى .

(٥) قال أبو الفرج ١٨ : ١٦١ : هذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الـكلبى ، والتوليد فيه بين وشعره شعر ركيك غث لا يشبه أشعار القوم .

(٦) غ : الأشـكر . واختلفت المراجع فى حقيقة هذا الاسم منذ عهد بعيد ، فقد قال صاحب خزانة الأدب ٢ : ٥٠٦ : « قال ابن حجر : الأسكر بالسين المهملة فيما صوبه الجيانى . وضبطـه ابن عبد البر بالمعجمة » .

فقالت أم كلاب امرأة أمية بن الأشكر: « من هذان الرجلان ؟ » فقالوا : « هذا يزيد ابن عبد المدان بن الديّان ، وهذا عامر بن الطفيل » . فقالت: «أعرف بني الديان[١] وما أعرف عامرا » . فقال : هل سمعتِ بمُلاعِب الأَسِنَّة ؟ » قالت : « نعم » . قال : « فهذا ابنُ أخيه » . وأقبل يزيد فقال : « يا أمية ، أنا ابنُ الدَّيّان ، صاحب الكَثِيب[٢] ، ورئيس مَذْحِج ، ومُكلِّم العُقاب ، ومن كان يُصوِّب أصابعه فتَقْطُر[٣] دما ، ويَدْلُك راحتَيْه فتُخرجان ذهَبا[٤] » . فقال أمية : « بَخْ ، بَخْ ! » فقال عامر : « جَدِّى الأَخْرَم ، وعمى الأَصْبَغ[٥] ، وعمى مُلاعب الأَسِنَّة ، وأبى فارس قُرْزُل » . فقال أمية : « بَخْ ، بَخْ ! مَرْعًى ولا كالسَّعْدان[٦] ! » فأرسلها مثلا . فقال يزيد : « ياعامر ، هل تعلم شاعرا من قومى رَحَل بمِدْحة إلى رجل من قومك ؟ » قال : « لا » . قال : « فهل تعلم أن شعراء قومك يرحَلون بمدائحهم إلى قومى ؟ » قال : « اللَّهمَّ ، نعم » . قال : « فهل لك نَجْمٌ يمانٍ أو بُرْدٌ يمان أو سيف يمان أو رُكْن يمان ؟ » قال : « لا » . قال : « فهل ملكْناكم ولم تملِكونا ؟ » قال : « نعم » . فنهض يزيد وهو يقول :

أُمَىَّ يا ابنَ الأشكرِ بن مُدْلِجِ   لا تَجْعَلَنْ هَوازِنًا كَمَذْحِجِ
إنَّك إنْ تَلْهَجْ بأمرٍ تَلْجِجِ   ما النَّبْعُ فى مَغْرِسه كالعَرْفَجِ[٧]

(١) كذا فى غ ح ١٠ ، وفى غ ح ١٨ : ابن الديان ، وفى ص : بنى عبد الديان ، تحريف
(٢) غ ح ١٠ : الكثيبة . والكثيب : موضع بساحل بحر اليمن .
(٣) غ : فتنطف ، وهى بمعنى تقطر .
(٤) كذا فى غ ، وفى س : دهنا ، تحريف .
(٥) غ ح ١٨ : أبو الأصبغ .
(٦) السعدان : نبت ، ومنابته السهول ، وهو من أنجع المراعى فى الإبل ولا تحسن على نبت حسنها عليه . وهذا المثل يضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله .
(٧) غ : كالعوسج . والنبع : ضرب من الشجر تتخذ منه القسى ، ومن أغصانه السهام ، ينبت فى أعالى الجبال . والعرفج : شجر ينبت فى السهول .

* ولا الصَّرِيحُ المَحْضُ كالمُزَّجِ[١] *

فقال مُرَّة بن دُودان الفُقَيلى[٢] ، وكان عدوا لعامر :

يا ليت شِعْرِى عنك يا يزيدُ   ما ذا الذى من عامرٍ تُريد ؟
لكلِّ قومٍ فَخْرُكم عَتيد   أمُطْلَقون نحن أم عَبيد[٣]
* لا بل عَبيد زادُنا الهَبيد[٤] *

فزوج أمية يزيد بن عبد المدان ابنته . فقال يزيد فى ذلك :

يا لَلرِّجالِ لِطارقِ الأحزانِ   ولعامرِ بن طُفيلٍ الوَسْنانِ
كانتْ إتاوةُ قومِه لمحرِّقٍ   زمنا وصارتْ بعدُ للنعمان[٥]
عَدَّ الفوارسَ من هَوازنَ كلِّها   فَخْرا علىَّ وجئتُ بالديّان[٦]
فإذا لىَ الشرفُ الرفيعُ بوالدٍ   ضخم الدَّسيعةِ زانَنى ونَمانى[٧]
يا عامُ إنك فارسٌ ذو مَيْعَةٍ   غَضٌّ الشبابِ أخو ندًى وقِيان[٨]
واعلمْ بأنك يا ابنَ فارسِ قُرْزُلٍ   دونَ الذى تسعَى له وتُدانى

---

(١) الصريح : الخالص من كل شىء

(٢) كذا فى س ، د ، ى . وفى غ حـ ١٨ : العقيلى . وفى ب ، س حـ ١٠ : السلمى . وفى عامر نفيل وعقيل ، فالأولى نفيل بن عمرو بن كلاب بن عامر بن صعصعة ، والثانية عقيل بن كعب ابن ربيعة بن عامر .

(٣) ب ، س : أمطمعون نحن .

(٤) الهبيد : حب الحنظل .

(٥) محرق : لقب لاثنين من ملوك لخم ، هما امرؤ القيس بن عمرو ، وعمرو بن هند؛ ولواحد من ملوك غسان ، هو الحارث بن عمرو .

(٦) غ حـ ١٨ : غدت الفوارس . . كثفا على .

(٧) د ، ى : الشرف المبين . ب ، س حـ ١٠ الشرف المتين . ب ، س حـ ١٨ : الفضل المبين . والدسيعة هنا : العطية.

(٨) ب ، س حـ ١٠ : فارس ذو منعــة . ب ، س حـ ١٨ : فارس متهور . والميعة : أول الشباب .

ليستْ فوارسُ عامرٍ بمُقِرَّةٍ ... لك بالفَضيلةِ فى بنى عَيْلان
فإذا لقيتَ بنى الحِماسِ ومالكٍ ... وبنى الضِّباب وحىّ آلِ قَنان(١)
فاسألْ من الرجلِ المُنوَّه باسمه ... والدافعِ الأعداءَ عن نَجْران ؟(٢)
يُعْطَى المَقادةَ فى فوارسِ قومه ... كَرَماً لَعَمْرُكَ والكريمُ يَمانى

فأجابه عامر بأبيات أولها(٣) :

عجبًا لِواصِفِ طارقِ الأحزانِ ... ولِمَا يَجىء به بنو الدَّيّانِ(٤)
فَخَروا علىّ بحَبْوةٍ لمُحرِّقٍ ... وإتاوةٍ سِيقَتْ إلى النُّعمانِ(٥)
ما أنتَ وابنَ مُحرِّقٍ وقَبيلَهُ ... وإتاوة اللَّخْمىّ فى عيلان
فاقْصِدْ بفَخْرِكَ قَصْدَ قومِك قُصْرةً ... ودَعِ القبائلَ من بنى قَحْطان(٦)
إن كان سالفةُ الإتاوةِ فيكمُ ... أوْلا ففَخْرُكَ فخرُ كلِّ يَمانى
وافخر برَهْطِ بنى الحِماسِ ومالكٍ ... وبنى الضِّباب وزَعْبَلٍ وقَنان
فأنا المُعظَّمُ وابن فارسِ قُرْزُلٍ ... وأبو بَراء زانَنى ونَمانى
وأبو جُزَىْء ذو الفَعال ومالكٌ ... منعا الذِّمارَ صباحَ كلِّ طِعان
وإذا تَعاظَمَتِ الأمورُ هَوازنا ... كنتُ المنوَّه باسمه والبانى(٧)

فلما رجع القوم إلا بنى عامر ، وثبوا على مرة بن دودان وقالوا له : « أنت من بنى عامر وأنت شاعر ، ولم تهجُ بنى الديان ! » فقال مُرّة :

(١) كذا فى غ ، وكلها قبائل من مذحج . وفى ص : لقيت بنى الحمار . وفى هامش ص ، ب س ح ١٨ : لقيت بنى الحَيس .
(٢) غ : فاسأل عن . ب ، س ح ١٨ : المرء المنوه .
(٣) ليست فى ديوانه ، وأضافها محققه عن الأغانى ١٥٩ .
(٤) ب ، س ح ١٠ : تجىء . ب ، س ح ١٨ ياللرجال لطارق الأحزان .
(٥) ب ، س ح ١٨ : سلفت من النعمان . والحبوة : العطية .
(٦) ب ، س ح ١٨ : فاقصد بذرعك قصد أمرك قصدة . وقصرة : أدانيهم .
(٧) كذا فى غ . وفى ص : المموه باسمه والثانى ، تحريف . وفى غ مرة : هوازن .

تُكلِّفُني هوازنُ فخرَ قومٍ   يقولون : الأنامُ لنا عَبيدُ
أبوهم مَذْحِجٌ وأبو أبيهم   إذا ما عُدَّت الآباءِ هُود(١)
وهل لى إنْ فخرتُ بغيرِ حقٍّ   مقالٌ والأنامُ لهم شهود(٢)
فإنّا لم نزَلْ لهمُ قَطينا   تجىء إليهمُ منا الوُفود(٣)
فأنّى تضربُ الأحْلامُ صَفْحا   عن العَلْياء أم مَنْذا يَكيد(٤)
فقولوا ، يا بنى عَيْلان : إنّا   لهم قِنٌّ ، فما عنها محيد(٥)

قَدِم(٦) يزيد بن عبد المَدان وعمرو بن مَعْدى كَرِب ومَكْشوح المُرادى على ابن جفنة زوارا . فلقوا عنده وجوه قيس : مُلاعب الأَسنّة عامر بن مالك ، ويزيد بن عمرو بن الصَّعِق ، ودُرَيد بن الصِّمَّة . فقال ابن جفنة ليزيد بن عبد المدان : « ماذا كان يقول الدّيان إذا أصبح ، فإنه كان دَيّانا » . فقال : « كان يقول : آمنتُ بالذى رَفَع هذه (يعنى السماء) ووَضَع هذه (يعنى الأرض) وشَقّ هذه (يعنى أصابعه) . ثم يَخِرّ ساجدا ويقول : سجد وجهى للذى خلقه وهو عاشم ، وما جَشَّمنى من شىء فإنى جاشم . وإذا رفع رأسه قال :

إنْ تغفرِ اللهمَّ تغفرْ جَمّا   وأىُّ عبدٍ لك ما أَلَمّا

فقال ابن جفنة : « إن هذا لذو دين » .

ثم أقبل على القيسيين فقال: « ألا تحدّثونى عن هذه الرياح : الجنوب ، والشمال ،

---

(١) وأبو أبيهم : كذا فى ب ، س حـ ١٨ . وفى س ، د ، ى ، (ب ، س حـ ١٠) : وبنو أبيه ، تحريف . غ : أبونا ، تحريف .

(٢) ب ، س حـ ١٨ : بغير فخر . والأنام له .

(٣) القطين : الخدم .

(٤) غ : فأنى تضرب الأعلام صفحا . وأظنه تحريفا .

(٥) غ مرة : كنا لهم قنا ، وأخرى : كنا لكم قنا .

(٦) الخبر فى ب ١٠ : ١٤٦ ، س ١٠ : ١٣٩ ، د ١٢ : ١٣

والصَّبا ، والدَّبور ، والنَّكباء ، لِمَ سُمِّيت بهذه الأسماء ، فإنه قد أعيانى أمرُها ».
فقال القوم : « هذه أسماء وجدْنا عليها العرب لا نعلم غير هذا » . فضحك يزيد ابن عبد المدان ثم قال : « يا خيرَ الفتيان ، ما كنتُ أحسب أن هذا يسقُط علمه عن هؤلاء ، وهم أهل الوَبَر . إن العرب كانت تضرب أبنيتها فى القِبْلة مستقبلة مَطْلَع الشمس ، لتُدْفئهم فى الشتاء ، وتزول عنهم فى الصيف . فما هبّ من الرياح عن يمين البيت فهى الجنوب ، وما هبّ عن شماله فهى الشَّمال ، وما هب من أمامه فهى الصَّبا ، وما هب من ورائه فهى الدَّبور ، وما استدار من الرياح بين هذه الجهات فهى النَّكباء » . فقال ابن جفنة : « إن هذا لَعِلْمٌ(١) يا ابن عبد المدان » .

وأقبل على القيسيين فسألهم عن النعمان بن المُنْذِر فعابوه وصغَّروه . فنظر ابن جفنة إلى يزيد ، فقال له : « ما تقول أنت ، يا ابن عبد المدان ؟ » فقال له يزيد : « يا خير الفتيان ، ليس صغيرا مَن مَنَع منك العراق ، وشارككَ فى الشام ، وقيل له : أبيْتَ اللَّعْنَ ، وقيل لك : يا خير الفتيان ، وألفَى أباه ملكا كما ألفيتَ أباك ملكا . فلا يَسُرَّك من يَغُرُّك . فإن هؤلاء لو سألهم النعمان عنك لقالوا فيك كما قالوا فيه . وايْمُ اللهِ ، ما فيهم رجل إلا ونعمة النعمان عنده عظيمة » .

فغَضِب عامر بن مالك وقال له : « يا ابن الدَّيان ، أما والله لَتَحْلِبَنَّ بها دما » .
فقال له : « ولِمَ؟ أَزِيدَ فى هوازن من لا أعرفه ؟ » . قال : « بل هم القوم الذين تَعْرِف » .
فضحك يزيد ثم قال : « لا جَرَم ! ما لهم جَمْرة بنى الحارث(٢) ، ولا فتك مُراد ، ولا بأس زبيد ، ولا كيد جُعْفى ، ولا مُغار طَيِّئ ، ولا نحن وهم — يا خير الفتيان — بسواء . ما قتلْنا أسيراً قط . ولا اشتهَيْنا حُرّة ، ولا بكيْنا قتيلا حتى نثأر به .

(١) غ : العلم .
(٢) غ : جرأة بنى الحارث . والجمرة : الكثرة والعدد .

وإنّ هؤلاء لَيَعْجزون عن ثأرهم حتى يُقتَل السَّمِىّ بالسمى ، والكَنِىّ بالكنى والجار بالجار » .

وقال يزيد بن عبد المدان فيما كان بينه وبين القيسيين شعراً ، وغدا به على ابن جفنة :

تَمالا على النعمانِ قومٌ إليهمُ ... مواردُهُ فى مُلْكِه ومَصادِرُهْ

على غير ذنبٍ كان منــه إليهمُ ... سِوَى أنهم جادتْ عليهم مَواطِرُه(١)

فباعَدَهم من كل شرٍ يخافُه ... وقرّبهم من كل خيرٍ يُبادره

فظنُّوا وأعراضُ الظنونِ كثيرةٌ ... بأنّ الذى قالوا من الأمر ضائره

فلم يَنقُصوه بالذى قِيــلَ شَعْرَةً ... ولا فُلِّتْ أنيــابُه وأظافرُه

وللْحارثُ الجَفْنِىُّ أعلمُ بالذى ... يَنوء به النعمانُ إن خفّ طائرُه(٢)

فيا حارِ ، كم فيهم لنُعمانَ نعمةٍ ... من الفَضْلِ والمَنِّ الذى أنا ذاكِرُه

ذُنوبا عفا عنهــا ، ومالًا أفادَه ... وعظْما كَسِيرا قَوَّمَتْه جَوابِره

ولو سال عنك العائبين ابنُ مُنْذِرٍ ... لَقالوا له القولَ الذى لا يُحاذِرُه(٣)

فلما سمع ابن جفنة هذا القول ، عَظُم يزيد فى عينه ، وأجلسه معه على السرير ، وسقاه بيده ، وأعطاه عطية لم يُعْطِها أحد ممن وَفَد عليه قط . فلما قرّب يزيد ركائبه ليرتحل ، سمع صوتا إلى جانبه ، وإذا هو رجل يقول :

أما من شفيع من الزائرين ... يحب الثنــا زَنْدُه ثاقبُ(٤)

يريد ابنُ جَفْنةَ إكرامه ... وقد يمسح الضَّرَّةَ الحالب

(١) غ : سوى أنه .

(٢) كذا ق د ، ى ، أى أن الحارث الجفنى أعلم الناس بما ينهض به النعمان ويقوم به من الأعمال إن استفزه مستفز . وفى ب ، س : يبوء به النعمان إن جف طائره . وفى ص بغير نقط .

(٣) د ، ى : لا يحاوره .

(٤) زنده ثاقب : كناية عن الكرم والخصال الحميدة .

فيُنقذَنى من أظافيره وإلا فإنّى غدًا ذاهب
فقد قلتُ يوما على كُرْبةٍ وفى الشَّرْب فى يَثْربٍ غالب[1]
ألا ليتَ غسانَ فى مُلْكِها كلَخْمٍ ، وقد يُخطئُ الشّارب
وما فى ابن جفنة من سُبّةٍ وقد خفّ حِلْمى بها العازب
كأنى غريب من الأَبْعدين وفى الحَلْقِ منى شَجًا ناشب

فقال يزيد : « علىّ بالرجل » . فأُتى به فقال : « ما خَطْبُك ؟ أأنت تقول هذا الشعر ؟ » قال : « لا ، بل قاله رجلٌ من جُذام، جفاه ابن جفنة وكانت له عند النعمان منزلة فشرب فقال على شرابه شيئا أنكره عليه ابن جفنة فحبسه . وهو مُخرِجه غدا فقاتِلُه » . فقال له يزيد : « أنا أُغْنيك » . فقال له : « ومن أنت أعرفك؟ فقال له: « أنا يزيد بن عبد المدان » . فقال له : « أنت لها ، وأبيك » . قال : « أجل ، قد كفيْتُك أمرَ صاحبك . فلا يَسْمعنَّك أحدٌ تُنْشد هذا الشعر » . وغدا على ابن جفنة مودِّعا فقال له : « حيّاكَ الله — يا ابن الديان — هل من حاجة ؟ » قال : « تُلْحِق قُضاعةَ الشام بغَسّان ، وتُؤْثِر من أتاك من وفود مَذْحِج ، وتَهَب لى الُجذامىّ الذى لا شفيع له سوى كَرَمِك » . قال : « قد فعلتُ . أمَا إنى حبسته لأَهَبه لسيِّد أهل ناحيتك فكنت ذلك السيد» . ووهبه له. فاحتمله يزيد معه . فلم يزل مجاوراله بنجران فى بنى الحارث بن كعب . وقال ابن جفنة لأصحابه : « ما كانت يمينى لتَفِىَ إلا بقتله أو هِبَته لرجل من بنى الديان ، فإن يمينى كانت على هذين » . فعَظُم بذلك يزيد فى يَمَن الشام ونَبُه ذكره وشرف .

جاور[2] رجلان من هَوازِن يقال لهما عمرو وعامر فى بنى مُرّة بن عَوْف بن ذُبيان ، وكانا قد أصابا دما فى قومهما . ثم إن قيس بن عاصم المِنْقَرى أغار على بنى مُرّة

(١) الشرب : جماعة الشاربين . يثرب : المدينة .
(٢) الخبر فى ب ١٠ : ١٤٨ ، س ١٠ : ١٤١ ، د ١٢ : ١٦ .

ابن عوف بن ذبيان . فأصاب عامرا أسيرا فى عدة أسرى كانوا عند بنى مرة . ففدَى كلٌّ قوم أسيرهم من قيس بن عاصم وتركوا الهوازنى . فاستغاث أخوه من بنى مرة بسِنان بن أبى حارثة ، والحارث بن عوف والحارث بن ظالم ، وهاشم بن حَرْملة ، والُحصين بن ُحمام ، فلم يُغيثوه . فركب إلى موسم عُكاظ . وأتى منازل مَذْحِج ليلا فنادى :

دعوتُ سِنانا وابنَ عوفٍ وحارثا ... وعالَيْتُ دَعْوَى بالُحصَيْنِ وهاشمِ
أُعيِّرُهم فى كل يوم وليلة ... بتَرْكِ أسيرٍ عند قيس بن عاصم
حَليفِهُم الأدْنى وجارِ بيوتهم ... ومن كان عما سَرَّهم غيرَ نائم
فصَمُّوا وأحداثُ الزمانِ كثيرةٌ ... وكم فى بنى العَلَّاتِ من مُتصامِمِ(١)
فياليْتَ شِعْرى مَنْ لإطْلاقِ غُلِّه ... ومَنْ ذا الذى يَحْظَى به فى المواسم

فسمع صوتا من الوادى ينادى بهذه الأبيات :

ألَا أيُّهذا الذى لم يُجِبْ ... عليك بحَىٍّ يُجَلِّى الكُرَبْ
عليك بذا الحىّ من مَذْحِجٍ ... فإنَّهُم للرِّضا والغضب
فنادِ يزيدَ بن عبد المدانِ ... وقيسا وعمرو بن مَعْدِى كَرِب
يَفُكُّوا أخاك بأموالِهم ... وأَقْلِلْ بأمثالِهم فى العرب(٢)
أُولاكَ الرءوسُ فلا تَعْدُهُم ... ومَنْ يجعلُ الرأسَ مثلَ الذنب؟

فاتّبع الصوتَ فلم يرَ أحدا . فغدا على المكشوح ، واسمه قيس بن عبد يَغُوث المُرادى فقال له : « إنى وأخى رجلان من جُشَم بن معاوية ، أصبْنا دما فى قومنا . وإن قيس بن عاصم أغار على بنى مرة وأخى فيهم مجاور ، فأخذه أسيرا . فاستغثتُ بسنان بن أبى حارثة والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة والحارث بن أبى عوف ،

---

(١) بنو العلات : بنو الأمهات الشتى من الأب الواحد .

(٢) غ : وأقلل بمثلهم .

فلم يُغيثونى . فأتيتُ الموسم لأُصيب به من يفك أخى . فانتهيت إلى منازل مذحج فناديت بكذا وكذا . فسمعت من الوادى صوتاً أجابنى بكذا وكذا ؛ وقد بدأتُ بك لتفكَّ أخى » . فقال له المكشوح : « واللهِ ، إن قيس بن عاصم لرجل ما قارضتُه معروفاً قط ولا هو بجارٍ . ولكن اشترِ أخاك منه وعلىَّ الثمن ، ولا يمنعْك منه غَلاء » . ثم أتى عمرو بن معدى كرب فقال له مثل ذلك . فقال : « هل بدأتَ بأحد قبلى ؟ » قال : « نعم بالمكشوح » . فقال . « عليك بمن بدأتَ به » . فتركه . وأتى يزيد بن عبد المدان فقال له : « يا أبا النَّضْر ، إن من قصتى كذا وكذا ؟ » . فقال له يزيد : « مرحباً بك وأهلا ! أبعثُ إلى قيس بن عاصم ، فإنْ هو وهب لك أخاك شكرتُه وإلا أغرْتُ عليه حتى يَتَّقِينى بأخيك . فإنْ نلتُها وإلا دفعتُ إليك كل أسير من بنى تميم بنجران فاشتريت بهم أخاك » . قال : « هذا الرِّضا » . فأرسل يزيد إلى قيس بن عاصم بهذه الأبيات :

يا قيسُ ، أَرْسِلْ أسيراً من بنى جُشَمٍ ... إنى بكلِّ الذى تأتى به جازِى
لا تأمنِ الدهرَ أنْ يَشْجَى بغُصَّته ... فاخْتَرْ لنفسك إحمادِى وإعْزازى
فافككْ أخا منقرٍ عنه وقُلْ حَسَنًا ... فيما سُئِلْتَ وعَقِّبْه بإنجاز

وبعث بالأبيات مع رسوله إلى قيس . فأنشده إياها وقال له : « يا أبا على ، إن يزيد بن عبد المدان يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إن المعروف قَرْض ، ومع اليوم غد ، فأطلِقْ هذا الأسير الجُشَمىّ فإن أخاه استغاث بأشراف بنى مرة ، وبعمرو بن معدى كرب وبمكشوح مُراد . فلم يُصِب عندهم حاجتَه . فاستجار بى . ولو أرسلتَ إلىّ فى جميع أسارى مُضَر بنجران لقضيتُ فيهم حقك » . فقال قيس بن عاصم لمَنْ حضره من تميم : « هذا رسول يزيد بن عبد المدان ، سيد بنى مَذْحِج وابن سيدها ، ومن لا يزال له فيكم يدٌ . وهذه فرصة لكم . فما تَرَوْن ؟ » قالوا : « نرى أن تُغْلِيه عليه وتحتكم فيه شططا ، فإنه لن يخذله أبدا ولو أتى ثمنه على ماله » . فقال قيس :

« بئس ما رأيتم ! أمَا تخافون سِجالَ الحروب ، ودُوَل الأيام ، ومجازاة القروض ! »
فلما أبوا عليه ، قال : « بيمونيه ؟ » . فأغلَوه عليه . فتركه فى أيديهم ، وكان أسيراً فى يد رجل من بنى سعد . وبعث إلى يزيد فأعلمه بما جرى ، وأعلمه أن الأسير — لو كان فى يده أو فى مِنقَر — لأخذه وبعث به ، ولكنه فى يد رجل من بنى سعد . فأرسل يزيد إلى السعدى : « أن صِرْ إلىّ بأسيرك ولك فيه حُكْمُك . فأتى به السعدىّ إليه . فقال له : « احتكِمْ » . فقال : « مائةُ ناقة ورِعاؤها » . فقال له يزيد : « إنك لقَصير الهمة ، قَريب الغنى ، جاهل بأخطار بنى الحارث . أمَا واللهِ ، لقد غَبَنْتُك ، يا أخا بنى سعد . وقد كنتُ أخاف أن يأتى ثمنه على جُلّ أموالنا . ولكنكم — يا بنى تميم — قوم قِصارُ الهمم » . فأعطاه ما احتكم به . فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا عنده بنجران .

أغار[1] يزيد بن عبد المدان ومعه بنو الحارث بن كعب على بنى عامر . فأسر عامرَ بن مالك ملاعبَ الأَسِنَّة أبا براء ، وأخاه عُبيدة بن مالك . ثم أنعم عليهما . فلما مات يزيد ، رثته زينب بنت مالك أخت ملاعب الأسنة فقالت :

بكيتُ يزيدَ بنَ عَبْـــد المدَا ... نِ حَلَّتْ به الأرضُ أثقالَهـــا

فلامها قومُها فى ذلك وعيّروها بأن بكت يزيد . فقالت :

ألَا أيها الزّارِى علىّ بأنّنى ... نِزاريةٌ أبكِى كَريما يمانيـــا
ومالىَ لا أبكِى يزيدَ وردَّنى ... أجرُّ جديداً مِدْرَعى ورِدائيا

كان[2] رجل من ثُمالةَ قد جاور بماله عبد الله بن الصِّمَّة . فهلك عبد الله ، وأقام الرجل فى جوار دُرَيد . وأغار أنس بن مُدْرِكة الخَثْعَمىّ على بنى جُشَم . فأصاب مال الثمالى وأناسا من بنى ثمالة كانوا جيراناً لدريد . فكف دريد عن طلب القوم ،

(١) الخبر فى ب ١٠ : ١٥٠ ، س ١٠ : ١٤٣ ، د ١٢ : ٢١ .
(٢) الخبر فى ب ٩ : ١٧ ، س ٩ : ١٦ ، د ١٠ : ٣٥ .

وشُغل بحرب من يليه . وقال لجاره ذلك : « أَمْهِلْنى عامِى هذا » . فقال الثمالى :
« قد أمهلتُك عامين » . وخرج دريد فى حاجة وقد أبطأ فى أمر الثمالى ، فسمعه يقول :

كساكَ ــ دريدُ ــ الدهر ثوبَ خَزايةٍ ... وجَدَّعك الحامِى حَقِيقَتَــه أَنَسْ
دع ِالرمحَ والخيلَ الجيادَ لخَثْعَمٍ ... فما أنت والرمح الطويل ولا الفرس (١)
وما أنت والغَزْو المُتابَــع للعِدَى ... وهَمُّك سَوْق العَوْدِ والدَّلْو والمَرَس (٢)
فلو كان عبــدُ الله حَيًّا لرَدَّها ... وما أصبحتْ إبْلِى بنجرانَ تُحْتَبَس
ولا أصبحتْ عِرْسِى بأشْقَى معيشةٍ ... وشيخٌ كبيرٌ من ثُمالةَ فى تَعَس
يُراعِى نجومَ الليلِ من بَعْدِ هَجْعَةٍ ... إلى الصبحِ محزونا يُطاوِلُه النفَس
وكنتُ ــ وعبدُ الله حىٌّ ــ وما أَرَى ... أُبالِى من الأعداء مَنْ قام أو جلس
فأصبحتُ مهضوما حَزِينا لفَقْدِه ... وهل من نَكيرٍ بعد عامين يُلْتَمَس (٣)

فضاق دريد ذَرْعا بقوله وشاور ذوى الرأى من قومه . فقالوا له : « ارحل
إلى يزيد بن عبد المدان ؛ فإن أنسا قد خلَّف المال والعيال بنجران للحرب التى وقعت
بين خَثْعَم . فإنْ يزيد يردُّها عليك » . فقال دريد : « بل أُقْدم عليه قبل ذلك بمدحه
ثم انظر ما موقعى من الرجل » . فقال هذه القصيدة وبعث بها إلى يزيد :

بنى الدَّيّانِ ، رُدُّوا مالَ جارِى ... وأَسْرَى فى كُبولِهمُ الثِّقــالِ
ورُدُّوا السَّبْيَ ــ إنْ شِئتُم ــ بمَنٍّ ... وإن شئتم مفاداةً بمال
فأنتم أهلُ عــائدةٍ وفضلٍ ... وأيْدٍ فى مَواهِبكم طِوال
متى ما تمنَعوا شيئا فليستْ ... حَبائلُ أَخْــذِه غــيرَ السؤال

(١) فى غ :
دع الخيــل والسمر الطــوال لخثعم ... فما أنت والرمح الطويل وما الفرس

(٢) كذا فى غ . وفى س : وما أنت والغر المبالــغ للعدى ، تحريف . والعود : المسن من الإبل . والمرس : الحبل .

(٣) غ : بعد حولين تلتمس .

وحربكمُ ـ بنى الديان ـ حربٌ يَغَصُّ المرء منها بالزُّلال

منها :

بنى الديان ، إن بنى زيادٍ همُ أهلُ التكرُّم والفَعال
فأَبْلُونى ـ بنى الديان ـ خيرا أُقِرّ لكم به أُخْرَى الليالى(١)

فلما بلغ يزيد قولَه ، قال : « وَجَبَ حَقُّ الرجل » . فبعث إليه أن أَقدَم علينا . فلما قدم أكرمه وأحسن مثواه .

فقال دريد يوما : « يا أبا النضر(٢) ، إنى رأيت منكم خِصالا لم أرَها فى أحد من قومكم : رأيت أبنيتكَم متفرِّقة ، ونتاج خيلكم قليلا ، وسَرْحَكم(٣) يجىء مُعْتِما ، وصبيانكم يتضاغَوْن(٤) من غير جوع » . فقال له بعضهم : « أما قلة نتاجنا فنِتاج هوازنَ يكفينا . وأما تفرُّق أبنيتنا فللغَيْرَة على نسائنا . وأما بكاء صبياننا فلأَنّا نبدأ بالخيل قبل العيال . وأما تمَسِّينا بالنَّعَم فإن فينا الأراملُ تخرج المرأة إلى مالها حيث لا يراها أحد » .

قال : وأقبلتْ طلائعُهم إلى يزيد . فقال شيخ منهم :

أتتْك السلامةُ فارْعَ النَّعَمْ ولا تَقُلِ الدهرَ إلا نَعَمْ
* وسَرِّحْ دُرَيدا بنُعْمَى جُشَمْ *

فقال له دريد : « من أين جاء هؤلاء ؟ » قال : « هذه طلائعنا لا نَسْرَح ولا نصطبح حتى يرجعوا إلينا » . قال : « ما ظلمكم من جعلكم جَمْرة مَذْحِج » .

---

(١) غ : فأولونى .
(٢) كذا فى غ . وفى س : يا بنى النضر ، تحريف .
(٣) السرح : الإبل فى المرعى .
(٤) يتضاغون : يتضورون ويصيحون من الجوع .

وردّ عليه يزيد أسارى قومه وجيرانه . ثم قال له : « سَلْنى ما شئت » . فلم يسأله شيئا إلا أعطاه إياه ، فقال دريد فى ذلك :

مدحتُ يزيدَ بن عبد المدانِ ... فأكرِمْ به من فتًى مُمْتَدَحْ
إذا المدحُ زان فتى مَعْشَرٍ ... فإنّ يزيدَ يَزِين المِدَح
حللْتُ به دونَ أصحابه ... فأوْرَى زِنادىَ لمّا قَدَح
وردّ النساءَ بأطهارِها ... ولو كان غيرُ يزيدٍ فَضَح
وفكّ الرجال ، وكلُّ امرِئٍ ... إذا أصلح اللهُ يوما صَلَح
وقلتُ له بعد عِتْق النساء ... وفكِّ الرجال وردِّ اللِّقَح(١)
أَجِرْ لى فوارِسَ من عامر ... وأكرِمْ بنَفْحَتِه إذ نَفَح(٢)
وما زلتُ أعرِف فى وجهه ... بكَرِّى السؤالَ ظهورَ الفرح
رأيتُ أبا النَّضر فى مَذْحِج ... بمنزلة الفَجْرِ حين اتَّضَح
إذا قارَعوا عنه لم يُقرَعوا ... وإن قدّموه لكَبْشٍ نَطَح(٣)
وإن حَصَّل الناس لم يُخْزِهم ... وإنْ وازَنوه بقِرْنٍ رَجَح(٤)
فذاك فَتاها وذو فَضْلِها ... وإن نابحٌ بفَخارٍ نَبَح

---

(١) اللقح : جمع لقحة ، وهى الناقة الحلوب .
(٢) غ : فأكرم . ونفح : أعطى .
(٣) كبش القوم : رئيسهم .
(٤) غ : حضر الناس .

يَزِيد بن مَزْيَد*

كان الرشيد هارون قد وَجّه يزيدبن مزيد الشَّيْبانى إلى الوَليد بن طَريف الشّارى. وكان الوليد رأس الخوارج وأشدّهم بأسا وشَوْكة وأشجعهم. وطالت أيامه. وكان من بالشّمّاسيّة[1] لا يأمن طُروقَه. فوجّه إليه الرشيد بيزيد بن مزيد. فجعل يُخاتله ويُماكره. وكان البرامكة مُنحرِفين عن يزيد بن مزيد، فأغْرَوا به الرشيد وقالوا: «إنما يتجافَى عنه للرَّحِم وإلا فشوكة الوليد يَسيرة وهو يُوادعه وينتظر ما يكون من أمره». فكتب إليه الرشيد كتاب مُغضَب يقول فيه: «لو وجهتُ بأحد الخدم لَقام بأكثر مما تقوم به، ولكنك مُداهِن متعصّب. وأميرُ المؤمنين يُقسم بالله لئِنْ أخرتَ مناجزة الوليد ليُوَجِّهنّ إليك من يحمل رأسك إليه». فلقِى الوليد عشية خميس فى شهر رمضان. فيُقال: إن يزيد جُهِد عطَشا حتى رمى خاتمه فى فمه يلوكُه. ويقول: «اللهم، إنها شدّة شديدة فاسْتُرها». وقال لأصحابه: «فدا كم أبى وأمى إنما هم الخوارج، ولهم حَمْلة. فاثبُتوا لهم تحت التِّراس[2]. فإذا انقضتْ حملتهم، فاحمِلوا عليهم، فإنهم إذا انهزموا لم يرْجِعوا». فكان كما قال؛ حملوا حملة وثبَت يزيد ومَنْ معه من عَشيرته وأصحابه ثم حَمَل عليهم فانكشفوا.

فيقال: إنّ أَسَد بن يزيد كان شبيها بأبيه جدّا، وكان لا يَفْصِل بينهما إلا المتأمِّل، وكان أكثرُ ما يُباعده منه ضربة فى وجه يزيد تأخُذ من قَصاص شَعْره منحرفةً على جبهته. وكان أسد يتمنّى مثلها. فهوتْ له ضربة فأخرج وجهه من التُّرْس، فأصابته فى ذلك الموضع. فيقال: إنه لو خُطّت على مِثال ضربة أبيه ما عَداها، جاءتْ كأنها هى.

---

* أخباره فى ب ١١ : ٨، س ١١ : ٨، د ١٢ : ٩٢، ى ١٢ : ٨٥.

(١) الشماسية: محلة ببغداد.

(٢) التراس: جمع ترس، وهو صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه.

واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه بعد مسافة بعيدة فأخذ رأسه . وكان الوليد خرج وهو يقول :

أنا الوليدُ بن طريف الشّارِى　　قَسْوَرَةٌ لا يُصْطَلى بنارى[١]

جَوْرُكم أخْرَجنى من دارى

فلما وقع [فيهم] السيف وأُخِذ رأس الوليد ، صَبَّحتهم أخته ليلى بنت طريف مستعدة عليها الدرع . فجعلت تحمل على الناس فعُرِفت . فقال يزيد : « دَعُوها » . ثم خرج إليها فضرب بالرمح قَطاة فرسها[٢] ثم قال : « اغرُبى غَرَّب الله عليك فقد فضحتِ العشيرة » فاستحيت وانصرفت . وهى التى تقول[٣] :

أيا شجرَ الخابورِ ، مالك مُورِقا ؟　　كأنك لم تجزَعْ على ابنِ طَريفِ[٤]

فتى لا يحبُّ الزادَ إلا من التُّقى　　ولا المالَ إلا من قَناً وسيوفِ[٥]

ولا الخيلَ إلا كل جَرْداء شَطْبةٍ　　وكلَّ حِصانٍ باليدين غَروفِ[٦]

(١) قسورة : أسد . والشعر فى وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ١٨٠ .

(٢) قطاة الفرس : عجزه أو مقعد الرديف منه .

(٣) الحصرى : زهر الآداب ٩٦٦ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ : ١٧٩ . العسكرى الصناعتين ١٦٥ . الأمالى للقالى ٢ : ٢٧٤ . حماسة البحترى ٢٧٦ .

(٤) كامل ابن الأثير ٦ : ٩٨ ، حماسة ابن الشجرى ٨٩ ، معاهد التنصيص ٣ : ١٥٩ ، ابن خلكان والبحترى : فياشجر . غ وابن خلكان والعسكرى وابن الشجرى : كأنك لم تحزن .

(٥) الحصرى : لا يعد الزاد . البحترى : لم يحب .

(٦) الشطر الثانى فى الصناعتين : وأجرد شطب فى العنان خنوف . وفى غ والأمالى :

ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم　　وكل رقيق الشفرتين خفيف

وفى الوفيات ومعاهد التنصيص :

ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم　　معاودة للكر بين صفوف

وفى حماسة البحترى :

ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم　　وأجرد عالى المنسجين غروف

والجرداء : القصيرة الشعر من الخيل . والشطبة : السبطة اللحم أو الطويلة من الخيل . والغروف : التى تغرف الجرى غرفا فتنهب الأرض نهبا فى سرعتها .

ألا يا لقومٍ للنَّوائبِ والرَّدَى ودهرٍ مُلِحٍّ بالكرام عَنيف(١)
وللبدرِ من بين الكواكبِ إذ هَوَى وللشمسِ هَمَّتْ بعده بكُسوف(٢)
بتَلِّ نُباثا رسْمُ قبرٍ كأنّه على عَلَمٍ فوقَ الجبال مُنيف(٣)
تَضمَّن جُوداً حاتِميًّا ونائلاً وسَوْرةَ مِقْدامٍ وقلبَ حَصيف(٤)
ألا قاتَلَ اللهُ الجُثا كيف أضمرتْ فتًى كان بالمعروف غيرَ عَفيف(٥)
فلا تَجْزَعا يا ابْنَيْ طريفٍ فإنَّني أرى الموتَ نَزّالاً بكلِّ شَريف(٦)
فقَدْناكَ فِقْدانَ الربيعِ ولَيْتَنا فَدَيْناكَ من دَهْمائنا بأُلوف(٧)
فإنْ يَكُ أرْداهُ يزيدُ بن مَزْيَدٍ فيا رُبَّ خيلٍ فَضَّها وصُفوف(٨)

(١) س، والوفيات : ألا يالقومى ومعاهد التنصيص: ألا يالقومى للحمام وللبلى .. وللأرض همت بعده برجيف .

(٢) الوفيات: وللشمس لما أزمعت بكسوف . والمعاهد : قد هوى . . وللشمس لما أزمعت للكسوف .

(٣) ب ،س ، والمعاهد: بتل نباثى. البحترى : بتل نباثا. كامل بن الأثير: بتل تباثا. والوفيات بتل نهاكى . وقال ابن خلكان : « تل نهاكى أظنه فى بلد نصيبين، وهو موضع الواقعة المذكورة »

(٤) البحترى : ورأى حصيف . الوفيات :

تضمن مجدا عدمليا وسوددا وهمة مقدام ورأى حصيف

(٥) غ وابن خلكان : حيث أضمرت . ابن خلكان والبحترى والمعاهد : غير عيوف . والجثا : جمع جثوة ، وهى ما يتجمع من حجارة أو تراب .

(٦) العسكرى : أرى الموت حلالا، البحترى: أرى الموت وقاعا . والبيت فى الأمالى :

عليك سلام الله حتما فإننى أرى الموت وقاعا بكل شريف

ومثله فى زهر الآداب والوفيات ، غير أن رواية الأول : سلام الله وقفا ، ورواية الثانى : عليه سلام الله .

(٧) الوفيات والمعاهد : فقدان الشباب. والوفيات وزهر الآداب والمعاهد : من فتياننا . والعقد الفريد : من ساداتنا . وفى حماسة البحترى وابن الشجرى :

فقدناه فقدان الربيع فليتنا فديناه

(٨) حماسة البحترى : فرب زحوف . وفى الوفيات والمعاهد وحماسة ابن الشجرى : فرب زحوف لفها بزحوف .

فلما انصرف يزيد بن مزيد بالظَّفَر إلى الرشيد ، حُجب برأى البرامكة وأظهر الرشيد السخط عليه . فقال : « وحَقِّ أمير المؤمنين ، لَأُصَيِّفَنَّ ولَأُشَتِّيَنَّ على ظهر فرسى أو أدخل » . فارتفع الخبر بذلك . فأذِن له فدخل . فلما رآه أمير المؤمنين ضحك وسُرّ ، وأقبل يصيح : « مرحبا بالأُعْرابى » ، حتى دخل وأجلس وأُكرِم ، وعُرِف بلاؤه ونقاء صدره .

ومدحه الشعراء . فكان أحسنهم مدحا مسلم بن الوليد إذ قال[1] :

أُجْرِرْتُ حبل خليعٍ فى الصِّبا غَزِلٍ   وشمَّرتْ هممُ العُذّالِ فى عَذَلِى[2]
هاج البكاءَ على العين الطَّموحِ هوًى   مُفرَّقٌ بين توديعٍ ومُرْتَحَلِ[3]
كيف السلوُّ لقلبٍ بات مُختَبَلا   يَهْذِى بصاحب قلبٍ غير مُختَبلِ[4]

منها :

يَفتَرُّ عند افترار الحرب مبتسما   إذا تغيَّر وجه الفارس البطلِ[5]
موفٍ على مُهَجٍ فى يومِ ذى رَهَجٍ   كأنه أجَلٌ يسعَى إلى أملِ[6]
يَنال بالرفق ما يَعْيا الرجالُ به   كالموت مستعجلا يأتى على مهلِ[7]

---

(١) ديوانه (طبع المعارف بمصر) ١ . ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٥٣٠ . ابن المعتز : طبقات الشعراء ٢٣٦ . الحصرى : زهر الآداب ٩٩٧ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ : ١٨٥ . العباسى : ومعاهد التنصيص ٣ : ١٦٢ .

(٢) فى عذلى : كذا فى د ، ى ، والطبقات . وفى س ، ب ، س: عن عذلى ، تحريف عن رواية ابن خلكان والمعاهد : ذيل خليع . . . وقصرت همم العذال عن عذلى والديوان : العذل

(٣) غ والديوان : توديع ومحتمل . والطموح : المرتفعة فى النظر إلى الأحبة وهم سائرون. والمرتحل : الارتحال .

(٤) الديوان : راح مختبلا .

(٥) افتر مبتسما : أبدى أسنانه عند الأسنان . وافترت الحرب : كشرت عن أنيابها دلالة على شدتها .

(٦) الرهج : الغبار .

(٧) ابن خلكان : تعيا الرجال .

لا يرحلُ الناسُ إلا نحو حُجْرَتِه ... كالبيت يُفضِي إليه مُلتقَى السُّبُل (١)
يَقْرِى المنيــةَ أرواحَ العُداةِ كما ... يقرى الضيوفَ شُحومَ الكُومِ والبُزُلِ (٢)
يكسو السيوفَ نفوسَ الناكثين به ... ويجعل الهامَ تيجانَ القنا الذُّبُـل (٣)
إذا انتضَى سيفَه كانت مَسالِـكُه ... مسالكَ الموتِ فى الأبدان والقُلَل (٤)
لا تُـكْذَبَنَّ فإن المجـــد مَعْدِنُه ... وراثةٌ فى بنى شَيْبانَ لم تَزَل (٥)
إذا الشَّرِيكِىُّ لم يفخر على أحد ... تـكلّم الفخر عنـــه غير مُنْتَحِل (٦)
أسْلَمْ يزيدُ ، فما فى المُلْكِ من أَوَدٍ ... إذا سَلِمْتَ وما فى الدين من خَلَل (٧)
لولا دفاعُك بأسَ الروم إذ مكَرتْ ... عن بَيْضة الدِّين لم تَأْمَنْ من الشَّكَل (٨)
والمائقُ ابنُ طَرِيفٍ قد دَلَفْتَ له ... بعارضٍ للمنـايا مُسْبِلٍ هَطِل (٩)
تراه فى الأَمْنِ فى درعٍ مُضاعَفةٍ ... لا يأمَنُ الدهرَ أن يؤتى على عجل (١٠)
لا يَعْبَـق الطِّيبُ خَدَّيه ومَفْرِقَه ... ولا يُمسِّح عينيه من الـكُحُل

---

(١) ب ، س : حول حجرته . ابن خلكان : عند حجرته: الديوان وابن قتيبة والحصرى وابن خلكان : يضحى إليه . والبيت يريد : الكعبة .

(٢) الديوان وابن قتيبة والحصرى : أرواح الكماة . والكوم : جمع كوماء ، وهى الناقة العظيمة السنام — والبزل : جمع بازل ، وهو ما بلغ تسع سنين فما فوقها من الإبل .

(٣) غ وابن قتيبة والحصرى: رءوس الناكثين . الديوان : دماء الناكثين، والشطر الثانى عند ابن المعتز: ويجعل الروس تيجانا على الذبل . والنفوس : لعله أراد بها الدماء . والذبل : جمع ذابل ، وهو الرقيق .

(٤) القلل : جمع قلة ، وهى أعلى الشىء ، يريد الرءوس .

(٥) الديوان : فإن الحلم .

(٦) الشريكى : نسبة إلى شريك أحد أجداد يزيد بن مزيد .

(٧) غ : ولا فى الدين . والأود : العوج . الديوان : فما فى الدين . . . وما فى الملك .

(٨) الديوان : إذ بكرت * عن عترة الدين .

(٩) غ والمعاهد : والمارق . والعارض : السحاب . والديوان : والمارق . . بعسكر للمنايا .

(١٠) غ وغير ابن قتيبة : أن يدعى على عجل .

يأبى لك الذمَّ فى يومَيْك إن ذُكِرا   عَضْبٌ حُسامٌ وعِرْضٌ غير مُبْتَذَلِ[١]
فافْخَرْ فما لك فى شَيْبانَ من مَثَلٍ   كذاك ما لبنى شيبان من مثل

قال محمد بن يزيد : « معنى قوله :

* تراه فى الأمن فى درع مضاعفة *

أن امرأة مَعْن بن زائدة عاتبتْ مَعْنا فى يزيد وقالت : « إنك لَتُقدِّمه وتؤخِّر بنيك، وتشيد ذِكْرَه وتُخْمِل ذكرهم . ولو نبَّهتَهم لانْتَبهوا ، ولو رفعتَهم لارْتفعوا» . فقال معن: « إن يزيد قريب لم تبعُد رَحِمه ، وله علىّ حكم الولد إذ كنتُ عمَّه. وبعدُ ، فإنهم ألْوَط[٢] بقلبى وأدْنَى من نفسى ، على قدر ما تُوجبه واجبةُ الوِلادة لهم ، ولـكنّى لا أجد عندهم . ما أجد عنده . ولو كان ما يضطلع به يزيد فى بعيدٍ لصار قريباً ، وفى عدو لصار حبيباً . وسأُريك فى ليلتى هذه مايَبين به عذرى ويزول به اللوم عنى . ياغلام ، اذهب فادْعُ جَسّاسا وزائدة وعبد الله وفلاناً وفلاناً » حتى عدد أسماء أولاده . فلم يلبثوا أن جاءوا فى الغَلائل المطيَّبة والنِّعال السِّنْديّة ـ وذلك بعد هَدْأَة[٣] من الليل ، فسلموا وجلسوا . ثم قال : « ياغلام ، ادْعُ لى يزيد » وقد أسْبَل سترا بينه وبين المرأة . فإذا به قد جاء وعليه السلاحُ كله ، ودخل عجِلا فوضع رمحه بباب المجلس ثم أتى يُحضِر[٤] . فلما رآه قال . « ماهذه الهيئة ، يا أبا الزبير ؟ » . وكانت كُنْيتَه . فقال : « جاءنى رسول الأمير فَسَبَق إلى نفسى أنه يريدنى لوجه ، فقلت : إن كان مضَيْتُ ولم أعرِّج ، وإن تـكن الأخرى فنَزْع هذه الآلة أيْسَر الخطب»

---

(١) العضب : السيف . الحسام : القاطع .
(٢) ألوط بقلبى : ألصق به .
(٣) أى حين هدأ الليل .
(٤) يحضر : يعدو ويسرع .

فقال لهم : « انصرفوا فى حفظ الله » . فقالت المرأة : « قد تبين عذرك عندى » .
فأنشد معن متمثلا :

نفسُ عِصامٍ سَوَّدتْ عِصاما وعَوَّدتْه الكَرَّ والإقداما[1]
وصَيَّرته مَلِكا هُماما

قل الأصمعى : أنشدت لأخت[2] الوليد بن طريف الشارى ترثى أخاها :

ذكرتُ الوليدَ وأيامَه إذ الأرض من شخصه بَلْقَعُ[3]
فأقبلتُ أطلُبه فى السماء كما يبتغى أنفَه الأجْدَع
أضاعَك قومُك فلْيَطلُبوا إفادةَ مثلِ الذى ضَيَّعوا
لو أن السيوفَ التى حَدُّها يُصيبُك تعلم ما تصنع
نَبتْ عنك أو جعلتْ هيبةً وخوفاً لصَوْلِك لا تَقْطَع

---

(١) ابن خلكان : وعلمته الكر والإقداما .
(٢) يفهم من الأغانى أن صحة هذه العبارة : قال الرياشى : أنشدنى الأصمعى لأخت . .
(٣) بلقع هنا . خالية .

يَزيد أبو وَجْزَة*

هو يزيد بن عُبيد ، وقيل : يزيد بن أبي عبيد[1] . وكان له أخ يقال له عبيد ، انتسب إلى بني سعد بن بكر بن هَوازن لوَلائه فيهم . وأصله من سُلَيم ثم من بني ضَبيس بن هلال بن قُدَم بن ظَفَر بن الحارث بن بُهثَة بن سُلَيم .

ولكنه لحق أباه وهو صبي [سِباء] في الجاهلية . فبيع أبوه عُبَيد بسوق ذي المَجاز . فابتاعه وُهَيب بن خالد بن عامر بن عمرو[2] بن مَلّان بن سلمان[3] بن غاضِرة ابن قَبيصة[4] بن نَصْر بن سعد بن بكر بن هوازن . فأقام عنده زمانا يرعى عليه إبله . ثم ضرب يوما ضَرْع ناقة لمولاه فأَدْماها . فلطم وجهه . فخرج إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ مُسْتَعْدِيا ، فقال له : « يا أمير المؤمنين ، أنا رجل من بني سُلَيم ثم من بني ظَفَر ، أصابني سباء في الجاهلية كما تصيب العرب بعضها من بعض ، وأنا معروف النسب . وقد كان رجل من بني سعد ابتاعني ، فأساء إليّ فضرب وجهي . وقد بلغني أنه لا سِباء ولا رق على عربي في الإسلام » . فلما فَرَغ من كلامه ، أتى مولاه في أثره فقال : « يا أمير المؤمنين ، هذا غلام ابتعته بذي المجاز ، وهو يقوم في مالي ، فأساء فضربتُه ضربة . وماأعلَمُني ضربته قط غيرها وإن الرجل ليضرب ولده أشدّ منها . فكيف بعَبْده ؟ وأنا أُشهِدك أنه حرٌّ لوجه الله عز وجل » .

---

* أخباره في ب ١١ : ٧٩ ، س ١١ : ٧٥ ، د ١٢ : ٢٣٩ ، ى ١٢ : ٢٣٩ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢ ٤٤٢ .

(١) كذا في غ ، وخزانة الأدب ٢ : ١٥٠ ، وفي س : أبي عبيدة .

(٢) غ : عمير . وفي الإصابة ٦ . ٣٣٠ . وهب بن خالد بن عامر بن غاضرة .

(٣) سلمان : غير موجود في غ .

(٤) غ : ملان بن ناصرة بن قصية .

فقال عمر: « لقد امتنّ عليك هذا الرجل، وقطع عنك مؤونة البيّنة. فإن أحببتَ فأَقِم معه، وله عليك مِنّة، وإن أحببت فالحق بقومك » .

فأقام مع السعدى وانتسب هو وولده إلى بنى سعد بن بكر بن هوازن. وتزوج زينب بنت عُرْفُطة بن سهل بن مُكدِّم المُزَنية. فولدت له أبا وجزة وأخاه. ولما بلغ ابناه طالباه أن يلحَق بأصله وينتمى إلى قومه من بنى سليم. فقال: « لا أفعلُ ولا ألحق بهم فيعيِّرونى كل يوم ويدفعونى، وأترك قوما يكرمونى ويشرِّفونى. فو الله، لئن ذهبتُ إلى بنى ظفر، لا أرعى ظُلْمِيَة[1] ولا أرد جَمّة إلا قالوا: ياعبد بنى سعد » . وظلمية: جبل لهم .

وبنو سعد أظْآر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان مسترْضَعا فيهم عند حَليمة السعدية. فلم يزل صلى الله عليه وسلم فيهم حتى يَفَع ثم أخذه جده عبد المطلب منهم فردّه إلى مكة. وجاءته حليمة بعد الهجرة. فأكرمها وبَرّها وبسط لها رداءه، فجلست عليه. وبنو سعد تفتخر بذلك على سائر هوازن. وحقيقٌ بكل فخر ومكرمة من اتصل منه سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بأدْنَى سبب ووسيلة.

كان أبو وجزة السعدى يقول: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: « ليس شعر حسان بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبد الله بن رَواحة شعرا، ولكنه حكمة » .

وكان أبو وجزة من التابعين. روى عن جماعة من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم. ورأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه — ولم يُسنِد إليه حديثا، ولكنه حدّث عن أبيه عنه بحديث الاستسقاء. ونقله عنه جماعة الرواة.

روى أبو وجزة عن أبيه قال: استسقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فلما وقف

---

(١) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى ٨٩٥، وفى س: ظلمة. وفى غ: طمة.

على المنبر ، أخذ فى الاستغفار . فقلت : « ما أراه يعمل فى حاجته » . وفى رواية : « ولم أعلم أن الاستغفار هو الاستسقاء » . ثم قال فى آخر كلامه : « اللهمّ إنى قد عجزتُ عنهم ، وما عندك أوسع لهم » . ثم أخذ ابن العباس — رضى الله عنهما — ثم قال: « وهذا عم نبيك — صلى الله عليه وسلم — نتوسل إليك به » . فلما أراد عمر أن ينزل قَلَب رداءه ثم نزل . فرأى الناس طُرَّة[1] فى مغرب الشمس فقالوا : « ما هذا ؟ » وما رأينا قبل ذلك قَزَعة سحاب أربع سنين . قال : ثم سمعنا الرعد ثم انتشر ثم اضطرب، وكان المطر يَقْلِدنا قَلْدا[2] فى كل خمس عشرة ليلة حتى رأيت الأَرينة[3] خارجة من حِقاق العُرْفُط[4] تأكلها صغرى الإبل .

ومات أبو وجزة سنة ثلاثين ومائة[5] .

وهو أحد من شَبّب بعجوز حيث يقول[6] :

يا أيُّها الرجلُ الموكَّلُ بالصِّبا ... فِيمَ ابنُ سبعينَ المُعَمَّرُ من دَدِ[7]

حَتّامَ أنت موكَّلٌ بقَديمةٍ ... أمستْ تُجَدِّدُ كاليَمانى الجيِّدِ؟

زانَ الجمالُ كمالَها ورسابهـــــا ... عقلٌ وفاضلةٌ وشِيمةُ سَيِّدِ[8]

---

(١) الطرة : الطريقة من السحاب . وفى ى : قزعة . وهى القطعة من السحاب .

(٢) قلدنا السحاب : أمطرنا .

(٣) الأرينة : نبت عريض الورق .

(٤) العرفط : شجر العضاه . وحقاقه : صغاره . وفى حاشية فى هامش س عن متن الأغانى: « حقاق العرفط . نبات سنتين وثلاث » .

(٥) كذا كانت فى س . ثم وضع قبل كلمة سنة حرف العطف « و » وبعد كلمة « مئة » كلمة « سنة » ثم كتبت العبارة فى الهامش على النحو التالى : « وعمره مائة وثلاثون سنة » . وما أثبته هو ما ورد فى غ عن ابن قتيبة ، وقد وجدته عند ابن قتيبة كما أثبته أبو الفرج . ومثلهما فى فى الخزانة ٢ : ١٥٠ .

(٦) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٤٤٢ .

(٧) الدد : اللهو واللعب .

(٨) غ وابن قتيبة : زان الجلال .

ضَنَّتْ بنائِلِهـــا عليك وأنتما غِرّان في طرَفِ الشباب الأغْيَد[1]

فالآن ترجو أن تُثِيبَك نائلا هيهاتَ نائِلُها مكان الفرْقَد[2]

خرج أبو وجزة وأبو زيد الأَسْلَمى[3] يريدان المدينة ، وقد امتدح أبو وجزة عبد الله بن الزبير[4] وامتدح أبو زيد إبراهيم بن هشام المخزومى . فقال أبو وجزة لأبي زيد : « هل لك أن أشاركك فيما أُصيب من آل الزبير وتُشاركنى فيما تصيب من إبراهيم ؟ » فقال : « كلا والله، لرَجائى فى الأمير أعظم من رجائك فى آل الزبير ». فقدِما المدينة . فأتى أبو زيد دار إبراهيم فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلّب . فقال إبراهيم لبعض أصحابه : « اخرج إلى هذا الأعرابى الجِلْف فاضربه وأخرجه » . فضُرب وأُخرج. وأتى أبو وجزة ابن الزبير وأصحابه فمدحهم وأنشدهم . فكتبوا له إلى مال لهم بالفُرع[5] أن يُعطَى منه ستين وَسْقا[6] من التمر . فقال أبو وجزة يمدحهم :

راحتْ قَلُوصى رَواحا وهى حامِدةٌ آلَ الزبير ولم تَعْدِل بهم أحداً[7]

راحت بستين وسْقًا فى حَقيبتها ما حُمِّلت حِمْلَها الأَدْنَى ولا السَّدَدا[8]

ذاك القِرَى لا كأقوامٍ عَهِدْتُهمُ يَقْرُون ضَيْفَهمُ المَلْوِيّة الجُدُدا[9]

يعنى السياط . وقوله :

* راحت بستين وسقا فى حقيبتها *

ليس يعنى أنها حملت ستين وسقا ولا الحقيبة تسع ذلك ولا بعضه ، وإنما يعنى أنها حملت الكتاب فى الحقيبة . وهو توقيع بستين وسقا .

(١) ابن قتيبة : إلفان فى طرف الشباب . غ : غران فى طلب الشباب . والنائل : العطاء .

(٢) ابن قتيبة : : أفلان ترجو . . أيهات .

(٣) كذا فى غ وكامل المبرد ١٦٠ . وفى ض : أبو زبيد الأسلمى .

(٤) غ ، والكامل : آل الزبير ، ولعله أصح فقد عرف عبد الله بالبخل .

(٥) الفرع : قرية من نواحى الربذة بينها وبين المدينة أربع ليال على طريق مكة .

(٦) الوسق : حمل البعير .

(٧) الكامل : راحت رواحا قلوصى . والقلوص : الشابة من النوق .

(٨) السدد : الوفق .

(٩) الكامل : لا قرى قوم رأيتهم .

يزيد بن الحكم*

هو يزيد بن عثمان بن أبى العاص صاحب سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وقيل : يزيد بن الحكم بن أبى العاص ، وعُثمان عمه ؛ وهو الصحيح . وأبو العاص هو بِشْر بن عبد دُهْمان بن عبد الله بن هَمّام بن أَبان بن يَسار بن مالك بن حُطَيط ابن جُشَم بن قَسِيّ بن مُنبِّه ، وهو ثَقيف[1] .

وعثمان جدُّه أو عم أبيه أحدُ من أسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بَكْرَة . وشَطُّ عثمان بالبصرة منسوب إليه ، وكانت له هناك أرض أَقْطِعها أو ابتاعها . روى عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وروى عنه الحسن بن أبى الحسن ، ومُطَرِّف ابن عبد الله بن الشِّخِّير ، وغيرها من التابعين .

قال عثمان بن أبى العاص الثقفى : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمَّ قومَك ، واقدرُهُم بأَضْعَفِهم فإن منهم الضعيف والكبير وذا الحاجة » .

مرّ الفرزدق بيزيد بن الحكم الثَّقفى وهو ينشد فى المسجد . فقال : « من هذا الذى ينشد شعرا كأنه من أشعارنا ؟ » فقالوا : « يزيد بن الحكم بن أبى العاص » . فقال : « نعم ، أشهد بالله أن عمّتى ولدَتْه » . وأم يزيد بَكْرَة بنت الزِّبْرِقان بن بدر. وأمها هُنَيدة بنت صَعْصَعة بن ناجية . وكانت بكرة أول عربية ركبت البحر ، فأُخْرِجَ بها إلى الحكم وهو بتَوَّج[2] . وكان الزبرقان يكنى أبا العباس . وكان له بنون منهم العباس وعيّاش .

---

* أخباره فى ب ١١ : ١٠٠ ، س ١١ : ٩٦ ، د ١٢ : ٢٨٦ ، ى ١٢ : ٢٨٩ .

(١) غ : قسى وهو ثقيف . وذلك هو الصواب .

(٢) توج : بلد بفارس .

دعا الحجاج بن يوسف بيزيد بن الحكم الثقفى ، فولّاه كُورة فارس ودفع إليه عهده . فلما دخل عليه ليودّعه ، قال له الحجاج : « أنشِدْنى بعض شعرك » . وإنما أراد أن ينشده مديحا له . فأنشده يفتخر :

وأبى الذى سلب ابنَ كسرى رايةً بيضاء تَخْفق كالعُقاب الطائرِ(١)

فلما سمع الحجاج فخره نهض مُغضَبا . وخرج يزيد من غير أن يودّعه . فقال الحجاج لحاجبه : « ارتجع منه العهد » . فإذا ردّه فقلْ : « أيهما خير لك : ما وَرَّثك أبوك أم هذا ؟ فرد على الحاجب العهد وقال : « قل له :

ورثتُ جدّى مَجْدَه وفَعالَه وورثتَ جدَّك أعْنُزا بالطائفِ

وخرج مغضبا فلحق بسليمان بن عبد الملك . ومدحه بقصيدته التى هى(٢) :

أمسَى بأسماء هذا القلبُ مَعْمودا إذا أقول : صَحا ، يَعْتادُه عِيدا(٣)

كأنَّ أَحْوَرَ من غزلانِ ذى بَقَرٍ أَهْدَى لها شَبَهَ العينين والجِيدا(٤)

أُجْرِى على موعدٍ منها فتُخْلِفُنى فلا أَمَلُّ ولا تُوفى المَواعيدا

كأنَّنى يوم أُمسِى لا تُكلِّمنى ذو بُغْيَةٍ يَبْتَغى ما ليس موجودا(٥)

منها :

سُمِّيتَ باسمِ امرئٍ أشبهْتَ شِيمَتَه عَدْلا وفَضْلا سليمانَ بن داودا(٦)

---

(١) خزانة الأدب ١ : ٥٥ : فى الملك تخفق كالعقاب الكاسر .

(٢) خزانة الأدب ١ : ٥٥ .

(٣) معمود : هده العشق .

(٤) اللسان : سنة العينين ، أى صورتهما . وعقب على البيت فقال : « وكان أبو على يرويه شبه العينين والجيدا . أراد وشبه الجيد ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وقد قيل: إن أبا على صحفه » وذو بقر : موضع .

(٥) الخزانة : يشتهى ما ليس موجودا .

(٦) اللسان (عود) :

سميت باسم نبى أنت تشبهه حلما وعدلا سليمان بن داودا

أَحْمِدْ به فى الوَرَى الماضينَ من ملكٍ وأنتَ أصبحتَ فى الباقين محمودا
لا يَبْرَأُ الناسُ من أن يَحْمَدوا مَلِكا أَوْلاهُمُ فى الأمور الحِلمَ والجودا[1]

فقال له سليمان : « كم كان أجرى لك لعمالة فارس ؟ » قال : « عشرين ألفا » . قال : « فهى لك ما دمتَ حيا » .

استوى الحجاج يوما جالسا ثم قال: « صدق زهير بن أبى سُلْمى حيث يقول[2] :

وما العفوُ إلا لامرئٍ ذى حَفيظةٍ متى يَعْفُ عن ذنب امرئ السَّوْءِ يَلْجَجِ[3]

فقال يزيد بن الحكم : « إنى رثيتُ ابنى عَنْبَسا ببيت إنه لَشبيهٌ بهذا » . قال : « وما هو ؟ » فقال :

ويأمنُ ذو حِلْمِ العَشيرةِ جَهْلَه عليـه ويخشَى جهلَه جُهلاؤُها

قال : « فما مَنَعَك أن تقول مثل هذا لمحمد ابنى ترثيه به ؟ » قال له : « إن ابنى كان أحبّ إلىّ من ابنك » .

وهذا البيت من قصيدة رثى بها يزيد ابنه عنبسا لما مات ، وقد جزع عليه جزعا شديدا :

جزَى اللهُ عنى عَنْبَسا كلَّ صالحٍ إذا كانت الأولادُ سَيْئًا جَزاؤُها
هو ابنى وأمسَى أجْرُه لى وعَزَّنى على نفسه رَبٌّ إليـه وَلاؤُها
جهولٌ إذا جهلُ العشيرة يُبْتَغى حليمٌ ويَرْضَى حلمَه حُلماؤُها
ويأمن ذو حلم العشيرة جهله عليـه ويخشى جهلَه جهلاؤُها

قال عبد الملك بن مروان : « كان شاعر ثقيف فى الجاهلية خيرا من شاعرهم فى الإسلام » . فقيـل له : « من تعنى ، يا أمير المؤمنين ؟ » قال : « أما شاعرهم فى الإسلام فيزيد بن الحكم حيث يقول :

(١) اللسان : لا يعذل الناس فى أن يشكروا ملكا .
(٢) شرح ديوان زهير (دار الكتب ١٩٤٤) ٣٢٤ .
(٣) الديوان : وما الفضل إلا لامرىء .

فما منك الشبابُ ولستَ منه　　إذا سألتك لحيتُك الخضابا

وقال شاعرهم فى الجاهلية :

الشيبُ إنْ يظهرْ فإنّ وَراءه　　عُمُرا يكونُ خلالَه مُتَنفَّسُ

لم يَنتقِص منّى المَشيبُ قُلامَةً　　ولَمَا بَقِى منى أَلَبُّ وأَكْيَسُ

ولما خلع يزيد بن المهلب يزيد بن عبد الملك ، قال له يزيد بن الحكم :

أبا خالد ، قد هِجْتَ حربا مَريرةً　　وقد شمّرتْ حربٌ عَوانٌ فشمّرِ

فقال يزيد بن المهلب : « بالله أستعين » . فقال يزيد بن الحكم :

فإنّ بنى مروانَ قد زال ملكُهم　　فإنْ كنت لم تَشْعُر بذلك فاشْعُرِ

فقال يزيد بن المهلب : « ما شعرت » . فقال يزيد بن الحكم :

فمت ماجدا أو عِشْ كريما فإنْ تمُتْ　　وسيفُك مشهورٌ بكفِّك تُعذَرِ

فقال : « هذا ما لا بد منه » .

دخل يزيد بن الحكم على يزيد بن المهلب فى سجن الحجاج وهو يُعذَّب ، وقد حل عليه نَجْمٌ كان قد نُجِّم[1] عليه ، وكانت نجومه فى كل أسبوع ستة عشر ألف درهم . فقال له[2] :

أصبح فى قَيْدِك السماحةُ والجو　　دُ وفضلُ الصلاحِ والحَسَبُ

لا بَطِرٌ إنْ تتابعتْ نِعَمٌ　　وصابرٌ فى البلاء مُحْتَسِب

بَرَزْتَ سَبْقَ الجوادِ فى مَهَلٍ　　وقصّرتْ دونَ سَعْيِك العرب[3]

فالتفت يزيد إلى مولًى له وقال له : « أعْطِه نجم هذا الأسبوع ونصبرُ على العذاب إلى السبت الآخر » .

---

(١) تنجيم الدين : أن يقدر دفعه فى أوقات معلومة .

(٢) خزانة الأدب ١ : ٥٥ .

(٣) ب ، س ، والخزانة : برزت . غ والخزانة : سبق الجياد .

يحيى أبو نفيس *

هو يَحْـيَي بن يَعْلَى بن مُنْيَة . وقيل : مَيْمون بن يعلى بن منية . وقيل حُـيَيّ ابن يعلى بن منية . ومنية أمه ، وهي بنت غَزْوان ، أخت عُتْبة بن غزوان . وأبوه أُمَيَّة بن عَبدة بن همام بن جُشَم بن بكر بن زيد بن مالك بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مَناة بن تَميم . ويقال لبني زيد بن مالك بنو العدوية ، وهي فُكَيهة بنت تميم بن الدُّؤل بن حِسْل بن عدى بن عبد مَناة بن تميم . ولدت لمالك بن حنظلة زيدا وصُدَيّا ويَرْبوعا ، فهم يُدْعون بني العدوية .

وكان يعلى بن منية حليفا لبني أمية وعَديدا لهم[1] ، وبينهم وبينه نسب وصِهْر . وأدرك النبي ، صلى الله عليه وسلم . وروى عنه حَديثا كثيرا . وعُمِّر بعده . وكان مع عائشة يومَ الجمل عَوْنا على أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، رضى الله عنـه . وقال على ، رضوان الله عليه : « مُنيت (أو بُليت) بأَطْوَع الناس في الناس : عائشة ، وبأدْهَى الناس : طَلْحة ، وبأشْجَع الناس : الزُّبير ، وبأكْثَر الناس مالا : يَعْلَى بن منية ، وبأجْوَد قريش عبد الله بن عامر » . فقام إليه رجل من الأنصار فقال له : « والله يا أمير المؤمنين ، لأنت أشجع من الزبير ، وأدهى من طلحة ، وأطوع فينا من عائشة ، وأجود من ابن عامر . ولَمال الله ـ تعالى ـ أكثر من مال يعلى بن منية . وليكونن كما قال الله تعالى وتقدس[2] : « فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ » . فسُرّ على ـ عليه السلام ـ بقوله . ثم قام رجل آخر منهم فأنشده :

---

* أخباره في ب ١١ : ١٢٤ ، س ١١ : ١١٩ ، د ١٢ : ٣٣٥ ، ى ١٢ : ٣٤٠ .

(١) يعد منهم .

(٢) الآية ٣٦ من سورة الأنفال .

أما الزُّبير فأكْفِيكَهُ وطلحة يَكفيكه وَحْوَحهْ
ويعلى بن منية عنـد القتال شديدُ التَّثاؤُب والنَّحْنَحه
وعائشُ يَكْفِيكها واعظٌ وعائشُ فى الناس مستَنْصَحه
فلا تجزعنّ فإنـ الأمور إذا ما أتينــاك مستنجَحه
وما يصلح الأمر إلا بنــا كما يصلح الجبن بالإنْفَحَه(١)

فسُرّ علىّ بقوله وقال : « بارك الله ـ تعالى ـ فيك » . ودعا له . فأما الزبير فناشَده علىٌّ الله يومئذ . فرجع فقتلته بنو تميم . وأما طلحة فناشده وحوحة ـ وكان صديقَه ، وكان من القراء ـ فذهب لينصرف . فرماه رجل من عسكرهم بسهم فقتله .

وكان يعلى بن منية أَقْرَض الزبير ـ حين خرج إلى البصرة فى وقعة الجمل ـ أربعين ألف دينار . فقضاها ابن الزبير بعد ذلك ، لأن أباه قُتل ولم يقضها .

ولما ساروا إلى البصرة ، تنازع طلحة والزبير فى الصلاة . فاتفقا على أن يصلى ابن هذا يوما وابن هذا يوما . فقال شاعرها :

تبارَى الغلامانِ إذ صَلَّيا وشَحَّ على المُلْكِ شَيْخاها
وما لى وطلحةَ وابن الزبير وهـذا بذى الجِزْعِ مَوْلاها

يعنى عليا رضوان الله عليه .

فأمُّهما اليــومَ غرّتْهُما ويعلى بن منيــة دَلّاهما

وكان يعلى بن منية يكنى أبا نَفِيس . واسمه هو يحيي لا حُيَيّ(٢) بن يعلى . وهو من بنى العدوية من بنى تميم . وتزوج امرأة له من بنى مالك بن كنانة يقال لها زينب . ولهم حِلف فى غِفار . وهى من بنات طارقٍ اللائى يقلن :

(١) الإنفحة : شىء يستخرج من بطن الجدى الراضع أصفر فيعصر فى صوفة مبتلة فى اللبن فيغلظ كالجبن .

(٢) س : يحيي لا يحيي . وليست فى الأغانى . والتصحيح ظنى .

* نحن بنات طارقِ *

وهم الذين رأتهم عائشة . قال محمد بن يحيي بن عبد الملك الهُدَيرى : جلست ليلة وراء الضّحاك بن عثمان فى مسجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وأنا متقنّع . فذكر الضحاك وأصحابه قول هِنْد يوم أُحُد :

* نحن بنات طارق *

فقلت : « ما الطارق ؟ » قال : « النجم » . فالتفت الضحاك وقال : « يا أبا زكريا ، وكيف بذلك ؟ » فقلت : « قال الله تعالى[1] : « وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ » فقالت : « إنما نحن بنات النجم » . فقال : « أحسنت » .

وماتت زينب هذه بتهامة ، ورثاها بأبيات .

---

(١) الآيات ١ ــ ٣ من سورة الطارق .

يزيدُ بن مُعَاوية*

هو معروف النسب .

كان[1] قد حج بالناس فى خلافه أبيه، وجلس بالمدينة على شَراب . فاستأذن عليه الحسين بن على وعبد الله بن العباس ، رضى الله عنهما . فأمر بشرابه فرُفع . وقيل له : « إن ابن عباس إنْ وجد ريح شرابك عرفَه » . فحَجَبه وأذن للحسين ، عليه السلام . فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطِّيب ، فقال : « لله دَرُّ طِيبك هذا ! ما أطْيَبه ! وما كنتُ أحسب أحداً يتقدمنا فى صنعة الطيب . فما هذا ، يا ابن معاوية ؟ » فقال : « يا أبا عبد الله ، هذا طيب يُصنَع لنا بالشام » ثم دعا بقدح فشربه . ثم دعا بآخر فقال . « اسقِ أباعبد الله ، يا غلام » . فقال الحسين ، عليه السلام : « عليك شرابك ـ أيها المرء ـ لا عَيْنَ عليك منى » : فشرب وقال :

ألا يا صاحِ للعجَبِ دعوتُك ثم لم تُجِبِ
إلى القَيْنَاتِ واللَّذَّا اتِ والصَّهْباء والطَّرَبِ
وباطِيَـــةٍ مكلَّلَةٍ عليها سادةُ العرَبِ[2]
وفيهــنّ التى تَبَلَتْ فؤادَك ثم لم تَتُبِ[3]

فوثب الحسين ـ عليه السلام وقال : « بل فؤادك أنت ، يا ابن معاوية »

قال[4] نافع مولى عبد الله بن جعفر : « قدِمنا مع عبد الله بن جعفر على معاوية .

---

* جمع ابن المكرم أخبار يزيد من مواضع متفرقة من الأغانى .

(١) هذا الخبر فى ب ١٤ : ٦٣ ، س ١٤ : ٦٠ ، د ١٥ : ٢٩٢ ، ى ١٥ : ٢٣٢ .

(٢) الباطية : وعاء الخمر .

(٣) غ : ومنهن .

(٤) هذا الخبر فى ب ٧ : ١٠٣ ، س ٧ : ٩٨ ، د ٨ : ١٤٢ ، ى ٨ : ١٤٣ .

فأرسل إلىّ يزيد يدعونى ليلا . فقلت : « اعلم أنّى أخاف أن يعلم أمير المؤمنين بمكانى عندك فيشكونى إلى عبد الله بن جعفر ». قال : « فامْهَل حتى إذا سمَر أميرُ المؤمنين ، فإن ابن جعفر يكون معه فلايفقدك ، ونخلو نحن كما نريد قبل قيامهما». فأتيتهُ فغنيته. فوالله ، ما رأيت فتى أشرف أرْيَحية منه . ولقد ألقى علىّ من الكُسا الخزّ والوَشْى وغيره ما لم أستطع حمله . ثم أمر لى بخمسمائة دينار ذهب. وذهب بنا الحديث وما كنَّا فيه حتى قام معاوية ونهض ابن جعفر . وكان باب يزيد فى سقيفة معاوية فسمع صوتى. فقال لابن جعفر : « ما هذا ، يا ابن جعفر » ؟ قال : « هذا ــ والله ــ صوت نافع ». فدخل علينا فلما أحس به يزيد تَناومَ . فقال له معاوية : « مالك ، يا بنى ؟ فقال : « صُدِعت فرجوتُ أن يَسْكُن عنى بصوت هذا ما أجده » . فتبسم معاوية وقال لى: « يا نافع ، ما كان أغْنانا عن قدومك! » فقال له ابن جعفر : « يا أمير المؤمنين ، إن هذا فى بعض الأحايين يُذْكِي القلب ». فضحك معاوية وانصرف . فقال لى ابن جعفر: « ويلك ؛ هل شرب شيئاً ؟ » قلت : « لا والله . ووالله ، إنى لأرجو أن يكون من فتيان بنى عبد مَناف الذين يُنتفَع بهم » .

قال نافع : ثم قدمنا على يزيد مع عبد الله بن جعفر بعد ما استُخلِف. فأجْلَسَه معه على سريره . ودخلتْ حاشيته تسلِّم عليه ودخلتُ معهم . فلما نظر إلىّ تبسم . ثم نهض ابن جعفر وتبعناه . فقيل له : « إنه نظر إلى نافع وتبسّم » . فقال له ابن جعفر : «هذا تأويلُ تلك الليلة ».وقضى حوائج ابن جعفر وأَضْعَف له ما كان يصله به معاوية . فلما أراد الانصراف أتاه فودعه . وأرسل إلىّ يزيد فدخلت عليه . فقال : « ويحك ! ما أخَّرتك إلا لأتفرغ لك. هات لحنك[1]:

خليلىّ فيما عِشتُما هل رأيتُما ... قتيلا بكى من حُبِّ قاتِله قَبْلِى

---

(١) البيت لجميل بثنية . وانظر ديوانه ١٧٦ .

فأسمعته إياه. فقال. « أعِدْ — ويلك، — أعد ». فأعدته ثلاثا. فقال: «أحسنت فَسَلْ حاجتك ». فما سألته فى ذلك اليوم شيئاً إلا أعطانيه. ثم قال: « إنْ يصلُح لنـــا هذا الأمر من قِبَل ابن الزبير فلمّلنا أن نحج فتَلْقانا بالمدينة، فإن هذا الأمر لا يصلُح إلا هناك ». قال نافع: فمنَعَنا من ذلك شؤمُ ابن الزبير.

كان(١) سَلْم بن زياد قدم على يزيد فنادمه. وقال له ليلة: « ألا أُوَلِّيك خراسان؟» فقال: « بلى، وسجستان ». فعقد له من ليلته وقال:

سَقِّنى شربــةً تُرَوِّى عظامى ... ثم عُدْ واسْقِ مثلَها ابنَ زيادِ(٢)

موضع السر والأمانة مـــنى ... وعلى ثَغْر مَغْنَمى وجهـادى

كان(٣) معاوية قد جَهّز جيشا إلى بلد الروم ليغزو الصّائفة. فأخذهم جُدَرى فمات أكثر المسلمين. وكان ابنه يزيد مُصطبِحا بدَير مُرّان مع زوجته أم كلثوم. فبلغ خبرُهم فقال:

إذا ارتفَقْتُ على الأنماطِ مُصْطبِحا ... بديرِ مُرّانَ عنـــدى أُمُّ كلثومِ(٤)

فمـا أبالى بمـــا لاقت جموعهمُ ... بالغَذْقَذُونة من حُمَّى ومن مُومِ(٥)

فبلغ شعره أباه. فقال: « أما والله، ليَلْحَقَنّ بهم فَلَيُصيبَنّه ما أصابهم ». فخرج حتى لحق بهم. وغزا حتى بلغ القسطنطينية. فنظر إلى قُبّتين عليهما ثياب الديباج. فإذا كانت الحملة للمسلمين، ارتفع من إحداها أصوات الدفوف والطبول.

(١) الخبر فى ب ١٤ : ٦٣، س ١٤ : ٦١، د ١٥ : ٢٩١، ى ١٥ : ٢٣٢.

(٢) غ : فرو عظامى.

(٣) هذا الخبر فى ب ١٦ : ٣٣، س ١٦ : ٣٣، ى : ١٧ : ١٤١.

(٤) ب، س : إذا ارتفعت. وارتفقت : اتكأت على مرفق أو على المخـدة. واصطبح : شرب الصبوح، وهو خمر الصباح. وعند ياقوت ٣ : ٧٧٨ :

إذا اتكأت على الأنماط مرتفقا ... ببطـن مـران . . .

(٥) الموم : أشد الجدرى. والغذقذونة : إقليم الثغور بين الشام وبلاد الروم وعند ياقوت. وما أبالى إذا لاقت.

وإذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأخرى فسأل يزيد عنهما . فقيل : « هذه بنت ملك الروم ، وتلك بنت جَبَلة بن الأَيْهَم . وكل واحدة منهما تُظهر السرور بما تفعله عشيرتُها » . فقال: « أما والله ، لأسُرَّنَّها » . ثم لَفّ العسكر[١] وحمل حتى هزم الروم وحَجَرهم فى المدينة وضرب باب القسطنطينية بعمود حديد كان فى يده وهشَمه حتى انخرق . فضُرب عليه لوح من ذهب . فهو عليه إلى اليوم .

كانت مَيْسون بنت بَحْدل الكَلْبيّة تزيّن يزيد بن معاوية وتُرَجِّل جُمّته[٢] . فإذا نظر إليه معاوية قال :

وإنْ مات لم تُفْلِح مُزَيْنة بعدَه فَنُوطى عليه — يا مُزَين — التّمائما[٣]

لما احتُضِر معاوية ، حضره يزيد وعَنْبَسة بن أبى سفيان . فبكى يزيد إلى عنبسة وقال :

لو فات شىء ترَى لَفاتَ أبو حَيّانَ لا عاجزٌ ولا وَكَلُ[٤]

الحُوّلُ القُلَّبُ الأَريب ولن يَدْفَعَ صَرْفَ المنيَّةِ الحِوَل[٥]

فسمعهما معاوية بعد ما رددها مرارا . فقال : « يا بنى ، إنّ أَخْوَف ما أخاف على نفسى شيئا صنعتُه فيك ولك . وإنى كنت أُوَضِّئ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكسانى قميصا ، وأخذتُ شَعرا من شعره . فإذا أنا مت فكفِّنى فى قميصه ، واجعل الشعر فى منخرى وأذنى وفمى . وخَلِّ بينى وبين ربى ، لعل ذلك ينفعنى شيئا » .

---

(١) لف العسكر : خلط بعضهم ببعض بالحرب . وفى ب ، س : كف . وفى ى : صف .

(٢) الجمة : مجتمع شعر الرأس .

(٣) غ : فإن مات . ونوطى : علقى .

(٤) غ : يرى . د : حبان . لا عاجز : كذا فى غ . وفى ص : لا عامر ، تحريف . والوكل الذى يتكل على غيره .

(٥) غ : يدفع زوء المنية الحيل . والحول : كثير الاحتيال . والقلب : الذى يقلب الأمور قبل الإقدام عليها . والحول : الحيل .

قالوا : وهذه الحكاية غلط لأن يزيد كان بالرُّصافة(١) لما مات معاوية . وجاء بنَعْيِه إلى يزيد فقال :

جاء البريد بقرطاسٍ يَخُبُّ بــه ... فأوجسَ القلبُ من قرطاسه فزَعا
قلنا: لك الويل، ماذا في صَحيفتكم؟ ... قال : الخليفةُ أمسَى مُثبَتا وَجِعا
مادتْ بنا الأرض أو كادتْ تَميد بنا ... كأنّ ما عَزّ من أركانها انقلعا(٢)
مَنْ لم تَزَلْ نفسُه تُوفِي على شَرَفٍ ... توشكْ مَقادير تلك النفس أن تَقَعا(٣)
لمـا وردتُ وبابُ القصر مُنْصَفِقٌ ... لصوتِ رَمْلةَ هُدّ القلب فانْصَدعا(٤)

وتولى غسله ودفنه الضحاك بن قيس . فخطب الناس وقال : « إن ابن هند قد توفى . وهذه أكفانه ، ونحن مُدْرِجوه فيها ، ومُخلُّون بينه وبين ربه . ثم هو بالبَرْزَخ إلى يوم القيامة » . ولو كان يزيد حاضرا لم يكن للضحاك ولا غيره أن يفعل من هذا شيئا .

روى هشام بن عروة عن أبيه قال : صلى بنا عبد الله بن الزبير يوما ثم نعى معاوية فقال : « رحم الله معاوية ! لقد كنا نخدعه فيتخادَع لنا ، وما ابن أنثى بأمْكَر منه(٥) . وإن كنا لنَقْرِفُه(٦) فيَتَقارفُ لنا . وما الليث المجرَّب(٧) بأجرأ منه . كان ـ والله ـ كما قال بَطْحاء(٨) العُذْرى :

---

(١) غ : بالصائفة .
(٣) كذا فى غ . وفى س : كأن أعين من أركانها ، تحريف .
(٣) غ : على وجل . والشرف : رتفع من الأرض .
(٤) هد القلب : كذا فى غ . وفى : هذا القلب . وفى غ : تحريف وباب القصر منطبق .
(٥) غ : بأكرم منه .
(٦) اقرفه : نتهمه .
(٧) غ : المحرب .
(٨) ب ، س : بطحان .

رَكوبُ المَنابرِ وَثَّابُها ... مِعَنٌّ بخطبتها بِجْهَرُ[1]
تَريع إليه عيونُ الكلام ... إذا حَصِر الهَذِرُ المُنْهَمِرُ[2]

كان ـ والله ـ كما قالت رفيقة أو بنت رفيقة[3] :

ألَا ابْكِيهِ ألا ابكيه ... ألَا كلُّ الفَتى فِيهِ[4]

والله لوُدِّي أنه بقى ما بقى أبو قُبَيْس[5] لا يَتَخوَّن له[6] عقل ولا تنقص له قوة . قال : فعرفْنا أن الرجل قد استوحش[7] .

لما أتى ابن عباس نعي مُعاوية وولاية يزيد كان يعشِّى أصحابه ويأكل معهم ، وقد رفع يده باللقمة إلى فيه ، فألقاها وأطرق هُنَيهة وقال :

جبلٌ تَدَكْدَكَ ثم مال بجُمْعِهِ ... فى البحرِ واشتملتْ عليه الأَبْحُرُ

لله در ابن هند ! ما كان أجمل وجهه ، وأكرم خلقه ، وأعظم حلمه ! » فقطع عليه الكلام رجل من أصحابه وقال : « تقول هذا فيه ؟ » فقال: « ويحك ! إنك لا تدرى من مضَى عنك ولا مَن ولى عليك ، وستعلم » . ثم قطع الكلام عنه .

ويزيد[8] بن معاوية أول من سَنَّ الملاهى من الخلفاء ، وأدْنَى المغنين، وأظهر الفتك

(١) معن : كذا فى غ . وفى س : معنى ، تحريف . والمعن : الخطيب الذى يحسن التكلم فى كل شىء . وفى غ : بخطبته .
(٢) تريع : كذا فى غ ، أى ترجع . وفى س : تريغ ، تحريف .
(٣) غ : رقيقة أو بنت رقيقة .
(٤) غ : كل الغنى .
(٥) أبو قبيس : جبل بمكة .
(٦) يتخون : ينقص .
(٧) غ : استوجس .
(٨) هذا الخبر فى ب ١٦ : ٧٠ ، س ١٦ : ٦٨ ، ى ١٧ : ٢٢٢ .

وشرب الخمر . وكان ينادم عليها سَرْجون النصرانى مولاه والأخطل . وكان يأتيه من المغنين سائب خاثر ، يقيم عنده ، ويخلَع عليه ويَصِله ، فغناه يوما :

يا للرِّجالِ لمظلومٍ بضاعتُه ببطن مكةَ نائى الأهلِ والنَّفَرِ (١)

فرقص حتى سقط ثم قال : « اخلعوا(٢) عليه خِلَعا يغيب فيها حتى لا يُرَى منه شىء » . فطُرِحت عليه الجِباب والمَطارف الخزّ حتى غاب فيها .

(١) روى أيضا : يا آل فهر لمظلوم بضاعته . وقيل إنه لرجل من زبيد .
(٢) كذا فى غ . وفى س : اجعلوا ، سبق قلم .

يزيد جَبْهاء*

جبهاء لقب غلب عليه . ويقال : بل جُبَيهاء . وهو يزيد بن عُبيد ـ وقيل : يزيد ابن حُمَمة[1] بن عبيد ـ بن عُقيلة بن قيس بن رُوَيبة بن سُحَيم بن عبيد بن هلال ابن زَبيد بن بكر بن أَشْجَع .

شاعر بدوى من مَخاليف[2] الحجاز . نشأ وتوفى فى زمن بنى أمية . وليس ممن انتجع الخلفاء بشعره ولا من معدودى الفحول . وهو مُقِل .

قالت زوجة جبهاء الأشْجَعى لزوجها : لو هاجرتَ إلى المدينة وبعت إبلك وافترضت فى العطاء فكان خيرا لك » . قال : « أفعل » . فأقبل بها وبإبله ، حتى إذا كان بحَرَّة واقِم من شرق المدينة شَرَعها بحوض واقم ليسقيها . فحنَّت ناقة منها فنزعت وتبعها الإبل . فطلبها ففاتته . فقال لزوجته : « هذه الإبل ـ هى لا تعقِل ـ تحن إلى أوطانها . ونحن أَوْلَى بالحنين منها . أنت طالق إن لم ترجعى . فعل الله بك وصنع ! » فردها .

جاور جبهاء الأشجعى فى بنى تَيْم بطنٍ من أشْجَع . فاستمْنَحه مولى لهم عنزا فمنحه إياها ، فأمسكها دهرا . فلما طال على جبهاء قال :

أمَوْلَى بنى تيمٍ ، ألستَ مُؤَدِّيا مَنيحَتَنا فيما تُرَدُّ المَنائحُ[3]

---

* أخباره فى ب ١٦ : ١٤٦ ، س ١٦ : ١٤١ ، ى ١٨ : ٣٩ .

(١) غ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى ٧٧ : حميمة . والنسب فى الكتاب الأخير مختلف كل الاختلاف ، فهو فيه : جبهاء بن حميمة بن يزيد ، أحد بنى عقيل بن هلال بن خلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع .

(٢) المخاليف : جمع مخلاف وهو الإقليم وخاصة من أقاليم اليمن .

(٣) تنبيه البكرى ١١٠ ، شرح المفضليات ٣٣١ : فيما تؤدى المنائح .

فأرسل إليه التيمى :

بَلَى سنُؤَدِّيها إليك ذَميمـةً لتَنْكِحَها إنْ أعوزَتْك المَنا كحُ

[فعمد به جبهاء فنزل وقال :

لو كنتَ شيخا من سُواةَ نكحتَها نكاحَ يَسارٍ عَنْزَه وهى سارح][1]

قال : ويُعيَّرون بنكاح العنز .

(١) زيادة ضرورية عن غ ، لأن بنى سواءة هم الذين يعيرون بنكاح العنز .

يزيد بن مُفَرِّغ الحِمْيَرى*

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ(١) . ولُقِّب جده مفرّغاً ـ لأنه راهن على سقاء لبن أن يشربه كله فشربه حتى فرّغه ، فسُمِّى مفرغاً لتفريغه السِّقاء . وكنيته أبو عثمان . وهو من حِمْيَر ، كما يزعم أهله . وكان ربيعة بن مفرغ شَعّابا بتَبالة(٢) ، فادعى أنه من حمير . وقال على بن محمد النّوفلى : « ليس بالبصرة أحد من حمير إلا الحجاج بن ناب الحميرى ونسبا(٣) آخر ذكره . ودفع نسب(٣) ابن مفرغ . وهو حليف قريش ثم حليف آل خالد بن أَسيد بن أبى العيص(٤) بن أُمَية بن عبد شمس . وقيل : كان عبداً للضحاك ابن عبد عوف الهلالى فأَنْعم عليه . وكان شاعراً غزِلا محسناً . والسَّيِّدُ(٥) من ولده .

سُئل الأصمعى عن شعر تُبَّع وقصته ومن وضَعهما . فقال : ابن مفرغ وضعهما . وذلك أن يزيد بن معاوية ـ لما سَيَّره إلى الشام واستخلصه من عباد بن زياد ـ أنزله الجزيرة . فكان مقيماً برأس عين . وزعم أنه من حِمْير . ووضع سيرة تبع وشعره .

وقال الهيثم بن عدى : هو يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ اليَحْصُبى من حمير :

---

* أخباره فى ب ١٧ : ٥١ ، س ١٧ : ٥١ ، ى ١٨ : ١٨١ ، طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٥٥٤ ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٠٩ ، خزانة الأدب للخطيب ٢ : ٢١٠ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ٢٨٩ .

(١) ذكر أبو الفرج فى ترجمة السيد الحميرى أن مفرغا هو ربيعة وأن من قال ربيعة بن مفرغ فقد أخطأ . ولعل سبب ذلك أن ربيعة جد يزيد فهو كما قال ابن الكلبى يزيد بن زياد بن ربيعة . ابن خلكان ٢ : ٢٨٩ ، الأغانى ٧ : ٢٢٩ .

(٢) الشعاب : الذى يصلح الصدوع . وتبالة : موضع ببلاد اليمن بينه وبين الطائف ٦ أيام، وبينه وبين بيشة يوم واحد . وفى الوفيات أن مفرغا كان حدادا .

(٣) غ : بيتا . . . بيت .

(٤) أبى العيص : كذا فى غ والطبقات . وكتب الصحابة والوفيات وفى س : أبى العاص .

(٥) يريد السيد الحميرى الشاعر الشيعى .

يحصب[1] بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد ابن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن خيثم[2] بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث ابن الهَمَيْسَع بن حمير بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان .

لما ولى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان ، اجتهد أن يستصحب يزيد بن مفرغ معه ، فلم يصحبه وصحب عَبّاد بن زياد . فقال له سعيد بن عثمان : « أما إذ أبيْتَ أن تصحبنى وآثرت صحبة عباد ، فاحفظ ما أُوصيك به . إن عبادا رجل لئيم ، فإياك والدالة عليه . فإن دعاك إليها من نفسه فإنها خديعة لك منه على نفسك . وأقلِلْ زيارته فإنه ملول . ولا تفاخرْه وإن فاخرك ، فإنه لا يحتمل لك ما كنت أحتمله » . ثم دعا سعيد بمال فدفعه إليه وقال : « استعن بهذا فى سفرك . فإن يصلح لك مكانك من عباد وإلا فمكانك عندى ممهَّد فائتنى » . ثم سار سعيد إلى خراسان . وخرج ابن مفرغ مع عباد .

فلما بلغ عبيدَ الله بن زياد صحبةُ ابن مفرغ أخاه عبادا ، شق عليه ذلك . فلما سار أخوه شيَّعه وشيع الناسُ معه وجعلوا يودعونه . فلما أراد عبيد الله أن يودع أخاه ، دعا ابن مفرغ فقال له : « إنك سألت عبادا أن تصحبه فأجابك إلى ذلك ، وقد شق علىّ » . فقال ابن مفرغ : « ولِمَ ، أصلحك الله ؟ » قال : « لأن الشاعر لا يقنعه من الناس ما يُقنِع بعضَهم من بعض ، لأنه يظن فيجعل الظن يقينا ولا يَعْذِر فى موضع العذر . وإن عبادا يَقْدَم على أرض حرب فيشتغل بحروبه وخراجه عنك . فلا تعذره أنت وتُكسبنا شرا وعارا » . فقال له : « لستُ كما ظن الأمير . وإنّ لمعروفه عندى لشكرا كثيرا . وإن عندى — إن أهمك أمرى — عذرا ممهَّدا » .

---

(١) أورد النويرى : نهاية الأرب ٢ : ١٩٣ سلسلة مختلفة تماما لنسب يحصب .
(٢) ى والنويرى ٢ : ٢٩٢ ، ٢٩٣ : جشم .

قال : « لا ، ولـكن تضمن لى إنْ أبطأ عنك ما تحبه منه ألّا تعجل عليه حتى تـكتب إلىّ » . قال : « نعم » . قال : « فامضِ إذن على الطائر الميمون » .

فلما قدم عباد خراسان واشتغل بحروبه وخراجه ، استبْطأه ابنُ مفرغ ولم يكتب إلى عبيد الله بن زياد يشـكوه كما ضمن له ، ولـكنه بسط لسانه فذمّه وهجاه . وكان عباد عظيم اللحية كأنها جُوالَق . فسار يزيد بن مفرغ يوما مع عباد . فدخل الريح فيها فنفشها . فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لَخْم كان إلى جانبه[1] :

ألا ليتَ اللِّحَى كانت حَشيشا   فنَعْلِفَها خيــولَ المُسلمينا[2]

فسعى به اللخمى إلى عباد . فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال : « لا تَحْمِل بى عقوبته فى هذه الساعة مع صحبته لى . وما أؤخرها إلا لأشفى نفسى منه ، فإنه كان يقوم بشتم أبى فى عدة مواطن » . وبلغ الخبر ابن مفرغ ، فقال : « إنى لأجد ريح الموت من عباد » . ثم دخل عليه فقال له : « أيها الأمير ، إنى كنت مع سعيد ابن عثمان . وقد بلغك رأيه فىّ . ورأيتِ جميل أثره علىّ وإنى اخترتك عليه فلم أحْظَ منك بطائل ، وأريد أن تأذن لى فى الرجوع . فلا حاجة لى فى صحبتك » . فقال له : « أما اختيارك إياى فإنى اخترتك كما اخترتـنى ، واستصحبتُك حين سألتَنى . قد أعجَلْتَنى عن بلوغ محبتى منك ، فطلبتَ الإذن لترجع إلى قومك فتفضحَنى قِبَلهم . وأنت على الإذن قادر بعد أن أقضى حقك » . فأقام . وبلغ عبادا أنه يسبه ويذكره وينال من عرضه . وأجرى عباد الخيل فجاء سابقا . فقال ابن مفرغ[3] :

* سَبَقَ عبادٌ وصَلَّت لحيتُه[4] *

---

(١) ابن قتيبة ٢١٠ . الخطيب ٢ : ٢١٣ ، ٥١٥ . ابن خلـكان ٢ : ٢٩٠ . الطبرى ٢ : ١٩١ .

(٢) ابن قتيبة والخطيب : دواب المسلمينا . والخطيب : فترعاها خيول المسلمينا . ابن خلـكان : فتعلفها خيول المسلمينا . الطبرى : عادت حشيشا .

(٣) ابن قتيبة ٣١٠ . الخطيب ٢ : ٢١٣ .

(٤) صلت : أتت تالية له .

فتطلّب عليه العِلَل ودس إلى قوم كان لهم عليه دَين ، فأمرهم أن يقدموه إليه ، فحبسه أوضرّ به .

ثم بعث إليـه : أنْ بِعْنى الأَراكَة وبُرْدا ، يعنى قَيْنة وعبداً ليزيد بن مفرغ ، كان ربّاهما وهو ضَنين بهما . فبعث ابن مفرغ إليه : «أيبيع المرء نفسه[1] أو ولده !» فأضرّ به حتى أخذهما منه . وقيل : بل باعهما عليه واشتراهما رجل من أهل خراسان . فلما دخلا منزله قال له برد ، وكان داهية أريبا : « أتدرى ما اشتريت ؟ » قال : « نعم ، اشتريتك وهذه الجارية » : قال : « لا والله ، ما اشتريت إلا العار والدمار والفضيحة أبدا ما حَييت » فجزع الرجل وقال له : « كيف ذلك ؟ ويلك ؟ » قال : « نحن ليزيد ابن ربيعة بن مفرغ . والله ، ما أصاره إلى هــــذه الحال إلا لسانُه وشرُّه . أفتراه يهجو ابن زياد ـ وهو أمير خراسان وأخوه أمير العراقين وعمه الخليفة ـ فى أن استبطأه ويمسك عنك ! وقد ابتعتنى وهذه الجارية ـ وهى روحه التى بين جنبيه . والله ، ما أرى أحداً أدخل بيته أشأمَ على نفسه وأهله مما أدخلته منزلك » . فقال : « أشهدك أنك وإياها له . فإن شئتما أن تمضيا الليلة فامضيا ، على أنى أخاف على نفسى ، إن بلغ ذلك ابن زياد . فإن شئتما أن تـكونا له عندى فافعلا » . قال : « فاكتب إليه بذلك » . فـكتب الرجل إلى ابن مفرغ إلى الحبس[2] بمافعله . فـكتب إليه يشكر فعله ويسأله أن يكونا عنده حتى يفرّج الله عنه .

وقال عباد لحاجبه : « بع فرسه وسلاحه وأثاثه فإنى أراه لا يبالى بمقامه فى الحبس واقسم ثمن ذلك بين غُرمائه » . ففعل ذلك وقسم الثمن عليهم ، وبقيت عليه بقية حبسه بها . وعمل فى الأراكة بردا شعرا .

---

(١) س : أيبيع النفس ، نفسه ، سبق قلم .

(٢) وكذا فى الوفيات . وفى غ : فى الحبس .

وعلم ابن مفرغ أنه ـ إنْ أقام على ذم عباد وهجائه وهو فى حبسه ـ زاد نفسه شراً . فكان يقول للناس ، إذا سألوه عن سبب حبسه : « رجل أدَّبه أميرُه ليُقوِّم من أَوَده[1] ويكفَّ من غَرْبه . هذا ـ لعمرى ـ خير من جرِّ الأمير ذيلَه على مُداهَنة صاحبه . فلما بلغ ذلك عبادا ، رقَّ له وأخرجه من السجن . فهرب حتى أتى البصرة . ثم خرج منها إلى الشام وجعل يتنقل فى مدنها هارباً ويهجو زيادا وولده .

وقيل : إن عبادا لما بلغه قول ابن مفرغ :

* سبق عباد وصلت لحيته *

دعا به إلى مجلسه وهو حافل . فقال له : « أنشِدْنى هجاء أبيك الذى هُجى به » . فقال : « أيها الأمير ما كُلِّف أحد مثلما كلفتنى » . فأمر غلاماً له أعجمياً فقال له : « قم على رأسه ، فإن أنشد وإلا فصبَّ السوط على رأسه دائماً أو ينشد » . فأنشده أبياتاً هُجى بها أبوه ربيعةَ ، وهى :

قَبَحَ الإلهُ ولا أقبِّحُ غيرَه ... وجهَ الحمارِ ربيعةَ بن مفرغِ[2]

فجعل عباد يتضاحك . وخرج ابن مفرغ من عنده وهو يقول : « لا يذهب شتم شَيْخى باطلا أبداً » . وقال يهجوه[3] :

أَصرَمْتَ حَبْلَك من أُمامَهْ ... من بعدِ أيامِ بِرَامَهْ[4]

فالريحُ تبكى شَجْوَها ... والبرقُ يضحك فى الغَمامه[5]

(١) س : أدبه . والأود : العوج . والغرب : الحدة .

(٢) غ : يقبح غيره .

(٣) ابن المعتز ٥٥٤ . ابن قتيبة ٢٠٧ ، ٢١١ . المرتضى : الأمالى ٢ : ٥٢ ، ٤٤٠ . المبرد : الكامل ٢٣٤ ، ٣٢٥ . الخطيب : الخزانة ٢ : ٢١٣، ٥١٦ ، ٥٢٠ . ابن خلكان ٢ : ٢٩٠

(٤) رامة : موضع فى ديار بنى تميم ، على طريق البصرة إلى مكة .

(٥) ابن سلام : والريح . المرتضى والخطيب مرة: الريح تبكى شجوه . ابن سلام والمرتضى والخطيب : والبرق يلمع .

لَهفِى على الأمرِ الذى ... كانتْ عواقبُـــه نَدامه[١]
تَرْكِى سَمِيدا ذا النـدى ... والبيتَ ترفَعُه الدِّعامـه
وتبعتُ عبـــدَ بنى عِلا ... جٍ ، تلك أشْراطُ القِيـامه ![٢]
جاءت به حَبَشِـــيَّةٌ ... سَكَّاء تحسَبُها نَعامـــه[٣]
من نسوةٍ سودِ الوجو ... ه ترى عليهن الدَّمامـــه
وشَرَيْتُ بُرْدا لَيتَنى ... من قبلِ بردٍ كنتُ هامـه[٤]
هتافـةً تدعـو صَدًى ... بينَ المُشَقَّرِ واليمَامـه[٥]
والهولُ يركبـه الفتى ... خوفَ المَخازى والسّآمـه[٦]
والعبدُ يُقْرَع بالعصـا ... والُحرُّ تكفيـه المَلامـه[٧]

ثم لَجّ فى هجاء بنى زياد حتى تغنى أهل البصرة فى أشعاره . فطلبه عبيد الله طلباً شديداً حتى كاد يؤخَذ . فلحق بالشام . وردّه معاوية إلى ابن زياد . وقيل : يزيد

---

(١) الخطيب : على الرأى .

(٢) بنو علاج : بطن من ثقيف ، ومنهم الحارث بن كلدة طبيب العرب ، الذى كانت سمية أم زياد جاريته .

(٣) سكاء : صغيرة الأذنين .

(٤) ابن سلام والمبرد وابن قتيبة وابن خلـكان والمرتضى والخطيب : بعد برد . وشرى هنا باع . والهامة : الرأس .

(٥) هتافة : كذا فى الـكامل . وفى ص : بتهـامة . وتهامة بعيدة عن المواضع المذكورة ، المشقر : حصن بين نجران والبحرين . وفى أمالى المرتضى : هامة . وفى ب، س : فهامة . ابن سلام وابن خلـكان : ياهامة ، وابن قتيبة والخطيب : أو بومه . والصدى : ذكر البوم ، وجسد الآدمى بعد موته ، وحشو الرأس . ويزعم العرب أن المقتـول إذا لم يؤخذ ثأره يخرج من رأســه طائر يسمى الصدى أو الهامة يصيح : اسقونى . يريد من دم القاتل .

(٦) غ وابن خلـكان : فالهول . غ وابن قتيبة : حذر المخازى . والسآمة : كذا فى غ وابن خلـكان . وفى ص : والسآمة . وابن قتيبة : والملامة .

(٧) ابن قتيبة : العبد .

هوالذى رده . وهذا هو الصحيح؛ لأن عَبّادا إنما ولى سجستان فى أيام يزيد . وقيل : إنما ولاه معاوية ، وهو الذى ولى سعيد بن عثمان خراسان ، لأن سعيدا دخل على معاوية فقال له : « عَلامَ جعلت يزيد ولى عهد دونى . فوالله ، لَأَبى خير من أبيه ، وأمى خير من أمه ، وأنا خير منه . وقد وَلَّيناك فما عزلناك . وبنا نِلْتَ ما نلت » . فقال له معاوية : « أما قولك : إن أباك خير من أبيه ، فقد صدقتَ ، لَعَمْرُ الله ، إن عثمان خير منى . وأما قولك : إن أمك خير من أمه ، فَحَسْب المرأة أن تكون فى بيت قومها ويرضاها بَعْلها وتُنجب ولدها . وأما قولك : إنك خير من يزيد ، فوالله يابنى ، ما يسرنى أن لى بيزيد ملء الغُوطة مثلك . وأما قولك : إنكم وليتمونى فما عزلتمونى ، فأنتم ما وليتمونى وإنما ولانى من هو خير منكم : عمر ، رضى الله عنه ، فأقرَرْتُمونى . وما كنت بِئْس الوالى لكم . لقد قمت بثأركم ، وقتلت قَتَلَةَ أبيك ، وجعلت الأمر فيكم ، وأغنيت فقيركم ، ورفعت الوضيع منكم » . فكلمه يزيد فى أمره فولاه خراسان .

ولم يزل ابن مفرغ يتنقل فى قرى الشام ونواحيها ، ويهجو بنى زياد ، وأشعاره تنتشر وتبلغهم ، حتى كتب عبيد الله إلى يزيد يقول له : « إن ابن مفرغ هجا زيادا وبنى زياد بما هَتَكه فى قبره ، وفضح بنيه طول الدهر . وتعدَّى ذلك إلى أبى سفيان ، فقذفه بالزنا وسبَّ ولده . وهرب من خراسان إلى البصرة . وطلبتُه حتى لفظَتْه الأرض . فلجأ إلى الشام يتمضّغ لحومنا بها ويهتك أعراضنا . وقد بعثتُ إليك بما هجانا به لتنتصف لنا منه » . ثم بعث بجميع ما قاله ابن مفرغ فيهم . فأمر يزيد بطلبه . فجعل يتنقل من بلد إلى بلد ، فإذا شاع خبره انتقل عنه حتى لفظته الشام .

فأتى البصرة ونزل على الأحنف بن قيس فاستجار به . فقال له الأحنف : « إنى لا أجير على بنى سمية فأُغُرّك[1] . وإنما يُجير الرجل على عشيرته ، وأما على سلطانه فلا

(١) غ : فأعزل .

فإن شئت أجرتك من بنى سعد وشعرائهم فلا يَريبك منهم أحد » . فقال له ابن مفرغ : « بأستاه بنى سعد ! وما عساهم أن يقولوا فىّ ! هذا مالا حاجة لى به » .
وأتى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فاستجار به . فأبى أن يجيره . فأتى عمر بن عبد الله بن معْمر فوعده . وأتى طَلْحة الطلَحات فوعده . فأتى المنذر بن الجارود العبدى فأجاره ، وكانت بَحْرية بنت المنذر تحت عبيد الله ، وكان المنذر من أكرم الناس عليه . فاغترّ بذلك وأدلّ بموضعه . وطلبه عبيدالله، وقد بلغه وروده البصرة . فقيل له : « قد أجاره المنذر بن الجارود » . فبعث عبيد الله إلى المنذر فأتاه . فلما دخل عليه ، بعث عبيد الله بالشرط فكبسوا داره وأتوه بابن مفرغ . فلم يشعر المنذر إلا بابن مفرغ قد أقيم على رأسه . فقام المنذر إلى عبيد الله فكلمه فيه وقال : « أذكِّرك الله — أيها الأمير — أن تخفر جوارى فإنى قد أجرتُه » . فقال عبيد الله : « يامنذر ، أيمدحك ويمدح أباك وقد هجانى وهجا أبى ثم تُجيره علىّ ! لاها الله(١) ، لا يكون ذلك أبدا ولا أغفرها له » . فغضب المنذر . فقال له : « لعلك تُدِلُّ بكريمتك عندى . إن شئت — والله — لأُبينها بتطليق البتة ، فخرج المنذر من عنده .

وأقبل عبيد الله على ابن مفرغ وقال له : « بئس ما صَحِبت عبادا ! » . فقال : « بئس ما صحبنى عباد ! اخترتُه على سعيد ، وأنفقت فى صحبته كل ما أفدته وكل ما أملكه . وظننت أنه لا يخلو من عقل زياد ، وحلم معاوية ، وسَماحة قريش . فعدل عن ظنى كله . وعاملنى بكل قبيح . وتناولنى بكل مكروه من حبس وغُرم وشتم وضرب ، فكنتُ كمَنْ شام بَرْقا خُلَّبا فى سحاب جَهام فهَراق ماءه طمعا فيه فمات عطشا(٢) . وما هربت من أخيك إلا لما خفتُ أن يَجْرى فىّ إلى ما تندم عليه . وقد صرت الآن فى يدك ، فشأنَك اصنَعْ بى ما أحببت » . فأمر بحبسه .

(٢) لا ها الله : لا والله .

(٣) شام : تتبع بالنظر . وخلب : لا مطر فيه . وجهام : لا ماء فيه . هراق : أراق .

وكتب إلى يزيد بن معاوية يسأله فى أن يأذَن له فى قتله . فكتب إليه : « إياك وقَتْلَه ولكن عاقبه بما يُنَكِّله ويشدُّ سلطانك ولا يَبْلُغ نفسه ، فإن له عشيرةً هى جندى وبِطانتى ولا تَرضى بقتله منى ، ولا تقنع إلا بالقَوَد منك . فاحذر ذلك ، واعلم أنه الجِدُّ منى ومنهم ، وأنك مُرْتَهن بنفسه . ولك من دون تلفها مَندوحة تشفى من الغيظ » . فورد الكتاب على عبيد الله بن زياد . فأمر بابن مفرغ فسُقى نبيذا حلوا قد خلط معه الشُّبْرُم[1] ، فأسهل بطنَه . وطِيف به وهو على تلك الحال ، وقُرِن بهِرّ وخنزير . فجعل يَسْلَح والصبيانُ يتبعونه ويقولون : « أين چيسْت ؟ » فيقول :

آبَسْتْ نَبيذَ اسْتْ　　　عُصاراتْ زَبِيبَ اسْتْ
سُمَيَّه رُوسْبِيدَ اسْت[2]

وجعل كلما جر الخنزير وضجت ، يقول :

ضَجَّتْ سمية لما لَزَّها قَرَنى　　　لا تجزعى ، إنّ شرّ الشِّيمةِ الجزعُ[3]

وجعل يُطاف به فى أسواق البصرة ، والصبيانُ خلفَه يصيحون به . فألحّ عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط . وعرف ابن زياد ذلك ، وقيل له : « إنه لِما بِهِ[4] ولا نأمن الموت » . فأمر أن يُغسَل . فغُسل به ذلك . فلما اغتسل قال[5] :

يغسل الماء ما فعلتَ وقولى　　　راسخٌ منك فى العظامِ البَوالِى

---

(١) الشبرم : نبات له حب كالعدس مسهل .

(٢) هذه العبارات باللغة الفارسية ، وقد كثر فيها التحريف ، وظن جواب نثرا وهو شعر فالأولاد يسألون : ما هذا وهو يجيب : هذا ماء نبيذ، هذه عصارة نبيذ، هذه سمية البغى وانظر الطبرى ٢ : ١٩٣ .

(٣) الخطيب : خزانة الأدب ٢ : ٥١٦ : مسها القرن .

(٤) أى مشرف على الموت .

(٥) ابن قتيبة ٢١١ . الخطيب : الخزانة ٢ : ٢١٥ . ابن خلكان ٢ : ٢٩٢ . الطبرى ٢ : ١٩٣ وفيه : ما صنعت .

وردّه عبيد الله إلى السجن وأمر به أن يُسلِم مِحْجَما ، وقدموا له عُلوجا وأمره أن يحجمهم . فكان يأخذ المَشاريط فيقطع بها رقابهم فيهربون منه . فتُرِكَ ورُدَّ إلى محبسه . فقال[1] :

وما كنتُ حجّاما ولكنْ أحَلّنى ... بِمنزلة الحجام نَأْيِى عن الأَصْل[2]

وكان عباد قد جمع كل شىء هَجاه به ابن مفرغ وكتب به إلى أخيه عبيد الله وهو يومئذ وافد على معاوية . فكان مما كتب به قوله :

إذا أَوْدَى معاويةُ بن حَرْبٍ ... فبَشِّرْ شَعْبَ قلبِك بانْصِداعِ[3]

فأشهدُ أنْ أمَّك لم تُباشِرْ ... أبا سفيانَ واضعةَ القِناع

ولكنْ كان أمرٌ فيه لَبْسٌ ... على وَجَلٍ شديد وارْتِياع[4]

وقوله[5] :

ألا أَبْلِغْ معاويةَ بن حربٍ ... مُغَلْغَلةً من الرجلِ اليَمانى[6]

أتغضبُ أن يُقال : أبوك عَفٌّ ... وترضَى أن يقال : أبوك زانى ؟

---

(١) ابن سلام ٥٥٦ .

(٢) غ وابن سلام : عن الأهل .

(٣) ابن خلكان والطبرى ٢ : ١٩١ شعب قعبك .

(٤) ى والطبرى : كان أمرا .

(٥) ابن قتيبة ٢١٢ . الخطيب : الخزانة ٢ : ٢١١ ، ٢١٦ . ابن خلكان ٢ : ٢٩٢ . الطبرى ٢ : ١٩١ .

(٦) ابن قتيبة ؛ وابن خلكان : عن الرجل . والمغلغلة : الرسالة التى تحمل من بلد إلى بلد . وقال ابن خلكان : إن من يروى هذا الشعر لابن مفرغ يرويه على هذه الصورة ، ومن يرويه لعبد الرحمن بن الحكم يجعل روايته :

ألا أبلغ معاوية ابن صخر ... لقد ضاقت بما يأتى اليدان

وأشهدُ أنّ رِحْمَكَ من زيادٍ ... كرِحْمِ الفيلِ من وَلَدِ الأَتان(١)

وأشهد أنها ولَــدَتْ زيادا ... وصخْرٌ من سُمَيَّةَ غيرُ دان(٢)

واتصل هجاؤه زيادا وولده وهو فى الحبس . فردّه عبيد الله إلى أخيه بسجستان . ووكّل به رجالا ووجههم معه . وكان ـ لما هرب من عباد ـ يهجوه ويكتب ما هجاه به على حيطان الخانات . فأمر عبيد الله الموكلين بــه أن يأخذوه بمحو ما كتبه على الحيطان بأظفاره . فــكان يفعل ذلك ويحكّه بها حتى ذهبت أظفاره . فــكان يمحوه بعظام أصابعه ودمه ، حتى سلّموه إلى عباد . فحبسه وضيق عليه .

فقال ابن مفرّغ قصيدته التى أولها :

ألاَ طرقَتْنا آخرَ الليــل زينبُ ... سلامٌ عليــكم،هل لما فات مَطْلَبُ؟(٣)

وقالت تَجنَّبْنا ولا تَقْرَبَــنَّنا ... فــكيف ـ وأنتم حاجتى ـ أتجنب؟

قُرِنْتُ بخــنزيرٍ وهِرٍّ وكلبةٍ ... زمانا وشان الجلدَ ضرْبٌ مُشذِّب(٤)

وجُرِّعتُها صهباءَ فى غــير لذةٍ ... تُصعِّدُ فى الجثمانِ ثم تُصوِّبُ(٥)

وأُطعِمتُ ماإن ْ لايحِلُّ لآملٍ ... وصليتُ شرقا ، بيتُ مكةَ مَغرِب(٦)

من الطَّفِّ مجلوبا إلىأرضِ كابُلٍ ... فملُّوا وما ملَّ الأسيرُ المعذَّب(٧)

---

(١) غ : وابن خلــكان والطبرى فاشهد . ابن قتيبة :

وأشهد أن إلَّكَ من زياد ... كإلِّ الفيل من ولد الأتان

وليس هذا البيت بهذه الصورة لابن مفرغ بل لحسان بن ثابت فى أبى سفيان بن الحارث بن عبــد المطلب (ابن خلــكان) .

(٢) ابن قتيبة : حملت زيادا .

(٣) ذكر غ أن الشطر الأول يروى أيضا : سرت تحت أقطاع من الليل زينب.

(٤) مشذب : مقشر أو ممزق .

(٥) غ : من غير . وتصوب : تنحدر .

(٦) ب ، س : مالا إن يحل .

(٧) الطف : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق . وكابل : عاصمة أفغانستان اليوم.

فلو أنّ لحمى إذ وَهَى لعبتْ بــه كرامُ الملوكِ أو أُسودٌ وأَذْؤُب[1]
لهوّن وَجْدى أو لزادت بصيرتى ولـكنّما أودتْ بلحمىَ أَكْلُب
أعبّادُ ما لِلّوم ِعنـــك مُحوّلٌ ولا لك أمٌّ فى قريشٍ ولا أب
سينصرنى من ليس تنفع عنــده رُفاكَ وقَرْمٌ من أُميّــةَ مُصْعَب[2]
وقـــل لعبيد الله : مالك والدٌ بحقٍ ولايدرى امرؤ كيف تُنْسَب

ولما طال مقام ابن مفرغ فى السجن ، استأجر رسولا إلى دمشق . وقال له : « إذا كان يوم الجمعة ، فقِفْ عـلى دَرَج جامع دمشق ، ثم اقرأ هذين البيتين بأرفع ما يمكنك من صوتك :

أبْلِـغْ لديك بنى قَحْطانَ قاطبةً عَضّتْ بأَيْرِ أَبيها ســادةُ اليمَنِ
أضحى دَعِيٌّ زيادٍ فَقْعَ قَرْقَرةٍ ـياللعجائب- يلهو بابن ذى يزَنِ[3]

ففعل الرسول ماأمره به . فحميت اليمانية وغضبوا له ، ودخلوا على يزيد فسألوه فيه ، فداقَمَهم . وبالغوا فى أمره فقاموا غضابا ، ومَتّوا بمالهم عليــه من حرمة ، وعددوا مالهم من خدمة ، وصرحوا بالغضب . وعرف ذلك منهم فردّهم ووهبه لهم.

وقال : « لو رحلتم إلىّ فى جميع ما يحيط به العراق لوهبْتُه لـكم » وأمر ببناء داره ورد ماله وتخلية سبيله ، ولا إمرة لبنى زياد عليه . ووجّه رجلا من بنى أسد ، يقال له خَمْخام ، بريدا إلى عباد . وكتب له عهدا . وأمره أن يبدأ بالحبس فيخرج ابن مفرغ منه ويطلقه قبل أن يعلم عباد فيما قدم له . ففعل ذلك . فلمـا خرج من الحبس قُرِّبت له بغلة من بغال البريد فركبها . فلما استوى على ظهرها قال[4] :

(١) غ: إذ هوى .

(٢) القرم : السيد . والمصعب : الفحل .

(٣) الفقع : البيضاء الرخوة من الـكمأة، وهى أردؤها والقرقرة : الأرض المطمئنة اللينة ويضرب بكمأتها المثل فى الذلة .

(٤) ابن قتيبة ٢١٣ . خزانة الأدب ٢ : ٢١٦ ، ٥١٤ . الطبرى : ١٩٣ .

عَدَسْ ! ما لعبّادٍ عليـكِ إمارةٌ ... نجوتِ ، وهذا تحملين طَليقُ[١]
وإنّ الذى نَجَّى من الكَرْب بعدما ... تَلاحَم فى دربٍ عليكِ مَضيق[٢]
أتاك بخمخام فأنجاكِ فالْحَقِى ... بأرضِك لم يُحبس عليك طريق[٣]
لعمرى لقد أنجاكِ من هُوّة الرّدَى ... إمامٌ وحبـلٌ للأنام وثيق[٤]
سأشكر ماأوْليْتَ من حسنِ نعمةٍ ... ومثلى بشكر المُنعِمين خَليق[٥]

فلما دخل على يزيد بكى وقال: « رُكب منى ما لم يُركَب من مسلم قط على غير حَدَث فى الإسلام ولا خلع يدٍ من طاعة ولا جُرْم » فقال : « ألست القائل :

ألا أبلغ معـاوية بن حرب ... مغلغلة من الرجل اليمـانى ؟ »

فقال : « والذى عَظّم حقك ــ يا أمير المؤمنين ــ ماقلته . ولقد بلغنى أن عبدالرحمن ابن الحكم قاله ونسبه إلىّ » . قال : « أو لست القائل :

شهدت بأن أمك لم تباشر ... أبا سفيان واضعة القنـاع

الأبيات .

أو لست القائل[٦] :

إنّ زيادا ونافعـا وأبـا ... بَكْرةَ عندى من أعْجبِ العَجَبِ
إنّ رجالا ثلاثةً خُلقـوا ... فى رَحْمٍ أنثى ما كُلُّهم لأَب[٧]

---

(١) الخطيب : أمنت وهذا تحملين طليق . وعدس : كلمة يزجر بها البغل .

(٢) غ : فإن . ابن قتيبة والخطيب : طليق الذى نجى من الحبس بعدما .

(٣) ى : فنجاك فالحقى بأهلك . غ : لا تحبس . ابن قتيبة والخطيب :

قضى لك خخام أرضـك فالحق ... بأهلك لا يؤخذ عليـك طريق

(٤) للأنام : كذا فى غ وابن قتيبة والطبرى . وفى س : للإمام . وفى الطبرى : نجاك .

(٥) ب ، س ، والطبرى والخزانة : حقيق .

(٦) ابن قتيبة ٢١٣ .

(٧) كذا فى غ ، وفى س : وكلهم لأب . ابن قتيبة : من رحم أنثى مخالفى النسب .

ذا قُرَشِيٌّ كما يقول ، وذا مَوْلًى ، وهـذا بزَعْمِـه عربى

فى أشعار كثيرة قلتها فى هجاء زياد وبنيه ؟ اذهبْ فقد عفوت عنك ، ولو إيانا تعامل لم يكن شىء مما كان . فاسكن أى أرض شئت » . فاختار الموصل فنزلهـا . ثم ارتاح إلى البصرة فقدمها . فدخل على عبيد الله بن زياد ، واعتذر إليـه ا وسأله الصفح والأمان ؛ فأمّنه . فأقام بها مدة ثم دخل عليه بعد أن أمّنه فقال : « أصلح الله الأمير ، قد ظننت أن نفسك لا تطيب لى بخير أبداً ولى أعداء لا آمَن سعيهم علىّ بالباطل ، وقد رأيت أن أتباعد » . فقال له : « إلى أين شئت » . فقال له : « إلى كِرْمان » . فكتب له إلى شريك بن الأعور وهو عليها بجائزة وقطيعة . (١وأعطاه شريك ثلاثين ألف درهم١) . فشخص ، فأقام بها حتى هرب عبيد الله من البصرة(٢) . فعاد إليهـا ؛ فذلك حين غلب ابن الزبير على العراق . وعاود هجاء بنى زياد . وقال يذكر(٣) هرب عبيد الله وتركه أمه :

أَعُبَيْدُ ، هلا كنتَ أولَ فارسٍ ... يومَ الهيـاجِ دعا بحَتْفِك داعِ
أسلمْتَ أمَّك والرماحُ تَنوشُهـا ... ياليتنى لك ليـلةَ الإفزاعِ
إذ تستغيث وما لنفسـك مانـعٌ ... عبـدٌ تَرَدُّده بدار ضَيَـاعِ
هلّا عجـوزك إذ تَمدّ بثديهـا ... وتصيح : أن لا تَنزعُنَّ قِنـاعى
أنقذتْ من أيدى العبيد كأنها ... رَبْداءُ مُجفِلةٌ ببطن القـاعِ(٤)
فركبتَ رأسك ثم قلت أرى العِدَى ... كَثُروا وأَخْلفَ موعدى أشياعى(٥)

(١ــ١) العبارة فى س بعد قوله : هجاء بنى زياد ، ولا يليق بها .
(٢) فى سنة ٦٤ هـ .
(٣) كذا فى غ . وفى س : وقال يريد يذكر ، وهى واضحة الاضطراب .
(٤) غ : أيدى العلوج . والربداء : السوداء الضاربة إلى الغبرة ، يصف نعامة .
(٥) غ : وأخلف موعد الأشياع .

فانْجى بنفسك وابتغى نفقـا فـا لى حيلةٌ بكِ ، والسـلامُ وَداعى[1]
ليس الـكريم بمَنْ يُخلِّفُ أمّـه وفتاتَه فى المنزل الجَعْجاعِ[2]
حذرَ المنيـةِ والرماحُ تنوشه لم يَرْمِ دون نسائه بكُراعِ[3]
متأبِّـطا سيفا عليـــه يَلْمَقٌ مثـل الحمار أثرْتَه بيَفـاعِ[4]
لا خيرَ فى هَذِرٍ يهزّ لســانه بكلامه ، والقلبُ غير شجاع
لَابْنُ الزُّبيرِ غداةَ يذمر مُنْذرا أَوْلَى بغايةِ كلِّ يومِ وِقاعِ[5]
وأحقُّ بالصبر الجميل من امرىءٍ كَزٍّ أناملُه قصيرِ البـاعِ
جَعْدِ اليدين عن السماحة والنـدى وعن الضَّريبة فاحشٍ مَنّـاعِ[6]
كم يا عُدَىَّ الله عندك من دمٍ يسعى ليُـدركه بقتلك سـاعِ[7]
ومَعاشرٍ أُنُفٍ أبحْتَ حَريمَهم فرقتهم من بعـد طول جِماعِ
أذكُرْ حسينا وابنَ عروةَ هانئـا وابنى عَقيلٍ فارس المِرْباعِ[8]

ومما قال فيه :

عبيد الله عبدُ بنى عِلاجٍ كذاك نِسْبَتُه وكذاك كانا
أعبدَ الحارثِ الـكَلَدِىِّ ألّا جعلتَ لإستِ أمك دَيْدَبانا[9]
فتستَر عورةٌ كانت قديمـا وتمنع أمُّك النَّبَط البِطانا

(١) ب ، س : لى طاقة بك .
(٢) الجعجاع : الضيق الخشن .
(٣) الـكراع : الخيل .
(٤) اليلمق : القباء . واليفاع : الأرض المرتفعة .
(٥) يذمر : يهدد . والوقاع : وقائع الحرب .
(٦) غ : على السماحة .
(٧) غ : كم يا عبيد الله . وعدى : تصغير عدو .
(٨) المرباع : ربع الغنيمة ، يأخذه الرئيس .
(٩) غ : الـكندى . والـكلدى : يريد الحارث بن كلدة الطبيب المعروف .

ولما دخل ابن مفرغ على يزيد قال : « يا أمير المؤمنين ، اخترْ منى خصلة من ثلاث فى كلها لى فرج: إما أنْ تُقيدنى من ابن زياد ، وإما أن تخلى بينى وبينه ، وإما أن تقدمنى فتضرب عنقى » ، فقال له يزيد : « قبح الله ما اخترته وخيَّرتَنيه . أما القَوَد من ابن زياد فما كنت لأُقيدك من عامل كان عليك : ظلمته وشتمت عرضه وعرضى معه . وأما التخلية بينك وبينه فلا والله ولا كرامة ، ما كنتُ لأخلى بينك وبين أهلى تقطع أعراضهم . وأما ضرب عنقك فما كنت لأضرب عنق رجل مسلم من غير أن يستحق ذلك . ولكنى أفعل بك هو ما خير لك مما اخترت لنفسك : أعطيك ديتك فإنهم كانوا قد عرّضوك للقتل ، واكفف عن ولد زياد ، فلا يبلغنى أنك ذكرتهم ، وانزل أى البلاد شئت » . فنزل الموصل وأمر له بأربعة آلاف درهم .

ومما قال فى هربه أيضا :

أقرَّ بعينى أنه عقَّ أُمَّه ‏ ‏ دَعَتْه ، فولّاها استَه وهو يهربُ(١)

وقال : عليكِ الصبرَ كُونى سَبِيَّة ‏ ‏ كما كنتِ أو موتى فذلك أقرب(٢)

وقد هتفتْ هندٌ : بماذا أمرتَنى ‏ ‏ أَبِنْ لى ، وحدِّثْنى إلى أين أذهب

فقال : اقصدى للأَزْد فى عَرَصاتها ‏ ‏ وبكرٍ فما إنْ عنهمُ مُتجنَّب(٣)

كان عبيد الله بن زياد يقول : « ما هجيت بشىء أشد علىّ من قول ابن مفرغ :

فكِّر ففى ذاك إنْ فكَّرتَ مُعْتَبَرُ ‏ ‏ هل نِلْتَ مكرُمةً إلا بتأميرِ

عاشتْ سميةُ دهرًا ثُمّ ما علمتْ ‏ ‏ أن ابنها من قريش فى الجماهير(٤)

---

(١) الشطر الأول فى غ : أفر عبيد والسيوف عن أمه .

(٢) الصبر : كذا فى غ . وفى ص غير واضحة .

(٣) العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

(٤) غ : عاشت سمية ما تدرى وقد عمرت . ابن خلكان : عاشت سمية ما عاشت وما علمت .

وكان زياد يزعم أن أمه سمية بنت الأعور من بنى عبد شمس بن زيد مناة بن تميم ، فقال ابن مفرغ يرد ذلك عليه :

فأقسم ما زيادٌ من قُرَيش ولا كانتْ سميـةُ من تَميمِ
ولـكنْ نَسْلُ عبدٍ من بغىٍّ عريقِ الأصل فى النَّسَب اللئيم

ولما قُتل عبيد الله بن زياد يومَ الزاب[١] : قتله أصحاب المختار بن [أبى] عبيد ، ويقال: إن إبراهيم بن الأشتر حمل على كتيبة فانهزموا ، ولقى عبيد الله فضربه فقتله . وجاء إلى أصحابه فقال : « إنى ضربت رجلا فاح منك المسك وأظنه ابن مَرْجانه » . وأومأ إلى موضعه . فجاءوا إليه وفتشوا عليـه ، فوجدوه كما ذكر ، وإذا هو ابن زياد ؛ فقال ابن مفرغ يهجوه :

إن الذى عـاش خَتّارا بذمته وعاش عَبْدا ، قتيلُ الله بالزابِ[٢]
العبدُ للعبدِ لا أصلٌ ولا طرَفٌ ألوَتْ به ذاتُ أظفارٍ وأنيابِ
إن المنـايا إذا مارُزْن طاغيةً كشَفْن عنه ستورا بين أبواب[٣]
هـلّا جموعَ نزارٍ إذ لقيتَهُم كنتُ امرأً من نزارٍ غيرَ مرتابِ
لا أنت زاحمْتَ عن مُلْكٍ لتمنعه ولا مددت إلى قوم بأسباب[٤]
ماشُقَّ جَيْبٌ ولا ناحتْك نائحةٌ ولا بكَتْك جِيادٌ عند أسْلاب
لا بارك الله أنفا تَمْطِسُون به بنى العَبيد شهودا غيرَ غُيّاب[٥]
أقول: بُعْدا وسحْقا بعدمَصْرعه لابن الخبيثة وابن الكَوْدن الكابى[٦]

(١) فى سنة ٦٧ هـ .
(٢) الختر: أقبح الغدر .
(٣) غ : هتكن عنه ستورا . ورازه : جربه واختبره .
(٤) غ : فتمنعه .
(٥) غ : لا يترك الله أنفا تعطسون بها .
(٦) غ : عند مصرعه . الكابى : كذا فى غ . وفى س : اليـانى . خطأ . والكودن : الفرس الهجين والبغل . والكابى : المكب على وجهه .

ومن شعر يزيد بن مفرغ من قصيدة[1] :

أىّ بلوى معيشةٍ قد بلَوْنا فنَعِمنا وما رجَوْنا خُلودا
ودهورٍ لَقِينَنا موجعاتٍ وزمانٍ يكسِّر الجلودا
فصبرْنا على مواطنِ ضيقٍ وخطوبٍ تُصيِّر البيض سودا
لا ذَعرْتُ السَّوامَ فى فَلَق الصبح مُغيرا ولا دُعيت يزيدا[2]
يوم أُعطى مخافةَ الموتِ ضَيْما والمنايا يرصُدْنَنى أنْ أحيدا[3]

ولما خرج الحسين رضى الله عنه من المدينة عند بيعة يزيد ، تمثل بهذين البيتين :

* لا ذعرت السوام *

ثم خرج فلحق بمكة هاربا .

كان ابن مفرغ لما قدم على معاوية نزل على مروان بن الحكم ، وهو يومئذ عند معاوية . وقام بأمره واسترفد له كل من قدم عليه من بنى أبى العاص بن أمية . فقال ابن مفرغ يمدحه[4] :

ألف المكارمَ فاستَهام بذكرها والمكرُماتُ قليلةُ العُشّاقِ
وأقام سُوقاً للثناء ولم تكن سوق الثناء تقام فى الأسواق[5]
فكأنما جعل الإله إليكمُ فَيْضَ النفوسِ وقسمة الأرزاق[6]

---

(١) ابن قتيبة ٢١٢ . ابن خلكان ٢ : ٢٩٣ . خزانة الأدب ٣ : ٥٣٧ .

(٢) الخزانة : فى وضح الصبح . ابن قتيبة : فى غلس الليل . ابن خلكان : فى غلس الصبح والسوام : الإبل الراعية . وفلق الصبح : الفجر أو ما انشق من عمود الصبح .

(٣) ابن قتيبة : يوم أعطى من المخافة ضيما . ابن خلكان : يوم أعطى على المخافة ضيما .

(٤) ابن خلكان ٢ : ٢٨٩ . وتنسب الأبيات إلى أحمد بن أبى فنن فى مدح محمد بن يزيد بن مزيد الشيبانى وإلى أبى الشيص الخزاعى (ابن خلكان ٢ : ٢٨٨ ، ٢٨٩) .

(٥) غ وابن خلكان : وأقمت سوق الثناء .

(٦) غ وابن خلكان : قبض النفوس .

ولما اختار ابن مفرغ الموصل نزل على أخواله من آل ذى المشراء من حمير . فزوجوه امرأة منهم . فلما كان اليوم الذى يكون البناء فى ليلته خرج يتصيّد ومعه غلامه برد ، فإذا هو بدهقان على حمار يبيع عطراً وأدهاناً . فقال له ابن مفرغ « من أين أقبلت ؟ » قال : « من الأهواز » قال له : « ويحك ! كيف خلفت المَسْرُقان(١) وبرد مائه ؟ » قال : « على حاله » . قال : « فما فعلت دهقانة يقال لها أناهيد بنت أعنق ؟ » قال : « صديقة ابن مفرغ ؟ » [قال : «نعم»] . قال : « ما تجف جفونها من البكاء عليه » . فقال لغلامه : «أى بُرْد ، أماتسمع؟» قال: «بلى» قال: «هو بالرحمن كافر . إن لم يكن هذا وجهى إليها » . فقال له برد : « أكرمك القوم وقاموا دونك وزوّجوك كريمتهم ثم تصنع هذا بهم وتَقْدَم على ابن زياد بعد خلاصك منه بغير أمره ولا عقد منه ولا عهد . أبْقِ أيها الرجل على نفسك وأقم بموضعك وابنِ بأهلك وانظر فى أمرك . فإن جدّ عزمك كنت حينئذ وما تختاره » . فقال : « دع هذا عنك . هو بالرحمن كافر إنْ رجع عن الأهواز ولا عرّج على شىء غيرها » . ومضى لوجهه من غير أن يُعلم أهله . وأقام بالبصرة إلى أن رحل إلى شَريك بن الأعور الحارثى .

قال عَوانة بن الحكم : كتب عبيد الله بن أبى بَكْرة إلى يزيد بن مفرغ : إنى قدتوجهت إلى سجستان فالْحَق بى ، فلعلك إن قدمت علىّ ألا تندم ولا تذم رأيك » . فتجهز ابن مفرغ وخرج حتى قدم سجستان مُمْسِيا فدخل عليه فشغله بالحديث . وأمر له سراً بمنزل وفرش وخدم . وجعل يطاوله حتى علم أنه قد استتم ما أمر له به ثم صرفه إلى الدار التى قد هيئت له ثم دعا به فى اليوم الثانى فقال له : « يا ابن مفرغ ، إنك قد تجشمت إلىّ شقة بعيدة ، واتسع لك الأمل . فرحلت إلىّ لأقضى عنك دينك وأغنيك عن الناس ، وقلت : أبوحاتم بسجستان فمن لى بالغنى بعده » . فقال : « والله

---

(١) المسرقان : نهر بخوزستان .

ما أخطأتَ أيها الأمير ما كان فى نفسى » . فقال عبيد الله : « أمَ والله لأفعلن ولأُقِلَّن لُبْثَك عندى فلأُحْسِنَنّ صلتك » . وأمر له بمائة ألف درهم ومائة وصيف ومائة وصيفة ومائة نجيبة . وأمر له بما ينفقه إلى أن يبلغ بلده سوى المائة ألف درهم ، وبمن يكفيه الخدمة من غلمانه ومواليه ، وقال له : « إن [من] خفة السفر ألا تهتم بخُفٍّ ولا حافر » . فكان مقامه عنده سبعة أيام . ثم ارتحل وشيّعه ابن أبى بكرة إلى قرية على أربعة فراسخ يقال لها زالِق ثم قال له : « يا ابن مفرغ ، إنه ينبغى للمودِّع أن ينصرف وللمتكلم أن يسكت . وأنا من قد عرفت فأنفق[1] على الأمل وعلى حسن ظنك بى ورجائك فىّ . فإذا بدا لك أن تعود فعُدْ ، والسلام » . وسار ابن مفرغ حتى أتى رامهرمز فنزل بقلعة أبجر . فنزلت إليه ابنة أبجر فقالت له : « يا ابن مفرغ ، لمن هذا المال ؟ » قال : « لابنة أعنق دهقانة الأهواز » وإذا رسولها فى القافلة بكتابها : « إنك لو كنت على العهد لعجلتَ ولم تساير ثَقَلك . ولكن قد علمتُ أن المال الذى أعطاكه عبيد الله قد شغلك عنى » . قال : فأعطى رسولها مالا على أن يقول فيه خيراً . وقال لابنة أبجر فى جواب قولها :

حَبانى عبيدُ اللهِ يا ابنة أبجرٍ ... بهذا وهذا للجُمانةِ أجمع[2]
يقرُّ بعينى أن أراها وأهلَها ... بأفضل حالٍ ذاك مَرْأًى ومَسْمَع
وخُبِّرْتُها قالت : لقد حالَ بعدنا ... فقد جعلت نفسى إليها تَطلَّع[3]
وقلت لها لما أتانى رسولها ... وأىُّ رسولٍ لا يضرُّ وينفع
أحبُّكِ مادامتْ بنجدٍ وَشيجةٌ ... وما رُفعتْ يوماً إلى الله إصبع[4]

---

(١) غ : فأبق .

(٢) حبانى : أعطانى .

(٣) حال : تحول وتغير .

(٤) الوشيجة : عرق الشجرة .

وإنى مَلِئٌ يا نُجانة بالهوى وصِدْق الهوى إن كان ذلك ينفع(١)

فلما انتهت رسل عبيد الله معه إلى الأهواز، قالوا : « قد بلغنا حيث أمرنا » . قال : « أجل » . ثم أمر ابنة أعنق أن تفتح الباب وقال لها : « كل ما دخل بابك فهو لك » . وأقام بالأهواز ودعا ندماء له كانوا من فتيان العرب ، فلم يبق ظريف ولا مغنّ إلا أتاه . واستماحه جماعة قصدوه من أهل البصرة والكوفة والشام فأعطاهم ولم يفارق أناهيد ومعه شيء من المال . وجعل القوم يسألونه عن عبيد الله ابن أبي بكرة وكيف هو وأخلاقه . فقال :

يُسائلني أهلُ العراق عن الندى فقلت : عبيد الله حِلْفُ المَكارمِ
فتًى حاتِمِيٌّ في سجستانَ رَحْلُه وحَسْبُك جودا أن يكون كحاتم
سَما لِيَنالَ المَكْرُماتِ فنالها بشِدةِ ضِرْغام وَبَذْل الدراهم
وحِلمٍ إذا ما سَوْرة الجهل أطلقَتْ حُبا القومِ عند الفادح المُتفاقِم(٢)
وإنّ له في كل حيٍّ صَنيعةً يُحدّثها الرُّكبانُ أهلَ المواسم
دعاني إليه جودُه ووفاؤه ومِن دونِ مَسْراه عُداة الأعاجم
فلم أَنْوِ إلا جُمْعةً في جواره وبومين حَلّا من أَلِيَّة آثِم(٣)
إلى أن دعاني زانه اللهُ بالعُلا فأنبَتَ من ريشي مَهيضَ القَوادمِ(٤)
وقال : إذا ما شئتَ يا ابن مفرغ فمُدْ عَوْدةً ليستْ كأضْغاثِ حالم
فقلت له : لا يُبْعِدِ اللهُ داره : أعود إذا ما جئتُكم غيرَ حاشِم

---

(١) غ : يقنع .

(٢) غ : سورة الحقد ، وسورة الجهل : حدة السفه . والحبا : جمع حبوة ، وهى أن يشتمل الجالس بردائه فيجمع بين ظهره وساقيه به .

(٣) غ . فلم أبق . وهى بمعنى لم أنو . والألية : القسم واليمين .

(٤) غ : فأنبت ريشى من صميم القوادم .

فأحمدتُ وِرْدى إذ وردتُ حياضه وكلُّ كريمٍ نُهْزَةٌ للأكارم[1]
فأصبح لا يرجو العراقُ وأهلُه سِواه لنفعٍ أو لدَفْعِ العَظائم
وإنّ عبيد الله هنّأ رِفْدَه سَراحا وأعطى خيرَه غير عاتم[2]

كان عمرو بن مفرغ عم يزيد بن ربيعة بن مفرغ رجلا له جاه وقَدْر عند السلطان ، وكان ذا مال وثروة وصلاح ودين وفضل ، وكان يعنّف يزيد ابن أخيه فى أمر أناهيد عشيقته ويَعذِله ويعيره بها . فلما أكثر عليه يوما ، أتاه فقال له : « ياعم ، جعلت فداك ، إن لى بالأهواز حاجة ، ولى على قوم بها نحوٌ من ثلاثين ألف درهم ، وقد خفت أن تَتْوَى علىّ[3] . فإن رأيت أن تتجشم العناء معى إليها حتى تطالب لى بحقى وتعاوننى بجاهك على غرمائى ، فافعل » . وكان عمرو بن مفرغ قد استخلفه ابن عباس عليها إذ كان عامل على بن أبى طالب عليه السلام على البصرة[4] . وكان عاملَ الأهواز ــ حين سأل ابن مفرغ عمه أن يخرج معه ــ ميمون بن عامر أخو قيس بن ثعلبة الذى يقال لدراهمه الميمونية ، ولم يزل ابن مفرغ بعمه حتى أجابه إلى الخروج . فاستأجر سفينة وتوجه إلى الأهواز . وكتب إلى أناهيد : أن تهيّئى وتزيّنى بأحسن زينتك واخرجى إلىّ مع جواريك فإنى مُوافيك » ومنزلها يومئذ بين سُرَّق ورامَهُرْمُز . فلما نزلوا منزلها خرجت إليهم ، فجلست معهم فى هيئتها وزينتها وحليّها وآلتها . فلما رآها عمه قال له : « قبحك الله ، أفلا إذ فعلت ما فعلت كنت عَلِقتَ مثل هذه » . فقال : « ياعم ، أوَقد أعجبتك ؟ » قال : « ومن لاتعجبه هذه ؟ » قال : « أبجدٍ هذا منك ؟ » قال : « نعم والله » . قال : « فإنها والله هذه

(١) غ : وأحمدت .
(٢) غ : وأعطى رفده . غير عاتم : كذا اقترح الشنقيطى ، أى غير كاف عنه بعد أن مضى فيه . وفى ص : غير غاتم . وفى غ : غير عاثم والسراح : التسهيل .
(٣) تتوى : تهلك وتضيع .
(٤) من سنة ٣٦ إلى ٤٠ هـ .

بعينها » . فقال : « يا خبيث ، إنما أشخصتني لهذا ياغلام ، ارحل بنا » : فانصرف عمه إلى البصرة . وأقام هو معها . ولم يزل يتردد كذلك حتى مات فى الطاعون فى أيام مصعب بن الزبير (١) .

لزم يزيد بن مفرغ غرماؤه بدَيْن . فقال لهم : « انطلقوا نجلس على باب الأمير عسى أن يخرج الأشراف فيرونى فيقضوا عنى دينى » . فانطلقوا به . فكان أول من خرج إما عمر بن عبيد الله بن مَعْمر ، وإما طَلْحة الطَّلَحات . فلما رآه قال : « أباعثمان ، ماأقعدك ها هنا ؟ » قال : « غرمائى هؤلاء لزمونى بدين لهم علىّ » . قال : « وكم هو ؟ » قال « سبعون ألفا » . قال : « علىّ منها عشرة آلاف درهم » . ثم خرج الآخر على أثره . فسأله كما سأل صاحبه قال : « هل خرج أحد قبلى ؟ » قال : « نعم ، فلان » . قال : « فما صنع ؟ » قال : « ضمن عشرة آلاف درهم » . قال : « فعلىّ مثلها » . وجعل الناس يخرجون ، فنهم من يضمن الألف إلى أكثر من ذلك حتى ضمنوا أربعين ألف درهم ، وكان يأمُل عبيد الله بن أبى بكرة فلم يخرج حتى غربت الشمس . فخرج مُبادرا فلم يره حتى كاد يبلغ بيته . فقيل له : « إنك مررت بيزيد بن مفرغ ملزوما ، وقد مرّ به الأشراف فضمنوا عنه » . فقال : « واسَوْءتاه ، إنى لخائف أن يظن بى أنى تغافلت عنه » . فكر راجعا فوجده قاعدا . فقال له : « يا أبا عثمان ، ما يجلسك ها هنا » . قال : « غرمائى هؤلاء لزمونى » . قال : « وكم ضُمن عنك ؟ » قال : « أربعون ألفا » . قال : فاستمتِعْ بها وعلىّ دينك أجمع » . فقال فيه :

لو شئتُ أنْ أَلْقَى الغِنَى كُلَّهُ ... عشتُ بأسباب أبى حاتِم (٢)
عشتُ بأسبابِ الجَواد الذى ... لا يَختِم الأموال بالخاتَم

(١) تولى من سنة ٦٧ إلى ٧١ هـ .

(٢) غ : لو شئت لم تعنى ولم تنصبى .

يحيى أبو محمد اليَزيدى*

هو أبو محمد يحيى بن المبارك ، أحد بنى عَدِىّ بن عبد شمس بن زَيْد مَناة بن تميم. قال أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبى محمد اليزيدى : « نحن من رهط ذى الرُّمّة » . وقيل : هم موالى بنى عدى ، وإنما قيل لأبى محمد: اليَزيدى لأنه كان خرج مع إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بالبصرة[1] ثم توارى زمانا حتى استتر أمره ، ثم اتصل بعد ذلك بيزيد بن منصور خال المهدى . فوصله بالرشيد ، فلم يزل معه ، وأدّب المأمون خاصة من ولده . ولم يزل أبو محمد هو وولده منقطعين إليه وإلى ولده . وله فيهم مدائح كثيرة جياد .

وكان أبو محمد عالما باللغة والنحو ، راوية للشعر ، متصرّفا فى علوم العرب . أخذ عن أبى عمرو بن العلاء ويونس بن حَبيب النحوى وأكابر البصريين . وقرأ القرآن على أبى عمرو بن العلاء . وجوّد قراءته ورواها عنه . وهى المعوّل عليها فى هذا الوقت .

وكان بنوه جميعا فى مثل منزلته من العلم والمعرفة باللغة ، وحسن التصرّف فى علوم العرب ، ولسائرهم شعر جيد . فمن أولاده لصلبه محمد وإبراهيم . ومن ولد ولده أحمد بن محمد ، وهو أكبرهم وأعلمهم وأرْواهم . وعبيد الله والفضل ابنا محمد أيضا ، وقد رويا عن أكابر أهل اللغة وحُمل عنهما علم كثير . وآخر من كان بقى من علماء هذا البيت أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبى محمد . وكان فاضلا عالما ثقة فيما يرويه منقطع القرين فى الصدق وشدة التوقى فيما ينقله .

---

* أخباره فى ب ١٨ : ٧٢ ، س ١٧ : ٧٢ ، ى ٢٠ : ١٨٠ .

(١) كان ذلك فى سنة ١٤٥ هـ .

قال أبو محمد اليزيدى : كان الرشيد جالسا فى مجلسه ، فأُتى بأسير من الروم . فقال لدفافة العَبْسى : « قم فاضرب عنقه » . فضربه فنَبَا السيف . فقال لابن فليح المدنى : « قم فاضرب عنقه » . فضربه فنبا سيفه أيضا . فقال : « أصلح الله أمير المؤمنين ! تقدَّمتْنى ضربةٌ عبسية » . فقال الرشيد للمأمون ، وهو يومئذ غلام : « قم ، فداكَ أبوكَ فاضرب عنقه » . فقام فضرب العلج فأبانَ رأسه . ثم دعا له بآخر وأمره بضرب عنقه ، فضربه فأبان رأسه . قال : ونظر المأمون إلىّ نظر مستنطِق ، فقلت :

أبقَى دفافةُ عارا عنـد ضربتِهِ ... عنـدَ الإمامِ لعَبْسٍ آخرَ الأَبَدِ[1]

كذاكَ أُسرته تَنْبُو سيوفهمُ ... كسيفِ وَرْقاءَ لم يَقْطع ولم يَـكَدِ[2]

ما بالُ سيفِكَ قد خانتْكَ ضَرْبَتُهُ ... وقد ضربتَ بسيفٍ غيرِ ذى أَوَدِ[3]

هَلّا كضربةِ عبد الله إذ وقفتْ ... ففرّقت بين رأسِ العِلْجِ والجَسَدِ

كان حَمُّويه ابن أخت الحسن الحاجب هو وسعيد الجوهرى مجتمعين . فجرى ذكر أبى محمد والكسائى . ففضّل حَمُّوية الكسائى ، وفضل سعيد الجوهرى أبا محمد . وطال الكلام بينهما إلى أن تراضَيا برجلٍ يحكم بينهما . فتراهنا على أن من غلب يأخذ برذون صاحبه . وجعلا الحكم بينهما أبا صفوان الأَحْوَزى . فلما دخل سألاه . فقال لهما : « لو نصح الكسائى نفسه لصار إلى أبى محمد وتعلم منه كلام العرب . فما رأيت أحدا أعلم منه » . فأخذ سعيد الجوهرى دابة حمويه . وبلغ أبا محمد اليزيدى هذا الخبر ، فقال :

---

(١) غ : بعد ضربته .

(٢) انظر ترجمتى ورقاء بن زهير والفرزدق فى هذا الجزء .

(٣) الأود : العوج .

حَمُّوية ، اسمع نَبَأً صادقا فيك ، وما الصادق كالكاذب(١)
يا جالبَ الخِزْى على نفسه بُعْدا وسُحْقا لك من جالب
إنْ فَخَر النــاسُ بآبائهم أتيتَهُم بالعَجَب العـاجِب
قلتَ ـ وأخفيت أباً خاملا ـ أنا ابن أخت الحَسَن الحاجب(٢)

قال أبو محمد : كنت يوما جالسا أكتب كتابا ، فنظر فيه سلم الخاسر طويلا . ثم قال(٣) :

أيْرُ يحيي أخطُّ من كف يحيي إنّ يحيي بأيْرِه لَخَطُوطُ

فقلت :

أمُّ سَلْمٍ بذاك أعــلمُ منى إنهـا تحت أيره لَضَرُوط(٣)
ولهـــا تارةٌ إذا ما علاهـا أزْمَلٌ من وِداقها وأطيط(٤)
أم سلم تعـــلِّم الشعرَ سلما حَبَّذا شعر أمِّك المنقوط
ليت شعرى،ما بال سلم بن عمرو كاسفَ البال حين يُذكَر لُوط
لا يصلِّى عليـــه فيمن يصلى بل له عنـــد ذكره تثبيط

فقال له سلم : ويحك مالك جُنِنت ؟ أى شىء دعاك إلى هـذا كله ؟ فقال له أبو محمد : أنت بدأت فانتصرتُ والبادى أظلم .

قال أبو محمد : قال أبو حَنَش الشاعر يوما : « يا أبا محمد ، قُلْ أبياتا قافيتها على هاءين » . فقلت : « على أن أهجوك فيها ؟ » قال : « نعم » . فقلت :

قلتُ ونفسى جَمٌّ تأوُّهُهـا تصبو إلى إلْفِها وأنْدَهُها(٥)

---

(١) غ : يا حمويه اسمع ثناء .
(٢) غ : وأدغمت أبا خاملا .
(٣) غ : أعلم شىء .
(٤) أزمل : كذا فى غ ، أى رعدة : وفى س : دمل ، تحريف . والوداق : الشهوة .
(٥) أندهها : أزجرها .

سُقْيا لصَنْعاءَ لا أرى بــــلدا أوْطَنَه المُوطِنُون يُشْبِهها
خِصبا وحسنا ولا كَبَهْجتِها أغذى بلادٍ غِذًا وأنْزَهُها(١)
يعرف صنعاءَ من أقام بها أرغَــدَ أرضٍ عيشا وأرْفَهُها
ما أنْسَ لا أنسَ ما فُجِعتُ به يومَ ثَنَى إبْلَنا مُجَهْجِهُها(٢)
أبلغْ حُضَيْرًا أعنى أبا حنَشٍ عائرةً نحــوَه أُوَجِّهها
تأتيه مثــــلَ السهام عامِدةً إليـــــه مشهورةً أُدَهْدِهها
كُنيَتُهُ طَرْحُ نــونِ كنيتِهِ إذا تَهَجَّيْتَها ستَفْقَهُها

يريد إسقاط النون من أبى حنش حتى تصير أبا حشّ .

قال أبو محمد : كان عبس بن عمر أعــلم الناس بالغريب ، فأتانى قتيبة الخراسانى فقال لى : أَفِدْنى شيئا من الغريب أعانى به عبس بن عمر . فقلت له : أجود المساويك عند العرب الأَراك ، وأجود الأراك عندهم ما كان مُتْمَئِرًّا مُجارِما(٣) ، وقد قال الشاعر :

إذا استَــكْتَ يوما بالأَراك فلا يكن سواكُك إلا المتمــئرّ المُجارِما

يعنى الأير . قال : فــكتب قتيبة ما قلت له وكتب البيت . وأتى عبس بن عمر فى مجلسه . فقال : « يا أبا عمر ، ما أجودُ المساويك عند العرب ؟ » فقال له : « الأراك » . فقال له قتيبة : « أفلا أُهدى لك منه شيئا متمئرا مجارما ؟ » فغضب وقال : أهدِه إلى نفسك » . فضحك من كان فى المجلس . وبقى قتيبة متحيرا ، فعلم عبس أنه قد رمى ببلية . فقال له : « ويحك ! من فضحك وسخر منك بهذه المسألة ؟ ومن أهلــكك ودسّ عليك ؟ » قال : « أبو محمد اليزيدى » ، فضحك عبس حتى

(١) س : حصنا وحسنا ، وأثبت ما فى غ .
(٢) مجهجه : صائح .
(٣) المتمئر : الغليظ المستقيم . والمجارم : الشديد .

فحص برجله وقال : « هذه والله من مزاحاته وبلاياه[1] ، أراه عنـك مُنحرِفا ، فقد فضحك » ، فقال قتيبة : « لا أعاود والله مسألته عن شيء أبدا »[2].

قال أبو محمد : صرت يوما إلى الخليل بن أحمد والمجلس غاصّ بأهله ، فقال لى : « ها هنا عندى » . فقلت : « أضيق عليك ! » ، فقال : « إن الأرض بحذافيرها تضيق عن متباغضين ، وإن شبرا فى شبر لا يضيق عن متحابين » . وكان الخليل مصافيا لأبى محمد محبّا له .

قال أبو محمد : أمر لى الرشيد بمال وحضر شُخوصُه إلى السِّن[3] . فأتيت عاصما الغسانى وكان أشيرا عند يحيى بن خالد فقلت له : « إن أمير المؤمنين قد أمر لى بمال ، وقد حضر من شخوصه ماعلمت . فأحب أن تذكر أبا على يحيى بن خالد أمره ليعجله لى » . فقال لى : « نعم » ، ثم عدت إليه بعد ذلك نوبتين ، فقال لى بتفخيم فى لفظه : « ما أصبت لحاجتك موضعا » . قال : قلت : « فاجعلها منك ــ أكرمك الله ــ ببال » . فلما خرجت لحقنى بعض من حضر المجلس ، فقال لى : « يا أبا محمد ، إنى لأغار عليك أن تأتى هذا الـكلب وتسأله حاجة » ، قلت : « وكيف ؟ » قـال : « سمعته يقول لما وليت : لو أن بيدى دجلة والفرات ما سقيت هذا منها شربة ماء » فقلت : « ولم[4] ذاك أصلحك الله ، فإن له قدرا وعلما » قال : « لأنه رجل من مُضَر ، وما رأيت مضريا قط يحب اليمانية » ، قال : فأحببت ألا أُعْجَل ، فعدت إليه من غد فقلت : « هل كان منك أكرمك الله فى حاجتى شيء ؟ » . فقال : « والله لـكأنك تطلبنا بدين » . فتحقق عندى ما بلغنى عنه ، فقلت له : « لا قضى الله هذه الحاجة على يدك ، ولا قضى لى حاجة إن سألتُـكها . والله لا سلمت عليك مبتدِئا أبدا .

---

(١) كذا فى غ . وفى س : هذه والله مزحاته وبلاياته .
(٢) س : لا أعاود والله إلى مسألته عن شيء أبدا .
(٣) كذا فى غ ، وهى مدينة على دجلة فوق تـكريت . وفى س : اليمن .
(٤) كذا فى غ . وفى س : وما .

ولا رددت عليك السلام إن بدأتَني به » . ونفضت ثوبي وخرجت . فإني لأسير وأفكر في الحيلة لحاجتي ، إذا راكب يركض خلفي حتى لحقني ، فقال : « بعثني أبو علي يحيى بن خالد إليك لتقف حتى يلحقك » . فرجعت مع رسوله إليه ، فلقيته وكان قريبا فسلمت عليه وسايرته فقال : « إن أمير المؤمنين أمرني أن آمرك بطلب مؤدب لابنه صالح ، وإني أحدثك بحديث حدثني به خالد بن برمك . إن الحجاج ابن يوسف أراد مؤدبا لولده ، فقيل له : ها هنا رجل نصراني عالم ، وها هنا رجل مسلم لكن ليس علمه مثل علم النصراني . فقال : ادعوا لي المسلم . فلما أتاه قال له : ألا ترى يا هذا أنا قد دُللنا على نصراني ذكروا أنه أعلم منك ، غير أني كرهت أن أضمّ إلى ولدي من لا ينبههم على الصلاة عند وقتها ولا يدلهم على شرائع الإسلام ومعالمه . وإن كان لك عقل فأنت قادر على أن تتعلم في اليوم ما تعلمه أولادي في الجمعة ، وفي الجمعة ما تعلمهم إياه في الشهر ، وفي الشهر ما تعلمهم إياه في السنة » . ثم قال لي يحيى : « يا أبا محمد ، فينبغي أن تؤثر الدين على ما سواه » . فقلت له : « قد أصبت من أرضاه » ، وذكرت له الحسين بن المِسْوَر ، نضمه إليه . ثم سألني : « من أين أقبلت ؟ » فأخبرته بخبر عاصم وما كان منه وقلت له : « قد حضر هذا السير ، ولست أدري من أي وجه أتقاضاه » . فضحك وقال : « لم لا تدري ؟ الْقَ صديقك جعفرا — يعني ابنه — يكلم أمير المؤمنين أو يذكّرني بحاجتك ، فقد تركته الساعة على المضي إليه » . فأتيت جعفرا وقلت في طريقي :

يا سائلي عما أخبره ... عن جعفر كرماً وعن شِيَمِهْ
انّ ابن يحيى جعفرا رجل ... سِيط السَّماحُ بلحمه ودمه[1]
فعليه « لا » أبدا محرَّمةٌ ... وكلامه وَقْفٌ على نَعَمِه

(١) سيط : خلط .

وترى مُسابِقَه ليُدْرِكَه   بمكان وَطْء النعل من قدمه(١)

فلما دخلت إليه أخبرته الخبر ، وأنشدته الأبيات وأعلمتُه ما أمرنى به أبوه . فقال : « قل بيتين تذكره فيهما إلى أن أجدد طُهْرا واكتبهما حتى يكونا معى ، فأذكر بهما حاجتك » . فأخذت الدواة والقلم وكتبت :

أحَقُّ من أنْجَزَ موعودَه   خليفةُ اللهِ على خَلْقِه
ومن له إرثُ نبى الهدى   بالحق لا يُدفَع عن حقه
يُنسَب فى الهَدْى إلى هَدْيِه   برًّا وبالصدق إلى صدقه(٢)
ومن له الطاعة مفروضةٌ   لأئمةٌ بالوحى فى رَقّه
والراتِقُ الفتقَ العظيمَ الذى   لا يقدِر الناس على رَتْقه

فأخذ الشعر ومضى . وكلم الرشيد فى حاجتى وأقرأه الأبيات . فصَكَّ لىَ بالمال عليه . وقبضته بعد ذلك بيوم ، وقلت فى الغسانى من أبيات :

إذا عاصماً يوما أتيتَ لحاجةٍ   فلا تأتِه إلا وأيرُك قائمُ(٣)
وإلا فلا تسألْه ما عشتَ حاجةً   ولا تَبْكِه إن أعْوَلَتْه المآتمُ

ولما حدَث ببنى برمك ما حدث قُبضت ضيعته فى المقبوض من ضياع أسبابهم(٤) ، فصار إلىّ وكلمنى فى أمرها وسألنى كلام الجوهرى فى ذلك ، فقمت له به حتى رددت الضيعة عليه ، فجاء يشكرنى ويعتذر مما كان فعله . فقلت له : « تناسَ ما مضى فلست ممن يكافىء أحداً بسوء » .

(١) غ : حذو النعل .
(٢) غ : وفى الصدق .
(٣) غ : فلا تلقه .
(٤) كذا فى غ . وفى س : فى قبوض أسبابهم .

قال أبو محمد: كان أبو عبيدة يجلس فى مجلس البصرة إلى سارية وكنت أنا وخلف الأحمر نجلس جميعاً إلى أخرى وكان أبو عبيدة من أكثر الناس ذكرا لمثالب الناس. فقال لأصحابه: « أتدرون أن الأحمر واليزيدى إنما يجتمعان على الوقيعة فى الناس وذكر مساوئهم ». وبلغنى ذلك وأنه قد رمانى بمذهبه فقلت لخلف: « دعه فأنا أكفيكه » فلما كان مع الأذان جئت أنا وخلف إلى المسجد، فكتبت على الجص فى الموضع الذى فيه أبو عبيدة على الحائط:

صلى الإله على لوطٍ وشيعتِه أبا عبيدةَ، قُل بالله: آمينا

وأصبح الناس وجاء أبو عبيدة فجلس وهو لا يعلم ما فوق رأسه مكتوب، وأقبل الناس ينظرون إلى البيت ويضحكون. فرفع رأسه ونظر إليه فخجل. ولم يزل منكسا رأسه حتى انصرف الناس، وأنا وخلف الأحمر ناحية ننظر إلى ما به. ثم قمنا حتى وقفنا عليه وقلنا له: « ما قال صاحب هـذا البيت إلا حقًّا. نعم، فصلّى الله على لوط ». فأقبل علىّ وقال: « قد علمتُ من أين أُتيت، ولن أعاود التعريض لتلك الجبهة ». فلم يعد لذكرنا بعد ذلك.

قال الأصمعى: كنت جالساً مع خلف الأحمر فجرى كلام فى شىء من اللغة؛ وتكلم فيه أبو محمد اليزيدى وجعل يشغب، فقال له خلف: « دعنى من هذا يا أبا محمد، وأخبرْنى من الذى يقول:

وإذا انتشيتُ فإنّنى رب الُخَرَيبة والرُّمَيحِ (١)

وإذا صحوتُ فإنّنى ربّ الدُّوَيّةِ واللُّوَيحِ

يعرّض به أنه معلم وأنه يلوط. فغضب اليزيدى وقام وانصرف.

قال أبو محمد اليزيدى: سألنى الخليل بن أحمد أن أجمع بينه وبين عبد الله بن المقفع، فجمعت بينهما. فمرّ لنا أحسن مجلس وأكثره علماً، وافترقنا. فلقيت الخليل،

(١) غ: فإذا.

فقلت له : « يا أبا عبد الرحمن ، كيف رأيت صاحبك ؟ » قال : « ما شئت من علم وأدب إلا أنى رأيت كلامه أكثر من علمه » . ثم لقيت ابن المقفع فقلت : « كيف رأيت صاحبك ؟ » قال : « ما شئت من علم وأدب ، إلا أن عقله وعلمه أكثر من كلامه » .

ومن شعر أبى محمد اليزيدى ، وقد جرى بينه وبين الكسائى وشيبة بن الوليد مجلس فيه مباحثات فانتصر فيها أبو محمد :

عِشْ بجَدٍّ فما يَضرُّكَ نوكٌ إنما عيشُ من ترى بالجُدود[1]
عش بجد وكن هَبَنَّقَةَ القَيْـ ـسِىَّ نوكا أو شَيْبَةَ بن الوليد
شَيْبَ يا شيب يا جُدَىَّ بنى القَعْـ ـقاع ما أنت بالحليم الرَّشيد
لا ولا فيك خَلَّةٌ من خلال الـ ـخيرِ أحرزْتَها لحزمٍ وجود
غير ما أنك المُجيد لتقطيـ ـع غناءٍ وضربِ دُفٍّ وعُود
فعلى ذا وذاك تحتمل الدهـ ـرَ مُجيدا له وغيرَ مُجيد

(١) النوك : الحمق

يوسف الصَّيْقَل*

هو يوسف بن الحجاج الصيقل . يقال : إنه من ثقيف . ويقال : إنه مولى لهم .

صحب أبا نواس ، وأخذ عنه ، وروى له .

وابنه[1] الحجاج بن يوسف مُحدِّث ثِقَة .

وكان يوسف كاتبا .

ومولده ومنشؤه الكوفة .

قال أحمد بن صالح الهاشمي : قال لنا يوسف بن الصيقل يوما ، ورأى الشعراء بأيديهم الرِّقاع يطوفون بها ، فقال : « صنع الله لكم » . ثم أقبل على إبراهيم الموصلي فقال له : « كنا نَهزِل فنأخذ الرَّغائب ، وهؤلاء المساكين يَجِدُّون الآن فلا يُعْطَوْن شيئا » . ثم قال لإبراهيم : « أتذكر ونحن بجُرْجان مع موسى الهادي ، وقد شرب على مستشرِف عالٍ جدا ، وأنت تغنيه :

فارسٌ يضرب الكتيـ ... ـبةَ حتى تَصَدَّعا

في الوَغَى حين لا يرَى ... صاحبُ القوس مَنْزَعا

واستدارت رَحاهُمُ ... بالرُّدَيْنيِّ شُرَّعا[2]

فقال : « هذا اللحن مليح ، ولكني أريد له شعرا غير هذا ، فإن هذا الشعر بارد » . والتفت إليّ فقال : « اصنع في هذا الوزن شعرا » . فقلت

---

* أخباره في ب ٢٠ : ٩٣ ، س ٢٠ : ٩٣ ، ی ٢٣ : ٨٨ .

(١) غ: وأبوه. وهو خطأ ، فالمراد الابن وكان يعرف بابن الشاعر ، مات ٢٥٩ أو ٢٥٧ ، ووثقه أبو حاتم وابن أبي حاتم وأبو داود والنسائي وابن حبان ، وروى عنه مسلم . (تهذيب التهذيب لابن حجر ٢ : ٢٠٩) .

(٢) غ : واستدارت رحالهم . ويريد بالرحى الحرب . والرديني : الرمح .

لا تلمنى أن اجزعا سَيِّدى قد تَمنَّعا
وابْلُيانى إن كان ما بيننا قد تقطّعا[1]
إنّ موسى بفضله جَمَّع الفَضْل أَجْمَعا

وغنيته بهذا اللحن، ومرّت به إبل يُنْقَل عليها . فقال: « أَوْقِروها لها مالا ». فأوقرت مالا وحُمِل إلينا فاقتسمناه » . فقال إبراهيم : « نعم ، وأصاب كلٌّ واحد منا ستين ألف درهم » .

لما ورد الرشيد إلى الرَّقَّة ، خرج يوسف [بن] الصيقل . فكمن له فى نهر جافّ على طريقه . وكان لهارون خدم صغار ، يسميهم النمل ، يتقدمونه بأيديهم قسيّ البندق يرمون عنها من يعارضه فى طريقه . فلم يتحركْ يوسف حتى وافته قبة هارون على ناقة. فوثب إليها يوسف. وأقبل الخدم الصغار يرمونه . فصاح بهم الرشيد : « كُفُّوا عنه». فكفوا . وصاح به يوسف[2] :

أَغَيْثًا تحمل الناقـةُ أم تحمل هارونا
أم الشمس أم البدر أم الدنيا أم الدِّينا
ألَا كلُّ الذى عَدَّدْتُ قد أصبح مقرونا[3]
على مَفْرِق هارونٍ فداه الآدميُّونا

فمدّ الرشيد إليه يده وقال : « مرحبا بك ، يا يوسف . كيف كنت بعدى ؟ ادْنُ منى » . فدنا منه وأمر له بفرس . فركبه وسار إلى جانب قبته ينشده ويحدثه ، والرشيد يضحك ، وكان طيب الحديث . ثم أمر له بمال .

---

(١) س ، غ : وابلائى ، ولا يستقيم بها المعنى ولا الوزن .

(٢) نسبها ابن المعتز : طبقات الشعراء ١٥٠ . والحصرى : ذيل زهر الآداب ٢٥٩ لعمر ابن سلمة المعروف بابن أبى العلاء .

(٣) ابن المعتز :

ألا لا بل أرى كل الـ ـذى عـدّت مقرونـا

وكان يوسف فاسقا مُجاهِرا باللواط . وله فيه أشعار ، منها ما قاله لصديق له وقد رآه علا غلاما له :

لا تبخلَنَّ على النَّديـ ـمِ بردْفِ ذى كَشْحٍ هَضيم[1]
تعلو وينظر حسرةً نظرَ الحمارِ إلى القَضيم[2]
وإذا فرغتَ فلا تقُمْ حتى تصوِّتَ بالنديم
واتْبَعْ بلذّتِك الهوى ودَعِ المَلامة للمُليم[3]

ومن شعره فى هذا الفن :

لا تَنيكنَّ ما حَييـ ـتَ غلاما مكابَرَهْ
لا تمُرّنَّ باسْتِه دون دفع المؤامره
إنّ هذا اللواط دِيـ ـن يراه الأكاسره[4]
وهمُ فيه منصفو ن بحُسْنِ المعاشره

ومن قوله فى هذا الفن :

دَعْ كذا صدرك لى يا سيدى واتَّخِذْ عندى إلى الحشرِ يَدا[5]
إنما رِدْفُك سرجٌ مُذْهَب كُشِف البِزْيَون عنه فبَدا[6]
فأعِرْنيهِ ولا تبخلْ به ليس يُبْليه ركوبى أبدا
بل يُصفّيه ويَجْلوهُ ولا أثراً فيه تراه وصَدا[7]

(١) الكشح : الحضر . الهضيم : : الدقيق الضامر .
(٢) القضيم : شعير الدابة .
(٣) غ : للذتك ، والمليم : كثير اللوم .
(٤) غ : الأساورة .
(٥) غ : ضع كذا .
(٦) البزيون : السندس ، أى الحرير .
(٧) غ : أثر تراه فيه أبدا .

فادْنُ يا حِبُّ وطِبْ نفساً به   إن ذا الدَّيْن ستُقضاه غداً(١)

وكان قد هجا القيان بأبيات شاعت، وتهاداها الناس، وصارت عبثا بالقيان لكل أحد . فكانت القينة إذا عثرت قالت : « تعس يوسف » .

أحضر الرشيد عشرة آلاف دينار من ضَرْب السنة . ففرقها حتى بقيت منها ثلاثة آلاف دينار . فقال : « ابغونى شاعرا أهبها له » . فوجدوا منصورا النَّمَرى ببابه . فأُدخل إليه فأنشده ، وكان قبيح الإنشاد . فقال له الرشيد : « أعانك الله على نفسك . انصرف » . فقال : « يا أمير المؤمنين ، قد دخلت عليك دخلتين لم تعطنى شيئاً فيهما ، وهذه الثالثة . والله ، لئن حرمتنى لا رفعت رأسى بين الشعراء أبدا » . فضحك وقال : « خذها » . ونظر الرشيد إلى الموالى قد نظر بعضهم إلى بعض . فقال : كأنى قد عرفت ما أردتم ، إنما أردتم أن تكونَ هذه الدنانير ليوسف بن الصيقل » . وقد كان ليوسف منقطعاً إلى الموالى ينادمهم ويمدحهم فكانوا يتعصبون له . فقالوا : « إى والله ، يا أمير المؤمنين » . فقال : « هاتوا ثلاثة آلاف دينار » فأُحضرت . فأقبل على يوسف فقال : « هات أنشِدنا » . فأنشده قوله :

* تَصَدَّتْ لنا يومَ الرُّصافةِ زينبُ *

فقال له : « كأنك امتدحتنا فيها » . قال : « أجل ، يا أمير المؤمنين » . فقال : « أنت ممن يوثق بنيّته ولا تُتَّهم موالاته . هات من مُلَحك ودَع المديح » . فأنشده قوله :

العفوَ يا غضبانُ   ما هكذا الخُلّانُ
هَبْنى أتيتُ بذنبٍ   أمَا له غفرانُ(٢)

---

(١) غ : ذاك الدين . ى : تقضاه .
(٢) غ : هبنى ابتليت .

وإنْ تَعاظمْتَ ذنبي ففَوْقَه المجران[1]
كم قد تقرّبتُ جهدى لو ينفع القُرْبان
يارب أنت على ما يحُلّ بى المستعان[2]
وَيْلى ألست تراني أهكذا يا فلان ؟[3]

فقال له الرشيد : «من فلان ، ويحك ؟ » فقال له الفضل بن الربيع : « هو أبان مولاك ، يا أمير المؤمنين » . فقال له الرشيد : « ولِمَ لم تنشدنى كما قلت يانبطىّ » . قال : « لأنى غضبان عليه » . قال : « وما أغضبك عليه ؟ » قال : « مَدّت دجلة فهدمت دارى وداره ، فبنى داره وعلّاها حتى ستر الهواء عنى » . قال : « لا جَرَم ، ليُعْطِيَنّك الساعةَ بَظْرَ أمه عشرة آلاف درهم حتى تبنى بناء يعلو بناءه ، فتستر أنت الهواء عنه » . وقال له : « خذ فى شعرك » . [فأنشده] نحوا من هذا الشعر . فقال الفضل بن الربيع : « يا عباسى[4] ، ليس هذا شعراً . ما هذا إلا لعب . أعطوه ثلاثة آلاف درهم مكان ثلاثة الآلاف دينار » فانصرف الموالى إلى صالح الخازن ، فقالوا : « أعطه ثلاثة آلاف دينار كما أمر له أولا » . فقال : « أستأمره ثم أفعل » . فقالوا : « بل أعطه إياها فى ضماننا ، فإن أمضيت وإلا كانت فى أموالنا » . فدفعها إليه فى ضمانهم وأُمضيتْ له . فكان يوسف يقول : « كنا نلعب فنأخذ هذه الأموال ، وأنتم تقتلون أنفسكم ولا تأخذون شيئاً » .

---

(١) غ : تعاظم .
(٢) غ : قد حل بى .
(٣) غ : أهذى بها يافلان .
(٤) كذا فى ى . وفى ب ، س : ياعباس . وهى غير واضحة فى س .

يحيي بن طالب*

شاعر من اليمامة ، ثم من بني حَنيفة ، مُقِلّ ، من شعراء الدولة العباسية ، فصيح ، غَزِل ، فارس ، جَواد ، جميل ، حمال لأثقال قومه ومغارمهم ، سمح ، يَقْرِي الأضياف . ما تشاء أن ترى فى فتى خَصلة جميلة إلا رأيتها فيه .

ركبه دين فى بلده فخرج إلى الرى فمات بها . فقال هذه القصيدة ، وغنى الرشيدَ بها إسحاقُ :

ألَا هل إلى شَمِّ الخُزامَى ونظرةٍ إلى قَرْقَرَى قبل المماتِ سبيلُ(1)
فيا أثَلاتِ القاعِ من بطن تُوضِحٍ حَنيني إلى أطْلالِكن طويل(2)
ويا أثلات القاع قلبي مُوكَّل بكنّ ، وجَدْوَى خيرِكن قليل(3)
ويا أثلات القاع قد مَلّ صحبتى وقوفى، فهل فى ظِلِّكن مَقيلى(4)

فأعجبت الرشيد وأطربته . فسأل عن قائل الشعر : فذكره له ، وأعلمه أنه حى وأنه هرب من دين عليه ، وأنشده :

أُريد رجوعا نحوكم فيصدُّنى ـ إذا رُمْتُه ـ دَيْنٌ علىّ ثقيلُ(5)

فأمر الرشيد أن يُكتَب إلى عامل الرى بقضاء دينه عنه ، وإعطائه نفقة ، وإنفاذه إليه على البريد . فوصل الكتاب يوم مات يحيي بن طالب .

---

* أخباره فى ب ٢٠ : ١٤٩ ، س ٢٠ : ١٤٩ ، ى ٢٣ : ٢٩٠ ، أمالى القالى ١ : ١٢٣ ، تنبيه البكرى ٤٦ ، معجم البلدان لياقوت ٤ : ٦٣ .

(١) غ : ريح الخزامى . والخزامى : نبات برى زهره أطيب الأزهار ريحا . وقرقرى : أرض باليمامة .

(٢) ياقوت والأمالى: أيا أثلات . توضح: موضع بنجد . والأثلات: جمع أثلة ، وهى شجرة .

(٣) ب : جدوى غيركن .

(٤) وقوفى : كذا فى غ . وفى س : وقومى ، تحريف . وفى الأمالى وياقوت : مسيرى .

(٥) ياقوت : أريد انحدارا نحوها .

قال الجهم بن المغيرة : كنا عند حَبّوش(١) بن ثُمال القُرَيظى بضَرِيَّة(٢) . فمرت بنا جارية صفراء مولدة . فقال لى حبوش : « استفتح كلامها فإنها ظريفة » . فقلت لها : « يا جُوَيرية ، أين نشأت ؟ » قالت : « بقَرْقرى » . فقلت . « أين من شَغَبْغَب(٣) » . فضحكت ثم قالت : « بين الحوض والعَطَن »(٤) . قلت : « فمن الذى يقول :

يا صاحبىّ ، فدتْ نفسِى نفوسَكما ... عُوجا علىّ صدور الأَبْغُل الشُّنُنِ(٥)

ثم ارفعا الطَّرْفَ ننظرْ صبحَ خامسةٍ ... بقَرْقَرى يا عناءَ النفس بالوطن(٦)

ياليت شعرى ، والإنسان ذو أملٍ ... والعينُ تَذْرِف أحيانا من الحَزَنِ(٧)

هل أجعلَنَّ يــدى للخدّ مِرْفَقَة ... على شغبغبَ بين الحوض والعَطَن(٨)

فالتفتت إلى حبوش بن ثمال فقالت : « أخبِره بقائلها » . فقال : « ما أعرفه » فقالت « بلى ، هذا يقوله شاعرنا وظريف بلادنا وغَزِلها » . فقال لهـا حبوش : « ويحك ، ومن ذلك ؟ » قالت : « أشهد أنك ــ إن كنت لا تعرفه وأنت من أهل

---

(١) غ : جرش .

(٢) ضرية : أرض عرفت بخصبها بقرب المدينة .

(٣) ورد هذا الاسم فى س مرة بالعين وأخرى بالغين ، وفى غ بالعين . وأورد البكرى فى معجمه الاسمين ، وصرح أن الروايات الشعرية تخلط بينهما ، وإن أورد شعر يحيى فى العين مع نسبته إلى عويج الطائى ، وذكر أن ابن الأنبارى أنشده للصمة بن عبد الله القشيرى . وأورد ياقوت الشعر فى رسم شعبعب ونسبة إلى الصمة .

(٤) العطن : مبرك الإبل حول الحوض .

(٥) عوجا : اعطفا . والشنن : الغلاظ . ياقوت :

يا صاحبى أطــال الله رشــدكما ... عوجا علىّ صدور الأبغل السنن

(٦) عناء : كذا فى غ . وفى س : عياء . ياقوت :

ثم ارفعا الطرف هل تبدو لنا ظعن ... بحــائل بإغنــاء النفس مــن ظعــن

(٧) البكرى وياقوت : يا ليت شعرى والأقدار غالبة .

(٨) البكرى : بين الجد .

هذا البلد — إنها لسَوْءة لك . ذلك يحي بن طالب الحنفى . أقسم بالله ، مامنعك من معرفته إلا غلظ الطبع وجفاء الخُلُق » . فجعل يضحك من قولها .

قال أبو فراس الهيثم بن فراس الكلابى : كنت مع أبى ونحن قاصدون اليمامة . فلما رأيناها لقينا رجل فقال له أبى : « أين قرقرى ؟ » قال : « وراءك » . قال : « فأين شغبغب ؟ » قال : « بإزائه » . قال : « أرنى ذلك . فأراه إياه حتى عرفه . فقال لى : « ارجع بنا إلى الموضع » . فقلت : « يا أبه ، قد تعبنا وتعبت ركائبنا . فما لك هنا لك ؟ » قال : « إنك لأحمق . ويلك ارجع بنا » . فرجعت معه إلى شغبغب . فصار إلى الحوض والعطن فأناخ راحلته وقال لى : « أنخ راحلتك » . فأنختها . ونزل ونظر إلى شغبغب وقرقرى ساعة . ثم اضطجع بين الحوض والعطن ساعة ، وجعل يده تحت خده . ثم قام ليركب . فقلت له : « يا أبه ، ما أردت بهذا ؟ » قال : « يا جاهل ، أما سمعت قول يحي بن طالب :

هل أجعلن يدى للخد مرفقة   على شغبغب بين الحوض والعطن

أفليس عجزا أن نكون قد أتيناها وعبرنا عليهما — وهما منيتا المتمنى — فلا ننال ما تمناه منهما ، وقد قدرنا عليه » . فجعلت أعجب من قوله وفعله .

تجز الجزء الثامن من مختار الأغانى

بحمد الله تعالى وعونه وتوفيقه

فرغ من تعليقه جامعه عبد الله محمد بن المكرم الأنصارى

فى كه وبفح

وبتمامه تم الكتاب

والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله الطاهرين وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

فهرست تراجم الكتاب

